ديوان

بشار بن برد

الجزء الأول

جمع وتحقيق وشرح فضيلة
العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ:

محمّد الطاهر بن عاشور

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

ديوان

بشار بن برد

الجزء الأول

جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه
فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام
الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007

يهدى ويوضع في المكتبات ولا يباع

بشار بن برد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

جلَّ الذي جعل الفصاحة وقْفاً على لغة العرب، وسخَّرها للمولعين فأنطق بها الألسنة من كل حدب؛ حتى رفع رايتها المجلِّي والتَّالي، وتزامل في اقتعاد صهوتها الصميمُ والأحلافُ والموالي؛ سابقين بها إلى غايات، آتين في سبْقِهم ببدائع آيات. وهي بمراسِها تكْسِبُ سائسها السَّبق، وتُسيغ من حلْق صادحها الشَّرَق. فتراها يهْدِر بشقْشقتها المهْرِيُّ والهجين، وينطبعُ باسمها الذَّهبُ واللُّجيْن. فإذا حيَّةُ النُّوبيُّ يخطُرُ بين بني أسدٍ بالشِّعْر الجزْل، وإذا بشَّارٌ فارسيُّ الأصْلِ يصِفُهُ بنو عُقيْلٍ بالقرْم والفحْل، وإذا خُلفاءُ الأمَّة العربِيَّة وأمراؤُها، يرْفعُون على أرائكهم من ترقْرق بشعره ماءُ الفصاحة ورواؤُها. وما تلْك إلَّا منْقبةٌ مِنْ مناقبِها تُشرِّفُ بينهم من قصَّر به جِذْمُهُ، وتشْهدُ بأَن قيمة المرءِ عندهم نفْسه وعِلْمُهُ. حتَّى قال قائلهم: إنَّ العباءة لا تُكلِّمُك وإنَّما يكلمك من فِيها، وحتى شهِدتْ لهم بتقدير قدر الكمال الدنيا بملْءِ فِيها.

والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد القائل: إنَّما المرءُ بأصْغريْه، صلاةً وسلاماً ينطِق بهما المُسْلِمُ بملْءِ شِدْقيْهِ، ويعُمَّانِ صحْبه وآله ومن انتمى إليه.

أمَّا بعد، فليس بخافٍ على أحد مِمَّن زاول أدب اللغة العربية مزاولة مُغْرم، ما يجده الأديبُ من الحسْرة على نزارة ما بيْن يديه من شعر بشار بن بُرد، ذلك الشاعرُ القرْمُ الذي هو فاتح باب شعر المولَّدين وخاتم عصْر الشعراء المتقدمين، وذلك الشعر الذي هو مظهر من مظاهر تحول الشعر العربيِ من طوْر إلى طور، والذي يُعدُّ بحق واسطة

عقدين تضم حواليها سمطي الشعر القديم والشعر الجديد. ويزيده كلفاً به وتعطشاً إليه ما يرى من تهمم أيمة البلاغة لالتقاطه، بعد انفصام عقده وانفراطه.

من أجل ذلك لم يزل ولايزال المتأدبون يشدون بما تناله أيديهم من شعره، فيزينون به مدوناتهم، ويرصعون بفرائده مجموعاتهم. فما خلا غرض من أغراض الشعر إلا وضعوا على رأس مباحثه تاجاً من فرائد بشار، ثم تراهم يتساقطون على التقاط جواهره تساقط الطير حيث يلتقط الحب، سواء في ذلك الحكيم والبليغ والخليع وصريع الحب. وكأنك لا يغيب عنك تلهفهم على ما تلاشى منه، وتبجحهم بما يحصلونه تبجحاً له كنه.

وإذا كنت قد حظيت باقتناء جزء ضخم من ديوانه أحببت أن أعلق عليه شرحاً يقرب للمجتني بعض معانيه ونكته، لأني رأيت شعره مفعما بخصائص اللغة العربية ونكت بلاغتها ومحتاجاً إلى بيان ما فيه من غريبها، فعلقت عليه هذا الشرح متوسطاً بين التطويل والاختصار، بينت فيه غريب لغته وخفي معانيه، ونكت بلاغته وأدبه، وما يشير إليه من عادات العرب وتاريخهم وعادات عصره وتاريخ الرجال والحوادث التي تضمنها شعره بالصراحة أو الإشارة. وخصصت الاستعمال العربي الفصيح بالبيان، وذكرت في طالع كل قصيدة الغرض أو الحادثة التي قيلت فيها مما ذكره علماء الأدب والتاريخ مع زيادة بيان لما أهملوه، واصطلحت على أن غرض القصيدة إذا كان مذكورا في أصل الديوان أضعه في الشرح بين هلالين، وإذا لم يكن مذكورا وذكرته أنا لم أضعه بين الهلالين، ليعلم المطلع أن تعيين الغرض مروي في كتب الأدب أو مستخرج من القصيدة نفسها.

ولمّا رأيت أبناء الأدب العربي في غالب البلاد قد زهِدُوا في علم العروض والقافية نبّهتُ في كلّ قصيدة على بحرها وعروضها وضربها، ولم أبين الزّحاف والعِلة العارضة في الأبيات إلّا في مواضع جديرة بالبيان، ثِقةً بأن التنبيه على بحر القصيدة وعروضها وضربها يفتح للمُطالع طريق البحث عن معرفة ما يعثِرُ بعضها مِن زِحافٍ أو علة.

ولِما في نسخة الديوان من التحريف والتصحيف عُنيتُ بالتنبيه على ذلك غالباً في ضبط بعض الكلمات الذي الخطأ فيه واضح، فإني أعرِض عن التنبيه عليه لكثرة ذلك في خط ناسخه، ولا سيما رسْمه ونقْطه وضبْطه. والقصدُ من ذلك أن يعلم المتأملُ ما ثبت في الأصل، فعسى أن يكون من بعض المطّلعين قولٌ فصل ورأيٌ جزل. مكلّلاً ذلك بوضع مقدمة وافية التعريف بما تهمّ معرفته من ترجمة بشار وأحواله وأدبه ومكانته من العربية والبلاغة وذِكْرِ ديوانه وما لحِقه. ومذيّلا إيّاه بجزء يحتوي على ما ألتقِطُه من شعره في كتب الأدب مما ليس محْوِيا للجزء من الديوان.

ورجائي من أهل الأدب ورُواتِه، وأطِبّاء اللسان وأساتِه، أنْ يقْدُرُوا قدْر ما بذلْتُ من الجُهْد، وألّا يكون نقدهم إلا كما تكون إبرُ النحل دون الشّهد.

بسم الله الرحمن الرحيم

بشار بن برد

نسبه

هو بشارٌ بن برد بن بَهْمَن (وقيل ابن يرجوخ) بن أذركند بن بَيْبِرسبان (وقيل شروستان) بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهيُّذار (أو ماهيفـــان) بن نَاذان (أو دادان) بن بَهْمن بن أذركند بن حسيس بن مَهْراز بن خُسروان بن أخشين بن شهْرزاد (أو شهرداذ) بن بَيول (أو نبوذ) ابن ما خُرُّشاذا . .(1) (أو ما خرشيذا انماذ) بن شَهْرِبان بن بُندار بن اسيحان (أو بندار اسيحان) بن مكرز بن أذريرس بن بشتاسف الملك (أو يستاسب) ابن لَهراسف الملك (أو يهراسب) بن فتــوْخى (أو فنوحى) بن كيشن (أو كيمنش) بن كبانيـه (أو كيابنه) بن كِيقباذ الملك بن راى بن بوذكاب ابن ماشوى بن نوذ (أو نوذر) ابن منوشهر الملك بن كبانيه بن مَنشَجُورَانَا ابن بدك بن نبروسبح (كذا) إبراهيم الخليل . وقد بينت ضبطها في أول شرح الديوان .

هذا سياقي نسبَه ، مأخــوذا كامله من أول الديوان ، في ورقة 1 منه. وهو موافق في بعضه لما في ترجمته من كتاب « الاغاني » ومن تاريخ الخطيب البغدادي ، اذ لا توجد سلسلة نسبه كاملة الا في هذا الديوان. ونجد في بعض الأسماء مخالفة بين ما في الديوان وما في « الأغاني » وتاريخ الخطيب ، ومن ترجمة « الشاهنامه» في أسماء من عُدَّ في أجداده من ملوك الفرس ، وقد وضحت ذلك في شرح أول الديوان . وفي هذه

---

1) موضع حرفين أزالهما أثر السوس .

السلسلة أفراد من ملوك الفرس فلذلك كان بشار يفتخر بمحتده، وسيأتي أن أباه هوأول من أسلم، وهم لم يذكروا ماذا كان اسمه قبل إسلامه، وأحسب أن اسمه يرجوخ، ولذلك وقع اضطراب في سياقة نسب « برد » هل هو برد بن بهمن أو ابن يرجوخ ، فلعل ذلك من وجدانهم اسم يرجوخ عقب اسم برد على وجه البدلية، فظنه بعض الناقلين اسم والد بُرد. وتسمية العبيد ببُرد معروفة عند العرب ، فقد كان ليزيد بن مفرّغ الحميري من شعراء صدر الدولة الأموية غلام اسمه برْد، باعه أو بيع عليه في دين، فأسف على بيعه، فقال:

وشَرَيْتُ بـردا ليتَنِـــي　　من بعـد بُرد كنتُ هَـامَهْ(1)

وبشار من الموالي من أبناء الفرس بلا خلاف ، قال أبو الفرج عن حُميد بن سعيد قال : كان بشار من شَعب أدريرس بن يستاسب الملك ابن يهراسب الملك . اهـ .

وهو من خراسان ، وقد افتخر بذلك في شعره فقال :

وإني لمِنْ قومٍ خراسانُ دارهم　　كرامٍ وفرعي فيهم ناظر بَسَقْ

ذكر ذلك الجاحظ في البيان والتبيين .

وقال أيضاً (2) :

من خراسان وبيتي في الـذرى　　ولدى المسعاة فَرعي قد بسـق

وقال أيضا (3) :

أبي خراسان وأدعو عامـرا　　أكرم حي أولا وآخـرا (4)

1) شريـت : أي بعت .
2) تجده في الملحقات.
3) في الورقة 255 من الديوان المخطوط.
4) تجده في الملحقات.

وقال (1) :

أنا ابنُ ملوك الأعجمين تقطعت علي ولي في العامرين عماد

وقال أيضا (2) :

نَمَتْ في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريشُ العجم

قيل : أراد بقريش العجم أشراف الفرس، وقيل : أراد موالي قريش من الفرس، نقله الخفاجي في شفاء الغليل عن ابن المعتز في كتاب البديع. وقيل : قريشُ العجم هم الأكراد، ولا يصح هذا لأن بشارا وصم الأكراد بقطع الطريق في قصيدته التي طالعها :

بَكِّرَا صاحبَيَّ قبْلَ الهجير

التي امتدح بها سَلم بن قتيبة. والصواب أنه أراد ما قاله عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب الرد على الشعوبية : أن أهل خراسان لم يزالوا في ملك العجم لقاحاً لا يؤدون الى أحد إتاوة ولاخراجا . اهـ. وقد كانت قريش تلقب باللقاح لأنهم لم يدينوا لملك من الملوك.

وأما رفع نسبه الى ابراهيم الخليل عليه السلام فذلك من أغلاط ثلة من المؤرخين والقصاصين القاصرين الذين توهموا أن الفرس من ذرية إبراهيم، وذلك لم يقله أحد من علماء الأنساب، والمظنون أن ذلك من موضوعات بعض مؤرخي الفرس في الإسلام، إذ يرومون التقريب من العرب.

وكان بشار مولى لبني عُقيل بن كعب من بني عامر ، وقع أبوه برد في الفيء في سبي المهلب من أعجام ما وراء النهر في حدود سنة 80 .

1) البيت 9 من ورقة 212 من الديوان المخطوط.

2) في الملحقات.

وأصله من طخرستان (1) فصار عبدا لخيرة القشيرية زوج المهلب بن أبي صفرة ، ثم وهبته مولاته خيرةُ لامرأة من بني عقيل ، وتزوج عند امرأة المهلب .

وكان برد طيّانا يضرب اللبِن حاذقاً . ولد له بشار وهو عند العُقيلية ، وأعتقت العقيلية بشارا بعد موت أبيه ، فصار مولى عقيل ، ولذلك كان أئمة الأدب يلقبونه ببشار العُقيلي . وقد قال في شعره :

إنّني من بني عقيل بن كعب. موضِعَ السيفِ من طُلَى الأعناقِ

وقال :

وقامت عقيل من ورائي بالقنا حفاظا وعاقدتُ الهمام المحجبا

وفي البيان للجاحظ عن حمّاد عجرد أنه كان يقول: «إن بشارا مولى لبني سدُوس، كان مولى امرأة منهم يقال لها أم ظِباء». والتحقيق أن بشارا كان ينزل في بني سدوس كما في أمالي الشريف المرتضى ، وليس مولى لهم ، وكيف يكون مولاهم وهو قد افتخر على أبي المنذر جرير السدوسي بقوله :

أمِثْلُ بني مُضَرٍ وَائِلٌ فديتُك من فاخرٍ ما أجَن(2)

وربما انتسب بشار إلى وَلَاء قَيس عَيلان ، وقد افتخر بهم وبمواقعهم، وأدخل نفسه فيهم في قصيدته التي طالعها : « جفا وده فازورّ أو مَلَّ صاحبه ». وفي قوله مع قيس :

وما تلقاهُمُ إلا صدرنا بريءٌ منهم وهُمُ حِرَارُ

1) ويقال : طخارستان وهي من نواحي خراسان وأشهر مدنها الطالقان .
2) قوله « فديتك » تهكم، وقرينة ذلك قوله «ما أجن» .

وأما انتماؤه الى بني عامر فكثير في كلامه، وقد قال :

نَمَتْ في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريشُ العجم

قال الصفدي في شرح رسالة ابن زيدون : كان بشار يتلوّن في ولائه ، فتارة يدعي لقيس ، وتارة يدعي لغيرهم . اهـ. وإن الذي يسمع بشارا ينتسب إلى عُقيل بن كعب وإلى بني عامر وإلى قيس عيلان يظن ذلك تلوناً . والحق أن ذلك ليس من التلوّن في ولائه ، لأن بني عقيل ابن كعب هم من بني عامر بن صعصعة ، وبنو عامر بن صعصعة ، هم من قبائل قيس عيلان بن مضر ، إذ عُقيل هو ابن كعب بن ربيعة بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، ويقال قيس بن عيلان بن مضر. فما قاله الصفدي قصور في تقصي أنساب العرب.

اسمه وكنيته ولقبه

صرح بشار باسمه في موضعين فيما بين أيدينا من شعره : الأول قوله في الشطر 14 من أرجوزة في ورقة 256 :

* ليس ابن نِهيا من رجال بشار *

والثاني قوله (في الملحقات) :

إذا أنشد حماد فقل أحسن بشار

وكان بشار يكنى أبا مُعاذ ، وكان يلقب بالمرعَّث بفتح العين المشددة ، وهو أكثر ما عبر به عن نفسه، والرعث بالتحريك الاسترسال والتساقط ، أو هو مشتق من رَعْثة الديك وهي اللحمة الحمراء المتدلية تحت حنك الديك . وقيل: لقب بذلك بسبب وقوع الكلمة في شعره ، إذ يقول :

قــال ريــمٌ مــــرعَــثٌ   ساحرُ الطَّرْفِ والنظَــــرْ
لســتَ واللهِ نَــــا ئلِـــي   قلتُ أو يغلِـبَ القَـــدَر

فيكون من جملة الشعراء الذين لقبوا بكلمات وقعت في أشعارهم. وقيل : لأنه حين كان صغيرا كان في أذنيه قُرْطان ، والقُرط يسمى الرَّعْثَـة . وقيل : لأنه كان لقميصه جَيْبَانِ يميناً وشمالا ، فشبهت تلك الجيوب بالرَّعثة ، يدل لهذا قوله :

لمــا رأت لمحــة مني مــرعَّثــة   خضراً وحمــراً وصفرا بينها جُددا
قالت لتِرب لها كانت موطِّنـــة   جاء المرعَّث فائتِنِي عندكِ الوُسُــدا

وقد لقّب نفسه بالمرعَّث في هذا البيت في الديوان وفي قوله المشهــور :

أنا المرعَّث لا أخفى على أحد   ذرّت بيَ الشمــس للقــاصي وللداني

وقوله في ورقة 41 :

حتى يقولَ النــاس بينهـــــم   شَغَفُ المرعَّثِ داخـلُ الحُـبِّ

وقولــه في ورقة 132 :

فُتِنَ المــرعَّث بعد طــول تَصَاحٍ   وصَبــا ومَــلّ مقالــةَ النُّصّاح

والأقرب أنه لقب به لأنه كان في أذنه رَعثة ، وذلك يكون لأحد سببين : أحدهما أن بعض النساء يجعل قرطاً للولد الذكر يزعمون أن ذلك يطيل حياته فتفعله المقلات(1) ليعيش ولدها ، فلعل أمه كانت ثكلت أولادا قبله ، والسبب الثاني أن الفرس كان من عادتهم ثقب أذن المملوك النفيس ، ووضع قُرط ذهب في أذنه ، ولذلك يلقب المماليك

______

1) المرأة التي لا يعيش لهـا ولد .

عندهم بمثقوبي الآذان، كما جاء في بعض فقرات السعدي في كتاب قلستان(1) . وفي هذا المعنى قول عمر ابن الوردي :

مَرّ بنا مقرطق ووجهه يحكي القمرْ(2)
قلت : أبو لؤلؤة منه خُذوا ثار عُمَر

فلعل هذه العادة نقلت في العرب، فعمل بها موالي بشار في أذن بشار.

أهله

أمّ بشار رومية كانت أمَة لرجل في الأزد زوجتها بُردا مولاته خِيرةُ القُشَيْرية، وقد قال بشار:

وقيصرٌ خالي اذا عَدَدْتُ يوما نسبي

قيل: إن الازدي مولى أمّ بشار لما ولدت بشارا أمُّه أعطاها الأزدي في صداق ساقه لامرأة من بني عُقيل تزوجها الأزدي، فأعتقت العقيلية بشارا لكونه أعمى.

ووقع في هجاء هجاه به حماد في الأغاني ما يدل على أن اسم أم بشار غزالة. وأما أبوه فقد تقدم ذكره. وقد هجا بشارا هشام البصري المعروف بالحلو فذكر حقارة أبوي بشار بقوله:

بذلة والديْك كسيت عزا وباللؤم اجترأت على الجواب(3)

وكان له أخوان، يسمى أحدهما بشرا، والآخر بَشيرا، وكانا قصّابَيْن، وكان بشار باراً بهما. والذي حققه الجاحظ في البيان والتبيين(4)

---

1) اسم كتاب للسعدي يقال بالجيم الفارسية المعقدة، وهي بين الجيم والكاف ومعناه، جنة الورد.
2) في بعض المصادر : مقرط، بدل: مقرطق .
3) ذكر ذلك الآمدي في الموازنة.
4) انظر صفحة 41 من الجزء 1 .

أنهما أخـواه لأمه لا لأبيه . وذكر الجاحظ في كتـاب الحيـوان (1) أن أخويه أحدهما حنفي والآخر سدوسي ، وبشارا عقيلي ، أي بالولاء جميعهم ، وذكر كلاما لأخيه بشر يؤذن بأنه كان عربي الفصاحة .

قلت: وقد مدح بشار أحد أخويه بقصيدة (2) وذكر فيها أنه كفاه عن التكسب بالشعر والتعرض للملوك. قالوا: وكان أخوا بشار مؤوفَيْن(3) أيضا : أحدهما أعرج والآخر ناقص اليد . وقد قال حماد عجرد في بشار وأخويه :

لقد ولـدت أم الأُكَيْمِـه أعرجـاً ... وآخر مقطوع القفا ناقص العضـد

وقال صفـوان الأنصاري يخاطب أمّ بشار :

ولدت خُلدا وذَيْخاً في تشتمـه ... وبعده خُزَزًا يشتد في العَضُـد
ثلاثة من ثلاثٍ فُرّقوا فِـرَقـا ... فاعرف بذلك عِرق الخال من ولـد

الخُلْـد: ضرب من الجرذان يولد أعمى، والذّيخ: ذكر الضباع وهو أعرج، والخُزَزُ : ذكر الأرانب وهو قصير اليدين.

وزوجة بشار اسمها أمامة ، كذا وقع في شعر هجاه به حماد عجرد في ترجمة حماد من الأغاني.

وولد لبشار ابن اسمه محمد توفي صغيرا ، وجزِع عليه جزعاً شديداً ، ورثاه بقصيدة في ورقة 55 من الديوان ، ويظهر أن بشارا لم يترك عقباً ، أو انقطع عقبه قريبا من وفاته ، لأن طاهر بن الحسين لما دخل العراق سأل : هل بقي من ولد بشار أحد ؟ فقالوا له : لا ، وكان همّ أن يصلهم.

---

1) انظر صفحة 14 من الجزء 7
2) تجدها في الديوان .
3) أي مصابين بآفة

ووُلدت له بنت وماتت ورثاها .

وقالوا في صفة جنازته : إنها لم يسر وراءها أحد إلا أمة سوداء سندية . وفي الموشح للمرزباني في ترجمة عباس بن الأحنف عن عمر بن شَبَّة قال : رآني محمد بن بشار بن برد وأنا أكتب شعر العباس بن الأحنف ، وكنت أقرأ عليه شعر أبيه ، فقال : والله لا أقرأتك شعر أبي وأنت تكتب هذا .اه . فدل على أنه كان له ولد عاش بعده . فلعله تركه صغيرا وشب ثم مات ولم يخلف عقباً ، لأن عباس بن الأحنف نشأ بعد بشار .

مولده ونشأته ووفاته

ولد بشار بالبصرة ، وكان مولده في حدود سنة ست وتسعين ، ونشأ بالبصرة ، واشتهر شعره فيها ، وسكن حَرَّانَ مدة ، وتنقل في البلاد مدة ، ثم رجع إلى البصرة ، كما سيأتي ، ثم سكن بغداد ، وتوفي في بغداد سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة ، على ماحققه الخطيب في تاريخ بغداد ، وقيل سنة ست وستين ومائة ، قاله ابن الأثير في الكامل ، ولايصح . وقال الصفدي في الوافي بالوفيات : مات بشار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ تسعا وتسعين سنة . وشاخ حتى ابيض رأسه ولحيته ، قيل نيف على التسعين (بتقديم التاء) وقيل على السبعين (بتقديم السين) ، ولاشك أن بشارا عمر كثيرا وأنه حين توفي تجاوز السبعين يشهد لذلك قوله في قصيدته التي طالعها :

أباهل إني للحروب عِدَادُ

وهي في هجاء أبي هشام الباهلي ، فقال فيها :

وحسبك أني منذ ستين حِجَّـــــةً   أكِيدُ عفاريتَ العِدى وأُكـــــادُ

فلا شك أن يكون ابتداء كيده بعد بلوغ عشر سنين ، ومهاجاته لأبي هشام كانت في عصر المهدي العباسي . كما يدل عليه قوله في قصيدته

التي هجا بها أبا هشام الباهلي التي طالعها : « أبَاهِلَ إني حين لاح قتيري » إذ يقول في إعراضه عن فحش القول :

فقلت : معاذ الله لست بفـــاعـل نهاني أميــر المؤمنيــن أميـــري

ومعروف أن الذي نهاه هو المهدي . ومما يزيد تحديد عمر بشار ضبطاً أنه مدح المهدي سنة ثلاث من خلافته أعني سنة إحدى وستين ومائة بالقصيدة التي قال فيها (على رواية الأغاني) :

وأخرجني من وزر خمسين حِجـةً فتى هـاشميٌ يقشعـرّ من الوزر(1)

ولا شك أنه يعتبر في الوزر من وقت تكليفه وبلوغه مبلغ الرجال ، فنأخذ خمسا وستين سنة من قبل سنة 161 ، فيكون مولد بشار سنة ست وتسعين أو خمس وتسعين أو سبع وتسعين . وسنذكر سبب وفاته ، وصفة قتلته .

صفته

كان بشار ضخما، عظيم الخلق، مفرط الطول، عظيم الوجه، أعمى، أكمه، جاحظ العينين، قد تغشاهما لحم أحمر ، فكان قبيح العمى، مجدور الوجه ، وقد ضُرب المثل بقبـاحة عينه ، فقالوا « كعين بشـار بن برد» ذكره الثعالبي في ثمار القلوب، قال : وفي ذلك قال مخلد بن علي السلامي يهجو ابراهيم بن المدبر (ويدعو عليه) :

رأيتك لا تحـــب الــودّ إلا إذا ما كان من عصب وجِلـد
أراني اللهُ وجهــك جاحظيـــا وعينــك عين بشـار بن بـــرد

1) الموجود في الديوان « من وزر سبعين حجة » ورواية الأغاني أصح، يعضدهـا البيت الذي من القصيدة الداليـة .

وكان قد ولد أعمى فهو أكمه ، وفي ذلك قال : (1)

عميت جنيناً والذكاء من العمي فجئت عجيبَ الظنِّ للعلـم موئلا
وغاض ضياءُ العين للعلم رافـدًا بقلبٍ إذا ما ضيّعَ النـاسُ حصلا

وكان إذا أراد أن ينشد شعرا صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وعن شماله ، ثم ينشد . قال الجرجاني في كتاب الكنايات 14 عن أبي عبيدة : كان بشار اذا اراد الشعر نفث .

وقال أبان بن عبد الحميد : حضرت بشارا يوماً في دهليزه كأنه جبل نفخ فيه الروح . ووصف بشار لحية نفسه ، فقال على لسان جارية :

ألصق بي لحية لـه خَشُنَـتْ ذات سواد كأنهـا الإبـرُ

عمى بشّار

بشار في عداد شعراء كثيرين أصيبوا بالعمى ، وأول شعراء التاريخ في العميان الشاعر اليوناني هيوميروس صاحب أناشيد الإلياذة والأوديسة ، ومن الشعراء العميان في الجاهلية معن بن أوس ، ومن الشعراء العميان في الإسلام حسان بن ثابت، وأبو العباس الأعمى السائب المكي ، وصالح بن عبد القدوس ، وأبو العينـاء محمد بن قاسم ، والمـؤمّل ، وأبو العلاء المعري ، وابن العلاف الحسن النهروني ، والرّقيّ أبو شَبَانة ربيعةُ بن ثابت ، وسعادة الحمصي واسمُه سعيد ، وسليمان بن مسلم بن الوليد وهو ابن صريع الغـواني ، (وقال الجاحظ في كتاب الحيوان : هو أخو مسلم بن الوليد) ، وابن الموصلايا العلاء بن الحسن البغدادي ، وموفق الدين مظفر المصري ، وسبط التعاويذي محمد ، والعكوّك علي بن جبلة ، وأبو الزهر نابت الهجّاء ،

1) تجده في الملحقات .

ومحمد بن خلصة النحوي الشاعر ، وأبو بكر الأسعردي محمد بن عبد العزيز ، والصَّرصَرى يحيى البغدادي ، وهمام بن غانم السعدي البغدادي وكان مجدور الوجه مثل بشار ، وشافع بن على العسقلاني ثم المصري. ومن المغاربة الأعيمى التُطيلي أحمد الأشبيلي ، وابن البقال عبد العزيز الخشني القيرواني . ومحمد بن جابر الأندلسي ، وعلي بن عبد الغني الحصري القيرواني ، وابن الخواص القيرواني.

وكان بشار يعدّ للعمى محاسن منها ما ذكرناه آنفا ، ويأتي بعضها في ذكر مُلحه .

ومن اللطائف ما في الأغاني في ترجمة أبي زَكّار الأعمى عن حماد بن إسحاق قال : غنى علويه يوماً بحضرة أبي ، فقال أبي : مَهْ ! هذا الصوت معروف فى العَمى ، الشعر لبشار الأعمى والغناء لأبي زكّار الأعمى وأول الصوت : عميت أمري .

ومع أن بشارا كان أعمى فإنه لم يكن يأتى في شعره بما يناسب العمى ، فاذا قرأت شعره لم تشعر بإنه أعمى ، وذلك من فرط دقة علمه ووصفه للأشياء ، إلا قوله في ورقة 178 :

فأتيتُهُنّ مع الجَرِي يقــودني ... طَرِباً ويا لــكَ قائــدًا وَمقُــودا

لباسه

كان يلبس قميصاً وجبــة ، ويجعل لهما جُرُبّانَين في جهة الصدر والنحر (أي جيبين) ويجعل الجيبين واسعين ، ويجعل للجيبيــن لِبْنَتَين ، أي رقعتين من القماش واللون(1) ، ويشد اللبنتين بأزرار ، فإذا أراد أن ينزع

1) اللبنة بكسر اللام وسكون الموحدة: الرقعة. وقولهم : من القماش واللون، أي من قماش القميص ولونه .

القميص أو الجبة أطلق الأزرار ، فيسقط القميص أو الجبة على الأرض ، ولا ينزع قميصه من جهة رأسه قط . كذا في البيان للجاحظ (1) .

قال في الأغاني : وكان لبشار أخوان ، وكان بارا بهما ، فكانا يستعيران ثيابه فيوسخانها وينتنان ريحها ، إذ كانا قصابين ، فاتخذ لنفسه قميصاً له جيبان ، وحلف ألا يعير أخويه ثيابه ، فكانا يأخذانها بغير إذنه ، فاذا دعا ببعضها فلبسه أنكر رائحته ، فاذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على نتنها ووسخها ، فيقال له : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صلة الرحم !

خلق

كان بشار سيء الخلق ، سريع الغضب ، سريع الهجاء ، متجاهرا بالسكر ، مفتخرا بالزنى . وكان من خلقه محبة اللذات والتنعم ، وقد عرفه الناس بذلك ، ولذلك قال :

ليس النعيم وإن كنا نُزَنّ به ... إلا نعيم سُهَيل ثم حَمّادِ

وكان قوي الردّ على من خالفه ، كثير المحادثة، كثير فلتات اللسان، وكان بذيء اللسان ، شديد الأذى .

قال الخطيب في تاريخ بغداد عن أبي عبيدة : كان بشار يقول الشعر وهو صغير ، وكان لا يزال قوم يشكونه إلى أبيه ، فيضربه ، حتى رقّ عليه من كثرة ما يضربه .

ويظهر من أخباره الآتية أنه كان شجاع القلب ، قليل الاكتراث بالمخاطر ، قويا في الثبات على رأيه ، وكان نزّاعا إلى العصيان والثورة .

---

1) انظر صفحة 66 من جزء 3.

قال في الأغاني: كان يفسد مواليَ العرب عليهم ، ويدعوهم إلى الانتفاء منهم ، ويرغبهم في الرجوع الى أصولهم وترك الولاء .

وقد ذكروا من شعره قوله يريد نفسه أو يخاطب بعض الموالي :

أصبحتَ مولًى ذي الجلال وبعضُهم مَولى الغُرَيْب فخُذْ بفضلك وافْخَر
مولاك أكرمُ من تميم كلهـــــا أهل الفَعَال ومن قريش المشعـــر
فارجع إلى مولاك غيرَ مُـدَافَـع سبحانَ مولاك العليِّ الأكبـــر

بداهة جوابه وملحه

جلس يوما عند المهدي أمير المؤمنين ومعه أبو دُلامة ، فافتخر بشار بحب النساء إياه ، فقال أبو دلامة : كلا ! لوجهك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك ، فقال بشار: كلا! والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك .

وحضر يوما في دار المهدي والناس ينتظرون الإذْن ، فقال المُعَلَّى ابن طريف أحد موالي المهدي لمن حضر : ما عندكم في معنى النحل من قول الله تعالى : «وأوحى ربك إلى النحل» إلى قوله : «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس»؟ فقال بشار : النحل التي يعرفها الناس ، قال : هيهات يا أبا معاذ ، النحل : بنو هاشم . وقوله «يخرج من بطونها شراب» الآية. يعني العلم ، فقال بشار : أراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم فقد أوسعتنا غثاثةً . وبلغ الخَبرُ المهديَّ فدعا بهما ، وحدثه بشار بالقصة فضحك المهدي حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للمعلَّى : أجلْ فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فإنك بارد غث .

ومدَح المهديَّ بقصيدة فلم يجزه ، فقيل له : حرمك أمير المؤمنين، فقال : والله لقد مدحته بشعر لو مُدح به الدهرُ ما خُشيَ صَرفُه على أحد ، ولكنني كذبت في العمل فكُذِبْتُ في الأَمل .

وقال له أبان بن عبد الحميد : يا أبا معاذ ، أنت القائل :

إنّ في بردَيّ جسماً ناحلاً ... لو تَوَكّأتِ عليه لانهدمْ

وأنت القائل :

في حُلّتِي جسمُ فتًى ناحلٍ ... لو هَبّتِ الريحُ به طاحا

قال : نعم ، قال : فما حملك على هذا الكذب ؟ والله إني لأرى لو أن الله بعث الرياح التي أهلك بها الأُمم الخالية ما حرّكتكَ من موضعك! ولكن ما سلبَ الله سراجَيْ أحد إلا عوّضه منهما ذكاء قلب أو شجا صوت، فما الذي عوضك الله منهما ؟ فقال بشار : عدم النظر الى ابن فاعلةٍ مثلِك منذ أربعين سنة(1) !

وكان بشار يعطي أبا الشّمَقْمَق الشاعرَ مائتي درهم كل سنة ، فقال له أبو الشمقمق في بعض السنوات : أين الجزية ؟ فقال : أو جِزْيةٌ هي ؟ قال : نعم ، قال بشار : أنت أفصح مني وأعلم بمثالب الناس؟ قال : لا ، قال : فلِمَ أعطيك؟ قال : لئلا أهجوك ، قال : إن هجوتني هجوتك، فقال أبو الشّمَقْمَق :

إني إذا ما شاعر هجانِيَهْ ... ولجّ في القول له لِسانِيَهْ

أدخلته في أست أمه عَلانِيَهْ ... بشارُ يا بشارُ . . . . .

فوثب بشار ووضع يده على فم أبي الشمقمق ولم يتركه ينطق ببقية البيت ، لأنه علم أنه سيقول : « يا ابن الزانية » .

1) من مجموعة عتيقة أظنها لأبي القاسم الأصفهاني بخزانة جامع الزيتونة عدد 4516.

واستصنع بشار قباء عند خياط أعور، فلما أتاه به قال الخياط: يا أبا معاذ هذا القباء لا تدري أقباءٌ هو أم دُوّاج ؟ فقال بشار لأقولنّ فيك بيتا لا يدري سامعه ألك دعوتُ أم عليك ؟ وقال:

خاطَ لي عَمْرو قَبَــــــا ليتَ عينيـــه سَــــــوا
قلتُ بيتًــا ليـس يُـدرَى أمـديـــح أم هِجَـــــا

وإن التعمق في اكتناه خُلق بشار ينبيء بأنه كان مضطرب النزعة جارياً وراء ظلال الدول والمذاهب ؛ لا قرار له في شيء من ذلك سعياً وراء منفعته ووجاهته ، ولم يكن ذلك بالذي يهز المتقلدين للشوكة والدولة : لعلمهم بأنه ليس ممن يُخشى انحرافه ولا ممن تنفع عصبيته ، وما هو الا شعره يُسيِّر به حسن سمعة الممدوح ، وذلك مما يكتفي به القائم بالدولة ، لأن تأثير الأقوال يحصل منه المقصود في وقت صدوره ، فقد كان بشار من أنصار الدولة الأموية، وله مدائح في مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين. ثم مدح خلفاء العباسيين وعرض بالأمويين .

قالوا لما ثار إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي على المنصور مدحه بشار بقصيدة هجا فيها أبا جعفر المنصور ، وهي التي طالعها :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليـــل بسالـم
فُرم وَزَرا ينجيك يابن سلامة(1) فلست بناج من مضيم وضائم

وقال فيهــا في مدح ابراهيم

مِن الفاطميين الدُّعــاة الى الهدى جِهارا ، ومنْ يهديك مِثل ابن فاطم

فلما انتصرت جنود المنصور على ابراهيم في تلك السنة خاف بشار، فغير

(1) سلامة هي أم أبي جعفر المنصور ، قال ابن حزم في جمهرة الأنساب : هي أم ولد بربرية؛ قيل: نفزية، وقيل : صنهاجية .

تلك القصيدة وجعلها مدحا في المنصور وهجاء لأبي مسلم الخراساني ، فصير قوله : « أبا جعفر » « أبا مسلم » وصير « يابن سلامة » « يابن وشيكة » ووشيكة اسم أم أبي مسلم، وصير قوله : «من الفاطميين» «من الهاشميين»، وقوله : « مثل ابن فاطم » « مثل ابن هاشم » . هكذا ذُكرت هذه القصة في كتب الأدب ، وهي لا توافق في تاريخ ظهور ابراهيم بن عبد الله ابن الحسن ومقتل أبي مسلم ، فإن أبا مسلم قتل سنة 137 وظهور ابراهيم كان سنة 145 بجهات البصرة، فالظاهر أن القصيدة وضعها حين ظهر محمد ابن عبد الله بن الحسن ، وظن بشار أنه يتم له الأمر ، فلما رأى اختلال أمره أخفاها ثم غيرها قريباً في نكبة أبي مسلم .

مجلسه

كان لبشار في داره مجلسان : مجلس يجلس فيه بالغداة يسميه « البَردان (1) »، ومجلس يجلس فيه بالعشي اسمه « الرقيق ».

وفي كتاب النزهة لحفيد وكيع بن خليف (2) في الورقة 4 : حضر بشار مجلساً فقال : لا تجعلوا مجلسَنا هذا شعرًا كلَّه ، ولا غناءً كله، ولا حديثاً كله، ولكن تناهبوه، فإن العيش فرصة .

اعتقاده

ليس البحث عن اعتقاد بشار شديدَ الصلة بتعريف قيمة أدبه وشعره ، فإن لدينا من بلغاء شعراء العربية من هو مشرك ، وهم معظم شعراء الجاهلية ، ومن هو مؤمن ، وهم معظم شعراء الاسلام ، ومن هو متدين

1) سماه باسم موضع خارج بغداد يسمى البردان بفتح الباء وفتح الراء، وقد عسكر به المهدي حين تجهز لغزو الروم سنة 163 .

2) كتاب نفيس في الصحبة والأصحاب يوجد في خزانة كتبي بخط عتيق نسخ سنة 463، يقول : حدثني جدي وكيع بن خلف .

بغير الاسلام كالأخطل والسَموأل، ومنهم من شرب من الصفو والكدر كلبيد وحسان ، وكل هؤلاء لا نجد لاعتقادهم أثرا في رفعة شعرهم . غير أن الناس قد عُنُوا في قرون الإسلام الأُولى بالخوض في عقائد أصحاب الشهرة ونحلهم ومذاهبهم ، فأصبح هذا البحث من تكملة تراجم أولئك المشاهير . وبشار ممن أخذ بأوفَر حظ من هذا الخوض منذ القدم ، لأن لاعتقاده أثرا في حياته ، فكان حقاً علينا أن نتابع الباحثين من رجال الأدب ، فنشفع القول ببيان عقيدة بشار ومقدار إيمانه من الصلابة .

إذا أردنا استخراج عَقد بشار من شعره لم نجد في شعره أثرا من الدلالة على ما يكنه اعتقاده من إيمان أو إلحاد ، كما لا نجد في شعر معظم الشعراء آثارا على عقائدهم ونحلهم ، ولولا أن الشرك كان عادة من عادات العرب انتظمت عليه أمورهم لَمَا كان في شعر شعراء الجاهلية أثر من آثار الشرك إلا نادرا ، بل إن الموجود في شعر بشار من جانب الاعتقاد هو ما يجري على عقائد المسلمين الخالصين . وبالرغم مما ألصق بشعر بشار من أبيات مصنوعة قصد بها أعداؤه إلحاق الأذى به في حياته أو تبرير صنيع الذين فتكوا به في مماتـه، فنحن مُلجَأونَ حين البحث عن عقد بشار إلى اقتناص ذلك من مجموع ما يؤثـر عنه من الأقوال والنزعات وغيرها، علَى ما في معظمها من الرِّيب، وأنها ـ وإن كانت قد ألصقت به ـ لاتشبه نظم شعره .

كان الرمي بالزندقة والإلحاد قد طلع قرنه من أثنـاء القرن الأول الاسلامي ، ثم بلغ أشده في العصر الذي عاش فيه بشار ، بما عظم من المخالفات الاعتقادية والتعصبات المذهبية وقضاء الأوطار السياسية، وكان مبدأ ظهور الدولة العباسية بُوقًا نفخت فيـه تُهَمُ الإلحاد زفيرَها ، وضربت عليه السياسة طبل نفيرها ، إذ أراد دعاة العباسية أن يحلوا من قلوب الأُمة محل

الدولة الأُموية ، وكانت الأُموية قد أينعت محبتها في قلوب أوليائها ، وهم الجم الغفير، بما كان لخلفائها وأمرائهم من الأَواصر العربية، وما شب في عصرهم من النهضة الأَدبية ، ما ملك قلوب عامتهم من المكـارم والعطايا الذهبية ، وكان ينازع العباسيين في الدعـوة دُعاةُ الطالبيين ، وكان الطالبيون أهلَ سخـاء وتسامح ، ولم يكن لدعاة العباسية من هذه الوسائل ما هو قِرابٌ لما ارتكزت عليه الصلة الأُموية والقرابـة الطالبية ، فابتكروا في ايجاد جاذبة هي أعلى وأعظـم من كل ما كان يجلب للأُمويين والطالبيين قلوبَ الناس. هنالك كان ابتكار الجاذبية الدينية، من مَتٍّ بأقرب قُربَى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتظاهرٍ بتأييد الاسلام ، ورمي أضدادهم بالاستخفاف بهذا الجانب ، وإن أحق من يرمونه بهذه الهناة من كان من ملوك الأُموية وشيعتها ، كما نسبوا إلى الوليـد بن يزيد من التجاهر بالمروق ما لا يروج على ذي عقل حصيف أن يصدر مثله من خليفة المسلمين .

وكان المهدي العباسي قد انبرى لتطهير مملكته من المخالفين ، وشدّد التنقيب على الذين يُنسبونَ الى الزندقة ، فإن بشارا مدحه بقوله :

يصبّ دمـاء الراغبين عن الهدَى كما صُبَّ ماء الظبية المتـرجـرجُ

وأحسب أن المهدي كان يريد الاستعانة بذلك على إماتة نزعة التظاهر بالعصبية الفارسية والشعوبية ، فكانوا يَصِمون أبناء الفرس بالزندقة ويتهمونهم بأنهم يُسرُّون عقيدة دينهم الأَول ، ولذلك سَمَّوْا الإسرار بالكفر زندقة ، مشتقة من اسم الزندو ، وهو كتاب دين الفرس القديم كما سيأتي . وقد جاء في حوادث سنة 163 أن المهدي لما خرج إلى غزو الروم وبلغ إلى حلب أرسل فجمع مَن بتلك الناحية من الزنادقة ، فقتلهم وقطَّع كتبهم بالسكاكين ، وأقام المهدي لهذه الأَعمال خطة يُسمّى صاحبُها

صاحبَ الزندقة ، وقد وَلِيَها عثمانُ بنُ نَهيك وعمر الكَلْوَاذاني (بفتح الكاف وسكون اللام وفتح الواو بعدها ألف ثم ذال معجمة بعدها ألف ، منسوب إلى بلد يسمى بكَلْوَاذَى قُرب بغداد) ومحمَّدَ بنَ عيسى بن حمدويه(1) فقتل من الزنادقة خلقاً كثيرا.

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة 166 أن المهديَّ أخذ داود بن رَوْح ابن حاتم ، وإسماعيل بن مُجالد ، ومحمد بن أبي أيوب المكي ، ومحمد ابن طيفور ، بالزندقة ، فاستتابهم ، وخلَّى سبيلهم ، وبعث داود إلى أبيه وهو بالبصرة ، وأمره بتأديبه.

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة 155 أن عبد الكريم بن أبي العوجاء حُبس بالكوفة على الزندقة في زمن أبي جعفر المنصور ، حبَسه عاملُ الكوفة محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم قتله بدون أمر المنصور ، وغضب المنصور على عامله وعزله.

وذكر صاحب الأغاني(2) : أن علي بن الخليل الشاعر رمي بالزندقة لاتصاله بصالح بن عبد القدوس ، ثم ثبتت براءته فأطلق ، وقتل المهدي صالح بن عبد القدوس الشاعر في سنة 167 على تهمة الزندقة ، مع ما أفصح عنه من البراءة وصحة الإيمان.

أقول إتماما لذكر الزنادقة : وفي سنة 161 قتل المهدي محمد بن أبي عبيد الله وزير المهدي على تهمة الزندقة ، ثم قتل موسى الهادي في سنة 169 علي بن يقطين من الزنادقة الذي ذكره بشار في بعض شعره . ويعقوب ابن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد

---

1) قال ابن الأثير في حوادث سنة 168 : وفيها مات الكلواذاني صاحب الزنادقة. وولي محمد بن عيسى بن حمدويه .

2) صفحة 14 جزء 13 طبع بولاق.

المطلب ، وكان أقر بالزندقة لدى المهدي فسجنه ، لأنه كان أقسم ألا يقتلَ هاشمياً ، وعهِد للهادي أنه إن ولي الخلافة يقتله . ومن الزنادقة أحد أولاد داود بن علي بن عبد الله بن عباس، سجن ومات في السجن سنة 169 . وكان يونسُ بن أبي فروة ويزيد بن الفيض قد اختفيا منذ زمن المهدي ولم يزالا مختفيين حتى سنة 175 .

وكان الخلفاء قد يظهرون الشدة في ذلك ، يشايعون أميال العامة . ذكر ابن الأثير أن المنصور لما غضب على محمد بن سليمان بن علي عامله على الكوفة ، لقتله عبدَ الكريم بنَ أبي العوجاء على تهمة الزندقة، كتب المنصور كتاباً يهدِّد فيه محمد بن سليمان ويأمر بعزله ، وأخبر بذلك عمه عيسى بن علي ، فقال له عيسى : إن محمداً إنما قتله على الزندقة فإن كان أصاب فهو لك ، وإن أخطأ فعليه ، ولئن عزلتَه على إثر ذلك ليذهبن بالثناء والذكر ولترجعن بالقالة من العامة عليك ، فمزّقَ الكتاب .

والزندقة : اسم اشتقه العرب من كلمة زندو بالفارسية الدالة على كتاب الفرس المقدس الذي يقال له بالفارسية (الزندوفستا) وهو كتاب «ماني» الذي يُدعى أتباعُه المانوية، ويقال لهم الثنوية، لأنهم يثبتون إلٰهين اثنين . فقالوا : تزندق اذا اعتقد اعتقاد مجوس الفُرس ، أي انتسب للزندو ، ثم اشتقوا منه «زندقة» للاعتقاد ، و«زنديق» للمعتقد ، ثم أطلقوه على من يُسِرّ هذا الاعتقاد ، فلا يسمون المجوسي المتظاهر بالمجوسية زنديقاً ، ثم صار اسم الزندقة اسماً عامياً في الفقه ، يدل على من يظهر الاسلام ويبطن الكفر ، سواء كان كفره باعتقاد المجوسية الفارسية أم بالدهرية أم بغير ذلك ، ولذلك قالوا : الزنديق يرادف المنافق ، وخصوا المنافق بمبطن الكفر في زمن الرسول عليه السلام والزنديق بمبطن الكفر بعد ذلك الزمن .

وكان مما يصير به المرء معرّضاً إلى تهمة الزندقة أن يكون فارسي الأصل، أو أن يؤثَر عنهُ بغضُ العرب ، أو أن يكون من أهل الخلاعة والمُجُون أو في المزح في الأمور الراجعة إلى العبادات ، أو أن يكون منكرا لشيء من أصول أشياع العباسية ، أو أن يكون لا يحفظ من القرآن شيئاً ، فقد أخِذ بذلك محمد بن أبي عبد الله وزيـــر المهدي حسبما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة 161 .

وقد كان تلقيب أبي جعفـــر المنصورِ ابنه محمداً بالمهدي تمهـــيدا الى تأييد الدولة به وإيهام أنه المهدي الذي يزعمه الشيعة والذي جعلوا ظهوره فيما يسمونه بآخر الزمان من أصول اعتقادهم وتأييد الدين به ، ووضعوا في ذلك آثارا رووها ، يدلّنا على ذلك أن بعض السلف كان ينكر هذا اللقب ، فقد ذكر الغـــزالي في كتاب الأمـــر بالمعـــروف من إحياء علوم الدين أن ابن أبي ذئب وسفيان الثوري حضرا مجلساً وَعَظَ فيه ابنُ أبي ذئب أبا جعفر المنصور وقال له في آخر الموعظة : «والله إني لأنصَحُ لك من ابنك المهدي» ، فلما انصرف ابن أبي ذئب قال له سفيان : لقد سرّني ما خاطبت به هذا الجبّار ، ولكن ساءني قولك له : «ابنك المهدي» فقال ابن أبي ذئب : يغفر الله لك يا أبا عبد الله ، كلنا مهدي ، كلنا كان في المهد .

فأراد المهدي أن يظهر في مظهر المؤيِّد للدِّين المحيي لعقيدة الاسلام وسيرة السلف ، فأظهر من ذلك ثلاثَ خِلال شهد بها التاريخ ، وهي الشدة في تقصّي الزندقة ، والإعراض عن الشعر الغزلي ، حتى نهى بشارا عن الغزل ، وحتى أعرض شاعره أبو العتاهية عن ذلك الشعر وقصر شعره على الزهد والحكمة . الثالثة إفراطه في الغيرة على النساء وإغلاظ الحجاب، ولذلك ظهر في زمانه حديث نصه «المهدي منّا ، واسمه يواطىء اسمي ،

واسم ابيه يواطىء اسم أبي» (الخليفة المهدي اسمه محمد بن عبد الله ، وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم) . وقد مدحه ابنُ المولى محمد ابن مولى الأنصار بقوله :

إلى القائم المهديّ أعملْتُ ناقتي   بكل فلاَةٍ آلُها يترقرقُ

ومعلوم أنهم يرمون بذلك الى إيهام أن الناس قد فسدوا والباطل قد عمّ في زمن بني أمية، فلا جرم أن يكون المهديّ العباسيّ مجدّد الدين ومالىء الأرض عدلا بعد أن ملئت جوراً ، كما جاء في الأثر المروى في ذلك. والعامة لا يدركون من معنى العدل الا مثلَ هذه الظواهر ، لأنهم في غفلة عن جزئيات الحوادث ودقائق الجور والعسف . وقد أشار بشار إلى شيء من ذلك في مديحه للمهدي . انظر البيت التاسع من الورقة 78 والتعليق عليه ، وقد قال بشار يمدحه :

وعندك عهد من وصَاةِ محمد   فَرَعْتَ بها الأملاكَ من وَلَدِ النّضْرِ

كان بشار من شيعة الأموية ، نبغ في زمانها ، وامتدح خُلفاءها وأمراءها ، ثم كان من شيعة إبراهيم بن الحسن بن علي، وكان أيضاً من المتساهلين في دينهم المتظاهرين بالفواحش، فحقيقٌ بمن وسم بهاتين الوصمتين أن تتطرق إليه الظنونُ ، وأن تُنسبَ إليه الزَّنْدَقَةُ في مظهر ذلك المجون .

نسبَ بشارا الذين كفروه الى دين الثنوية والمجوسية والبَرْهَمية والسُّمنية ، ونسبه غيرهم إلى الرفض وإلى الشعوبية وإلى مذهب الرجعية القائلين بأن علي بن أبي طالب سينزل مرة ثانية كما ينزل عيسى ، وأن جميع الأمة كفروا حين عدلوا عن بيعة عليّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونسب أيضا الى الإلحاد المحض والتعطيل . وسنفصل ذلك .

والذي أذهب اليه أنه كان مستهترا غير محترز في أقواله في مجالسه من لوازم مفضية إلى الإلحاد ، يجري ذلك منه مجرى المزح والهزل ، كما يجري لأبي نواس الحسن بن هانيء ومحمد بن هانيء الأندلسي وأضرابهما ، ولكن ضراوة لسانه على الأمراء والكبراء والعلماء والشعراء أغرت به الجميع ، وجعلت التهمة الى صوت المُهيب به تَـريع .

وقد اتفق الرواة على أن بشارا كان مطلعاً على علم الكـلام معدوداً من متقنيـه ، قال صاحب الأغاني : كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء الغزّال ، وبشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجل من الأزد (هو جرير بن حازم)، وكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده ، وكانوا على شك في أمرهم ، فأما عمرو وواصلٌ فصارا إلى الاعتزال، وأما عبد الكريم وصالح فصمما على الثنوية (أي اعتقاد المزدكية) وأما بشار فبقي مختلطاً متحيرا ، وأما الأزدي فمال الى قول السُّمنية .

واتفق الرواة على أن بشارا كان يختلط بمن اشتهر بالخوض في العقائد ، فقد حكى الشريف المرتضى في أماليه(1) قال : قال الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي، ومطيع بن إياس ، ويحيـى بن زياد الحارثي ، وحفص بن أبي وَدَّة ، وقاسم بن زنْقطة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي فروة ، وحماد عَجْرَد ، وعلي بن الخليل الشاعر ، وحماد الراوية ، وحماد ابن الزبْرِقان(2) ووالبةُ بن الحباب، وعُمارة بن حمزة بن ميمون الهاشمي ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ ، وبشار بن برد ، وأبانُ بنُ

---

1) صفحة 90 جزء 1.

2) في ترجمة حماد عجرد من الأغاني : كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم: الحمادون: حماد عجرد. وحماد الراوية. وحماد الزبرقان يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار. يرمون بالزندقة جميعاً، وأشهرهم بها حماد عجرد.

عبد الحميد اللاحقي ، يجتمعون على الشراب وقول الشعر وهجو بعضهم بعضاً ، وكل منهم متهم في دينه .

وفي كتاب الحيوان للجاحظ عَدّ بعض هؤلاء وزاد آخرين، ومنهم يونس بن هارون، وعبادة، وعمارة بن حربية، وذكر أن يونس بن هارون(1) كتب كتابا في مثالب العرب وعيوب نسبها الى الاسلام كتبه لملك الروم ، وأن بشارا كان ينكر على هؤلاء (2) .

وزاد في الأغاني(3) : أن مطيعاً، ويحيى، وابن المقفع، ووالبة، وعمارة كانوا يتنادمون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك ، ولا يفترقون ، وكانوا في أيام الوليد بن يزيد .

وأقول : ذكر صاحب الأغاني في ترجمة ابراهيم بن سيابة : أنّه كان يتحكّك ببشار وأنه كان زنديقا.

نأخذ من متفرق أخبار بشار ما يدل مجموعه على أنه قد عرّض نفسه لبَغضاء كثير من أهل الدولة والرأي والعلم واللسان ، فكان قد تعرض إلى يعقوب بن داود بما سنذكره في سبب قتله ، وتعرض إلى أبي جعفر المنصور قبل ذلك بما قلبه في أبي مسلم الخراساني ، وتعرض إلى واصل بن عطاء الغزّال رئيس المعتزلة وهو إمام جماهير من العلماء والعامة، وتعرض إلى سيبويه . وكان بشار ممن رمى أعداءه بسهام الإلحاد ، مثل فعله مع حماد عجرد وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، فما كان بالذي يخرج من هذه المعمعة سالماً من سهام أعدائه ، وقد قيل في المثل : ضعيفان يغلبان قوياً ، وقد أصاب أعداؤه شاكلته بما رمَوه ، لأنهم أقدر على تزويق

---

1) هو يونس بن أبي فروة .
2) صفحة 143 جزء 4.
3) صفحة 18 جزء 12 طبع بولاق .

تهمهم وترويجها بين العامة ، إذ كان في شغل شاغل بالإكباب على السكر ولهو النساء . ولقد وجدوا له أكبر من ذلك مما يثير غضب العامة وهو ثرثرته في أعراض النــاس من جهة نسائهم ، فأصبح مركوزا في يقين العامة أن بشارا زنديق ملحد مخلِّق أزواج الناس عليهم ، ومثل هذه الظِّنَّة لا يستخف بها الخلفاء وولاة الأمور ، إذ كانوا يومئذ في طالعة دولة لهم جديدة ، وكانوا متصنعين في التحبب الى العامة ، لينسوهم عهدهم من حب بني أمية ، وكانوا مظهرين أنهم أنصار الدين وهداة الأمة وورثة علم النبوة . ولهذا نرى في ترجمة بشار وفي شعره أن المهدي كان ينهاه المرة بعدَ المرةِ عن التعرض إلى النساء في شعره ، وهل تظن من ذلك أن غيره من الشعراء لم يكن يأتي الغزل في شعره حتى يخصه المهدي بالغلظة في النهي ولكنك تستطلع من ذلك سر إلحاح المهدي عليه في ذلك ليسُدَّ ذريعة تحكك الناس ببشار وطلب عقوبته عقاب الملحدين .

وقد كان أقوى تهيؤا لالتصاق هذه التهم بهم من كانوا من أبناء الفرس لأسباب ، أولها : أنهم كانوا عريقين في المانوية ، قال علي ابن منصور بن القارح في الرسالة التي كتب بها الى المعري : «وانما نسبوا بشارا الى دين المانوية لأنه في الأصل فارسي يتعصب للفرس وأحوالهم » ، وثانيها : أن معظم شيعة الأموية من العرب كانوا يغارون منهم أن جاءوهم فاتحين مع بني العباس ، وثالثها : أن الخــلافــة العباسية أخذت تتحفز إلى قطع شوكة الفرس تخلصاً من إدلالهم على الخلافة وطمعهم في وضع الخليفة تحت نِير تصرفهم ، وقد أبرقت بارقة خَضْدِ شوكتهم بنكبة صاحب الدعوة أبي مسلم الخراساني ، ولذلك نجد التهمة التي تلصق بالمتهمين أيامئذ غالبها تهمة الزندقة واللمز باعتقاد إلهين : إلــه الظلمة وإلــه النور .

وقد ألصق ببشار القول بتفضيل النار على الطين لأنها نور والطين ظلمة ، ثم القول بتفضيل إبليس على آدم ، إذ إبليس مخلوق من نار وآدم من طين . وإليك شواهد ذلك :

ذكر الشريف المرتضى في أماليه عن الصباح الكوفي ، قال : دخلت على بشار بالبصرة فقال : أما أني قد أوجعت صاحبكم ، يعني حمادا ، وبلغت منه ، فقلت : بماذا ؟ قال : بقولي فيه :

يا بن نِهيا رأسٌ علي ثقيـــل واحتمال الرأسين خَطْبٌ جليـــل
فادع غيري إلى عبادة ربّيـــن فإنـي بـواحـد مَشْغـــولُ

قلتُ : لن أدعهُ في عماه ، فقلت له : قد بلغ حمادًا هذا الشعر ، وهو يرويه على خلاف هذا ، قال : فماذا يقول ؟ قلت : يقول : « فإني عن واحد مشغول » فلما سمعه أطرق ، وقال أحسن والله ابن الفاعلة :

وعن أبي عبيدة قال : هجا حمادٌ بشارًا بأبيات ، منها :

والله ما الخنزيـر في نتنـه بربُعـه في النَّتْنِ أو خُمسِـه
وعوده أكـرمُ من عـوده وجنسُـه أكـرمُ من جنسـه

فقـال بشار : ويلي على الزنديق ! نفث بما في صدره ، أما أراد إلا قول الله تعالى : « لقد خَلَقْنَا الإنْسانَ في أحْسَنِ تقويم » فأخرج الجحود بها مخرج هجائي (يعني لقوله : وعوده أكرم من عوده ... البيت) .

وعن الجاحظ قال : كان بشار في أول أمره صديقا لـواصل ابن عطاء الغـزّال ، وكان مدح واصلا ، فلما أظهر بشار مذهبه هتف به واصل فقام بتكفيره وقعَد ، وقال بشار فيه :

ما لي أشايع غزّالا لـه عُنُـق كنِقْنِق الدَّوِّ إن ولىّ وإن مَثَـلاَ
عُنـقَ الزّرافـة ما بالي وبـالكـم تكفّـرون رجالا أكفَـرُوا رجـلا !

يريد الإنكار على المعتزلة حيث كفَّروا الخــوارج ، وبشار يتوهَّم أو يوهم أن المعتزلة مَا حَملهم على ذلك إلا أن الخوارج كفّروا عليّا رضي الله عنه ، فقال واصل : أما لهذا الأعمى الملحِد ، أما لهذا المشَنَّف المكنَّى بأبي مُعاذ من يقتله ؟ فكان غضبُ واصلٍ عليه سبباً في نفيه عن البصرة. فسكن حـرَّان إلى أن تُوفي واصلٌ ، فرجع بشار إلى البصرة سنة 131 فقال فيه صفــوان : (يعني الأنصاري) :

رجعتَ إلى الأمصار مِن بعد واصلٍ   وكنتَ شَريدًا في التَّهائــم والنَّجدِ

ثم لم يلبث أن غضِب عليه عَمْرو بن عُبيد إمامُ المعتزلة ، فنفي أيضاً عن البصرة ودخل بلداناً ، ثم رجع إلى البصرة عقب وفاة عمرو ابن عبيد سنة 143 ، وسيأتي في سبب قتله أنه تحكك بيعقوب بن داود ليخرج عليه المهدي .

أضف إلى ذلك ما يتقوّله عليه أعداؤه من أقوال تُختلق وتشاع في الناس وتنسب إليه ، من ذلك ما زعموا أن جارية غنَّتــه شيئاً من شعره فطرب وقال : هذا والله أحسن من سُورة الحَشْر. وأنه قال في بيتين غنَّتهما مرةً جاريةٌ : هذا واللهِ أحسَنُ من فَلَج يوم القيامة ! ونسبوا إليه بيتاً ذكره المبرد في الكامل (ص 23 جزء 2) والجاحظ في البيان :

الأرضُ مظلمةٌ والنــارُ مشــرقَــــةٌ   والنارُ معبــودةٌ مُــذ كــانت النــارُ

وقد ذكر الأُستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادي(1) في كتاب الفَرْق بين الفرَق قصيدة لصفــوان الأنصاري ردًّا عَلى بشار في قوله بتفضيل النار (انظرها في صفحة 39 من كتاب الفَرْق).

1) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الأشعري المتوفى سنة 429، وكتابه هذا طبع بمطبعة المعارف بمصر سنة 1328 على تحريف كثير.

وجاء في رسالة الغفران للمعري أن مما نسب إلى بشار :

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدمٍ فتنبهوا يا معشر الفُجّار
النارُ عُنصره وآدم طينةٌ والطين لا يسمُو سُموَّ النار

ولا يكاد الذكي الفطنة السليم الذوق يُقرّ ذلك وتروج عنده صحة نسبة مثل هذا الشعر إلى بشار معنىً ولا لفظاً ولا في مجاري أرباب العقول ، فإنّا لو تنزّلنا إلى تصحيح احتمال أنه كان يعتقد مثل هذه السخافات . بَعد نشأته في الاسلام وتضلعه في علم الكلام - أليس ينهاه نُهاه عن التصريح بما يراه ؟

فأما اتهامه في المذاهب والنِّحَل الإسلامية فقد قيل : إنه كان رافضيا يدين بالرّجعة . والرّجعة بفتح الراء عند جمهور أهل اللغة ، وحكى عياض (في شرح صحيح مسلم في المقدمة) جواز كسر الراء ، وفسروها بأنها قول الرافضة بأن علياً رضي الله عنه في السحاب ، وأنه لا يجوز الخروج مع أحد من أبنائه وولده حتى ينادي من السماء أن اخرجوا مع فلان ، ويتأوّلون قوله تعالى : «فلن أبْرَحَ الأرضَ حتى يأذَنَ لي أبي» على هذا المعنى ، وفسرها أبو منصور البغدادي بأنها رجعة علي برجعة الأموات وذلك في الدنيا قبل يوم القيامة ، وهو رأي الكاملية من الرافضة .

ونُسب بشار إلى الشعوبية ، ولعلها كانت تبدو منه في محادثاته ومجالسته .

ونسب الى التشيع ، وشعره شهيد بذلك ، وقد كان التشيع شائعاً بعد سقوط الدولة الأموية ، ولا أشك في أن بشارا كان من المتعصبين الى بني أمية ، وأن إظهاره التشيّع مصانعةً وتقيّة .

وقد نسب الى الإلحاد والتعطيل ، أي الدُّهرية .

ونسب إلى الرفض ، فقد ذكر الأُستاذ أبو منصور في كتاب (الفرق

بين الفــرق) أن بشارا كان من الكاملية، وهم أصحاب أبي كامل الذي كانَ يدِين بتكفير الصحابة لتركهم بَيْعَةَ علي وبتكفير علي لتركه قتالهم (وهم من الذين لم يقولوا بجواز التَّقيَّة مثل بقيّة الشيعة) قال: «وقد ضم إلى ضلالته هذه ضلالتين أُخريين: إحداهما قوله برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، كما ذهب إليه أصحاب الرجعة من الشيعة الرافضة والثانية قوله بتصويب إبليس في تفضيل النار على الارض».

وأمــا ما نَسبوه إلى الشعــوبية وهي كراهية العرب وتحقيرهم فالظاهر أنّ بشارا كان ينزع إلى ذلك بعد ان أعتد لــه اعداؤه ومُنافسوه التحقير بالولاء، فألجأه ذلك إلى الابتــداء بالافتخار بنسبه الفارسي. ثم بالتبرم من الولاء، فلذلك كان يقابل محقري نسبه العجميّ بالافتخار بالعجم ويقابل محقّريــه من القحطانيين بالفخر والانتماء الى ولاء مضر. ولا سيما عند شُبوب حَمِيّة اليمنيين والمضريين في عهد انتقال الخلافة من الأمويين الى العباسيين، إذ كانت شيعة بني أمية من مضر وشيعة بني العباس من حِمْير واليمن، ولكنه لم يكن مع ذلك يتنقّص العرب، كيف وإنما قيمته من العربية. ويُشْبه بشار في الشعوبية إسماعيل بن يَسَار من شعراء عصر الدولة الأموية.

وقد كان أشد الناس عليه في التشويه عليه بسوء اعتقاده واصل ابن عطاء الغزَّالَ رئيسَ المعتزلة، فإن بشارا بعد أن كان من أشياعه ومدّاحيه انقلب عليهِ وهجاه وهجا نِحْلَتَهُ. وانتصر للخوارج الذين كان واصل أبغض الناس لنحلتهم وأشدّهم عليهم. فلذلك أضمر له واصل غيظاً شديدا، وهدده بالإغراء بقتله، ومامنعه من ذلك إلا تقواه وخشية سوء السمعة لمذهب الاعتزال، على أنه لم يفتأ واصلٌ يكيد له مع أمراء البصرة، وكان واصل مسموعَ الكلمة، حتى نُفي بشار عن البصرة. وقد ذكر

الجاحظ (في كتاب البيان في جزئه الأول) وأبو الفرج الأصفهاني (في الأغاني) وغيرهمـا أخبارا كثيرة في شأنه مع واصل بن عطاء في حالتي الرضا والغضب .

والمتأمل في سياق مايُلمَز به بشار من الزندقة أو النِّحَل الفاسدة والشاذة يرى الذين يلمزونـه بذلك مختلفي صفة النسبة : فمنهم من يَنْسُب إليه التظاهرَ بما نسبه هو إليه ، ومنهم من ينسُب اليه الإسرار بذلك في باطنه ، ولا بد أن نجهر بإسقاط إحدى النسبتين ، وهي نسبة التظاهر باتباع النِّحل الباطلة ، فإنَّ من يقرأ أخباره وشعره يراه ملتزما عقد الإيمان الصحيح مخبِرًا عن نفسه بأداء الصلاة والصوم والحج وشرائع الاسلام ، ألا ترى إلى قوله في ترك وِصال خلته في شهر رمضان(1) :

في ليلة خلف شهر الصوم ناقصة تسعاً وعشرين قد أحصيتها عـددا
حتى ارتقيت اليها في مشيَّـدة دون السماء تناغي ظلهـا صعدا

وقولـه (2)

إني حلفت يميناً غير كـاذبة عند المقـام ولم أقرب لـه فَنَدا

وقد أظهر الحِفاظ على دينه في قوله (في الورقة 73 من الديوان) :

ومُلوكٍ إن تعـرضتُ لهـم عـرّضوا ديني وشيكـاً للعطـب

وسيجيء ذكر الورقة التي ألفيت بعد موته فيها تعظيمه الجانب النبوي الشريف .

وكذلك قوله (في الورقة 4) :

وعجيب نكْـثُ الكـريـم وللنَّفْـ سِ مَعـاد وللحيـاة انقضـاء

---

1) البيت 25 من ورقة 148 من الديوان .
2) البيت 22 من ورقة 147. .

فاعترف بالمعاد، وقال في بعض قصائده يريد نفسه (في الورقة 31) :

يصـــدق في دينــه ومــوْعِــده نعم ويُعطَى النـدى على كذبـــــه

وقال في رثاء ابن له :

ولي كل يوم عبرة لا أفيضهـا لأحْظى بصبر أو بحط ذنُـــــوب

إلا أنه كان خليعاً في أفعاله وأقواله ، فبقيت نسبة الإسرار والانطواء على العقائد الباطلة اليه ، وهذه نسبة لا تخرج عن الرجم بالغيب ؛ والوصم بالعيب .

سببُ وفاته

اتفق جميعُ الرُّواة على أنه مات مقتولا من ضربٍ ضُرِبَه على التهمة بالزندقة ، قالوا : إن المهدي أزمع الانحدار الى البصرة للنظر في أمورها ، فلما وصل البطائح مرَّ بدار كان بشار على سطحهـا ، وكان سكران ، فلما أحس بمرور المهدي خاف أن يعرفه ، فاندفع بشار يؤذن ، فقال المهدي : من هذا الذي يؤذن في غير الوقت ؟ قالوا : بشار ، فقال : عليَّ به ، فلما مثَلَ بين يديه قال له : يا زِنديقُ هذا من بَذَائك ، تؤذِّنُ في غير الوقت ، ثَكِلتكَ أمك . ثم أمر صاحبَ الزنادقة ، وهو ابنُ نَهِيك ، وقيل محمد ابن عيسى بن حمْدويه فأخرجه معه في زورق ، فلما كانوا بالبطيحة أمر المهدي صاحب الزنادقة أن يضربه بالسياط ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة، فأقيم في صدر السفينة ، وأمر الجلادين أن يضربوه ضرباً متلفاً ، فجعل بشار يقول كلما وقع عليه السَّوط : حَسِّ (كلمة تقولها العرب عند الألَم) فقال بعض الراكبين : انظروا الى زندقته ما نراه يحمد الله، فقال بشار : ويلك أثريدُ أحمدُ الله عليه . فلما ضُرب سبعين سوطاً أشرف على الموت ، فألقي في صدر السفينة حتى مات ، فألقوهُ في خَرارة البطيحةِ ، فحمله

الماءُ الى البصرة ، فأخذه أهله فَدفنُوهُ ، وما تبع جنازته أحدٌ غيرُ أمَةٍ سوداء سِندية تصيح : واسَيِّداه ! واسَيِّداه ! وتباشر عامَّة أهل البصرة بموته ، وَهَنَّأَ بعضهم بعضاً ، وتصدقوا .

روي أنه لم يبق أحد من أشراف البصرة إلا مُني بشيء من هجاء بشار أو اتقى هجاءه ، فكانت حياته أثقلَ شيء على الناس ، ولم يكن له بها صديق ، ودفن في قبر حمّـاد عجرد الذي قتل على تهمة الزندقة سنة 166 ، وكتب أبو هشام الباهلي على قبرهما :

قد تبع الأعمى قفا عَجْــرَدِ فأصبحـــا جاريـــن في دار
تجـاورا بعـد تنـــائيهمـــا مـــا أبغـض الجَـار الى الجـــار
صـــارا جميعـــاً في يدَيْ مـــالكٍ في النــارِ والكــافر في النـــارِ
قـــالت بقــاع الارض: لا مرحبــا بقـــرب حمّـــــاد وبشـــــار

ذكر مجموع هذا صاحبُ الأغاني ، والصفدي في شرح رسالة ابن زيدون ، والبغدادي في خزانة الأدب ، والوطواط في غرر الخصائص .

وقد قيل : إن سبب قتله أنه كان هجا يعقوب بن داود وزير المهدي وعرّض به الى المهدي ، فقال :

بني أمية هُبُّوا طـال نـومكـم إن الخليفـــة يعقـــوبُ بن داود

ثم هجا المهدي في مجلس ببيتين :

خليفـــة يَزْني بعمّـــــاتـــه يلعب بالدَّبُّوق والصَّـولجـــــانْ
أبْدَلَنـا اللهُ بــه غيــــــرَه ودسَّ مـوسى في حِرِ الخيـزُرَانْ

فأنشدهما في حلقة يونس النحوي، فسعى به يونس الى الوزير . وقال المعري في رسالـة الغفران : قيل : إن الذي سعى به الى الوزير هو سيبَوَيْه، وكان حاضرا بحلقة يونس النحوي ، قال المعري : وسيبويه – فيما أحسب – كانَ أجلَّ موضعاً من أن يدخل في هذه الدَّنيَّات ، بل يعمد لأُمور سَنِيَّات .

وعندي أن كل هذا مما يختلقه حُسّاده وأعداؤه الذين أغراهم به بذاؤه . وقد قال في خطابه للمهديّ في قصيدة :

أخاف انقطاع الدّرّ بعد ابتزازِهِ وتبلغَ من يَسْدي الحديث وينسُجُ

ويظهر أن قتل بشار قد تقدمه قتلُ بعض أصحابه ، وأن بشارا لم يمنعه ذلك من رثاء من قُتل من أصحابه ، فأن له أبياتاً صادبة ذكرها الشريف المرتضى في أماليه تشير الى قتل اثنين من أصحابه . وهي :

غَمَضَ الحديدُ بصاحبيك فغمِّضا وبَقيتَ تطلبُ في الحِبَالَةِ مَنْهَضَا

... الخ ، وستأتي في الملحقات ، وقال أيضاً في ديوانه :

تبكي نديميك راحا في حَنُوطهما ما أقرب الرائح المبقّى من الغادي

والذي يستخلص من هذا كله يؤيد ما قدمته من تظاهر السببين على قتل بشار: كثرة الناقمين عليه لحسد أو هجاء أو فحش، وخفةُ دينه في سيرته وتهمته بسوء الاعتقاد ، ولم يكن حقد الناقمين عليه كافياً في أخذه بالعقوبة ، إذ كان له في حاله شفيعان وجُنّتان تدفعان عنه الأذى ، وهما الشعر والعمى ، فإنّ مما وُطّنت عليه النفوس أن الشاعر يقول ما لا يفعل ، فكانت مؤاخذة الشعراء مزرية على من يؤاخذهم الا اذا جازاهم على الهجاء بمثله ، وكان الناسُ يتمثلون «ليس على الأعمى حرج» فلم يجد الذين لحقهم أذى بشار وهجاؤه مسلكاً الى الانتقام لأنفسهم منه ، لذلك أرادوا تعريضه لإثارة العامة عليه من جانب سوء العقيدة ، وقد ظهرت هذه التهمة له من أواخر الدولة الأموية . وأول من أشاع ذلك عليه واصلُ بن عطاء وأصحابه من المعتزلة ، ولقد مر أنه تسبب له في التغريب عن البصرة ، إلا أن وَلَع العامة بشعره حالَ دُونهم ودونَ إلحاق الضرّ به، فلم يزل أعداؤه للعقيدة والمنافسة وللأحقاد يتربصون به الدوائر حتى وجدوا فرصة للإيقاع به في مدة المهدي حين أصبح الأخذ على سوء

الاعتقاد شديدا مُرهِباً . ويؤيد ذلك أن المهدي في آخر حياة بشار قد تنكر عليه، وصار يحرمه جائزته، فمدحه بشار بقصيدة، وذكره إمساكه جائزته، فقال :

إمام الهدى أمسكتَ بعد كرامتي وقد كنتَ تعطيني ووجهُك أبلــجُ
لعمري لقد أشمتَّ بي غير نائم فنـام وهمّي ساهر يتـوهــجُ

حتى اضطُرّ بشار أن يعلن توبته، فقال في هذه القصيدة :

وقد تبتُ فاقبل توبتي يابن هاشم فإن الذي بيني وبينك مُدمَجُ

ولما قُتل بشار فُتشت كتبه فلم يُلْفَ فيها شيء يدل على ما كانوا يرمونه به، ووُجد في كتاب له «إنني أردتُ هجاء آل سليمان بن علي (لبخلهم)، فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمسكتُ عنهم، إلا أني قلتُ :

دينار آل سليمان ودرهمهم كالبابليَّيْنِ حُفّا بالعفاريتِ
لا يُرْجَيان ولا يُرجّى نوالُهما كما سمعت بهاروت وماروت

مكانته لدى الخلفاء والأمراء

كان بشار من أهل الوَجاهة والسُّمعة، وكان مكرما لدى خلفاء بني أمية ورجال دولتهم، وكان أيضاً له مكانته عند خلفاء بني العباس أبي جعفر المنصور والمهدي. قال في الأغاني : «جَعَلَ له المهديّ وفادة كل سنة» . وحسبك من مكانته لدى الأمراء ما ذكر ابن رشيق القيرواني في باب فضل الشعر من كتابه العمدة أن بشارا كان من كتاب الأزمّة مع كونه أعمى، وأن أبا علي البصير الشاعر كان أيضاً من كتاب الأزمّة . وأحسب أن ذلك زيادة في تقريبه، وأنه كان يملّ على النساخ، ولذلك قصر على كتابة الزمام دون كتابة الإنشاء، لأن كتاب الإنشاء مستودع أسرار الأمراء، فتعين أن يكونوا قادرين على الكتابة لأنفسهم .

غرامه وهل هو حقيقة أو تصنّع

لاَ يسلم الناظرُ في أخبار بشار وفي تضاعيف قصائده من حيرة تلمّ به وشك ينتاب نفسه ، فإنه يجد معظم شعر بشار في الغرام ووصف فنونه القلبية والحسية ، فيخامره هاجس يقول : هل كان الغرام يسلك الى شغاف قلب بشار حتى يكون ما جاء في شعره من وصف عشقه و ولهه حقيقة كما يؤذن بذلك إكثاره منه وتصدقه أخباره ونوادره من حب النساء وميله الى مغازلتهن وإلقاء نفسه اليهن وتهافتهن على لقائه وملازمة مجلسه؟ فإن مال الناظر الى تصديق ذلك انتقل به الى حيرة اخرى ، وهي أن رجلا أعمى مشوه الخلقة ضعيف الثروة ليس له من سبيل الى العشق الذي قوامه استحسان الصورة وما للنساء فيه رغبة حتى يخادنه ويعاشرنه عِشْرَةَ المحبين ! أو هل كان ذلك كله تصنعاً وتحيلا وجرياً في مضمار الشعراء ، كيلا يغادر لهم أكبر فنون الشعر يفوتون فيه شوطه ، ولا يرفع وراءهم سوطه . قد وصف بشار أحوال الغرام كله ومَدّ نفس شعره بتفاصيلها ، فلم يغادر لشاعر مقالا في ذلك ، وإن وصف الغرام وأفانينه هو معظم شعره ، ينزع اليه من كل غرض وفي كل مقام ، وذلك أسطع برهان على شاعريته وقوة خياله وبلاغة كلامه ، فيكون حال بشار في هذا شبيهاً بحال كُثَيِّر ، إذ قيل : إنه كان مدعياً ولم يكن عاشقاً حسبما روى ذلك أبو الفرج الأصبهاني في أخبار كثيِّر .

ولقد استشعر بشار هذا التحير ، فأجاب غير مرة بأن الأذن تَعشَق وأن الأُذن تبلغ الى القلب ما تبلغه العين ، كقوله :

يـزهّدُني في حب عَبْدَةَ معشـرٌ   قلوبهم فيهـا مخـالِفـةٌ قلبـي
فقلتُ دعوا قلبي وما اختار وارتضى   فبالقلب لا بالعين يُبصر ذو الحبِّ
فما تبصرُ العينانِ في موضع الهوى   ولا تسمع الأُذنان الا من القلب

وقوله :

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقةٌ والأُذنُ تعشق قبل العين أحيانا
قالوا : بمن لا تَرى تُعنى؟ فقلتُ لهم الأُذن كالعين تولي القلب ما كانا

وقوله :

أنّى ولم ترها تهذِي فقلتُ لهم : إن الفؤادَ يَرَى ما لا يَرى البصر

والذي أعلل به غرام بشار أنه كان ذا نفس خليعة تحب المُجون ، فكان قد راض نفسه على العشق إيفاء لها بشعائر المجون ، وجعل طريقة عشقِه حُسْن النغمة ورقّةَ المزج ولين الملمس وحلاوَة الحديث ، ودرب لنفسه ذلكَ الارتياض حتى صار له ملكة وسجيّة ، فكان عشقه حقيقة غير ادّعاء ، وهو يتوسل بذلك الى أن يجيد النسيب ، فإنه سَدَى الشعر ولحمته ، ومما ينبئك بذلك أنك تجده يكثر في نسيبه وصف حسن منطق النساء كقوله :

وكأنّ رجع حديثها قِطعُ الرياض كُسِينَ زَهْرَا

وقوله :

ودَعْجاءِ المَحَاجِر من مَعَدّ كأنّ حديثها ثَمَرُ الجِنَانِ

وقد اعتاض عن الرؤية بالوصف كما قال :

بلغتْ عنها شكلا فأعجبني والسمع يكفيك غيبة البصر

قال في الأغاني في ترجمته : كان النساء يحضرن مجلس بَشار ، فبينما هو ذاتَ يوم في مجلسه ، إذ سمعَ كلام امرأة في المجلس فعشقها ، فدعا غلامه فقال : إذا تكلمت المرأة عرّفتك فاعْرفها ، فإذا انصرفت من المجلس فاتْبعها وكلّمها وأعْلمها أنّي لها محب. وذكر قصّة في أخبار تلك المرأة وزوجها. وقال في أخباره مع عَبدة : كان النساء يحضُرنَ مجلس بشار

فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس، يقال لها عَبْدَة، فدعا غلامَه فقال : إنّي قد عَلِقْتُ امرأة، فإذا تكلمتْ فانظر من هي واعرفْها، فإذا انقضى المجلس وانصرفَ أهلُه فاتْبعها وكلِّمها وأعلمهَا بأني لها محب، وأنْشدها هذه الأَبيات وعَرِّفها أني قلتُها فيها . وذكر الأَبيات التي أولها :

قالوا : بمن لا ترى تهذي فقلتُ لهم الأُذن كالعين تُوفي القلب ما كانا

فأبلغها الغلامُ الأَبيات، فهشّت لها، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلْن عنده ويشربْن وينصرفن ، بعد أن يحدثها ويُنْشِدَها ولا تُطمعه في نفسها .

ولما أفضت الخلافة الى المهدي وكان فيه غيرةٌ وحُزُونة ، ورأى ما في شعر بشار في الغزل ووصف اللهو بالنِّساء نهى بشارا عن التشبيب بالنساء ، وقد ذكر ذلك بشار في قصائد من شعره ، من ذلك قوله :

قَال الخليفة لا تنسب بجاريــةٍ إياك إياك أن تشقى بعصيانِ

وقوله :

ولولا أمير المؤمنين سقيتهـا أوامـا يُناجينا بهـا حيث حلتِ

وقال أبو الفرج : قدم بشار على المهدي بالرُّصافة، فدخل عليه في البستان، فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسن، فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه ، ثم قدم عليه في السنة الثانية فأنشده مديحاً (هو القصيدة التي أوّلها : ياصاحبيٌ العشيّةَ احتَسِبَا)

يقول فيه :

كأنما جئتـه أبَشِّـرُه ولم أجِىء راغبـاً ومُحتلِبـا

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادة

كلَّ سنة ، ونهاه عن التشبيب البتَّة ، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه وأنشده قصيدته :

تجاللت عن فِهْرٍ وعن جارتيْ فهْرِ   وودّعتُ نُعْمى بالسلام وبالبشْرِ

ومنها :

تركتُ لمهديِّ الأنام وِصالها   وراعيت عهدا بيننا ليس بالختْرِ
ولولا أمير المؤمنين محمَّدٌ   لقبَّلت فاها أو لكان بها فِطْري

فأعطاه ما كان يعطيه قبل ذلك ، فلم يزده شيئاً .

وذكر أبو الفرج عن أبي العالية أن بشارا قدم على المهدي ، فلما استأذن قال له الرّبيع : قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب ، فادخل على ذلك . فأنشده :

يا منظرًا حسناً رأيتُهْ   من وجهِ جاريةٍ فديتُهْ

. . . الأبيات . ومنها قوله :

حال الخليفةُ دونه   فصبرْت عنه وما قلَيْتُهْ

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب ، فحرمه ولم يعطه شيئاً .

أقول : قد كان عمر بن الخطاب سبق المهدي الى مثل هذا . روى عبد الله بن السيد البَطليوسي في الاقتضاب على أدب الكاتب في الجزء الثالث أن عمر بن الخطاب كان عهد الى الشعراء ألا يشبّب رجل منهم بامرأة، وتَوَعَّدهم على ذلك ، فكان الشعراء يكَنون عن النساء بالشجر، ولذلك قال حميد بن ثوْر :

سَقَى السَّرحَةَ المحْلالَ والأبْرقَ الذي   به الشَّرْيُ غيثٌ دائم وبُرُوقُ
وهَلْ أنا إنْ علَّلتُ نفسي بسرْحة   من السّرْحِ مأخوذٌ إليَّ طريقُ
أبى الله إلاّ أنّ سرحة مالكٍ   على كلِّ أفنان العِضاه تَرُوقُ

قلتُ: وفي هذا المعنى :

أَلاَ يا نخلةً من ذاتِ عِـــرقٍ عليكِ ورحمةُ الله الســـلامُ

أراد حبيبته فكنى عنها بالنخلة.

وكنوا عن المرأة بالشاة من قبل في الجاهلية ، قال عنترة :

ياشــاةَ ما قنصٍ لمن حلّتْ لــــه حــرُمتْ علي وليتهــا لم تَحْــرُمِ

وذكر الجرجاني في كتاب الكنايات أن التكنية بالشجر وغيره عن المرأة قديمة في كلام العرب من عصر الجاهلية .

سعة علمه بالعربيّة وتفنّنه

ينبئك شعر بشار فضلا عن بلاغته وفصاحته بأنــه تمكن في العلم بأحوال العرب وعاداتهم وأيّامهــم وأخلاقهم وأحوالهم حتى أنه لينظم القصائد فلا يخل بشيء مما يودعه فحول العرب في أشعارهم، وكذلك كان علمــه بأحوال الإسلام وأيام دوله ومناهج الشريعة واختلاف أيمّتها، وجمع الى ذلك عِلْماً بعادات المولدين من العرب في الأمصار وأمثالهم وعقائدهم ومجالس جِدهم ولهوهم ، وقد أودع جمّاً من ذلك في شعره ، نبهت عليه في مواضعه .

ولقد كان قويّ الحافظة، مطلعاً على شعر العرب ومن بعدهم .

في أمالي الزجاجي عن أبي حاتم قال : أنشدت أبا زيد قول بشار (1)

أديْسَمُ يابنَ الذئبِ من نسْلِ زارعٍ أتروي هجائي سادرا غير مُقْصِــر

فقال : قَاتَله اللهُ ! ما أعلمَه بكلام العرب ! فالديسم : ولدُ الذئب

(1) في هجاء « ديسم » أحد رواة الأدب ؛ روى الجاحظ عنه عن أبي محمد اليزيدي انظر صفحة 35 من الجزء 1 من البيان .

من الكلبة، والعرب تقول للكلاب: «أولاد زارع»، والعِسْبَار: ولدُ الضبع من الذئب، والسِّمع: ولدُ الذئب من الضبع.

ومن دلائل سعة علمه بالعربية أنا نجد في شعره ألفاظاً كثيرة وتصريفات خلت عن ذكرها كتب اللغة، كما سنذكره في مبحث توسع بشار في اللغة.

البصرة وقبائل العرب حولها

كانت قبائل البادية من العرب في عصر الجاهلية تتوخى النزول حوالي المدن العربية مهما وجدت الى ذلك سبيلا، لأن المدن كانت أسواق العرب، وفيها ما يحتاجه أهلُ البادية من المصنوعات والطعام إن احتاجوا اليه، مثل مكة ويثرب وحِجْر اليمامة، وكذلك كان شأن القبائل النازلة بالعراق وبالشام، مثل بكر وقضاعة وتغْلب فإنهم كانوا مجتمعين حوالَي الحيرة والأنبار والمدائن في العراق، وحوالي جِلّق وبُصرى وحَوْرَان وصَيْداء وتَدْمُر بالشام، فلما نزحت بهم الفتوح في العراق احتاجت القبائل النازحة التي لم تكن لها منازل هنالك الى إيجاد مصر وسط ديارهم، فلذلك أمر عمر قواده بتخطيط المِصرَيْن: البصرة والكوفة، وقد كان بناء البصرة سنة سبع عشرة، وكان موضع البصرة قرية تسمى بالفارسية بَسْ راهْ، فيها قصر ومسالح للعجم، ووقعت في يد المسلمين سنة 12، وكانت المدينة لتلك الكورة العجيبة يومئذ هي الأُبُلَّة.

خطط عُتبة بن غزوان البصرة، ورغّب الناس في سكناها وإخلاء الأُبُلَّة، ونزلت قبائل العرب حولها، حتى تكامل عدد رجال الجند حول البصرة بالإحصاء الواقع زمن ولاية زياد بن أبي سُفيان ثمانين ألفاً من العرب، وكان مَجموع عِيَالات العرب مائة وعشرين ألف عَيِّل(1).

1) العيل: من تتكفل به، ويجمع على عيال، وقد يكون العيال بمعنى العيل.

والبصرة هي موطن بشار، وبها نشأت فيه المملكة العربية .

مرتبته من العلم

اتفق الرواة على أن بشارا كان ممن زاول علم الكلام وعُدّ من متقنيه، وأنه كان من أصحاب عمرو بن عُبيد وواصل بن عطاء، وهما إماما المعتزلة بالبصرة. قال أبو الفرج الأصفهاني: كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام عمرو بن عُبيد، وواصل بن عطاء، وبشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العَوْجاء، ورجل من الأزد (هو جرير بن حازم). وحسبك عدّ بشار مع مثل عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء من العلماء، الا أنهما عَظُما بالتقوى واستهتر بشار بالمجون.

وشعر بشار يدل على أن له رتبة مكينة في السيرة النبوية وفي الأخبار والآثار وأيام العرب وتراجم الشعراء وما أخذ عليهم وما اختير لهم من الشعر، ألا ترى قوله (في الورقة 132):

إن النُّحَيْلَة لو يميل بها الصِّبى كالقِنْو مالَ عَلَى أبي الدّحْداح

يشير الى منقبة أبي الدحداح التي في قول النبي صلى الله عليه وسلم «كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح» .

شعره

معروفٌ من أصول الأدب تقسيم الشعراء الى اربع طبقات: جاهلي ومخضرم، واسلامي متقدّم، ومولّد.

فالجاهلي: من نشأ وانقرض قبل الاسلام، وهم شعراء مدة مائة وخمسين سنة قبل الهجرة، لا يعدو المعروفُ منهم هذا الزمن .

والمخضرم: من قال شعرا في الجاهلية وأسلم، وهو بفتح الراء،

من المخضرمة ، وهي القَطْعُ ، لأن الاسلام قطعهم عن الكفر . قال ابن فارس : «وهذا اللقب من الاسماء التي أحدثت لهم في الإسلام » . وأنا أحسب أن هذا اللقب سرى اليهم من وصف الإبل التي أسلم أهلها وجعلوا لها سمات تعارفوها تنبئ بأن أهلها مسلمون ، وهي شق آذان إبلهم ، وذلك الشق يسمى خَضْرمة ، يدل لذلك ما ورد في حديث وَفد جَسْر وهم بَطن من قُضاعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن جسرا طُلَقاء الله أسلموا وخضرموا» . قال ابن منده : الخضرمة شق آذان الإبل حتى اذا أغارت عليهم خيل المسلمين عرفوها فلم تُهَج .

والإسلامي المتقدم : مثل عُمر بن ربيعة والفرزدق وجرير .

والمولدون : مثل بشار ومن بعده كأبي تمام . وقد قسمهم الأُدباء أيضاً الى أموي مثل أبي عَطاء السِّندي ، وعباسي مثل أبي تمام . ومخضرم الدولتين ، وهو الذي أدرك بشعره الدولة الأُموية والدولة العباسية ، مثل بشار والعجّاج وأبي النجم وذي الرمة . وبشار الى الدولة الأُموية أقرب ، وشعره في مدتها أكثر ، وقد كان شعره شائعاً في زمن الخليفة الوليد بن يزيد ، ففي الأَغاني أن محمد بن عمران الضبي قال : أنشدت الوليد بن يزيد قول بشار :

أيها الساقيان صُبَّا شرابي ... واسْقِياني من ريق بيضاء رُودِ

.... الأَبيات .

وقد أظهر بشار تشيُعه للأُمويين في قصيدته التي طالعها :

جَفَا وُدّه فازْورَّ أوْ مَلَّ صاحبه

والقصيدة التي طالعها :

أأَحْزَنَك الأُلىٰ ظعنُوا فسَارُوا

فهو أقربُ الى أبي عَطَاء السِّندي ، الا أن أبا عطاء ترك قول الشعر عند ظهور الدولة العباسية ، وبشارًا قَلَبَ ظَهر المجن ، فصانع العباسيين .

وقد عُدَّ بشار أول المولدين وآخر المتقدمين من الاسلاميين، هكذا يقول أهل الأدب، ولقبه في العُباب(1) بأبي المحدثين.

وأنا أبيِّنُ لك وجه هذا الحكم: اعلم أن الشعراء الذين طوَّروا الشعر فيما عرف من أزمان تاريخ الشعر العربي قبل بشار(2) هم: المُهَلْهِل وامرؤ القيس والنابغة الذبياني والأعشى ميمون وعُمر بن أبي ربيعة، فاما المهلهل فهو أول من هلهل الشعر كما قال أيمة الأدب في وجه تلقيبه بالمهلهل. ومعنى هلهل الشعر رقّقَه وحسّنه، وأما امرؤ القيس فقد ابتكر التشبيهات البديعة ووصف مجالسه مع النساء، وأما النابغة فقد ذكر المقـاولات والاعتذارات ووصف مجالس الملوك، وأما عُمر بن أبي ربيعة فقد ابتكر وصف أحوال النساء في مجالسهن الغزلية. وكل هؤلاء لم يعدُوا الطريقة المعروفة عند العرب. أما بشار بن برد فقد أحدث طريقة وَسَطاً، فهو آخر المتقدمين، لأن لهجة شعره وجزالة ألفاظه ورواج اللغة العربية في شعره وطريقته العربية في كثير من شعره، وذِكْره مفاخر القبائل وأيامها وانتصارها، كل ذلك لم يقصر في شيء منه عن المتقدمين، وكان يحتذي حَذوَه في هذه الصفة البحتري في شعره. وبشار أول المولدين، لأن امتلاء شعره بالمعاني الجديدة والعادات الحضرية من نسيب رقيق وخمريات وزهريات وهجاء مقذع مع النّزوع الى بعض العناية بالمحسنات اللفظية والمعاني العلمية، كل ذلك سنّة خالف بها طرائق الشعر العربي القديم، وقد سنّها للمولدين، فهم يقتفون آثاره، ويلحقون غباره، وأول من اقتفى طرائقه سلْمٌ الخاسر وأبونواس ومسلم بن الوليد وأبو تمام، كلٌّ في ناحية من نواحي شعر بشار، على تفاوت فيهم من إكثار وإقلال.

1) العباب شرح أبيات الآداب لشرف الدين حسن بن صالح العدوي اليمني، شرح على أبيات كتاب الآداب لمجد الملك بن شمس الخلافة. مخطوط بمكتبتي.

2) أما الذين طوروا الشعر بعد بشار فأبو تمام وأبو الطيب المتنبي وأبو العلاء المعري والوشاحون من الأندلسيين.

ثم إن بشارا قد رزق ذهناً وقّادا وفِطرة سليمة، ثم أعانه على نماء ذلك فقد بصره، فقوي خياله، وأيضاً إحاطة حفظه وعلمه، ثم قُدِّر له أنْ رُبِّيَ بين فصحاء العرب في بني عُقيل، وسكن البصرة التي هي مصر البادية العربية، وهي سوق سائر العرب يومئذ، وفيها تسمع مبتكرات أشعارهم ومحفوظاتهم من أشعار سلفهم، ولذلك كان النحو العربي مقـــرّه البصرة.

نبغ بشار في خلافة هشام بن عبد الملك، أيام عَظُم مُلك الاسلام، واجتمعت أمته تحت دولة واحدة ، قال الخطيب في تاريخ بغداد : قال بشار الشعر ولم يبلغ عشرَ سنين، وقد قال بشار: هجوت جريراً فاستصغرني وأعرض عني ولو أجابني لكنتُ أشعرَ الناس. وفي الأغاني: قال بعض الناس لبشار: ليس أحد من شعراء العرب الا وقد قال في شعره شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشُكّ فيه، وليس في شعرك ما يشك فيه ، فقال بشار: ومن أين يأتيني الخطأ ووُلدت هَهُنا ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عُقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت الى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأَيْفَعْتُ فَأَبْدَيْتُ (أي سكنت البادية) الى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ.

وقد قال في وصف شعره :

وشِعرٍ كنَوْر الروض لاءمتُ بينـــه بقَوْلٍ اذا ما أحــزن الشعرُ أسهلا(1)

لذلك قال أيمة الأدب : إنه لم يكن في زمن بشار بالبصرة غَزِلٌ ولا مغنية ولا نائحَةٌ إلاّ يَروي من شعر بشار فيا هو بصدده . ومما أقبل بالناس على شعر بشار أنه لم يقصر نفسه على متابعة المتقدمين من الشعراء

1) ذكر هذا البيت مع أبيات أخر له عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ص 368. وقد ذكرتها في الملحقات .

في معانيهم، بل أودعه المعاني الحضرية المستجدّة في عصره، فوصف حالة الناس في عصره ومحاسن شرابهم وبساتينهم، كما في قوله :

في جنّانٍ خُضْرٍ وقصْرٍ مَشِيـــدٍ قيصريٍّ حَفّت به الأعنـــاب
فَوْقَهَا ملعب الحمـــام ويستـــــنُّ خَليجٌ من دونهـــا صَخّـاب

وضمّنه أحوال الناس كقوله :

وأصـــابه سحر النُّحيلةِ بعدَ مـــا ألِفـ الصلاة وعَـاذَ بالمسبـــاح

فذكر المسباح وهو المسبّحة ، وكقوله :

ويعطيك ذُلاًّ إذا رُعتَـــــه كما ذل للقـــدم المِـــرْبـــدُ

يعني مربد البصرة، لكثرة من يدخله من الناس فقد ذل للأقدام .

وعبر عن مصطلحات عصره كقوله

إني وإن كنت حمّالا أجـــاوره صرّام حَبْل التمني بالأكاذيـــب

فذكر الحمال . وقوله :

أراكم أنـاساً سَمنُـــكم في أديمكم مَجَنْتُم فلا تستغفـــرون لِحُوبِ

وعبر عن عقائد العامة ، فقال :

إذا خَدِرتْ رجلي شفيت بذكرهـا أذاها فأهفو باسمهـا حين تنكب

وجاء بلفظ « ست » وهي كلمة جديدة في عصره بمعنى السيدة، وكانوا يعيبون استعمالها، وبشار لم يعبأ بهم. قال البهاء زهير :

أنَاديها إذا حضرت بستّـــــي فيلحظني النحـــاةُ بعين مَقْـــت

ونظم ألفاظ التحبب كقولهم : « نور عيني » في مواضع، منها ما في الورقة 31، وكما ذكر الرواحل في الأسفار ذكر الزوارق واختراقها الفرات ودجلة، وأشار الى الحكايات كقوله :

كقائلة إن الحمار فنحّه عن القتّ أهلَ السّمسِم المتهذّبِ

وقوله :

فصرت كالهِقْلِ غَدا طالباً قَرْناً فلم يرجِعْ بأذْنَيْنِ

وهو فيما رأيت أول الشعراء ذكر شرب الخمر على ذكر الأحبة في الحزن وضده، كقوله في الديوان :

فاشرَب على موت إخوانٍ رُزِئتُهُم بابُ المنيّةِ عنّي غيرُ مسدُودِ

وقوله في الملحقات :

فاشرب على أبْنةِ الزمان فما تلقى زماناً صفا من الأبَنِ

وقوله أيضاً :

فاشرَب على حَدثانِ الدهرِ مرتفقاً لا يصحبُ الهمُّ قرعَ السنِّ بالكاس

وقد سرى ابتكار بشار من ابتكاره المعاني الى أن ابتكر الأساليب فنظم الشعر على طريقة لم تكن معروفة، وهي طريقة المراسلة وذلك رسالة شعرية راسل بها عبدة، وهي في الديوان :

من المشهور بالحبِّ الى قاسية القلبِ
سلام الله ذي العرش علي وجهك يا حِبّي
فأما بَعْدُ يا قُرّ ةَ عيني ومنى قلبي

. . . الخ.

إن العصر والحالة اللذين تيسر لبشار أن يوجد بينهما لقد كانا بحكم المصادفة سبباً قويًّا خوّل مواهبه الفطرية النادرة أن تظهر في مظهر الشاعر العربي الفائق المعاني الفصيح البليغ، فقد كان عصر الدولة الأموية عصرا نضجت فيه الحضارة العربية الخالصة، وكان آخر ذلك العصر هو آخر عهد بالأدب العربي السليم من الدخائل، وكان نزول قبائل العرب

الخلص حول أول مصر اسلامي عربي ، وهو البصرة التي ظهر فيها شباب حضارة إسلامية عربية بريئة من العجمة، وكانت نشأة بشار بين ظهراني أولئك العرب الأقحاح ، كان كل ذلك عوناً كبيرا على تكوين شاعرية بشار وجمعه مخيلة تحوي دقة المعاني الحضرية الجارية على الذوق العربي من رفاهية وغرام ومجون وأصالة رأي وسعة علم ، ثم من فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني، فإذا افتقدت مجموع ما تأتى له وجدته لم يتأتّ لأحد غيره ممن تقدمه ولا لمن تأخر عنه، فلذلك كان بحق هو أول الشعراء المتأخرين من حيث الوجهة الأولى ، وآخر الشعراء المتقدمين من حيث الوجهة الثانية .

فإذا كان الذين تقدموه مثل النابغة، وحسان، وعُمر بن أبي ربيعة، والعَرْجي قد شاركوه في الفصاحة والبلاغة والمعاني القديمة فإنهم لم يكتسبوا ما أكسبته الحضارة من دقة معاني المعارف والحكمة وعظمة الدولة ورقة الغرام والمجون.

وإذا كان المتأخرون عنه مثل أبي نواس وأبي تمام والبحتري قد شاركوه في هذه الرقة ونسجوا على منواله فإنهم لم يسْعدُوا بما سعد به بشار من النشأة في الفصاحة والبلاغة الخالصتين.

وإذا كان معاصروه مثل صالح بن عبد القدوس وحمّاد عجرد وأبي العتاهية من شعراء الحضر قد شاركه بعضهم في المعاني الحضرية وبعضهم في المعارف العقلية فإنهم لم يتفق لأحد منهم أن ينال مثل بشار في نشأته العربية البدوية .

إذا عددت من معاصريه ومن تقدمه قليلا من شعراء البادية أمثال رُؤبةَ وذي الرمة وأمثال الفرزدق وجرير لم تجد في شعرهم ما تجد في شعر بشار من دقة المعاني ولا من رقة الألفاظ، وهذا سر اللقب الذي منحه أيمّة الأدب بشارا وهو أن سموه « أول المحدثين وآخر المتقدمين » الذي

انبهم توجيهه على الأدباء، ألا ترى أنهم لا يعنون بذلك تاريخ وجوده ضرورة أنه لم يوجد منفردا في عصره، وإنما عَنَوا ديباجة شعره وطريقته، فمعاصروه يلحق بعضهم بالمحدثين مثل صالح بن عبد القدوس وبعضهم بالمتقدمين مثل رؤبة وذي الرمة.

فصاحةُ ألفاظ بشار بلغت الحد الأقصى، فإنك لا تجد في ألفاظه ثقلا ولا تنافرا ولا كلفة. وصراحة دلالة ألفاظه على المعاني بينة واضحة ترى فيها كيف يخطر له المعنى الجليل والدقيق والعامي، فلا يتريث في التعبير عنه بأفصح الألفاظ دون استعانة بزيادة أو حذف، بحيث تلوح لك الفصاحة العربية برُوائها والانسجام المولد ببهائه، كقوله (في الورقة 42).

ما زلتُ أذكركم وليلَكُمُ ... حتى جفا عن مضجعي جَنْبي
وعلمتُ أنَّ الصّرم شِيمتُكم ... في النأي والهجرانَ في القُرب
فظَلِلْتُ لا أدري: أُقيمُ على الـ ... ـهجران أو أغدو مع الركب

فقوله: «أو أغدو مع الركب» قابَل به قوله: «أقيم على الهجران» فلم يعجزه الميزان ولا القافية إذ عبر عن السفر بـ«أغدو مع الركب»، وكذا قوله فيها:

ناديتُ إنّ الحبَّ أشعرني ... قتْلا وما أحدثتُ من ذَنْب

فقوله «أشعرني قتلا» دون أن يقول «قتلني» لتجنب الابتذال.

وأما بلاغته فقد شهد له بها أيمة البلاغة وفُحول الشعراء، وكانت أبياته شواهد في ذلك، مثل قوله:

كأنّ مُثارَ النّقع فوقَ رُؤوسهم ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كواكبُهُ

وغيرُ ذلك.

وقد وجدتُ له أربعَ استعارات في مصراع بيت وهو قوله (في الورقة 149):

غـاب القذى فشربنا صفو ليلتنا حِيْنٍ نَلْهو ونَخْشى الـواحد الصَّمدا

فإنه شَبَّه الرقيب بالقذى، لأنه يكدّر عليه التذاذه بالحبيب، كما يكدّر القذى الالتذاذ بالخمر، وهي تصريحية، وشَبّه الليلة بالخمر على طريقة المكنية، ورمز بقوله «شربنا»، وشبه تلذذ تلك الليلة بشرب الخمر، وشبّه خُلوّ الليلة من المنغصات بصفاء الخمر، وقوله «صفو ليلتنا» من إضافة الصفة الى الموصوف، أي ليلتنا الصفو أي الصافية. ففي هذا المصراع أربع استعارات: مصرحة، ومكنية، ومصرحتان بنيتا على المكنية.

ومن أبدع الإبداع في صناعـة البلاغة قوله (في الورقة (157):

لا تفـرحي بالجلَب الأَسْـدْ قد يُخـرِجُ الليثُ سهـامَ الوغْد

إذ شبه حـال عبد القيس في إقدامهم على حرب عُقبة بالمقامر، وجعل خيبتهم في الحرب كخروج السهم الوغْد للمقامر. وجعل عقبة كأسد في الاغتيال، وجعل بأسه كإخراج الأَسد أنيابه، وجعل الأَنياب المجازية كالسهام لكنها أوغـاد تنذر بالشر لمن خرجت له، فجمع في مصراع واحد: مكنية، ومصرحة مرشحة، وترشيحها مكنيةٌ أخرى، وأعقبها بمصرحة، وتلك المصرحة فيها احتراس بديعي، ومجموع ذلك استعارة تمثيلية، أجزاؤها استعارات، مع نهاية الإيجاز.

وأما تفننه في الأَغراض الشعرية فقد سلك فيه طرائق ابتكرها منها افتتاح الهجاء بالنسيب، وقد كان العرب يفتتحون المديح بالنسيب، مثل قصائد زهير والأَعشى والنابغة وعلقمة الفحل: وتعدد الأَغراض في القصيدة الواحدة كثير في شعر بشار، سئل أبو عمرو بن العلاء: مَن أبدَعُ الناسِ بيتاً؟ فقال الذي يقول:

لم يطُـلْ لَيْلِي ولكن لم أنَـمْ ونَفَى عني الكرى طيف ألـمّ

روِّحـي عنّي قليـلا واعلـمي أنني يـا عَبْـدَ من لحـم ودَمْ

وأما أبواب الشعر فقد طرقها كلها وأبدع فيها :

فباب الهجاء قد اشتهر به بشار ونبغ فيه، وقد قال: إنه هجا جريرا في صغره فأعرض عنه جرير، وكان الشر قد نشأ بين حماد عجرد وبين بشار، فكانا يتقارضان الهجاء، فأجمع أيمّة الأدب بالبصرة على أنه ليس في هجاء حمّاد بشّارا شيء جيد الا أربعين بيتا معدودة، وأن لبشار في حماد من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد. وقد روى أبو العيناء أن الرشيد سأل الأصمعي عن أهجى بيت قالته العرب، فقال له الأصمعي : قولُ الحطيئة :

قَوْمٌ اذا استنبح الأضيافُ كلبَهمُ   قالوا لأُمّهم: بُولي على النارِ
فتُمسِك البَولَ بخلاً أن تَجُودَ به   فما تبول لهم الا بمقدارِ

فقال الرشيد : أهجى منه قول بشار :

إذا أنكرتَ نسبةَ باهليٍّ   فَكشِّفْ عنه حاشية الإزارِ
على أستاهِ سادتهم كِتابٌ   موالي عامرٍ وَسْماً بنارِ

وقال أبو عمرو بن العلاء: أهجى بيت قولُ بشار:

رأيت السُّهيلَيْن استوى الجودُ فيهما   على بعْد ذا من ذاك في حكم حَاكِمِ
سُهيل بنُ عثمانٍ يجودُ بمالِه   كما جادَ بالوَجْعا سُهيلُ بن سالِمِ(1)

وأما باب النسيب فهو فاتحه على مصراعيه وتارك امرئُ القيس فيه عيياً. وهو أول من أطنب في أوصاف محاسن النساء فذلك مما رغّبهن الإقبال على شعره، وقد أبدع بشار في وصف خلوات الحب ومشاكاة المتحابين، وتوسط الرسل، ومراقبة الرقباء، وعذْل العذال، بما لم يسبقه الى تفصيل التوصيف فيه أحد من الشعراء، وهو الذي فتح لأبي نواس وأتباعه هذه الطريقة، وانظر قصيدته التي أولها :

---

1) سنذكرهما في الملحقات ونبين مراده بهما .

تعجبت جارتي مني وقد رقدا عني العيون وبات الهمّ محتشدا

تجد خمسين بيتاً في صفة زيارته محبوبته سعدى.

وأما المديح فقد قيل لأبي عمرو بن العلاء: من أمدحُ الناس؟ قال الذي يقول (يعني بشارًا):

لستُ بكفّي كفّه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفَدْتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي

وأما الفخر والحماسة فقد قيل: إن أفخر بيت قول بشار:

إذا ما غضِبْنا غَضْبةً مُضَرِيّةً هتكنا حِجاب الشمس أو نُقطر الدّما
إذا ما أعَرْنَا سَيِّدًا من قبيلةٍ ذُرى مِنبر صَلّى علينا وسَلَّما

يريد أن الخطباء يصلون على الرسول وآله وهم مُضَر الذين منهم بنو عقيل بن كعب من بني عامر بن صعصعة موالي بشار(1).

وأما باب الوصف وهو الذي يقصد منه حكاية واقعة تامة بدون تلميح ولا كناية ولكن بتفصيل قصير أو طويل فهو فن من الشعر نادر في كلام العرب وشعراء صدر الدولة الأموية، فمنه في شعر العرب قول زهير في المعلقة في وصف سير الحي:

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن تحمّلن بالعلياء من فوقِ جُرْثُم

... الأبيات.

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة وأوجز:

---

1) ذكر ابن رشيق في العمدة أن بيت بشار هذا أفخر بيت قاله محدث، ونظره بأفخر بيت للأقدمين.

ولقد قالت لأتراب لهـــــا   وتعرّت ذات يوم تَبْتَــــرِدُ
أكَمَا ينعتُنِي تُبْصِرْنَنِـــــي   عَمْـرَكُنَّ اللهَ أم لا يقتــــصد
فتضـــاحكن وقد قلــنَ لهـا   حَسَــنٌ في كل عيْنٍ من تـــوَدّ

وقول أبي حية النُّميري من شعراء الحماسة :

رَمَتْهُ أنَاةٌ منْ ربيعةِ عـــــامِرٍ   نَــؤُومُ الضُّحَــى في مَأتمٍ أيِّ مَــأتم
فَجَاءتْ كَخُوطِ البانِ لا مُتَتَابِــعٍ   ولكنْ بسِياً ذي وقارٍ وَمِيـــسَمِ
فقُلْن لهــا سِرًّا: فَدَيْنَــاكِ لا يَرُحْ   صَحِيحاً وإنْ لم تَقْتُلِيه فألمــمِ
فألقَتْ قِنَاعاً دُونَهُ الشَّمْــسُ واتقَتْ   بأحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ : كَفٌّ ومِعْصَمِ
وقــالتْ فلما أفـرغتْ في فـؤاده   وعَيْنَيــه منها السِّحْــرَ قُلْنَ لها انعمِ
فراحَ ومــا يَدْرِي أفي طلعةِ الضحى   تَرَوَّحَ أمْ دَاجٍ من الليل مُظْــلِمِ

ولبشّار فيه اليد الطولى والنَّفس الأطول، كقوله يصف ليلة زفاف حبيبته وسفرها :

دَعَوت بويل يومَ راح عَتَـادُهـا   وأودعني الزَّفْـزَاف ليلـة أدلجـوا
وقد زادني وجْدًا عليهـا وما دَرَتْ   مَجَامِرُ في أيدي الجواري تــأجَّــجُ
يقُوِّمُ منصورُ المغيريِ جِمَـالـــه   وقلبي له هذا من الحلم أعــوج
وما خرجت فيهن حتـى عَذَلْتهـا   قياماً وحتى كادت الشمس تخرجِ
فقامت عليها نضرة واستـكـانـة   تَسَاقَطُ كالنَّشْـوى حَيـاءً وتَنْهَــجِ
وما كانَ منّي الدمعُ حتى تـوجهتْ   مع الصبح يقفـوها الفنيد المسَرَّجُ
فَيا عبرًا منْ بينها قبلَ نيلهـــــا   ومن سَقَط فيه القـوارير تُخْـرَجِ
خَرَجْنَ به في حجْرِ أخـرى كأنه   بُنَيٌّ لَيالٍ في المعاوزِ يُـــدْرَجِ
وقربْنَ مُهورَ السَّراةِ كأنَّمـــنا   غدا في دياجير الكسا يَتَرَجْـــرَجِ
فلما دنـا منهـا بكت من دنوه   وقلن لها قُومي اركبي الصُّبحُ أبْلَجِ
وفدّينها كيْما تَخِفُّ فأعرضـــت   تَجَشَّم ممــا سُمْنَهــا وتَغَنّــجِ

ولما جَـلاَها الشمـع سَبَّـح نَاظِـرٌ وكَبَّـرَ رَفَّافٌ وساروا .فأزْهَجُــوا

وأما باب الأدب فشعر بشار مُليء حكمة وأخلاقاً وضرب أمثال ، لأن بشارا نشأ على معرفة الحكمة، وقرأ على الفلاسفة، وقد عُدّ من نظراء واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد كما تقدم.

وأما صناعة الشعر فلبشار فيها غاية السبق وآية الحذق، قال في الأغاني(1) :

قال الأيمّة: أحسن الناس ابتداء في شعراء الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

قفَـا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبِيبٍ ومنـزِلِ

وفي شعراء صدر الاسلام القَطامي حيث يقول :

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسْلَـمْ أيُّهَـا الطَّلَـلُ وإن بليتَ وإن طالت بكَ الطِّيَـلُ

ومن المولَّدين بشار إذ يقول :

أبى طَلَلٌ بالجزع أن يتكلّمـا وماذا عليـه لو أجـاب مُتَيَّمَـا

وبالفرع آثار بَقِينَ وباللِّـوى مَلاَعِبُ لا يُعْـرَفْنَ إلا تَـوَهُّمَـا

وروى في الأغاني بسنده عن بشار أنه قال: ما زلتُ منذ سمعتُ قولَ امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد إذ يقول :

كأن قلوبَ الطيـر رَطْباً وَيابِسـاً لدى وكْرِها العُنّاب والحشفُ البالي

أُعْمِلُ نفسي في أن آتي بتشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلت :

كأنَّ مُثَـار النقع فـوق رؤوسهـم وأسيافنا ليلٌ تَهَاوَى كَـواكِبه(2)

1) صفحة 25 من جزء3 .

2) قال أبو الفرج الأصبهاني : قال يحيى : أخذ هذا المعنى منصور النمري فقال وأحسن :

ليـل من النقـع لا شمس ولا قمـر إلا جبينـك والمذروبـة الشـرع

وقد اتفق أيمّة الأدب على أن تشبيه بشار قد فاق تشبيه امرىء القيس الذي تقدمه وفاق تشبيه من تأخر عن بشار. فأما كونه فاق امرأ القيس فأمر واضح، لأن امرأ القيس شبه شيئين بشيئين على التفريق. وقد أشار الى فضل بيت بشار عليه كلام عبد القاهر في فصل من أسرار البلاغة(1)، وكذلك فاقَ عَمرو بن كلثوم. وأما كونه فاق من تأخره فقد قال الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة(2): «ألا ترى أن أحد التفصيلين في التشبيه يفضل الآخر بأن تكون قد نظرت في أحدهما إلى ثلاثة أشياء أو ثلاث جهات وفي الآخر الى شيئين، والمثال في ذلك قول بشار:

كأنّ مُثارَ النقع... الخ. مع قول المتنبي:

يزور الأعادي في سَماء عَجَاجَةٍ أسِنتُه في جانبيها الكواكبُ

أو مع قول عمرو بن كلثوم:

تَبْنِي سنابكها من فوق أرؤسهم سَقْفا كواكبه البيضُ المباتيرُ(3)

التفصيل في الأبيات الثلاثة كأنه شيء واحد، لأن كل واحد منهم شبه لمعان السيوف في الغبار بالكواكب في الليل، إلا أنك تجد لبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف التأثير في النفس ما لا يقل مقداره ولا يمكن إنكاره، وذلك لأنه راعى ما لم يراعه غيره، وهو أن جعل الكواكب تهاوى فأتمّ التشبيه، وعبّر عن هيئة السيوف وقد سُلّت من الأغماد وهي تعلو وترسب، ولم يقتصر على أن يريك لمعانها في أثناء العجاجة كما فعل الآخران وكان لهذه الزيادة حظٌ من الدقة... الخ».

1) انظر صفحة 156 .
2) ص139 .
3) هذا البيت نسبه الجاحظ في كتاب الحيوان الى بشار بتغيير أوله هكذا «كأنما النقع يوما ...» الخ، وهو أثبت، وأئمة الأدب مجمعون على أن بشارا غير مسبوق في هذا التشبيه. فانظر كيف نسب عبد القاهر البيت الى عمرو بن كلثوم.

قال أيمّة الأدب : حام حولَ هذا المعنى من التشبيه كثير من الشعراء فلم يبلغوا مبلغ بشار، مثل منصور النَّمري ومسلم بن الوليد وابن المعتز والمتنبي، وقد بيّنت ذلك عند شرح هذا البيت . وليس هذا بالتشبيه الوحيد لبشار، فإن له تشبيهات بديعة، كقوله في وصف خفق السَّراب في فلاة :

كأن في جانبيها من تَغَوُّلِهَـــــا   بَيْضَاء تَحْسِرُ أحيـانـاً وتنتقبُ

التغوّل : التلون، أي مختلف اضطراب السراب للناظر مرة يغشى منظره ومرة يتجلىّ، وكأن تلك الفلاة امرأة حسناء تكشف القناع تارة وتنتقب أخرى .

هــذا، وأما ابتكار المعاني فلبشار معان مبتكرة كثيرة ، حتى أن الشعراء ليعمدون إلى معانيه فيسرقونها ويتصرفون فيها . قال بشار :

مَنْ راقب الناس لم يظفر بحاجتــه   وفاز بالطِّيبات الفاتك اللَّهِــــج

فأخذه سَلم بن عمرو الملقب بالخاسر فقال :

مَنْ راقب الناس ماتَ غَمَّـــــا   وفازَ باللذة الجَسُــــــــور

وقال بشار :

تذكَّرُ من أحببت إذ أنت يـافع   غـلام فمغنـاه إليـك حبيـب

فأخذه علي بن العباس في قوله : .

وحبّب أوطـان الـرجال إليهــم   معاهدُ قضّاهـا الشبـابُ هُنـالك
إذا ذكـروا أوطـانهم ذكّـرتهمو   عُهـود الصِّبـا فيها فحنّـوا لذلكـا

وقال بشار :

لا يُـؤْيِسنَّـك من مخــــدّرة   قـول تغلظـه وإن جـــــرحـا

فقال أبو نــواس :

صرِّحنْ للذي تحب بحــــب   ثم دعْـه يــروضـــه إبليس

وسيأتي في فصل شهادة الأيمّة لبشار كيف أخذ أبو العتاهية معنى بشار في إخفاء البكاء، فانظره هناك، ويأتي في ذلك الفصل قولُ علي بن يحيى بن أبي منصور «ما عُرف بشار بسرقة شعر جاهلي ولا إسلامي» وذكر المعري في شرحه على ديوان المتنبي (معجز أحمد) أن المتنبي أخذ قوله في الخيل :

شوائلَ تشْوال العقاربِ بالقنا ... لها مرحٌ من تحته وصهيلُ

من قول بشار :

والخيل شائلةٌ تشُقُّ غُبارها ... كعقارب قد رفَّعت أذْنابها

نظم شعره

كان بشار يُعنى أن يصوغ كثيرا من قصائده على طريقة النظم العربي القديم، سواء كان من جهة المعاني، فيذكر الأطلال والرسوم والغُدر والمراعي إعجاباً بمقدرته على الالتحاق بشأو العرب الخلص، أم كان من جهة نسج نظمه، فيأتي به على طريقة العرب في أساليب تراكيب الجمل عندهم وفي توخي الكلمات الواقعة في أشعارهم، وكل ذلك دليل على سعة علمه بالعربية الحق وسلامة ذوقه، وقد أفصح عن عنايته هذه لخلف الأحمر حين سأله عن قوله :

بكِّرا صاحِبيَّ قبل الهجيرِ ... إنّ ذاك النجاحَ في التبكيرِ

كما سنذكره. وقد كان التنافس في التحاق شأوِ شعراء الجاهلية مرمى همم الشعراء والعلماء في ذلك العصر، حتى أن خلفاً الأحمر كان يتبجح بأنه يستطيع أن يضع في شعر كل واحد من شعراء الجاهلية أبياتاً أو يعزو اليه قصائد تشتبه بشعره أتم الاشتباه، وقد قيل إنه وضع اللامية التي أولها : «أقيموا بني أمّي صدور مطيِّكُم» ونسبها الى الشَّنْفرى

لهذا الغرض، وإنه وضع القصيدة التي أولها :

إن بالشِّعب الذي دون سلْـــــع   لقتيلاً دمُــه مــا يُطَــــــــلُّ

وعزاها الى: الشَّنفرى أيضاً . ومعلوم أن كل مُتعاطي صناعة هو مفتون بسمعة أساطينها ونوابغها، فالذي دعا أهل الأدب العربي الى نزعة النسج على منوال المتقدمين أن الذي يفرع منهم ذروة البلاغة لا يزن هواة ذلك الفن مقداره الا بميزان قربه من مشاهير أهل صناعتهم، فذلك الذي كان يبعث فحول شعراء الاسلام على التشبه في شعرهم بفحول الجاهلية تحدياً للناقدين ابتداء ، ثم لا يلبث ذلك التحدي حتى يصير لهم عادة ، فلا يزالون يُعجبون بانتفاء الفروق بين شعرهم وشعر العرب القحّ ، لأن الموازنة بين الشعرين تكون أمكن متى اتحدت طريقة الشعرين ، ولم يزل المحكّمون في الأدب وفي العلوم يشترطون على المتناظرين وحدة الموضوع وعلماء الأدب يكلفون المتأدبين نظم القصائد في الغـرض الواحـد والوزن والروي ليظهر القرب والبعد في الإجادة، كما يشهد بذلك اشتراط بديع الزمان وأبي بكر الخُوارزمي على أنفسهما محاكاة قصيدة أبي الطيب :

أرقٌ على أرقٍ ومثلي يـأرقُ

في مناظرتهما في الأدب، وبذلك يتبين صنيع الحريري في التحدي بمحاكاة شعر البحتري في المقامة الثانية . وليس في المولدين من إذا أراد أن يشابه العـرب في شعـرهم شابههم مثل بشّـار، وخذ مثـالا من ذلك قصيدته التي طالعها :

طَرِبْتَ إلى حوضَى وأنتَ طروب   وشـاقكَ بين الأبْرَقَيْن كَثيــــبُ

وهي في الديوان .

وقد جمع بشار في ملكته الشعـرية بين متانة المعنى، وفصاحة اللفظ،

وبداهة القريحة، وقلما اجتمعت في شاعر. أحضره المهدي فقال له: قل في الحب شعرًا واجعل الحب قاضياً بين المحبين ولا تسمِّ أحدا ولا تُطِل، فقال على البديهة:

أجعل الحُبّ بين حِبّي وبَيْني ... قاضيـاً إنني به اليـوم راضِ
فاجتمعنا فقلتُ يا حِبَّ نفسي ... إن عيني قليلة الإغماضِ
أنتَ عذّبتني وأنحَلْتَ جسمي ... فارحم اليوم دائم الأمراض
قال لي لا يحلّ حكمي عليها ... أنتَ أولى بالسُّقم والإمراض(1)
قلتُ لما أجابني بهواها ... شَمِلَ الجورُ في الهوى كلّ قاض

فقال له المهدي: حكمتَ علينا ووافَقْتَنا ذلك، وأمر له بألف دينار.

وفي العقد الفريد (2): قال الربيع: خرجنا مع المنصور مُنْصَرفنا من الحج، فنزلنا الرَّضم، واستقبله الناس وفيهم بشار، فلما أراد الرحيل في وقت الهاجرة لم يركب القبة وركب نجيباً فسار والناس حوله، فجعلت الشمس تضحك بين أعينهم، فقال المنصور: إني قائل بيتاً فمن أجازه وهبتُ له جُبّتي هذه، فقالوا: يقول أمير المؤمنين، فقال:

وهَاجِرَةٍ نصبتُ لها جبيني ... يقطِّع ظُهرها ظَهر العطايَةْ

فبادر بشار فقال:

وقَفْتُ بها القَلوص ففاض دَمْعي ... على خَدّي وأقْصَر واعِظَايَهْ

فوهب له الجبة، فباعها بأربعمائة دينار.

---

1) ينبغي أن يكون «الإمراض» هذا بكسر الهمزة، وهو تسليط المرض على الغير، فهو مصدر بمعنى إضافته الى المفعول، أي بأن يمرضك حبيبك. ويكون «الأمراض» الذي قبله بفتح الهمزة جمع مرض ليسلم البيت من عيب الإيطاء.
2) ج 3 ص 17.

ودعا عقبةُ بن سَلم المالكي بشاراً وحماد عَجْرد وأعشى باهلة ، فقال لهم : خطر ببالي البارحة مَثَلٌ يتمثَّل به الناس : « ذَهب الحمار يطلب قَرْنَيْنِ فجاء بلا أذنين (1) » ، فأخرجوه في الشعر، ومَنْ أخرجه فله خمسة آلاف درهم ، فقال حماد : أجِّلْنا شهراً ، وقال أعشى باهلة : أجِّلنا أسبوعين، وبشارٌ ساكت لا يتكلم، فقال له الأمير : مالك لا تتكلم ، أعمى الله بصيرتك ! فقال : أصلح الله الأمير، حضرني شيء ، وأنشد :

شَطَّ بسَلمى عَاجِلُ البَيْنِ وجَاوَرَتْ أسْدَ بَنِي القَيْنِ
ورنَّت النَّفس لها رَنَّةً كَادتْ لها تَنْشَقُّ نِصْفَيْنِ
طالبتها دَيني فزاغَتْ بِه وعلَّقت قلبي مع الدَّيْنِ
فصِرْتُ كالْعَيْرِ غَدا طالباً قَرْناً فلم يَرْجَع بأذْنَيْنِ

نسيبُ بشَّار

لما كان النسيب والغزل يفيض عن العشق ، وهو استحسان الذات وكان بشار فاقد البصر، فقد انتحل لغرامه نحلة جديدة ، وهي دعوى أن عشق السمع كعشق البصر . وإن إجادته النسيب لأوضح دليل على قوة تخيله الشعري وفصاحة لسانه، وقد تقدم في مبحث غرامه ما فيه غنية من التطويل .

ومن المعاني التي لم أرها لغيره في النسيب ذكر تصوير محبوبته ومناجاة صورتها ؛ ويذكر أن التصوير في التراب (انظر البيتين في الورقة 102) .

1) وقد جاء هذا المثل أيضاً بلفظ النعامة عوض الحمار. ولذلك روي بيت بشار أيضاً بلفظ الهِقل. وهو ذكر النعام. عوض العير .

هجاء بشار

الهجاء باب من أبواب الشعر القديم، لكنه قليل بالنسبة للحماسة والمفاخر والنسيب، وهجاء العرب معظمه نَبْزٌ بمعايب واقعة من قبائح المهجو وسقطاته وحط لمقداره وتعيير له بمساوىء الخلال عندهم من الجبن وتحمل الضيم واللؤم ، وأشهر طرائقه طريقة التعريض والتلميح والمبالغة، يقصدون من إيداع هذه الفنون فيه أن يكون أسير بين الناس كقول عُوَيف القوافي في هجاء قبيلة اسمها وَبْر :

اللؤمُ أكْـرَم من وَبْرٍ ووالـــده ... واللُّؤمُ أكرَمُ من وَبْـر ومَـا وَلَـدَا
واللُّؤم داء لوبر يقتلــون بــه ... لا يقتلون بــداء غيــره أبــدا
قــومٌ إذا ما جنى جانيهـــم أمِنـوا ... من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قَــوَدا

وكقــول قريط بن أنيف :

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عــدد ... ليسوا من الشّـرِّ في شيءٍ وإنْ هانـــا
كأن ربَّكَ لم يخلُق لخشيــتــه ... سِـواهُم من جميع النــاسِ إنسانــا

ويسلكون طريقة التشبيه بالأشياء المحقّرة ، كقول الأخطل في هجاء بني حارث :

ضَفَــادِعُ في ظَلْماء لَيلٍ تَجَاوَبَتْ ... فَدَلَّ عَلَيْهــا صوتُها حَيَّــةَ البَحْرِ

وطريقةَ التهكم ، كقول ابن زَيَّابَةَ :

نُبِّئتُ عَمْـرًا غَـارِزًا رأسَـــهُ ... في سنــة يُوعِـد أخْـوالـــهُ
وتِلْك منــه غيــرُ مَأمونـــةٍ ... أنْ يفْعَلَ الشيء اذا قــالـــهُ

وقلما فحشوا في هجائهم ، كقول إياس بن الأرتّ

كــلُّ عَــدُوٍّ يُتَّــقى مُقْبِــلاً ... وأمُّكُـم سَوْرَتُهَـــا بالعِجَـــانْ

وقلما كان الشتم اختلاقاً منهم .

ثم كثر الهجاء في شعراء الاسلام ، بسبب ما بقي بين قبائل العرب من العداوة القديمة وتحقير بعضهم قبائل منهم ، فكان ذلك في الجاهلية يشتفى بالسيف، فلما حرم عليهم القتال في الإسلام صاروا الى التشفي بالكلام ، وذلك بالتهاجر والاختلاق فيه ، وأكثر المخضرمين هجاء الحُطَيْئَةُ، ثم حدث التهاجي بين جرير والفرزدق والأخطل ، فكان في بعضه شيء من فحش ، وكان معظمه إقذاعاً وبذاءة . ولم يظهر الفحش في الهجاء الا في صدر الدولة العباسية ، وأحسب أن ذلك مكتسب من بعض عادات الدخلاء في القرى التي استوطنها العرب من أطراف العراق العجمي .

ظهر الفحش في هجاء بشار وأبي الشمقمق وحماد عجرد وأبي هشام الباهلي، وكلهم من عصر واحد . اشتهر بشار بهجائه المقذع الفاحش، وقد كان من المبتدعين في ذلك ، وعوتب عليه ، فقال : إني وجدت الهجاء المؤلم آخذَ(1) بضبع الشاعر من المديح الرائع ، ومن أراد من الشعراء أن يُكْرَمَ في دهر اللئام على المديح فليستعدّ للفقر، وإلاّ فليبالغ بالهجاء ليُخَافَ فيُعْطَى .

وقد هجا بشارٌ جماعة من أعيان الشهرة، منهم أبو مسلم الخراساني ويعقوب بن داود وأخوه صالح لما ولي البصرة ، وهجا واصل بن عَطَاء الغَزَّال إمام المعتزلة بعد أن كان يمدحه، وهجا سيبويه إمامَ نحاة البصرة، وهجا أبا هشام الباهلي وحمّاد عجرد ، ولم يبق أحد من أشراف البصرة إلا مني بشيء من هجاء بشار أو اتقى هجاءه .

رجز بشّار

قال الجاحظ(2) وأبو الفرج الأصبهاني : أنشد عقبة بن رُؤبة ابن العَجّاج رجزًا يمتدح به عقبة بن سَلم،وبشار حاضر، فأظهر بشار استحسانه

1) اسم تفضيل، أصله أأخذ بهمزتين وقلبت الثانية الساكنة ألفاً للتخفيف .
2) صفحة 54 جزء 1 البيان .

الأُرجوزة ، فقال عقبة بن رؤبة : هذا طراز يا أبا معاذ لا تَنْسجه، فقال بشار : ألِمثلي يقال هذا الكلام أنَا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ، فقال عقبة : أنا والله وأبي فتحنا للناس باب الغريب وباب الرجز ، ووالله إني لَخَلِيقٌ أن أسدّه عليهم (يعني بجودة نسجه في ذلك وعجزهم عن مجاراته) فقال له بشار : ارحمهم رحمك الله، فقال عقبة : أتستخفّ بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابنُ شاعر ابن شاعر، فقال بشار : فأنت إذن من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطَهّرهم تطهيرًا ! ثم خرج عقبة بن رؤبة مُغْضباً فلما كان من غد غَدا بشار على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشد بشار أرجوزته التي أولها :

يا طلل الحي بذات الصمْد

فطرب عُقبة بن سلم وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزي ، وهرب من تحت ليلته .

أقدم شعر بشار

ذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني عن هشام بن الكلبي قال : كان أول بَدْء بشار أنه عشق جارية يقال لها فاطمة ، وكان قد كُفّ وذهب بصره، فسمعها تغنّي فَهَوِيَهَا ، وأنشأ يقـول :

عجِبتْ فَطْمةُ من نعتي لهـــا   هل يجيد النعت مكفوف البصـر

. . . الأبيات ، وستأتي في الملحقات .

وقد تقدم في طالعة مبحث شعر بشار أن من أقدمه قولـه :

أيُّهـا الساقيـانِ صُبّـا شَـرَابي   واسقياني من ريقِ بيضـاء رُود

. . . الأبيات ، وأن ذلك كان شائعاً في خلافة الوليد بن يزيد .

راوية بشار وكاتب شعره

حفظنا أسماء سبعة من رواة شعر بشار عنه :

الأول : يحيى بن الجون العبدي، ذكره أبو الفرج الأصفهاني، وقد ذكره جامع ديوان بشار، (الديوان في آخر الورقة 107) .

الثاني : سلم الخاسر(1) ذكره أبوهلال، انظر شرحي للبيت 26 من الورقة 118 .

الثالث : هشام بن الأحنف .

الرابع : محمد بن الحجاج ، ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (ص 442 جزء 3) .

الخامس : أبو معاذ النُّميري ، ذكره أبو هلال العسكري في قصة سَلم الخاسر (انظر شرحي للبيت 26 في الورقة 118) .

السادس: محمد بن بشار بن برد ، ذكره المرزباني في الموشح في ترجمة عباس بن الأحنف .

السابع: جعفر بن محمد النوفلي، ذكره أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة بشار في الجزء 3 ص 35 ، قال : « وكان يروي شعر بشار ابن برد ، قال : أتيتُ بشارا ذاتَ يوم » الخ ، وقد ذكره في الجزء 6 ص 49 أيضاً .

وأما كاتب شعره فإن بشارا لما كان أعمى كان مضطرا الى من يكتب شعره الذي يرسل به الى أصحابه ، والذى يودعه ديوانه مما ينشده في

---

1) هو سلم بن عمرو البصري مولى بني تميم بن مرة ثم مولى آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، شاعر مطبوع، لقب بالخاسر لأن أباه لما مات ترك له مصحفاً فباعه واشترى بثمنه دفاتر شعر. وقيل: اشترى طنبورا، وقيل: عودا. قال الصفدي: كان سلم مسلطا على بشار، يأخذ معانيه الجيدة فيسكبها في قالب أحسن من قالبها، فيشتهر قول سلم ويخمل قول بشار. قال: وتوفي في حدود الثمانين ومائة .

المديح والغزل وغيرهما من حفظه. وقد جاء في الأغاني صفحة 62 جزء 3 : أن بشارا لما أراد ان يعاتب صاحبه المنقريّ على أن بعث اليه بشاة للأضحية غير حسنة بأبيات بعثها اليه ، قال لغلامه : «اكتب يا غلام» الخ ، وهي الأبيات التي تذكر في قافية اللام من جزء الملحقات .

شيطان الشعر عند بشار

كان من مزاعم العرب في الجاهلية أن لفحول الشعراء شياطين أو جنة يلقون جيد الشعر الى الشعراء. وقد ذكر ذلك الأعشى وحسان بن ثابت (قبل الاسلام) وذكره الفرزدق وجرير وأبو النجم .

قال الجاحظ في كتاب الحيوان «يزعمون أن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر» (وساق أبياتا تضمنت ذلك بعضها نسبه للأعشى وبعضها لأبي النجم وبعضها الى بشار وبعضها لآخرين منها ما هو منسوب الى حسان) وربما اقتصروا على ان الجني من الشياطين وربما نسبوه الى قبيلة من قبائل الجن وربما ذكروا له اسماً علماً عليه مثل اسم مسحل لشيطان الأعشى، واسم جهنّام لشيطان شاعر هجاه الأعشى، واسم شنقناق لشيطان أبي النجم ، وقد تبع بشار من تقدمه من الشعراء فذكر أنه دعاه الجني الى الصحبة وأنه رفض ذلك وذلك في قوله الذي رواه الجاحظ في كتاب الحيوان والثعالبي في ثمار القلوب قال الجاحظ : ومن ذلك قول بشار :

دعاني شنقناقٌ الى خلف بكـــرة فقلتُ اتْرُكَنِّي فالتفـرّد أحمـــد

يقول : أحمد لي في الشعر التفرد من أن يكون لي معين عليه آ ه. وبشار ادعى رؤية شيطان أبي النجم الذي سماه شنقناق فإن أبا النجم قال قبل بشار فيما رواه الجاحظ في كتاب الحيوان :

لاقى شنقناق وشيصبان

وانظر ما يأتي في جزء الملحقات في تفسير هذا البيت .

توسع بشار في اللغة وقياسه فيها

تلتئم اللغة العربية من نوعين : ألفاظ وأحكام .

فأما الألفاظ ، ويعبر عنها بالمفردات ، فهي قسمان

الأول : الكلمات الموضوعة للدلالة على المعاني الخاصة بتركيب حروفها المعبر عنها (أي عن تلك الحروف) بالمادّة ، وهي الجوامد من أسماء الأعيان ومن الحروف والأفعال الجامدة وأسماء المعاني المسماة بالمصادر الدالة على الأحداث لا على الذوات .

القسم الثاني : الصيغ الدّالة على معانٍ عارضة لمعاني المصادر زائدة عليها ، كدلالة صيغة «فعَل» على كون المعنى المصدري وقع في زمن مضى ، «ويَفْعَل» على كونه واقعا في زمن الحال ، ودلالة صيغة «فاعِل» على كون المعني صادرا ممن تلبّس بالمصدر ، ودلالة صيغةِ «مِفْعَل ومِفْعال ومِفْعَلة» على الآلة التي يحصل بها المصدر ، وهذه الألفاظ بقسميها يختص بالبحث عنها علم متن اللغة وعلم التصريف .

وأما الأحكام فهي الكيفيات التركيبية التي يتألف الكلام العربي عليها تألفًا مُطّردًا ولو بوجوه متعددة ، بحيث لو أخرج انتظامه عن تلك الكيفيات لكان غير جار على ما تكلم به العرب أصحابُ هذه اللغة وأصبح كلامه عسيرَ الفهم لأهل هذه اللغة ، مثل الاسم الذي هو في أول الكلام ومخبَرٌ عنه بخبر ، يكون الحرفُ الأخيرُ منه مضموما ، والفعل الدال على زمن الحال يكون آخر حروفه مضموما ما لم تسبقه كلمة من كلمات معروفة معدودة إذا سبقت إحداها الفعل الدالّ على الحدث صار آخره مفتوحا ، وكذلك استعمال

الكلمات في غير ما وضعت له لمناسبات وعلاقات ، وكذلك النكت والمناسبات في الكلام المبني عليها أدب العرب، وكذلك موازين الشعر وطرقُ السجع . وهذه الأحكام يبحث عنها في علم النحو ، وعلم البلاغة وعلم العروض .

وقد بذل أيمّة علوم العربية جهودهم في استقراء كلام العرب بنوعيه ، فاستخرجوا من استقرائهم القسم الأوّل من النوع الأوّل ، واتفقوا على أنّه لا يؤخذ إلا بالسماع من العرب ، ودونوا ذلك بمعانيه في مطولات كتبهم التي أولها وأصلها كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله، وهو الذي بتهذيب من جاء بعده وتلخيصه وتصحيحه والزيادة عليه كملت كتب متن اللغة المعبر عنها عندنا (بالقواميس) أخذا من اسم كتاب الفيْروزبَاذِي المسمى بالقاموس .

واختلفوا : هل يمكن ادعاء أنهم أحاطوا بكل ما تكلم به العرب . قال ابن فارس : «ما بلغنا عن أحد مضى أنه ادعى حفظ اللغة كلها ، فلغة العرب لم تنته إلينا بكليتها وإن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله» اهـ .

وأقول: إن العرب قبائل شتى منتشرة، ولما دخلوا في الاسلام تطوحوا في الفتوح وتفرقوا ، وما انبرى علماء العربية للسعي في استقراء اللغة، إلا في منتصف القرن الاول بعد الهجرة ، وقد انقرض يومئذ جمّ غفير من العرب ، وليس بيد الناس من الكلام العربي غير القرآن ، فقيد رواد اللغة مااستطاعوا تقييده ، مما وعته حوافظ أبناء العرب من شعرهم وملحهم وأمثالهم ومحادثاتهم، ومما تلقوه بالسماع من البقية الباقية من العرب في البوادي مثل العجاج ورؤبة وذي الرمّة ، ومن محادثة بعض الرواة في تطوافهم بالبوادي العربية فدونوا من ذلك ما يرجع إلى النوعين المبدإ بهما هذا المبحث بأقسامهما ، وسموه بالقياسي وبالجاري على القياس، لأن لكل متكلم بالعربية أن ينطق بالألفاظ الداخلة

تحت ذينك النوعين ، وقد اختلفوا في القياس على ما عدا ذينك ، ومعنى القياس أنه إلحاق كلام غير ثابتة كثرة استعمال نظيره عن العرب بكلام ثابت عنهم كثير استعماله لمساواة الكلامين فيما يوجب ذلك الإلحاق .

والمراد بمخالف القياس ما كان من التصرفات مخالفاً للنظائر الكثيرة الثابتة في كلام العرب ، ولو كان هو بخصوصه ثابتا في كلام العرب .

فأما الشاذ فالمراد به ما لم يسمع عن العرب إلا نادرا ، فقد يكون قياساً ، وقد يكون مع شذوذه غير قياس ، فإذا اجتمع الشذوذ ومخالفة قياس فاستعمال ذلك الذي اجتمع فيه الأمران قبيح عندهم .

وإذا انفردت مخالفة القياس مع الشيوع فالاستعمال جائز .

وإذا انفرد الشذوذ مع القياس فهو محل خلاف بينهم .

وهنالك قسم آخر ، وهو أن يكون اللفظ جاريا على القياس وغير مسموع من العرب .

قال ابن جني في الخصائص (1) : «يقل الشيء وهو قياس ، كقولهم في النسب إلى شنوءة : شنئيّ ، فلك في النسب إلى حلوبة أن تقول : حلبي ، وإلى ركوبة : ركبي ، لأنهم أجروا فعولة مجرى فعيلة . فكما قالوا في حنيفة حنفي فكذلك قالوا في شنوءة ، فجرت واو فعولة مجرى ياء فعيلة . قال أبو الحسن الأخفش : إن قلت إنما جاء هذا النسب في حرف واحد ، يعني شنوءة ، قلت : هو جميع ما جاء ، يعني أن الذى جاء في فعولة هو هذا الحرف (أى الكلمة) ، والقياس قابله ، ولم يأت فيه شيء ينقضه ، فإذا قاس الإنسان على جميع ما جاء وكان قياسه صحيحاً فلا غرو ولا ملام .

---

1) ص 120 جزء 1 .

وقد يكثر الشيء ولا يكون هو على القياس، فلا يجوز أن يقاس عليه، كقولهم في النسب إلى ثقيف ثقفي، وفي قريش قرشي، فهذا كثير أكثر من شنئي، والقياس عليه ضعيف عند سيبويه فلا يجوز أن تقول في النسب إلى سعيد وكريم سَعَدي وكرمي، فقد يرد في اليد في هذا الموضع قانون يحمل عليه ويرد غيره إليه».

أقول: وقد أخذنا من كلام أيمة العرب قاطبة أن القياس في اللغة العربية لمن شاء التكلم بها يتصور على أنحاء:

الأول: ما شاع وكثر وروده عن العرب من ألفاظ وصيغ سواء وافق القياس أم خالفه وسواء ثبت عندهم لفظه أي ذاته أو نوعه أم لم يثبت، قال ابن جني في الخصائص (1): «قال لي أبو علي الفارسي: إذا صحت الصفة فالفعل في الكف، قال ابن جني: وإذا ثبت أمر المصدر الذي هو الأصل لم يتخالج شك في الفعل الذي هو الفرع لأن المصدر أشد ملابسة للفعل من الصفة» اهـ. وهذا النوع قد اتفق أيمة العرب على جواز استعماله فيما ورد فيه، وذلك موعب في كتب النحو وكتب البيان.

الثاني: ما ثبت عنهم ولم يشع، وذلك إن كان جاريا على القياس لا يضره عدم الشيوع، لاحتمال أن الرواة لم يستقروا النقل، وهنالك نزاع بينهم في أن هذا هل يعد من الغريب المنافي للفصاحة التى اشترطوا فيها ألا يكون في الكلام كلمات غريبة أو لا يعدّ منه.

الثالث: ما ثبت عنهم من ألفاظ ولم يشع في استعمالهم وخالف القياس، وقد اختلفوا فيه، والجمهور على أنه يقتصر على السماع، وهذا مثل القلب في بعض الجموع، كقولهم في جمع رئم آرام وقولهم تواد

(1) ص 127 ج 1.

في تأوّد بمعنى تثاقل في فعله مشتقاً من الأَود وهو الثقل .

قال الأزهري : المقلوبات في كلام العرب كثيرة ، ونحن ننتهي إلى ما ثبت لنا عنهم ، ولا نحدث في كلامهم ما لم ينطقوا به ، ولا نقيس على كلمة نادرة جاءت مقلوبة .

الرابع : ما ثبت نظيره من الصيغ وهو جار على نظائر في الاشتقاق ، لكنه سمع عن العرب في بعض الألفاظ ولم يسمع في البعض الآخر ، وهذا مثل صوغ وزن فَعَالِ مصدرا ، فقد سمع فَجَار ولم يسمع كفاف (1) ، وكذلك وزن فَعَلَى كالجمزى ولم يسمع النَزَكَى والوجَلى ، ومثل وزن فعلان بكسر الفاء سمع في جمع حوت ولم يسمع في جمع نون (2) .

الخامس : ما لم يثبت لفظه ولا ثبت نظيره ولكنه جار على القياس في الاشتقاق ، كصوغ تبرْنس بمعنى ليس البرنس ، قياسا على تعمم وتدرع ، وكجمع دجال على دجاجلة ، وكذلك إشباع حروف بعض الكلمة نحو ينباع في ينبع .

السادس : ما لم يثبت عن العرب إطلاق لفظ عليه ، ولكنه أطلق لفظ على ما هو مشتمل على معناه ، مثل إطلاق لفظ الخمر على شيء مسكر ، ولفظ السارق على النبّاش ، ولفظ الدابة على الطائر (3) .

فإطلاق ما ثبت عن العرب من الألفاظ والصيغ والأحكام مما دل حال كلامهم على أنه كليات تقال في جزئياتها من معاني اللفظ أو أنواع

---

1) إشارة الى قول المعري في رثاء الشريف الموسوي .

أودى فليت الحادثات كفاف   مال المسيف وعنبر المستاف

2) إشارة الى ما وقع في شعر بشار من ذلك، وسيأتي .

3) إشارة الى ما وقع في حديث الموطأ في كتاب العدة : أخذت دابة من طير أو غيره فافتضت به .

المواد للصيغة الواحدة ليس من القياس، بل هو استعمال، وكذلك استعمال ما ثبت بالنوع كأنواع المجاز وذلك في النحوين الأول. والثاني، كما أن ما لم يثبت بذاته ولا بقاعدة لا يجوز إطلاقه لأنه يشبه وضع لغة جديدة، وهو أحد معاني القياس في قولهم: لا تثبت اللغة بالقياس، وذلك في النحو السادس، ولم يقل بجواز القياس في هذا النحو إلا بعض علماء الأصول من الشافعية، وهو خطأ منهم، وقائلوه ليسوا من أهل العربية، وبقي النزاع في الأنحاء الثالث والرابع والخامس.

قال ابن جني في الخصائص: اعلم أن من قوة القياس عندهم اعتقاد النحويين أن ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب، نحو قولك - في قوله: كيف تبني من ضرب وزن جعفر - : ضرْبب، فهذا من كلام العرب، ولو بنيت منه ضيْرب أو ضرْوَب أو ضوْرب لم يعتقد من كلام العرب، لأنه قياس على الأقل استعمالا والأضعف قياساً.

وفي لسان العرب في مادة كبر عن الفراء: «قرأ حميد الأعرج: «والذي تولى كبره» أي بضم الكاف وسكون الباء، وهو وجه جيد في النحو لأن العرب تقول: فلان تولى عظم الأمر أي بضم العين وسكون الظاء يريدون أكثره، قال أبو منصور: قاس الفراء الكُبر على العُظم، وكلام العرب على غيره».

فبشار قد نشأ في موطن العرب بالبادية، وأدرك العرب الباقين من بني عامر بن صعصعة وتلقى اللغة بسمعه، ولم يخلط في معاشرته بين العرب والمولَّدين، فهو لنشأته في ذلك العصر لا يتهم بأنه يخترع لغة أو يقيس فيها على غير أصل، إذ ليس به ملجىء إلى ذلك، وله في سعة العربية مندوحة عن الدخول في مضايق الاختراع والقياس. فما نجده في شعره من صيغ لمواد عربية مما لا شاهد لثبوت تلك الصيغة في كتب اللغة

فليس ذلك بسبيل أن يعد عليه لحناً ، ولكنه لا يظن به إلا أن يكون قد سمع ذلك من العُرب فاستعمله ، أو علم من عادتهم اشتقاق مثله وجواز قياسه .

فإذا كان رواة اللغة وعلماؤها قد أبوا أن يتلقّوا من كلامه ما يجعلونه شاهدا للعربية ، لأَجل دخوله الحواضر . ومعلوم ما كان في نفوسهم من الظِّنَّة بمن تطرقوا الحواضر بسكناهم ، حياطة للعربية أن يُثبتوا فيها ما يطرقه الاحتمال فهو أيضاً بعربيته لا يعبأ بإباء رواة العربية مما أبوْه عليه ، وهذا مثار الخلاف بينه وبين سيبويه والأَخفش في عدة مسائل .

وقد جزم علماء العربية بأن ناسا من المولَّدين قد بلغ حظهم في العربية مبلغ أن يكون كلامهم حجة فيها ، مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعي ؛ لأَنه نشأ في هذيل ، حتى أن الأَصمعي روى عنه عربية كثيرة ، ومثل أبي الطيب المتنبي وأبي القاسم الزمخشري ، فليس بشار بالقاصر عن هذه المرتبة التي وضع هؤلاء فيها ، إذ هو معاصر العجاج وذا الرمة ورؤبة بن العجاج . على أن بشارا كان يدل بعلمه في العربية فيعمد إلى تغيير في بعض الكلمات إذا رأى لذلك داعيا .

قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني (ص 56 جزء 2) : ذكر بشار في قصيدة له دالية بناها على فتح حرف الرّدف (1) فوقع له فيها لفظ « صِندد » و « رِمدد » ففتح داليهما إذ حكى محمد بن حبيب أنه رواهما بفتح الدالين ، والفتح خطأ ، إذ ليس في العربية فِعلل إلا درهم وهجرع (الطويل الأَحمق) وهبلع (الكثير البلع) وقلعم (الكثير القلع للأَشياء) قال أبو هلال : وكابر في فتح الدالين كما كابر في فتح الراء من « درم » في القصيدة التي أولها :

---

1) أراد بالردف الحرف الذي قبل حرف الروي على اصطلاح المتقدمين ، وإن كان أهل العروض لايسمون بالردف إلا الواو والياء اللينتين اذا وقعتا قبل حرف الروي .

أفيضا دمـاً إن الرزايا لها قيم (1)

ومن إدلاله بعلمه أيضاً ارتكابه ما لا يجوز في اللغة عند الضرورة علماً بأنه لا يُتهم بالجهل ، فسلك مسالك شعراء العرب في إقدامهم على ما بسبب الاقدام عليه اتسعت الوجوه في اللغة، فقد قال بشار (في الورقة 197) :

زُرِي رَوحاً فلن تجدي كروح   إذا أزِمَتْ بكِ السَّنة الجمادُ

فقوله « زُرِي » صوابه «زُورِي » بإثبات الواو التي هي عين الكلمة ، إذ لا موجب لحذفها، فإنها حذفت في أمر المذكر لالتقاء الساكنين، إذ الأمر مجزوم، وأما في أمـر المؤنثة فـلا موجب لحذفها، لأن ما بعدها متحرك بحركة مناسبة الياء .

فشعر بشار يستخلص منه مَذهبه في طريقة اشتاق اللغة للمتكلم بها، فهو يرى جوازَ اشتقاق الألفاظ بصيغة من صيغ الاشتقاق التي اشتقّ بها العرب من كل مادة عربية أصلية على حسب القواعد والضوابط المستقراة من كلام العرب دون توقف على سماع تلك الصيغة بعينها من تلك المادّة .

واستعمل جَنَابَاوَيْه في ميمنة الجيش ومَيْسَرته ، وانما يسمّيان مُجَنّبتي الجيش ، فلمـا قال أهل اللغة : انما سُمِّيَتَا مُجَنَّبَتَين لأنهما تأخذان جانبي الطريق، سمّاهما باسم المكان ، هذا إذا لم يكن قد ثبت سماع هذا الإطلاق من أهل اللسان ، وقد أهمله مدونو اللغة .

واستعمل وصف مُقْودّ في قوله :

كأنّـه من غُلـواء الجُـرْد   في العسكر المسلنطـح المقْـوَدّ

ولم ينقل عن العرب مُقْوَدّ ولا اقودّ، ولكنه جاء على وزن مُعْوجّ

---

1) ستأتي في الملحقات .

ومزورّ ومحمرّ من اعوجّ وازورّ واحمرّ، فقدر بشار فعل اقوذ، وصاغ منه مُقْوَدّ (انظر البيت في الورقة 157).

ونظيره قوله أيضاً في هذه القصيدة :

تَرْقَدُّ في رَيْعَانها المرْقَدُّ

(انظر البيت 21 الورقة 155)

وأما قول بشار (في الورقة 209) :

دَعْ عنكَ حَمَّادًا وخُلْقَانَهُ   لا خير في خُلْقَانِ حَمَّادِ

فاستعمل خُلقان بمعنى الخلق، والمعروف أنه جمع خَلق، وهو الثوب الرَّثُّ، ولا يصح أن يكون هذا قياساً على جمع خلَق، إذ ليسا من باب واحد، ولا أن يكون مَصدرا كالكفران والغُفران والشُّكران ، فتعين أن يكون قد سمع هذا اللفظ من العرب أو رأى جواز اشتقاقه .

وكذلك قوله (في الورقة 101) :

وأفْلتَ يمرِي ذَاتَ عقب كأنها   حِذارية من رأس نيق تَدلَّت

استعمل حِذارية للصخرة من الجبل ، والمعروف في اللغة حِذرية ، فلعله حفظ عن العرب حذارية بالإشباع ، أو لعله أراد النسب الى الجمع، أي واحدة من هذا الجمع ، فيكون بتشديد الياء .

ومن ذلك إشباع الحركات في نحو قول بشار (في الورقة 197) :

أغرّ على المنابرِ أرْيحيّ   كأنَّ جبينه القمرُ الفَرَادُ

ولم يسمع فراد ، وانما سمع فَرَد بفتحتين .

واستعمل الثيب بكسر الثاء في جمع الثُّيَّب، وهو غير مسموع، إذ لم يقولوا: امرأة ثَيباء ولا رجل أثيب ، كما قالوا : رجل أشيب وليلة شيباء، فجمعه بوزن فُعْل الذي يصير الى فِعْل بكسر الفاء لأجل استثقال

الضمة قبل الياء الساكنة، وكأنه قد جوز أن يقال : امرأة ثيباء ، وذلك في قوله (في الورقة 30) :

فلا بد أن تغشاك حين غشيتها   هواجد أبكارٌ عليكَ وثيبُ

وأما في اشتاق الأفعال فتوسعه كثير، ولا عجب في ذلك لأنه أخف من القياس على الأسماء، إلا أن بشارا يعمد الى ضرب من اشتقاق الأفعال، وهو عدم اكتراثه بالتعدية واللزوم ، فربما استعمل القاصر متعدّياً كقوله :

وَحَاسِدٍ قُبَّةٍ بُنيت لـروْح   أطال عمادها سَلَفٌ وآدُوا

فاستعمل آدَ بمعنى قوّى متعدّياً من الأيد، ، والمعروف في كلام العرب أنه قاصر ، يقال : آد فلان ، اذا اشتدّ وقوي .

وأما توسعه في مخالفة قواعد الإعراب فله شذوذات، غير مسموع نظيرها ، ولعلها من النادر الذي أهمله أيمّة العربية لشدة ندوره ، كقوله :

كِلا الميت وإيّانا   كما لاقى ولاقيت

فأضاف كِلا الى اسم ظاهر ، وهو وارد في الضرورة بالعطف، كقول الشاعر :

كِلا أخي وخليلي واجدِي عَضُدًا   في النّائبَاتِ وإلْمَام الملمّات

وأغرب من ذلك أنه لم يأت بالاسم الثاني معطوفاً على المضاف اليه، بل جاء به مفعولاً معه، وهذا لاَ نظير له ، وان كان صحيحاً من جهة المعنى، لأن فيه قضاء حقّ معنى كلاَ فهو مساوٍ للعطف .

توسّع في العروض وفي الضرورة

على أن بشارًا لم يقتصر شعره على التوسع في اللغة والاشتقاق فحسب، بل كان يتوسع في العروض أيضاً ، فلم يقتصر على قوانين الخليل ابن

أحمد عصريّ بشار ، فهو في ذلك مثل أبي العتاهية عصريّه ، فإن أبا العتاهية نظم قصيدة قال فيها :

عُتْبَ ما للخيال خَبِّريني ومـالي
عُتْبَ مالي أراه طـارقاً من ليـالي

فقيل له : خالفت العروض ، فقال : سبقت العـروض .

فقصيدة بشار التي أولها :

تحمـل الظاعنـون فادّلجـوا والقلـب مني الغـداة مختلـج

من بحر المنسرح ، والمعروف في المنسرح أن تكون عَرُوضه صحيحة وضَرْبُه مَطْوِيًّـا :

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفتعلن

وبشار استعملها بعروض مَطويّة وضرب مَطوي ، فعروضهـا مفتعلن وضربها مفتعلن في جميع أبياتها، ولو اقتصر على ذلك في البيت الأول لاغتفر ، لأن القصيدة اذا وقع فيها التصريع ، وهو مجيء مصراعها الأول مقفى كالمصراع الثاني يكون المصراع الأول على وزان الثـاني عروضًا وضربًا ، ولكنه عَمَّ ذلك في جميع القصيدة ، وقـد تكرر ذلك منه في قصائده التي من بحر المنسرح كقوله :

لا فجع إلاّ كما فُجِعْتُ به من فَـارسٍ كان دُونَنا حَدِبـا

وكذلك قصيدته التي أولها .

يَـا مالكَ النّاسِ في مسِيـرِهُم وفي المقـام المطيـر من رَهَبِـهْ

فهي من بحر المجْتَثّ، وقد استعمله تامًّا كما رسمه الخليل في الدائرة الرابعة : مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين، غير أنه لم يسمع عن العرب تامًّا، وإنما سمع مَجْزُوًّا : مستفعلن فاعلاتن مرتين ، وشذ استعماله عند المولّدين

تاماً ، من ذلك قول بعضهم :

يا ذا الذي في الحب يلحى مُسْتَهاما   لا تلحني إن مثلي لن يُسلاما

والتزم بشار في قصيدته هذه زحافين ليخفف ثقل الميزان ، وهما زحاف الكف في فاعلاتن الأول فصيّره فاعلاتُ ، والقبض في فاعلاتن الثاني فصيره فاعلتن ، ولقد أجمل فيما صنع .

وقد ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني (ص 56 جزء 2) أن بشارا فتح الدال الاولى من لفظ صِنْدَد ورِمْدَد وهما مكسوران ، إذ ليس في العربية فعلَل بفتح اللام الا درهم وهِجْرَع (وهو الطويل الأحمق) وهبلع (وهو الكثير البلع) وقلعم (وهو الكثير القلع للأشياء) قال : وكان بنى قصيدته على فتح الرِّدف ولم يلزمه ذلك وكابر على فتح صِنْدِد ورِمدِد وهما مكسوران ، فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح ، وكابر أيضاً على فتح الراء من درم في قصيدته التي أولها :

أفيضا دَماً إنّ الرّزايا لها قِيم

وإنما هو دَرِم . اه.

مكانة شعر بشّار من حفظ فصيح اللغة ومستعملها

إنّ لدواوين الشعر والنثر الصحيح مكانةً عظيمةً في تمييز مستعمل الكلام من مهجوره ، وجَدْوى على الذين يتطلبون أن ينطقوا بكلام فصيح، وأن يتعلموا من اللغة ما الاحتياج اليه أشدُّ ومعرفته أنفع وأوفر، فإن كتب اللّغة المعبّر عنها بالقواميس أثبتت جميع ما سُمع عن العرب دُون تمييز بين ما هو مشهور فيهم وبين ما هو نادر الاستعمال ، ومتطلب معرفة اللغة قد يضيع عليه زمان طويل من أنفس العمر في حفظ اللغة ، فإذا جاءه الاحتياج الى استعمال ما وعته حافظته وجد نفسه قد حملت كثيرا من

اللغة هي في غُنْية عن استعماله من نادر ومرادف ومجاز يحسبه حقيقة . فكانت نفوس المتطلبين للغة مستشرفة لو تجد ما يُبقي عليها زمانها وينفِّس عنها من جَهْدها وجُهدها ويُدني اليها جنى اللغة ناضجاً بيِّناً على الوصف الذي نوَّه به أبو عُبادة البحتري في قوله :

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكَلام اختيارًا وتَجَنَّبْنَ كُلْفَةَ التعقيدِ

من أجل ذلك حاول بعض أيمة اللغة تمييز المستعمل من غيره ، فألف أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب كتاب الفصيح ، الا أنه كان كتاباً صغيرا مختصرا ، وألف أبو القاسم الزمخشري كتابَ الأساس. عُني فيه بتمييز الحقيقة من المجاز .

وجاء علماء المعاني وأهل صناعة الإنشاء ونقد الشعر يحدّدون ضوابط لفصيح الكلام ومتنافره ، وهي وان كانت مجدية معرفة المتنافر الكريه في السمع فلا غناء فيها من تمييز المستعمل المقبول .

ولكن الذين وفّوْا بهذا العزم في سكوت أغفل الشادين في اللغة عن إدراك مغزاهم همُ الأيمّة الذين عُنوا بجمع ما تكلمت به فصحاء العرب ، كما فعل أبو تمام في ديوان الحماسة ، والجاحظ في كتاب البنيان والتبيين ، وجميع الذين جمعوا دواوين العرب ومختاراتهم . وثم فائدة أخرى لهذه المجموعات ، وهي أنها توعي حوافظ مزاوليها بالألفاظ التي استدعتها المعاني الجائشة بالنفوس ، فتنبئك بما يحق لك أن تأخذه من الألفاظ لتعبر به عما يخطر لك من المعاني ، لأن خواطر أهل اللسان متتابعة متشابهة .

وأولى الدواوين بالوفاء بهذا المقصد المهم دواوين الشعراء الذين مزجوا بين كثرة المعاني وفصاحة التعبير عنها ، والذين كان عصرهم عصر وفرة المعاني والتنافس في الفصاحة ، وأفضل العصور في ذلك هو القرن الأول

من عهد الإسلام ، فإن حسن أذواق شعرائه قد نفى عن الكلام الألفاظ الغليظة ، وحملهم على تتبع المستعمل الفصيح ، فهو يفضل عصر العرب بأنه مقتدر بأسلوب القرآن ، وله ذوق السهولة في أداء المعاني باختيار الألفاظ الصريحة للدلالة الفصيحة النطق، مع السلامة مما تطرق الى الطبقة التي بعدهم من الاختلاط الذي نشأ عنه ضُعف النظم ثم اللحنُ والخطأ فيه .

وشعراء هذا العصر صنفان : صنف من أهل البادية ، له مزية حفظ اللغة كيفما اتفق له ، بحيث يُعدّ شعرهم أجْدى على حفظ اللسان منه على حسن الاستعمال ، فوزانه وِزانُ القواميس، وهؤلاء مثل العَجّاج وابنه رُؤْبَة ومثل ذي الرُّمة وأبي النجم والرّاعي. وصنف من أهل الحضر ، مُزجت سعةُ علمهم في العربية بجودة ذوقهم في الاختيار والاستعمال ، وهؤلاء مثل عمر بن أبي ربيعة وجميل بن مَعْمر وكُثيِّر وبشار . وقد بذل أبو تمام جهده في اللحاق بهم ، فاختار واجتهد أن يأتي في شعره بمثل ذلك ، فأصاب الاختيار وأخطأ الابتكار ، حتى قيل : إن أبا تمام في اختياره أجْودُ منه في شعره .

وأفضل هذه الطبقة بشارُ بن برد ، إذ كان قد نشأ في بادية الفصاحة من مواطن عقيل ، ثم في مصر تهذيب الفصاحة وهو البصرة ، ثم في عصر شبوب الحضارة وبلوغ الذوق العربي نهاية مرتقاه قبل التدليّ إلى ما تدلّى إليه الذوق العربي بعد ذلك بسبب الاختلاط .

ومن أجل هذا عُدّ بشار آخر المتقدمين وأول المحدثين، ذلك الوصف الذي حلاّه به أيمة الأدب. وتفسيره : أن بشارا قد جمع في شعره أفضل معاني الشعر العربي القديم ومعاني القرآن وكلام الفصحاء والذين جاءوا عقب ظهور الاسلام، وأجود ألفاظ العربية الفصيحة ، وتطرق الى وصف الحضارة الجديدة في أجلى مظاهرها ؛ فلم يفته المتقدمون ولم يَفضله المتأخرون،

على أنك تجد في شعره صورا من حالة العرب في الجاهلية ومن حالة الحضارة الاسلامية الاولى ومن حضارة الأُمويين العربية الاسلامية المتهذبة ومن حضارة الدولة العباسية العربية الاسلامية الفارسية . وفي العلم ما يحتويه شعره على ذلك من الألفاظ الصالحة للدلالة على المعاني التي تخطر في نفوس أصحاب هذه الحضارات الكبيرة وما كان لأهلها من الأفكار والخواطر الكثيرة . وفي سعة علم بشار بالعربية ومستعملها عونٌ لمطالع شعره على التملّي عن فصيح اللغة. وقد استشهد الجوهري في الصحاح والزمخشري في الأساس لاستعمال البزلاء بمعنى الخطة العظيمة لقول القائل:

إني اذا شغلت قوماً فروجهمُ رحب المسالك نهاض ببزلاء

وهو من شعر بشار.

قال ابن منظور في كتابه لسان العرب: بريءَ المريض (بفتح الباء وكسر الراء) وبَرَأَ (بفتح الراء) يَبْرَأُ ويَبْرُؤُ (بفتح الراء وضمها) . قال في التاج وأهل الحجاز وأهل العالية يقولون: بَرَأْتُ (بفتح الراء في الماضي، أي : وبضمها في المضارع) وبقية العرب يقولون : برئت (بكسر الراء في الماضي وفتحها في المضارع) قال ابن برّيّ : ولم يذكر الجوهري بَرَأْت أبْرُؤ (بفتح الماضي وضم المضارع) وقد ذكره سيبويه والمازني وغيرهما من البصريين ، قال : وإنما ذكرتُ هذا لأن بعضَهم لحّن بشار بن بُرد في قوله :

نَفَرَ الحيُّ مِن مكاني فَقَالوا فُزْ بصَبْرٍ لَعَلَّ عَيْنَكَ تَبْرُؤ

فأنت ترى كيف اقتصر بشار على الفصيح، وكيف تناساه الناسُ حتى أهمله الجوهري ، وَحَتّى اجترأ من اجترأ على تلحين بشار في حين استعمال الأفصح ، وسيجيء ذكر هذا البيت في جزء الملحقات .

مكان شعر بشار من حفظ التاريخ

لقد عرفت شعرا كثيرا لشعراء العرب في الجاهلية والاسلام ، وعُنيت بتتبع ما في خِلاله من أحوال العرب وتاريخهم ، فما رأيت شاعرا أوفى ذكرا لها وإشارة اليها مثل بشار ، ذلك أن شعراء الجاهلية ما كانوا يحتفون بذكر أحوال حياتهم ومعتقداتهم عدا أحوال الغرام والضيافة والحرب، لأن تمثل تلك الأحوال نُصْبَ أعينهم يجعلهم يستسمجون الحديث عنها لرواة أشعارهم ، إذ يرونه من الإخبار بالمعلوم ، وقد قفى على أثرهم في ذلك شعراء العصر الأول الاسلامي ، أمثال ذي الرمة والعجاج والفرزدق وجرير، لقربهم من بَداوة الجاهلية أو لاشتغالهم بأبواب الهجاء من الشعر .

وقد كانت نشأة بشار عقب ذلك في عصر طوي فيه بساط الحياة الجاهلية، وشبّ في النفوس الولع بأخبار العرب وحال حياتهم ، ليكون ذلك عوناً لهم على فهم أدبهم ، وكان بشار نشأ على معرفة أحوال العرب، وأدرك بقية من حياتهم في مواليه بني عُقيل حول البصرة وملأ وطابه من محض أدبهم كما قدمناه ، وقد خوّله تغلغله بينهم معرفة خفيّ أحوالهم ومشهورها وتلقن أخبارهم المحفوظة على ألسن بقيتهم، فكان في ذلك مثل ابن القِرِّيّة وفوق الأصمعي، فبعثه ولعه بهم على التمثل بها والحديث عنها والتشبيه بها في شعره . إذ كان هو شاعرا، ولم يكن ابن القِرِّية ولا الأصمعي بشاعرين .

ومن بعد بشار أخذ ذلك الوَلعُ يتضاءل ، والبعد عن مخالطة العرب يتسع في شعراء الحضر. فلم يتح لأحد من معاصري بشار بله من جاء بعده مثل ما أتيح لبشار .

ثم إن مطالع شعر بشار يجده مماساً للحوادث التاريخية من أواخر الدولة الأموية الى أواخر عصر المهدي بالله العباسي . ولقد وسم بعض المؤرخين

حوادث من تاريخ العصر العباسي بأبيات من شعر بشار، مثلما يقولون في سبب تنكر المهدي على وزيره يعقوب بن داود بأن أوله قولُ بشار فيه :

بَنِي أميَّةَ هُبّوا طَـالَ نَوْمُكُمُـــو إن الخليفـــةَ يَعْقُــوبُ بن دَاودِ
ضَاعَتْ خلافتكُمْ يَا قَوْمُ فالتَمِسُــوا خَلِيفَةَ الله بين الزِّقّ والعُـــــود

واذا ذكروا عُمَر بن العلاء قائد المنصور عَرّفوه بأنه الذي قال فيه بشار :

إذَا أيقظتكَ حُــرُوبُ العِـــدَى فَنَبِّهْ لهَـا عُمَـرًا ثُــمَّ نَــمْ

ودُون ما ذكروه قد اشتمل شعره على وصف حوادث مهمة ، وربما وجد فيه من الإشارة الى حوادث أو بقاع أو رجال ما أهمل التاريخ بعضه . وكان شعر بشار فريدا بحوز الخصلتين في تقييد كثير من تاريخهم .

شهادة الأيمّة لبشّار بجزالة الشعر وسلامة الذّوق

ذكر أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أبي العتاهية أن بشارا قال لأبي العتاهية : أنا والله أستحسن اعتذارك من دَمْعكَ حيث تقول :

كَمْ من صَدِيق لي أســـــا رِقُــهُ البُكاءَ من الحَيَـــاء
فــإذا تَأمّــلَ لامنـــــــي فأقــول ما بي من بكـــاء
لكِنْ ذهبتُ لأرْتَـــــدِي فَطَـرَفْتُ عَيني بـــالـــرِّدَاء

فقال أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعاذ، ما لُذْتُ الا بمعنـاك ، ولا اجْتنيت الا من غَرْسِكَ، إذْ تقــول :

شَكَوْتُ الى العَوَاذلِ مَا أُلاقــي وقُلْتُ لَهُنَّ: مَا يَوْمي بَعيـــدُ
فَقُلْنَ بكَيتَ، قُلْتُ لَهُنَّ: كـــلا وهَلْ يَبْكِي من الطَّرب الجَلِيـدُ
ولكِنِّي أصَابَ سَـوَادَ عَيْنـي عُوَيْدُ قَذًى لَهُ طَرَفٌ حَدِيــــدُ
فَقُلْنَ : فَمَا لدمْعِهِمَــا سَـوَاءً أكِلْتَــا مُقْلَتَيْـكَ أصَابَ عُـودُ

وذَكَر أبو الفرج الأصبهاني والشيخ عبد القاهر في فصل من فصول نظم الكلام من كتابه دلائل الإعجاز: قال الأصمعي: كنت أسير مع أبي عمرو ابن العلاء (أو خلف بن أبي عمرو بن العلاء) وخلف الأحمر، وكانا يأتيان بشارًا فيسلمـان عليه بغاية الإعظام ثم يقولان: يا أبا مُعاذ، ما أحْدثتَ؟ فيخبرهما وينشدهما، ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له، حتّى يأتي وقت الزّوال، ثم ينصرفان، فأتياه يوماً فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سَلْم بن قتيبة؟ قال: هي التي بَلَغَتْكُم، قالوا: بَلَغَنَا أنك أكثرتَ فيها من الغَريب، قال: نَعَم، بلغني أن سَلْم بن قتيبة يتباصر بالغَرِيب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف، قالا: فأنْشِدْنَاهَا يَا أبَا مُعَاذ، فأنشدهُمَا:

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيـرِ ... إنَّ ذاكَ النَّجَـاحَ في التَّبْكِيرِ

حتى فرغ منها، فقال له خَلَف: لو قلت يا أبا مُعاذ مكان «إنّ ذاك النجاح في التبكير» «بكّرا فالنجاح في التبكير» كأن أحسن، قال بشار: إنما بنيتُها أعرابيّةً وحْشيةً، فقلتُ «إن ذاك النجاح في التبكير» كما تقول الأعراب البَدَوِيُّون ولو قلتُ «بكّرا فالنجاح في التبكير» كان هذا من كلام المولّدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة، قال: فقـام خَلَف فقبّل بينَ عينيه. قال عبد القاهر: فهل كان هذا القول من خلف والنقد على بشار إلا للطف المعنى وخفـائه. ثم شرح الشيخُ ما أومأ إليه بشار وعَلَّله بطريقة علمية فقال: وأعلم أن من شأن «إنّ» إذا جاءت على هذا الوجه أن تُغْنِيَ غَنَاء الفَاء العاطفة، وأن تُفيدَ من ربط الجملة بما قبلهـا أمرًا عجيباً، فأنت تَرى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنَف مقطُوعـاً مَوْصولاً مَعاً، أفلا ترى أنّك لو أسقطتَ «إنّ» من قوله «إنّ ذَاك النجاح في التبكير» لم ترَ الكلام يلتئمُ حتى تجيءَ بالفاء فتقول: «فَذَاكَ النجاح في التبكير» ونظيره قول بعض العرب:

فغَنِّـهَا وهي لك الفِـدَاء ... إنَّ غنـاء الإبِـل الحُـدَاءُ

وفي أمالي الشريف المرتضى عن علي بن هارون قال : مافي الدنيا شيءٌ لقديم ولا محدث من منثـور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسانه مثل أبيات بشـــــار :

وراثحة للعين فيها مُخيــــــلة إذا برقتْ لم تسق بطن صعيد

فذكر أبياتا عشرة هي من القصيدة التي في ورقة139 .

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن علي بن يحيى بن أبي منصور أحد أصحاب إسحاق الموصلي قال : ماعُرف بشار بسرقة شعـر جاهلي ولا إسلاميٍ .

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين: المطبوعون على الشعر من المولّدين بشار العقيلي والسَّيِّد الحمْيري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة، وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل، وسلما الخاسر، وخالف بن خليفة . قال الجاحظ : وأبانُ بن عبدالحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء، وبشار أطبعهم كلهم .

وفي المجموعة الأدبية العتيقة التي ذكرناها فيما تقدم قال المازني : سألت الأصمعي عن بشار ، فقال : غوّاص نظار، يصف الشيء لم يره وكأنه رآه ، ويجمع في البيت الواحد ما فرّقته الشُعراء في عدة . فقلت له : مثل أيش؟ فقال : مثل قوله :

كأنهـــا روضـــة مُنـــوَّرةٌ تجمع طيبا ومنظرا حسنــا

وقولــــه :

أنا والله أشتهــي سحـــر عينيـــك وأخشــى مصارع العُشّــاق

وقال أبو العيناء عن الأصمعي ، دخلت على الرشيد فقال : أنشـدني أفخـر بيت قالته العــرب، فقلت : بيت جــريـــــر :

إذا غضبتْ عليْك بنو تميم   وجَدْت الناس كلهم غضابا

فقال الرشيد: بشارٌ أفخر منه حيث يقول:

إذا ماغضبْنا غضْبةً مُضريَّةً   هَتكْنا حِجَاب الشَّمْس أو نُقْطِر الدَّمَا

ثم قال: أنشدني أمدح بيت قالته العرب، فأنشدتُه قول جرير:

ألسْتُم خير من ركب المطايا   وأنْدى العالمين بُطُون راح

فقال: بشار أمدح حيث يقول:

ليس يُعْطيك للرَّجَاء ولاالخوْ   ف ولكن يلذُّ طعم العطاء

يَسْقُطُ الطَّيرُ حَيثُ يَنتشرُ الحَبُّ   وَتُغْشى منازل الكُرَمَاء

ثم قال: أنشدني أهجى بيت قالتْه العرب، فأنشدتُه:

قوْمٌ إذا اسْتَنْبَح الأضْياف كلْبَهُمُ   قالوا لأُمِّهمُ بولي على النَّار

فقال: بشارٌ أهْجَى منه حيث يقول:

إذا أنكرْت نسْبَة باهلِيّ   فكشِّفْ عنه حاشِيَة الإزارِ

على أسْتاهِ سَادَتِهِمْ كِتَابٌ   مَوالي عامرٍ وَسْمًا بِنَار

وفي أمالي المرتضى قيل لأبي حاتم: مَن أشعرُ الناس؟ قال: الذي يقول (يعني بشارا):

ولها مَبْسم كثغْرِ الأقاحِي   وحديث كالوشْيِ وشْي البُرُودِ

نزلَتْ في السَّواد من حبّة القلْب   ونالت زيادة المُسْتزِيد

عِنْدَهَا الصَّبْر عَنْ لقائي وَعِندِي   زَفَرَاتٌ يأكُلْن صَبرَ الجَليد

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين: لم يكن في المولدين أصْوَبُ بديعا من بشار وابن هرْمَةَ والعتَّابي، وكان العتَّابي(1) يحتذي حذو بشار

1) العتابي اسمه كلثوم بن عمرو، وهو من ذرية عمرو بن كلثوم شاعر المعلقة.

في البديع، قال: والمطبوعون على الشعر من المولدين بشّار والسَّيِّد الحِمْيَري وأبو العتاهية وابن أبي عُيينة وسَلم الخاسر ويحيى بن نوفل وخلف ابن خليفة وأبان بن عبد الحميد، وبشار أطبعهم كلهم. فهو من أصحاب الإبداع والاختراع المتقنين للشعر القائلين أكثر أجناسه وضروبه.

وسئل الأصمعي عن بشار ومَروان بن أبي حفصة أيهما أشعر؟ فقال: بشار، فقيل: لِمَ؟ قال: لأن مروان سلك طريقاً كثُر من يَسْلكه. فلم يلحق بمن تقدمه، وشركه فيه من كان في عصره، وبشار سلك طريقاً لم يُسْلكْ وأحْسَنَ فيه وتفرّد به وهو أكثر تصرّفا وفُنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً، قال وقد: وجدتُ أهل بغداد قد ختموا الشعراء بمروان وبشارٌ أحق بذلك من مروان، وما كان مروان في حياة بشار يقول شعرًا حتى يصلحه بشار ويقوِّمه، فبشار مطبوع لا يكلف طبيعته شيئاً متعذّرا لا كمن يقول البيت ويحككه أيامًا. وكان الأصمعي يشبه بشارا بالأعشى والنّابغة ويشبه مروان بزهير والحطَيْئة، ويقول: هو متكلِّف. وكان أبو عبيدة يفضل بشارا على مروان أيضاً.

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان قبيل القول في النيران: وما ينبغي لبشار أن يناظر حمادا من جهة الشعر ومايتعلق بالشّعر لأن حمّادًا في الحضيض، وبشارًا مع العيّوقِ، وليس في الأرض مولد قروي يُعدُّ شعـره في المحدَث الا وبشار أشعـر منه. ثم قال: ومع هذا فإنا لا نعرف بعد بشارٍ أشعر منه.

ولم يشذ عن الأيمّةِ الشاهدين بسُموّ مرتبة بشار سوى إسحاق الموصلي، فكان يغضّ من بشار، ويقول: هو كثير التخليط في شعره، أي أشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً. وكان يقدِّم عليه مروان بن أبي حفصة، ويقول: هو أشد استواء شعر منه، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب

ومذاهبها، أليس بشار القائل:

إنمـــا عظـم سُلَيمَـــى خُلّتي قَصَبُ السُّكر لا عظْـــمُ الجمـل
وإذا أدنيـتَ منهـا بَصَـــــلاً غَلَبَ المسكُ على ريـح البَصَـــلْ

فلو قال: كل شيء جيد ثم أضيف الى هذا لزيّفـــه. اه. وسيأتي الجواب عن هذا ونحوه.

وفي رسالة الغفران للمعري أن أصحاب بشار يروُون بيتاً لبشار وهو:

وما كل ذي لبّ بمؤتيك نُصحَـهُ ولا كل مؤت نُصحَه بلبيـــب

وقد استشهد سيبويه في كتابه بالنصف الثاني من هذا البيت في باب الإدغـام. وقد قيل: إن البيت لأبي الأسود الدُّؤلي. اهـ. قالوا: وكان سيبويه إذا سئل عن شيء فوجد له شاهدا من كلام بشار احتج به، فزعموا أن ذلك استكفاف لشر بشار، وأنا أحسب سيبويه أرفع من أن يفعل ذلك لمصانعة بشار، إذ قد كان بشار راضياً بأن يَسْلم من نقد سيبويه ومن انتصاره، وقد احتج علماء النحو وعلماء المعاني على جواز تجريد الجملة الحالية عن الواو إذا كانت جملة اسمية وكان في صدرها ضمير ولم يكن ضمير صاحب الحال، يقول بشار:

خَرجتُ مع البازي عَلَيَّ سَوَادُ

قاله الرضي في شرح الكافية وصاحب المفتاح.

اهتمام أهل الصناعة بشعر بشّار

احتوت دواوين المختارات وكتب المحاضرات على اختيار كثير من من شعره كان هو الوحيد في أغراضه.

وقد اختار أبو تمام في ديوان الحماسة من شعر بشار في مواضع

ومن العجب أنه لا يصرح باسمه، فهو يُعَنْوِنُ ما يأتي به من شعر بقوله : « وقال آخر » كقوله في باب الادب : « وقال آخر :

إن يحسُدوني فـإنّي غيـرَ لائمهم   قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدُوا

. . . الأبيات الثلاثة .

وقال في باب الأدب أيضاً : وقال آخر :

وأعـرِضُ عن مَطَاعِمَ قدْ أراها   وأتركُهـا وفي بطني انطِـوَاء

. . . الأبيات الثلاثة .

وقال في باب الأدب أيضاً: وقال آخر :

تَثَاقَلْـتُ الاّ عَنْ يـدٍ أسْتَفيـدُهـا   وخُـلـةِ ذي وُدٍّ أشـدُّ بـه أزْرِي

وهو بيت مفرد من جملة القصيدة المثبتة في الديوان التي أولها :

تجاللت عن فهر وعن جـارتَيْ فِهر

إلا أنه برواية مخالفة كما سنذكره.

وقال في باب الأضيـاف والمديح : وقال آخر :

لَمَسْتُ بكَفّي كَفّـه أبتَغِـي الغِنَى   ولم أدر أنّ الجودَ مِن كفّـه يُعْدِي

. . . البيتين .

ولم أعرف وجه التزامه هذا العنوان ، ولعله كان قدعلِقَ بحفظه من شعر بشار ما اختار إثباته ، ولم يتحقق نسبته الى بشار ، إذ كان ديـوانه غير مجموع ، أو لم يتصل بروايته . ألا تراه يُعَنْوِن بقوله : « وقال آخر » في مواضع كثيرة لغير شعر بشار .

وفي زهر الآداب (ص 21 جزء 2) أن أبا تمام روى لبشار قوله :

أنا والله أشتهي سِحر عينيكِ وأخشى مصارع العشاق

وقال : ما رأيت شعرا أغزل من هذا .

وصنف الأديب هارون بن علي بن يحيى المنجم البغدادي المتوفى سنة 288 كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين، وجمع فيه مائة وواحدا وستين شاعرا، وافتتحه بذكر بشار بن برد، واختار فيه من شعر كل واحد عيوبه، قال ابن خلكان : « وهو من الكتب النفيسة، يغني عن دواوين الذين ذكرهم ، فإنه اختصر أشعارهم وأثبتَ زُبْدَتَها وترك زَبَدَها ، وإن كتاب الخريدة للعماد الكاتب وكتاب الحظيري والباخَرْزي والثعالبي فروع عنه، وهو الأصل الذي نسجوا على منواله ».

وعني أبو الفرج الأصبهاني بشعر بشار وأخباره، فخصه بترجمة ذكر فيها معظم ما يرويه أهل الأدب والفكاهة عن بشار ، ثم خصّه بترجمة في أخباره مع عبدة خاصة ، وتعرض في ترجمة حمّاد عجرد لكثير من أخبار بشار .

ولم يزل أصحاب كتب المحاضرات والمختارات والأمالي يزينون كتبهم بمختارات بشار مثل الراغب الاصفهاني والحصري والشريف المرتضى وغيرهم. ثم جاء الأديبان الفاضلان الأخوان الخالديان فاختارا من شعره كثيرا. وسنذكر ذلك عند الكلام على ديوانه .

من نقد بشارا ومن أجاب عنه

في شرح المعري على ديوان المتنبي(1) قال خَلاَّدُ بن مَهرويه لبشار :

1) المسمى معجز أحمد. وذكر ذلك عند قول أبي الطيب: ما أنصف القوم ضبه .

إنك تجيء بالشيء الهَجين المتفاوت؛ بينما تقول شعرا يثيرُ النَّقع ويَخْلع القلوب. مثل قولك :

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَــةً مُضَــرِيَّةً   هتكْنَا حِجَابَ الشَّمسِ أو نُمْطِرَ الدَّمَا

إذ بك تقول :

رَبَــابَةُ رَبَّــةُ البَيْــتِ   تَصُب الخَلَّ في الــزَّيْــتِ
لَهَــا عَــشْرُ دَجَاجَاتَ   وديكٌ حَسَنُ الصَّــوتِ

فقال له بشار : لِكلٍّ وجه ومَوْضِع، فالقول الأَول جدٌ، وهذا قلته في جاريتي رَبَابَة ، وأنا لا آكل البيض من السوق ، ورَبَابَة تجمع لي البيض، فإذا أنشدتها هذا حَرَصت على جمع البيض، فهذا عندها أحسنُ من « قفَا نبكِ » ولو أنشدتها من النمط الأَول ما فهمته .

وقال الحصري في زهر الآداب: قيل لبشار : كم بين قولك :

قد زُرْتِنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِـدَةً   عُودِي ولا تجعليها بَيْضَةَ الدِّيـك

وبيــن قولك :

إنما عظمُ سُلَيْمَى خُلَّتِــي   قصبُ السُّكَّرِ لا عظمُ الجملْ
وإذا قرَّبْتَ منهــا بَصَـلاً   غلبَ المسْكُ على ريح البصلْ

فقال : إنما الشاعر المطبوع كالبحر مرة يقذف صدفة ومرة يقذف جيفة . اهـ. فكأنه اعترف بسخافة ذلك، وذلك لا يقدح في حصافة شعره إذ قد تعرض للشاعر مقامات يرتكب فيها السخيف لمناسبة المقام . وبعد كفي المرءَ نُبْلاً أن تُعدَّ مَعايِبُــهُ .

عَلَى أن لبشَّار في بعض شعره معاني سخيفة وضُعفاً في بعض أبياته وذلك لا يقدح في فحولته، مثل قوله :

هي الرُّوحُ من نفسي وللعيْنِ قُــرَّةٌ   فِدَاءٌ لها نفسي وعينــي وحـاجبـي

فقوله « وحاجبي » زيادة ركيكة ما أتى بها الا لتكلف القافية، وذلك من العيِّ.

وأما انتقاد بعض شعر بشار من جهة ما فيه من الفاحشة في الهجاء فذلك انتقاد راجع إلى الأخلاق لا إلى الصناعة: وقد كانوا في عصرهم ذلك يستبيحون مثله في الإقذاع بالهجاء، ولكن بشارا أفرط فيه وجاء بشيء ركيك.

وأما انتقادهم من جهة السرقة الشعرية، ففي البيان والتبيين للجاحظ أن قول بشار:

وصاحِبٍ كالدُّمّلِ المُمِدِّ   حَمَلْتُه في رقعةٍ مِنْ جِلْدِي

ذهب إلى قول الشاعر:

يَوَدُّونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ   ولا تَدْفَعُ الموتَ النفوسُ الشَّحَائحُ

وأنت خبير بأن بين المعنيين بَوْناً يُعدُّ ادعاءُ سرقة بشار منه ظلماً لبشار، فإن كان لمجرد ذكر لفظ الجلد فيجب أن يكون من قال لفظاً في شعره يعدّ على من يستعمل مثله سرقة.

وقال المرزوقي في شرح الحماسَة عند قول الأَحوَص الأَنصاري

إنِّي اذا خفي الرِّجالُ رأيتني   كالشمس لا أخفى بأي مكان

إن بشارا أخذه في قوله:

أنَا المُرَعَّثُ لا أخفى على أحَدٍ   ذَرَّتْ بِيَ الشَّمْسُ للقَاصي وللداني

ومثل هذا المعنى مما تتوجه اليه قرائح الشعراء كثيرا، فلا حَظَّ لواحد منهم دون آخر الا بمقدار حسن تصرفه في التعبير عنه، والأديب اللبيب لا يمتري في حسن تصرف بشار فيه لعدوله عن تشبيهه بالشمس الى جعل الشمس تطلع به، فسلك طريقة التجريد المتضمنة للتشبيه، وهي أدق، ولاسيما اذا كان التشبيه مطروقا.

والتحقيق أنه لا يخلو شاعر عن أن يلم في شعره ببعض معاني الشعراء وبعض تراكيبهم، ولا يعد ذلك سرقة، وقد صدر ذلك من العرب ومن بعدهم حتى قال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم

وذلك أن بعض التراكيب قد تصير مشتهرة في الاستعمال فيتناقلها الناس وتسير مَسِير الأمثال، وبعضها قد يصير معروفاً بين الشعراء، فيصير كلغة خاصة بهم، وبعضها قد يبتكره بعض الشعراء فيستجاد منه ويشتهر فيأخذه من يجيء بعده ولا يعد ذلك سرقة لشهرته، وقد وقع الافتتاح بجملة «بانتْ سعاد» لعِدّة من شعراء العرب، ذكرهم ابن هشام في شرح قصيدة كَعب.

وقد قال بشار :

من كل لَذّات الفتــــى　　قد نلت نــائلة وعُــرفـــا

فألمّ بقول زهير بن جناب الكلبي :

من كل مــا نال الفَتَـــى　　قد نلته الا التحيـــــــــه

وقال أيضاً :

وكُنّا إذَا الجَبّارُ صَعَّرَ خَـــدَّهُ　　مَشَيْنَا اليه بالسيوف نُخَــاطِبُـــه

أخذَه من قول الفــرزدق :

وكُنَّا إذا الجَبّــارُ صَعَّــرَ خَـدَّهُ　　ضَرَبْنَـاهُ حتى تَسْتَقِيمَ الأَخَــادِعِ

وقال بشار :

فإنْ شئْتِ حَرَّمْت وصـــل النســاء　　وإن شئتِ لم أطْعَم البـــــاردا

أخذه من قول العرْجيِّ :

فإن شئتِ حَرَمْتُ النساء سِـوَاكُمُ   وإن شِئْتِ لم أطعم نُقـاخاً ولا بَرْدَا

وقال بشار :

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاء مُدْبِـــرَةً   لم تُجْفَ طُولاً ولا أزرى بهـا القِصَرُ

أخذه من قول كعب بن زهير :

هَيْفَـاءُ مُقْبِلَةً عَجْـزَاءُ مُدْبِـرَةً   لا يُشْتَكى قِصَرٌ منهَـا ولا طـول

وفي محاضرات الراغب الأصفهاني : قال أبو عمرو بن العلاء : شعر بشار سُبـاطَة الملوك فيها قطعة ذهب وما شئته من رماد، والسبـاطة : الكسَاحة . وأبو عمرو بن العلاء ممن يشهدون لبشار كما تقدم ، فتعين أن مراده بهذا الكلام إنما ينظر إلى ما في كلامه من الفاحشات لا الى صناعة شعره .

وأما سرقة بيت أو أبيات باللفظ ووضعها في شعره ففي الأغاني: أخبرني يحيى بن علي قال: حدثني أبي قال : كان إسحاق الموصليُّ يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً، فقلنا : أتقول هذا القول لمن يقول :

إذا كنـت في كل الأمور مُعاتبـاً   صديقك لم تلق الذي لا تُعاتِبُه

فعِشْ وَاحدًا أو صِـلْ أخَاكَ فإنه   مقـارفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَـانبـه

إذا أنتَ لم تشرب مرارًا على القذى   ظمئت، وأي النـاس تصفـو مشاربه

وهذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر ولا حشو فيه ، فقال لي إسحاق : أخبرني أبو عبيدة أن شُبَيْل بن عَزْرَةَ الضُّبَعِيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمس، وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من ضُبَيعة ، فقلت له : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشار : إن شُبَيْلاً أخبره أنها للمتلمس، فقال بشار : كَذَبَ والله شُبَيْلٌ، هذا شعري ، ولقد مدحتُ به ابن هُبيرة فأعطاني عليه

أربعين ألفاً(1)، ثم قلت لإسحاق : أخبرني عن قول بشار في هذه القصيدة :

فلما تولى الحَـــرُّ واعتصر الثّرى لظَى الصيفِ من نجمٍ توقَّـد لاَهبُـــه

وَطَارت عَصَافير الشّقائـق واكتسى من الآل أمثال المجَــرّةِ نـــاضِبُـــه

غَدَتْ عانَةٌ تشكو بأبصارها الصّدى إلى الجاب الا أنها لا تُخـاطبُـــهْ(2)

وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأُتن . أفهذا للملتمس أيضاً؟ قال : لا ، فقلت : أفما هو في غاية الجودة وشبيه بسائر الشعر؟ فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصة وكيف خص الملتمس بالسرقة من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل وقد روى الرواة شعره ؟ ، وعلم بشارٌ أن ذلك لا يخفى، ولم يعثر على بشار أنه سَرق شعرا قط جاهلياً ولا إسلامياً . فلم يردّ ذلك بشيء .

نقده للشعر والشعراء

تكلم بشار في نقد الشعر كلامَ من يُعَد من أيمة النقد والبلاغة ولا يقتصر على قول الشعر بالسجية .

ذكر أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أبي العتاهية أن المهدي جلس للشعراء، وفيهم بشار وأشجع وأبو العتاهية ، فأنشد أبو العتاهية قصيدته التي أولها :

ألاَ مَا لِسَيِّدَتِي مَا لَهَـــا تُـدلُّ فأحمل إدلالهـــا

ألاَ إنّ جَـارِيَـةً للإمَـــام قد أسْكَـنَ الحُـبُّ سِرْبَالَهـا

فقال بشار لأشجع : ما أدري من أي الأمرين أعجب : أمِنْ ضُعف شِعره، أم

---

1) يريد بشار أن مثل ابن هبيرة وأدباء مجلسه لا يخفى عليهم شعر المتلمس .

2) (العانة) : القطيع من الحمير ، (والجاب) : ذكرها ، ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنها تحدق اليه عيونها ليسير معها الى الماء .

من تشبيبه بجارية الخليفة ؟ حتى أتى أبو العتاهية على قوله :

أَتَتْهُ الخلافَةُ مُنْقَادَةً   اليه تُجرِّر أذْيَالَهَا

فلم تكُ تصلحُ إلاَّ لَهُ   ولم يك يَصْلحُ إلاَّ لَهَا

قال بشار لأشجع : انظره : أترى الخليفة لم يَطِر عن فرشه طَرَباً لما يأتي به هذا الكوفي !

وفي زهر الآداب للحُصري(1) قال بشار : ما زال فتى من بني حنيفة (يعني العباس بن الأحنف) يدخل نفسه فينا (يعني الشعراء)، ويخرجها منّا(2) (يريد أنه يتكلف فيأتي بشعر مختلط الجيد بالرديء) حتى قال :

نَزَفَ البُكَاء دُمُوعَ عينكِ فاستَعِرْ   عَيْناً لغَيرِكَ دَمْعُهَا مِدْرَارُ

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا   أرَأيتَ عَيْناً للبُكَاء تُعَارُ

يعني أنه لما قال هذا صار يقول الشعر المطبوع المتين.

وقال أبو عُبيدة : أنشِدَ بحضرة بشار بيتٌ للأعشى :

وأنْكَرَتْنِي ومَا كَانَ الذي نَكِرَتْ   من الحوادث الا الشَّيْب والصَّلَعَا

فأنكره بشار، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى، فعجبت لقوله، فلما كان بعد ذلك بعشر سنين كنتُ جالساً عند يونس، فقال : حدثنا أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى، فجعلت حينئذ أزداد عَجَباً من فِطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر.

---

1) ص 261 جزء 3 .

2) ووقع في كتاب الذخيرة لابن بسام في ترجمة أبي بكر بن قزمان من أثناء كتاب لأبي بكر ذكر فيه كلام بشار فقال : «ونخرجها» بنون الجماعة (أي ونحن الشعراء ندفعه ولا نقبله).

وقال الرِّياشي : أنشد بشار قول كثيِّر عَزّةَ (أو هو قول المجنون ، كما قال الراغب في المحاضرات)(1) :

وقد جعل الأعداء يَنْتَقِصُونَهـا   وتطمع فيهـا ألْسُنٌ وعُيـونُ
ألاَ إنَّمـا لَيْلَى عَصَـا خَيْزُرانَـةٍ   إذا غَمَزُوهَـا بـالأكُفِّ تَلِيـنُ

فقال بشار : قَاتَلَ الله أبا صخر، يزعم أنها عَصاً ويَعْتَذِرُ بأنها خيزُرانة، والله لو جَعَلَهَا عَصَا زُبْدٍ أو عَصَا مُخٍّ لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَة بعد أن جعلها عصاً، فكان قد هَجّن كلامه بذكر العصا ، ألاّ قال كما قلتُ :

ودَعْجَاء المَحَـاجِـر من مَعَـدٍّ   كـأنَّ حَدِيثَهَـا ثَمَـرُ الجنَـان
إذَا قَـامَتْ لِمشْيَتِهَـا تَثَنَّـتْ   كـأن عِظَـامَهَـا مِن خَيْـزُرَان

وقال بشار : ما قالت امرأة شعرا إلا وظهر الضعف فيه ، قيل له : والخنساء ؟ قال : تلك غلبت الفحول .

ورأيت في مجموعة عتيقة يظهر أنها من منتخبات أبي القاسم الأصفهاني صاحب كتاب الواضح في شرح مشكل المتنبي أن بشارا سئل عن الفرزدق وجرير والأخطل ، فقال : لم يكن الأخطل مثل جرير والفرزدق، ولكن ربيعة تعصّبت له وأفرطت فيه ، وكان يُحْسِنُ ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق، فجرير خيرٌ منه .

مكانته في النثر

لم يكن انقطاع بشار إلى الشعر وإجادته فيه بالذي يقصر به عن سمو المنزلة في الترسل والخطابة .

قال الجاحظ في البيان (2) : «ومن خطباء الأمصار وشعرائهم المولدين

1) ص 137 ج 2.
2) ص 53 جزء 1 .

بشار، ففد كان خطيبا صاحب منثـور ومزدوج وسجع، وله رسائل معروفة، وهو من المطبـوعين».

ومن فقراته الفائقة ما ذكره صاحب معاهد التنصيص في ترجمة ابن الرومي: أن بشارا مدح المهدي بقصيدة، فحـرمه الجائزة، فقيل لبشار: حرمك أميرُ المؤمنين، فقال،: والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدِحَ به الدَّهْرُ ما خُشِيَ صَرْفهُ على أحَد، ولكنني كَذَبْتُ في العمل، فكَذَبْتُ في الأمـل.

وقال له الأصمعي: (يا أبا مُعَاذ) إن الناس يعجبون من أبياتك في المَشُورة، فقال له: يا أبا سعيد، إن المُشَاوِرَ بين صوابٍ يفوزُ بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه، قال: قلـت له: أنت والله في قولك هذا أشعرُ منك في شعرك.

وفي تاريخ بغداد للحافظ البغدادي في ترجمة بشار أنه دخل على المهـدي يعزيه على البانوقة (1) فقال له: «يابْنَ مَعدن الملك وثمرة العلـم، إنما الخلق للخالق. وإنما الشكـر للمنعم. ولا بد مما هو كائن، كتاب الله عظتنا، ورسول الله أسوتُنا، فأية عظَة بعد كتاب الله. وأية أسوة بعـد رسول الله صلى الله عليه وسلم. مات فما أحسن الموت بعـده».

ومن سجعـه ما في كتاب غرر الخصائص الواضحـة: «قال بشـار: لقـد عشت في زمان وأدركت أقواما لو احتفلت الدنيا ما تجمَّلت إلا بهم، وإني الآن لفي زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا. ولا فاتكا ظريفاً، ولا ناسكا عفيفاً، ولا جوادًا شريفاً، ولا خادماً نظيفاً، ولا جليسا خفيفاً، ولا من يساوي على الخبرة رغيفاً. وأنشـد:

---

1) البانوقة: بنت المهدي.

فما الناس بالناس الذين عرفتهم ولا الدار بالدار التي كنت أعرف»

وحسبك من مكانته في النشر أنه مع كونه أعمى لم يستغن الأمراء عن جعله في زمرة الكتاب، ذكر ابن رشيق في كتاب العمدة في الباب الأول أن بشارا كان من كتاب الأزمة، وقد تقدم في ذكر مكانته لدى الأمراء .

علاقة بشار بافريقية

ولاية يزيدَ بن حاتم وابنيه داود وروح أمراء على القيروان، وهم من أشهر ممدوحي بشار بالقصائد الغُرّ ، أوثق سبب يصل شعرَ بشار بأرض إفريقية، إذ يكون شعره قد أنشد بالقيروان : إمّا مُرسلا من الشاعر اليهم أو الى بعضهم، وإما مرويًا في جملة ما يفخر هؤلاء الأُمراء الثلاثة به على أقرانهم ورعاياهم .

ثم كانت لشعر بشار صلة أخرى بإفريقية، وذلك حين ورد اليها ما اختاره الأخوان محمد وسعيد الخالديان، فأولِعَ به إسماعيل بن أحمد التُجيبي القيرواني من أهل أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ، واختار منه هو ما استجاده ، وكتب شرحاً على مختاره سماه : «الرائق بأزهار الحدائق» وهو الذي نشره العلامة محمد بدر الدين العلوي من جامعة عليكره بالهند ، ثم هنا هي إفريقية اليوم تختص بالقطعة الوحيدة من ديوان بشار ، وهي التي بخزانتي.

أعلام شعر بشار

أعلام الناس الواردة في شعر بشار ثلاثة أقسام :

قسم هو أعلام حقيقية معروفة، مثل أعلام الممدوحين من الخلفاء والوزراء ومن شملتهم حوادثهم من قواد وثوار، وكذلك أعلام معاصريه ممن

هاجـاه أو عرّض به أو نحو ذلك، وأعلام حبائبه المعروفات مثل عبدة وخاتم الملك .

القسم الثاني : أعلام شعرية تضمنها النسيب في بعض قصائده فمنها ما قد يكون له مسمى في نفس الأمر، ومنها ما ليس كذلك .

القسم الثالث : أعلام مشكوك في أن لها مسميات أولا ، مثل أسماء رجـال يذكرهم في شعره من مساعدين وعذال ونحوهم ، والظاهر أنه أراد التعمية في أسمائهم ، لأنهم من أهل مجالس سره .

ومن هؤلاء من سماه بأبي مجلز في قوله :

بعثتُ إليها أبَـا مَجْـلزٍ وأي فتى إن أصاب اعتـزَمْ

فقال رجل لبشار : مَن أبو مجلز هذا يا أبا مُعاذ؟ فقال له : وما حاجتك إليه؟ ألك عليه دين أو تطالبه بطائلة ؟ هو رجل يتردّد بيني وبين معارفي في رسائـل .

وأنشد بشـار يوماً : « غنني للغريض يابن قُنانِ » فقال له بعض الحاضرين : لسنا نعرف ابن قنان هذا من مغنيي البصرة ، فقال : وما عليكم منه ألكُم قبلَه دَين فتطالبوه به أو ثأر تريدون أن تدركوه أو كفلتُ لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره؟ فقالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنما أردنا أن نعرفه، فقال : هورجل يغنّي لي ولا يخرج من بيتي ، فقالوا : إلى متى؟ قال : مذ يومَ وُلِدَ إلى يوم يموت .

ومن الأعلام المراد بها التعمية أسماء وكنى لبعض حبائبه ، يعمّي بهـا المقصود ، وقد ذكر ذلك في قوله :

يتغنى إذا خلا باسمك الحَـقٌ ويَكنيكِ في العِـدى أمّ وهـب

وهذه سنة غرامية سلكها كثير من الشعراء المحبين .

ديوانه

إن طرائق الرواة في جمع الدواوين مختلفة :

فمنهم من يبعثه ولعه بالشاعر أو بانتقاده الى مصاحبته في حياته ورواية شعره عنه، فيجمع كلّ ما يصدر عنه من الشعر، وهذه الطريقة أدعى وأثبت للصحة ، وهي التي نشاهدها كثيرا في دواوين الشعر المكللة طوالعها بسلسلة رُواتها. وبمثل هذه الطريقة جُمع شعر كثير من الشعراء الذين لا يكتبون ، مثل العَجّاج وجرير وذي الرمة ، وبها أيضاً جمع ديوان أبي الطيب المتنبي بما رواه ابن جني والصاحب بن عباد والحاتمي والثعالبي وخلق كثير .

ومنهم من يجمع الديوان من أوراق الشاعر وتقييداته ، وهذه طريقة يختلف حالها في استقصاء الجمع على حسب اختلاف أحوال شعرائها في الاهتمام بتقييد آثارهم الشعرية بالانتخاب في التقييد أو بالتعميم، وتفاوتهم في حسن الضبط وانتظامه ووجود أعوان لهم على الكتابة ، وبمثل هذه الطريقة جُمعتْ دواوين المتأخرين، وبمثلها جُمع ديوان المعرّي المسمى بسقْط الزنْد ولزومياته . وقد كان شعر المتنبي مجموعاً عنده ، فلما قتلته الأعراب تلاشت أوراقه في جملة ما في رحاله ، وقد رام ابنُه التقاطها من مصرعه بعد أيام من قتله ، فكانت محاولته هذه سبباً في اعتداء أعداء أبيه عليه في موضع مصرع أبيه . على أن الواحدي في آخر شرحه لشعر المتنبي قال : « هذا آخر ما اشتمل عليه ديوانه الذي جمعه بنفسه » .

ومنهم من تخطر له العناية بجمع شعر أحد الشعراء بعد انقراض عصر ذلك الشاعر، فيذهب يستخلص ما يجده من شعره من أفواه الرواة وأوراق التقاييد والمختارات ومن كتب اللغة وشواهد النحو والبلاغة ، وهذه الطريقة تتفاوت أيضاً في استقصاء شعر الشاعر بحسب تفاوت العصور وتباعدها ، وبمثلها

جمعت دواوين شعراء الجاهلية وما قاربها من صدر الاسلام ، مثل امرئ القيس وزهير والأعشى وحسّان والشمّاخ، وبمثلهـا جَمَع أبو تمام ديوان الحماسة وأبو الفرج الأصفهاني فيما تضمنه كتاب الأغاني ، وهذه الطريقة أبعد الطرق عن الاستيعاب وعن المحافظة على ترتيب أبيات القصائد وعلى تحقيق اتحاد الأبيات الكائنة من بحر واحد وقافية واحدة في أنها من قصيدة واحدة .

وطريقة جمع شعر بشار كانت مزيجاً من الطريقتين الاولى والثانية، فإن عناية الناس بشعر بشار في حياته كانت تغريهم على الاستكثار من حفظه وتقييده ، وقد كان له رُوَاةٌ يَرْوُون شعره كما أسلفته في المقدمـة ، وكان مع ذلك فقد بصره مانعاً له من التقييد ، فكان يعتمد على حافظته أو على من يكتب له ، كما أن ما في طبعه من الانـغماس في اللهو والاستهتار بمحاسن النساء والشراب يصرفه عن شدة اليقظة لحفظ أوراقه وقماطيره، فلا ريب في أن ذلك كان سبباً قوياً لتلاشي معظمها ، ولكن من المحقق أن كثيرا منها كان محفوظاً في أوراق الناس ومحفوظاتهم ، وقد حدثنا الرواة لأخباره أنه لما قتل فتشت أوراقه وتقاييده ووجد بها شعر له ، ووجد منها بيتان في هجو آل سليمان لم يعرفهما الناس في حياته .

وإن عقبى هذه الطريقة في الجمع بادية على الموجود من ديوانه ، فإنك ترى قصائده موعبة طويلة دالة على تمكن جامعها من وسائل جمعها ونجد من جهة أخرى كثيرا منها غير واضح الترتيب ولا تام الأغراض ولا جامعاً لكل ما يرويه الرواة من تلك القصـائد، إذ نجد أبياتاً من قصائده منثورة في كتب الأدب، وقد عري عنها ديوان شعره ، ونجد ما يرويه أيمة الأدب أنه من قصيدة واحدة نجده تارة موزعاً بين قصيدتين ، كما في القصيدة التي أولها :

طَرِبْتَ إلى حَوْضي وأنتَ طروبُ

في الورقة30 ، فإن أبياتاً منها ذكرت مفردة في آخر الورقة 28 .

وقد اتفق الرواة على أن لبشار ديواناً عظيماً ، وأنه أكثر الشعراء شعرا ، قال الحصري في زهر الآداب(1) : « قال بشار : أنا أشعر الناس لأن لي اثني عشر ألف قصيدة، فلو اختير من كل قصيدة بيتٌ لاستندر، ومن ندرت له اثناعشر ألفَ بيتٍ فهو أشعر الناس» .

وقد كان شعر بشار مجتمعاً عقب موت بشار ، ففي الموشح للمرزباني عن عمر بن شَبَّة أنه قرأ شعر بشار على محمد بن بشار بن برد(2) .

ومع شهرة بشار ورغبة الناس في شعره في كل عصر فقد كان ديوانه عزيز الوجود ينزل منزلة المفقود، ويوصف بأنه مفقود منذ العصور القديمة ، فقد قال عنه ابن النديم في الفهرست (3) : « ولم يجتمع شعره لأحد ، ولا احتوى عليه ديوان . وقد رأيت منه ألف ورقة منقطع ، وقد اختار شعره جماعة » .

لكنا نجزم بأن ديوانه وإن كان عزيز الوجود لم يكن مفقودا ، فقد ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني (4) أن محمد بن حبيب وهو من أهل القرن الثالث له رواية في شعر بشار ، وذكر الشهاب الخفاجي وهو من أهل القرن الحادي عشر في شرحه على درة الغوّاص للحريري عند الكلام على لفظ المشورة أنه نقل أبيات بشار في المشورة من ديوانه ، إذ قال ما نصه بعد أن ذكر قوله :

---

1) انظر ص 13 جزء 3 طرة العقد الفريد.
2) انظر ص 292 في ترجمة عباس بن الأحنف .
3) انظر صفحة 227 .
4) انظر ص 56 جزء 2 .

إذا بلغ الرأيِ المشُورَةَ فاسْتَعِنْ   برأيِ لَبيبٍ أو نصيحة حـــازِمِ

«هذا بيت من نتفة له كما طالعته في ديوانه وهي برمتها ...الخ».

وقال بعض المطلعين من علماء العصر(1) : «إن ديوان بشار لا يعرف أن أحدا ذكره بعد القرن السابع للهجرة».

وقال الأستاذ زيدان في كتاب تاريخ آداب اللغة العربية : «وليس منها (أي قصائد بشار) الآن الا نتف متفرقة في كتب الأدب، وليس لبشار ديوان شعر مجموع».

وإن أكبر دليل على عزة وجود ديوانه هو قلة المطلعين على عينه، وذلك سبب ما نراه في كتب المحاضرات والمختارات والمعاني والبديع من قلة التعرض لأبيات بشار وندرة الزيادة على بيت مفرد أو بيتين، مع التكثر من إنشاد أشعار الشعراء، ومع التنافس في الظفر بشيء من شعر بشار في الأغراض المختلفة، ومع ما لبشار من الشعر في كل غرض.

وإن أكثر دواوين الأدب جمعاً لشعر بشار هو كتاب الأغاني، فإنه جمع له في الأجزاء الثالث والخامس والسادس والسابع والثالث عشر ما يبلغ ستمائة بيت، وكذلك كتاب المختار من مختار شعر بشار للخالديين الذي انتقاه وشرحه أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد التجيبي القيرواني من أهل القرن الخامس في منتصفه: وقد كان كتابه مجهولا فنشره الأستاذ السيد محمد بدر الدين العلوي من أهل عليكره بالهند، فـإنـه جمـع من مختار شعر بشار نحو ثلاثمائة وثلاثين بيتاً، وقد لاحظت أن ديوانه كان أروج في بيت مفرد أو بيتين منه. ثم ترى ذلك أخذ يقل من كتبهم بمقدار

---

(1) هو الأستاذ (كرنكو) الملقب بسالم الكرنكوي المستشرق الشهير ببلاد الانجليز في مكتوب كتبه اليّ في هذا الغرض.

تزايد العصور، وتراه بين أهل المشرق أشيع منه في بلاد المغرب.

وإن تلاشي ديوانه أو عزّة وجوده لمما يدعو الى العجب، وكيف أضاعه المولعون بأفانين الأدب مع تنافسهم في تحلية مختاراتهم ومحاضراتهم بمختارات منه، ولقد يتطلب المتفكر في هذا سبباً لتلاشي الديوان من أيدي أهل الأدب، فيخال أن ما رمي به من الزندقة هو الذي صرف الناس عن الاهتمام بشعره، وهذا خيال باطل، إذ لم ينصرف الناس عن رواية شعره والعناية به في أقوى العصور نفورا من الزندقة، وهو عصر المهدي العباسي وما يليه كما تقدم، على أنهم لم ينصرفوا عن العناية بشعر أبي نواس والأخطل وصالح بن عبد القدوس. وربما تخيل متخيل أن ما لصق ببشار من وشايات عند أهل الدولة في خلافة المهدي هو الذي أحجم بالناس عن إظهار العناية بشعره، وهذا التخيل مثل التخيل السابق، لأنا نرى أشد العصور في العناية بشعره هو ذلك العصر بعينه، على أنهم لم يحجموا عن رواية شعر أبي عطاء السندي في الدولة العباسية، وهو من شيعة بني أمية، ولا عن شعر السيد الحميري وهو من شيعة العلويين، ولا عن شعر الفرزدق في الدولة الاموية وهو من شيعة العلويين.

أما أنا فأعلل تلاشي ديوان بشار بسبب أنه أول المولدين الذين كانوا على طريقة العرب المتقدمين في العناية بفصاحة الكلام وحسن التعبير عن المعاني بأسلوب عربي حسبما قدمته في ذكر حديثه مع خلف ابن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر في قصيدته التي طالعها:

بَكِّرَا صاحبي قبل الهجير

فزها شعره وتناقله الرواة وأعجبوا به أيام كان الذوق العربي لم يزل ماؤه يترقرق في النفوس، وأيام كان القرب من أساليب العرب موضع إعجاب المتأدبين، وقد وجد فيه كل ذي نزعة من

الشعر رغبته وطِلبته ، فمن علماء البلاغة وأيمة المعاني وأساطين المفسرين إلى الشعراء وأهل المجون والخلاعة والدعارة، وذلك ما لم يدانِه فيه أحد من الشعراء عدا الحسن بن هانىء أبا نُواس الحَكَمي، فلذلك وجدوا في شعر بشار غنية عمن سبقه، فعكف الناس عليه، وصرفوا كلَّ همهم اليه، فلما ضعفت الملكة العربية في أذواق المتأدبين في أواخر الدولة العباسية ، وأولع الأُدباء بالمحسنات اللفظية واللطائف المعنوية، ثقل عليهم الشعر الفَحْل والمذهب الجَزل، فأنساهم إيَّاه وَلَعُهُم بالمذهب الأدبي الجديد، كما أنساهم شعرَ مثل طَرفةَ وزهير ولبيد، فتوزع الشعراء معاني بشار بالسرقة والتصرف وصوغه في قوالب لفظية تناسب أذواق عصورهم، وأقبل الناس على شعر أبي تمام والبحتري زمانا، وقد ذكروا أن أبا الطيب كان يحفظ ديواني أبي تمام والبحتري ويجحدهما، على أن ظهور ديوان أبي الطيب المتنبي وإقبال أهل الأدب عليه من نواحٍ كثيرة قد كانت له يدٌ قوية في التعفية على دواوين الشعراء الذين قبله، مثل بشار وابن الرومي ومهيار وأبي العتاهية وأبي تمام وغيرهم من المكثرين، وقد قال الواحدي في ديباجة شرحه لديوان أبي الطيب : « وإن الناس منذ عصر قديم قد ولَّوْا جميع الأشعار صفحة الإعراض ، مقتصرين على شعر أبي الطيب المتنبي ، نائبين عما يُرْوى لِسواه ، وإن فاته وجاوز في الإحسان مَدَاه » . وقال في خاتمة الشرح : « إن ما دعاني الى تصنيف هذا الكتاب هو اجتماع أهل العصر قاطبة على هذا الديوان وشغفهم بحفظه وروايته وانقطاعهم عن جميع أشعار العرب جاهلياً وإسلامياً إلى هذا الشعر واقتصارهم عليه في تمثلهم ومحاضراتهم وخطبهم ومقاماتهم، حتى كأنّ الأشعار كلها فقدت » . وهذا السبب هو الذي لأجله أعرض معظم المتأدبين عن شعر شعراء الجاهلية . ولولا الحاجة اليه من ناحية الاحتجاج للغة العربية والنحو والبلاغة لَمُنِيَ شعر الجاهلية بمثل ما مني به شعر بشار من الإعراض عنه والزهادة فيه.

فتلاشي شعر بشار قد توارد عليه من هذه العلة سببان للتلاشي ، هما : زهد المتأدبين وهو مفض الى التلاشي غير مقصود به، وكثرة السارقين وهو نشأ عن قلة تداوله بين الناس، والسرقة مما يتعمد معها الإتلاف ، فإن السرقة تُحدثُ ضراوةً في نفس صاحبها بتعمد إخفاء سرقته بكل وسيلة ، فإذا علم قلة أصول ما أخذ منه سرقاته عمد الى اضمحلالها، فقد يصادف أن يضمحل كله ، بمصادفة آخر نسخة منه، وقد تنجو نسخة ضئيلة أو أوراق قليلة .

ذكر أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة سَلْم الخاسر أنه أنشد الرشيد قصيدته التي أولها:

حضر الرحيلُ وشُدّت الأحداج

فلما انتهى إلى قوله :

نَزَلتْ نجومُ الليلِ فوقَ رُؤوسهم ولكل قَوْم كَوْكبٌ وَهّاجُ

قال جعفر بن يحيى البرمكي – وكان يكره سَلماً – : أمن قِلّة حتى تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل في غيره، هذا البيت لبشار في فلان التميمي، فقال الرشيد : ما تقول يا سَلم ، فقال : صَدقَ يا سيدي ، وهل أنا الا جزء من محاسن بشار؟ وهل أنطق الا بفضل منطقه ؟ وحياتك يا سيدي إني لأروي له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئا، فضحك الرشيد وقال : ما أحسن الصدق .

وذكر أبو الطاهر التجيبي في شرح مختار المختار(1) أن سلما وأبا نواس وداود بن رزين وغيرهم كانوا يصبون على قوالب معاني بشار ، وربما

1) انظر صفحة 47 .

نبه بعضهم على بعض في الأخذ منه واتباع طريقته ، قال أبو نواس في داود بن رزين :

إذا أنشـــد داود فقل أحسن بشـــارُ
له من شعره الجَمُّ إذا ما شاء أشعـارُ
وما منها له شيء ألا هذا هو العَـارُ

وذكر يوسف البديعي في كتاب الصبح المَنَبِّي عن علي الجرجاني أن البحتري أحرق خمسمائة ديوان للشعراء حسداً لئلا تشتهر أشعارهم . اهـ.

وقد عز ديوان بشار في أنحاء العالم فيما علمنا وعلمه النقابون عن المآثر الأدبية العربية من علماء الشرق والغرب ، فلا يلفى من شعره الا قصائد قليلة مبتورة منثورة في مجاميع الأدب أو مقاطيع أو مفردات ؛ وأكثرها مـا في الأغاني للأصفهاني في الأجزاء الثالث والخامس والسادس والسابع والثالث عشر، وبعضها في أمالي الشريف المرتضى ، وما عدا ذلك فهو أوزاعٌ في كتب الأدب، ولم يزل المتأدبون عالة عليها وهم متعطشون الى ما يشفي الغلة ويملأ العين زائدا على جمـع القلة ، ولذلك لقبوا ديوان بشار بحلقة الأدب المفقودة .

وقد انتدب الأديب الفاضل أحمد حسنين القرني المصري صاحب المكتبة العربية بالقاهرة الى التقاط ما هو متناثر من شعر بشار ، وضمه في كتيِّب في زهاء مائة صفحة، سماه : « بشار بن برد شعره وأخباره »، ورتب ما انتهى اليه جمعه على حروف المعجم ، وحلَّى طوالعه بالرمز الى الأغراض التي قيلت فيها أشعاره بياناً لطيفاً ، وكان اعتماده في جمعه على ما هو في الجزئين الثالث والثالث عشر من كتاب الأغاني ، على أنه لم يبين مستنداته فيما جمعه ، وطبع هذا الكتاب بمطبعة الشباب بمصر سنة 1343 .

ثم قفاه الأديب الأستاذ حسين منصور المصري بتأليف سماه : « بشار ابن برد بين الجد والمجون » بسط فيه أخبار بشار ونوادره ، ورصعها بما قاله في مناسباتها من الشعر ، وما قاله معاصروه في مساجلاته أو هجائه ، فجاء جامعاً لمعظم ما هو منشور من شعر بشار في أوراق الأدب ، ولم يبين مستنداته في منقولاته، وطبع بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة 1348. ثم هو خلط تخليطاً كثيرا في ضم بعض أبيات إلى غيرها اغترارا بكونها من بحر واحد وقافية واحدة ، وربما اعتمد على مجرد اتحاد القافية ، على أن معاني بعضها كثيرا ما تجدها تبرأ من معاني ما ضم إليه ، وما كان ينبغي له الاجتراء على هذا الصنيع بدون سند . وهذا مثل تخليطه الأبيات التي على قافية الراء المضمومة من بحر الطويل في صفحة 39 وصفحة 40 ، وضمه بيتاً على قافية النون المكسورة الى أبيات من قافية النون المضمومة على ما بين غرضيهما من منافاة واضحة في صفحة 38 ، وأبيات على القاف المكسورة الى أبيات على القاف المضمومة في صفحة 215 وربما تجاوز إلى خلط أبيات من بحور مختلفة كما خلط في صفحة 252 قوله :

والآنَ أقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطِلِي وأشارَ بالوَجَلَى عَلَيَّ مشيرُ

وهو من بحر الكامل بأبيات هي من بحر الطويل أولها :

ومُرتجة الأرداف مهضومة الحَشَا تَمُورُ بسحرٍ عينُهَا وتَدُورُ

وكما خلط في صفحة 253 قوله :

وإذا قلتُ لها جُودِي لنا خرجتْ بالصمتِ عن لا ونَعَم

وهو من بحر الرمل بأبيات من بحر المتقارب أولها :

وبيضاء يضحكُ ماءُ الشبا بِ في وجهها لك إذ تبتسم

وكما ضم في صفحة 73 بيتاً من البسيط وهو قوله :

أنا المرعَّثُ لا أخفى على أحـــــد ذرّت بي الشمس للقاصي وللـــداني

الى أبيات من بحر الكامل أولها :

إنْ أُمسِ منقبض اليدين عن النَّدَى وعن العـدوّ مُخيَّـس الشيطــــانِ

وهو مع ذلك قد استوعب ما يتعلق بحوادث بشار، وذكر شعرًا كثيرًا منه .

وفي أواخر عام 1353 ظهر كتاب اسمه : « مختار المختار من شعر بشار» اختاره الأديب أبو الطاهر إسماعيل التجيبي القيرواني مما اختاره. الأديبان الاخوان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد، الخالديان الموصليان، وشرح له لأبي الطاهر إسماعيل التجيبي القيرواني، نشره وعلق عليه العلامة السيّد محمد بدر الدين العلوي الهندي معلم العربية في جامعة عليكرة. بإعانة المستشرق الاستاذ كرنكو والعلامة الشيخ عبد العزيز الميمني، وذلك في أواسط سنة 1353 وقد طبع بمطبعة الاعتماد بمصر. غير أن ناشر الكتاب يظنه كتاب المختار للخالديين، ويظن أن التجيبي شرح ذلك الكتاب. وليس الأمر كما ظن، فإن الكتاب الذي نشره هو مختار المختار وهو ما اختاره إسماعيل التجيبي من مختار الخالديين وشرحه، وضم اليه ما عثر عليه من شعره حسبما يفصح عن ذلك كلامه في أواخر الشرح صفحة 341 وكلامه في صفحة 201 .

وقد كان من منن الله تعالى علي أن اشتملت خزانةُ كتبي على جزء عظيم من ديـوان بشـار، يبتدئ من أوله وينتهي أثنـــاء حرف الـراء . قال في آخره : « تم الجزء الأول من ديوان بشار : ويتلوه الجزء الثاني منه « ذكرت والشوق لمن تذكرا » يشتمل على قوافي : الهمزة، والألف، والباء، والتـاء، والثـاء. والجـيم، والحـاء. والـدال. ومعظـم الراء ، وقصائده ومقاطيعه مائتان وخمس وخمسـون. وفيه من الأبيات ستة آلاف وستمائة وثمانية وعشرون بيتاً. باعتبار أبيات الرجز مشطورة بناء على المشهور عند

العرب، وأوراقه مائتان وخمس وسبعون ورقة بصفحات 550، ويوجد في الورقة الأخيرة منه رقم حروف مقطعة فوق مطة وتحتها رقم 279، والمظنون أنه عدد أوراقه وأنه قد تلاشى من أوراقه 4 ورقات ، فلعلها من أثناء حرف الباء .

وهو بخط مصري عتيق لم يؤرخه ناسخه ، وصورة كتابته ترجع الى أسلوب أواخر القرن السادس، وكتب على الورقة الاولى منه بخط كوفي بالمداد الأسود : « ديوان بشار بن برد» وأدير حول هذا العنوان تزويق بالذهب واللازورد، وتحته كتابة بالذهب بالخط المسمى بقلم الرقاع نصها : « خدمة المملوك عبد القوي المصري الكتبي ». وهو مكتوب على ورق عتيق فاختي اللون ، والمظنون أن عبد القوي هذا هو ناسخه.

وكان هذا الجزء من كتب الحاج مصطفى صدقي من أهل المشرق في سنة 1129، وعلامةُ كتبه توجد على كثير من الكتب النفيسة منها عدد 4799 وعدد 4534 وعدد 4543 من كتب خزانة جامع الزيتونة ، وهذه العلامة هي ختمٌ شكله اهليلجي في حجم ظفر الإبهام الكبيرة ، مكتوب فيه : « من متملكات الفقير الحاج مصطفى صدقي غفر له سنة 1129 »، وختم آخر صغير مستدير في حجم العدسة الكبيرة، مكتوب فيه ما نصه : «من متملكات الفقير » مكتوب فيه بالخط الكوفي : « ما شاء الله لا قوة الا بالله» يَضَعُ هذا أعلى الختم الذي فيه اسمه، والختم الكبير في هذا الديوان مطموس. استدللت عليه بالختم الصغير، وقد وجدت بخط العلامة الأديب الشيخ عمر المحجوب قاضي حضرة تونس ما يدل على أنه اشترى كتباً سماها في عام 1214 ، وقد وقع بيدي بعض الكتب، فإذا عليه ختم الحاج مصطفى صدقي. وهذا الجزء اقتناه جدي للأم الوزير الشيخ سيدي عبد العزيز بو عتور بثمن قدره في وقت اقتنائه الذي هو في حدود سنة خمس وثمانين ومائتين

والف بأربعمائة ريال تونسية فضة وذلك قدر عظيم أيا مئذ فكان من جملة خزنة كتبه التي وهبها إياي جزاه الله عني أحسن الجزاء.

والديوان يظهر أن أصل جمعه وقع بقرب زمان المهدي العباسي لأن جامع الديوان يذكر في أوائل القصائد التي مدحه بشار بها ثناء ودعاء لأمير المؤمنين المهدي من نوع ما تحلّى به الخلفاء في حياتهم، كقوله: «وقال يمدح الإمام المهدي القائم بأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه». انظر ورقة 265.

والظاهر أنه مجموع من رواية يحيى بن الجون العبدي المعدود من رواة بشار، إذ قد وقع في الورقة 107 من الديوان ما نصه: «وقال أيضاً، ويقال لأبي همام الباهلي: زعم يحيى بن الجون».

وهذه النسخة يظهر أنها نقلت عن أصل صحيح، وأن ناسخها تثبت غاية جهده ومبلغ علمه، إلا أنه لم يكن له حظ قوي في اللغة والأدب العربي، فلذلك كان يوقع تحريفاً ولحنا في غريب الألفاظ، فيكتبها على مبلغ ما يسبق الى فهمه من صور الألفاظ الغريبة، وقد أخطأ في ضبط الكلمات خطأ يدل على ضعفه في النحو، وفي كثير من الأخطاء ما يوقع حيرة للناظر، فالله يسامحه ويرحمه. ولولا ممارستي لأدب العرب والشعور بمآخذ بشار ومراميه في شعره لعسر علي إصلاح كثير من تلك الأغلاط. وقد يترك في البيت موضع كلمة أو أكثر بياضاً، وهو ملازم لوضع نقطتين تحت الإمالة، وكثيرا ما يكتب بالألف ما حقه أن يكتب إمالة والعكس. وهذا الجزء يشتمل على ستة آلاف وستمائة وثمانية وعشرين بيتا، باعتبار عد أشطار الرجز منها نيف وعشرون بيتا مكررة متفرقة.

وقد كنت منذ سنين طويلة عزمت على نشر هذا المقدار من الديوان، ورأيتُ أن ألحق به ما وجدته فيا طالعته من كتب الأدب مما نسبه الى

بشار، فجمعت ذلك، فتحصل لي من ملحقات الديوان ما يقارب ألف بيت، وأفردت تلك الملحقات بجزء، وأشرت الى مستندي في نسبة تلك الملحقات الى بشار.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن بعضاً من أهل الأدب في عصرنا هذا قد استحسنوا أن يتصرفوا فيما ينشرونه في الكتب بحذف ما يلوح لهم من الألفاظ التي قد يستحيا من ذكرها في المحادثات الموقرة، وفي ديوان بشار من هذا النوع شيء ليس بقليل، ولما عزمت على نشر هذا الديوان فرضت في نفسي التردد بين طريقة إثبات شعر الشاعر على ما هو عليه وبين طريقة حذف ما قد يستحيا منه، ثم جزمت بسلوك الطريقة الاولى، لأن فيها أداء أمانة النقل على ما هي عليه، إذ لا ينبغي أن يصور الشاعر أو الكاتب على حسب ما يشتهيه الناقل أو القارىء، بل ينبغي أن يظهره كما هو بأخلاقه وألفاظه وأخلاق أهل عصره وعاداتهم، كما قيل « صحيفة لب المرء أن يتكلما ».

ولسنا بالذين نصلح من الشاعر ما أفسده طبعه، ولا نشعب ما تشقق به نبعه، على أن أهل الأدب قد اغتفروا الممازحة في مثل هذا الباب، وقد سلك الحريري ذلك في المقامة العشرين. ثم القارىء والمنتخب والمدرس أمراء أنفسهم في الاختيار.

ولو ذهبنا ننتخب من خلق الشاعر ما لا يروق لدينا من صورة حاله وعقله لكثرت للشاعر الواحد صور بكثرة الناحتين واختلاف أذواق الناشرين، فإن هذا لا يضبط بحدّ، فيوشك أن نعمد إلى الشعر فنحذف منه غزله، إذ معظمه لا يخلو من عروض الاستحياء لقارئيه بمحضر مختلفي الصنف والسن، فلو نفرض أن ولد ابن الوردي حين قال له أبوه في لاميته:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل

أراد أن ينشر ديوان بشار أو ديوان عمر ابن أبي ربيعة على طريقة وصية والده لحذف من شعرهما شيئا كثيرا. وأيضاً الهجاء معظمه مما يكره أن يباشر به الناس بعضهم بعضاً، فلو أراد أحد من هؤلاء نشر ديوان الفرزدق أو جرير أو الأخطل لما أبقى من شعر هؤلاء إلا قصائد قليلة ، وقد رأينا من بعض المتأدبين العصريين من يكره المديح، وفي الناس من يرى الفخر ذميا ، وميادين النفوس شتّى، وكلٌّ حزبٍ بما لديهم فرحون.

وأمانة العلم والنشر توجب إثبات ما تركه القائلون كما هو ، وربما اعتذر بعض الناس لحذف ما يحذفونه بأنه مما لا يحسن أن يدرس في المدارس للصغار ، وهو عذر وَاهٍ ، إذ ليس من الواجب تدريس الكتاب كله، وإنّما المدرس ينتخب ما يراه حسناً ويترك ما يراه قبيحاً، وكم من عائب قولا صحيحا .

من أجل ذلك كله أثبت ديوانه على ما هو عليه ، وألحقت ملحقاته كلها كما نسبت إليه .

ديوان

بشّار بن بُرد

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال بشار وهو بشار بن برد مولى لبني
عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
وهو من أبناء الفرس وبرد بن يرجوخ بن ازدكرد
بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه
بن ماهبذار بن باذان بن بهمن بن ازدكرد
بن جشنس بن مهران بن خسروان بن اخشنش
بن بهمراد بن سول بن ماخرشاذ بن
شهريار بن بنداد بن سنباذ بن ركين بن
ادريس بن شتاسف الملك بن لهراسف الملك
بن فنوخي بن كي ابنه بن كابيه بن حقان الملك
بن زاي بن دكه بن ماشوي بن نوذر بن
منوشهر الملك بن شبابه بن منشخوار

ابن

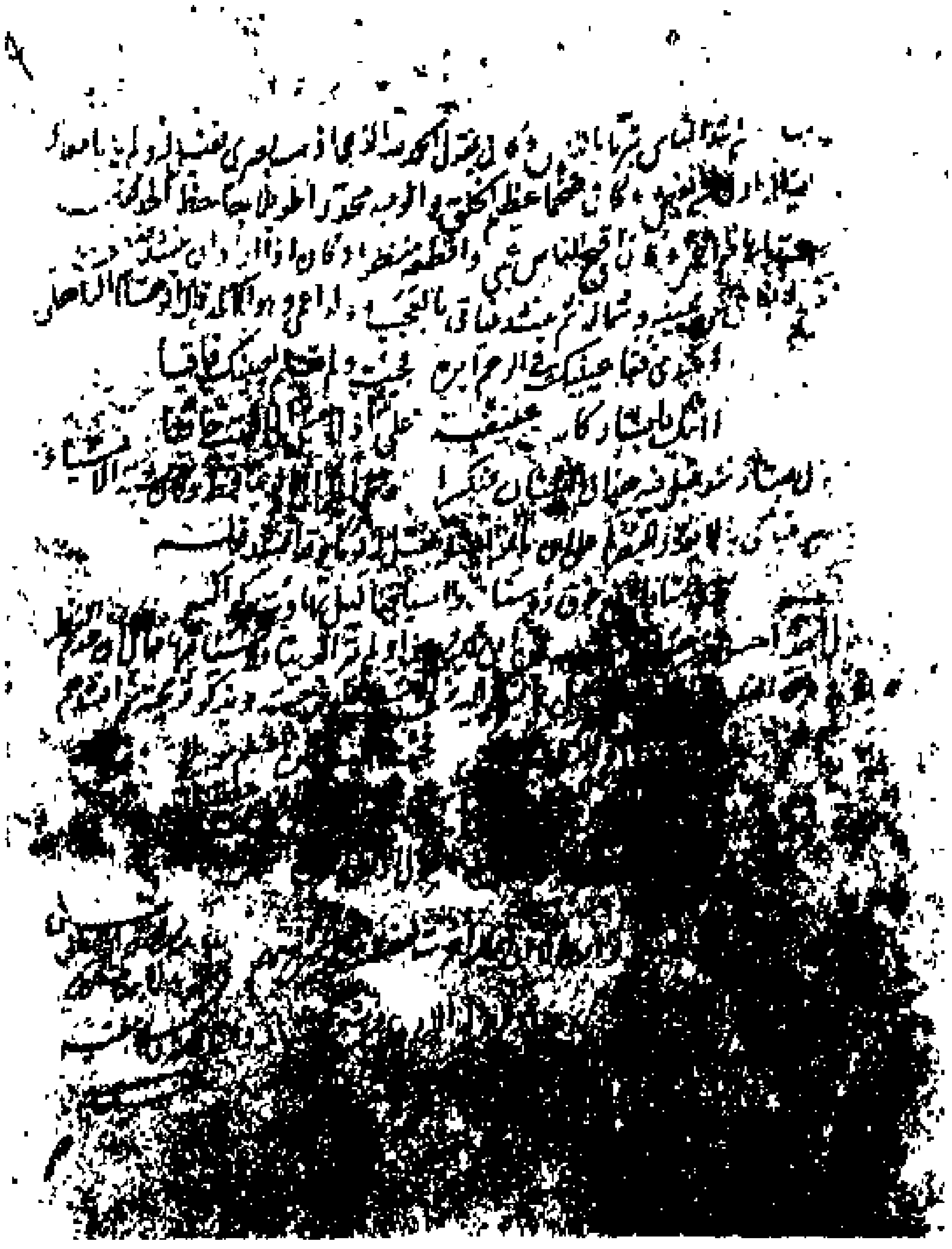

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتي

قال بشّار – وهو بشّارُ (*) بنُ بُرْد ، مولىً لبني عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو من أشراف الفُرْس (*) . وبُرْدٌ بنُ بهْمن (1) ابن أذركند (2) بن بينبرسان (3) بن بهْمن (4) بن دارا (5) بن فيروز (6) ابن كرديه (7) بن ماهيّذار (8) بن ناذان (9) بن بهْمن (10) بن أذركند (11) ابن حسيس (12) بن مهْران (13) بن خسْرون (14) بن أخشين (15) بن

---

*) ساق جامع الديوان نسب بشار بما هو مثبت هنا، فذكر له تسعة وثلاثين أبا ، وهذا مما انفرد به جامع الديوان ، ورفعه الى الخليل ابراهيم عليه السلام تبعا لطائفة من مؤرخي العرب الذين يرجعون بنسب الفرس الى ابراهيم ، وهو وهْم. وقد أتت هذه الأسماء في الديوان باللفظ والضبط الذي تراه فيه، فلم يكن بد من مقابلتها بما ذكره أبو الفرج الأصفهاني والخطيب البغدادي ومترجم الشاهنامه مشيرا الى ما في الأغاني بحرف(غ) والى ما في ترجمة الشاهنامه بحرف (ش)، وجاعلا أرقاما عددية على الأسماء في نسخة الديوان، وأمثالها على الأسماء الواردة بخلاف ما في نسخة الديوان. ولم أعثر على سلسلة نسب بشار الى هذه الغاية الا في ديباجة هذا الديوان . واعتمدتُ ذلك في ذكر نسبه في المقدمة. وقد وقف أبو الفرج عند لهراسف .

*) تنبيه : الترقيم من (1) إلى (39) هو للتسلسل النسبي .

1) قوله هنا (برد بن بهمن) مخالف لما في الأغاني وتاريخ بغداد ، فان فيهما أن بردا هو ابن يرجوخ . وتسمية الموالي من العبيد باسم (برد) معروفة، فقد كان ليزيد بن مفرغ من شعراء صدر الدولة الأموية غلام اسمه برد ، فباعه وندم على بيعه ؛ فقال :

وشريت بردا ليتني من بعد برد كنتُ هامة

(2) أذكر د (غ). (3) شروبشان (غ). (8) ماهفيدان (غ). (9) داذان (غ).

ابن شهْرزاذ (16) بن بيول (17) بن ماخُرّشاذا . . . (18) بن شهْربان (19) بن بُنْدار (20)
ابن سيحان (21) ابن مَكرز (22) بن أذريرس (23) بن بشتاسف الملِك (24)
ابن لهْراسف الملِك (25) بن فتوخي (26) بن كَيْشن (27) بن كبانيه (28)
ابن كِيقباذ الملِك (29) بن راى (30) بن بُوذكاب (31) بن ماشُوى (32)
ابن نوذ (33) بن مَنُوشها . . . (34) الملك بن كَبانيه (35) بن منشجُورانا (36)
ابن بذك (37) بن نبروسبح (38). إبراهيم(39) الخليل صلوات الله عليه.
ويلقب بشار بالمُرعَّثِ.

على قافية الهمزة في أبي أيوب المكّي (*) :

تجهّزْ طال في النَّصَبِ الثَّواءُ ومُنْتظَرُ الثَّقيلِ عَلَيّ داءُ (1)

---

(16) شهرداد (غ). (17) نبوذ (غ). (18) وقع بياض في موضع حرفين قبل الحرف الأخير من الاسم . وفي الأغاني ماخر شيدانماذ . (19) شهريار (غ). (20) بنداراسبجان. (22) مكرر (غ). (23) ادريرس (غ). (24) يستاسب (غ) كشتاسب (ش). (25) بهراسب (غ). لهواسب (ش). (26) فنوخي (ش). (27) كيمنش (ش) (28)لبانبه (ش). (33) نوذر (ش). (34) وقع محو للحرف الاخير من الاسم في الديوان، وهو منو شهر كما في الشاهنامه (38) وقع في الديوان بنون في أول الكلمة وبياء موحدة بعد السين والحرفان بعدهما غير منقوطين ووقع لفظ ابراهيم بعد الاسم العجمي فيحتمل ان لفظ (ابن) سقط للناسخ، ويحتمل ان اسم ابراهيم في الفارسية هو المرسوم قبل الاسم العربي، هنا ويحتمل انه تحريف نمروذ وكلمة أخرى تدل على معنى المعاصر.

*) أبو أيوب المكي : اسمه مسلمة بن قيس، كما سيأتي في القصيدة، وهو يلومه على عدم حفاوته به، وانتقل بشار الى ذكر إعراضه عن الغواني لنهي الخليفة إياه، والقصيدة من الوافر، عروضها مقطوفة وضربها كذلك.

1) التجهّز : جمع الجهاز، وهو ما يحتاج اليه المسافر فقوله تجهّز كناية عن ترحّلْ. والمنتظر : مصدر ميمي لفعل انتظر فمصدره الميمي يكون كاسم مفعوله، والخطاب في البيت لنفسه على طريقة التجريد، ولذلك قال بعده «عليّ داء» ، وقوله «عليّ» في محل حال، أصلها صفة لداء.

تركْتُ رِياضة النَّوْكَى قديمـاً ... فـإنَّ ريـاضـة النَّوكي عياءُ (1)
إذا ما سامنِــي الخُلطــاء خسْفـاً ... أبيْــتُ وربَّـمـا نفـع الإبــاءُ
وإغضــائِي علَى البـزْلاء وهْـــنٌ ... ووجْـه سبِيلِهـا رحْبٌ فضــاءُ (2)
قضيْتُ لُبـانةً ونسـأْت أخْـرى ... ولِلْحـاجات وِرْدٌ وانْقضـــاءُ (3)
علَى عيْنيْ «أبِي أيُّوب» مِنِّـــي ... غطاءٌ سوْف ينْكشِفُ الغطـاءُ (4)
جفــانِي إذْ نزلْت عليْهِ ضيْفـاً ... ولِلضَّيْــف الكـرامةُ والحِبــاءُ (5)
غدًا يتعلَّــمُ الفجْفــاج أنِّـــي ... أسُــودُ إذا غضِبْــتُ ولا أُســاءُ (6)
فسِرْ فِي النَّاسِ من جارٍ لئِيـــم ... إذا .... رِضاءُ (7)

---

1) الـريـاضـة : التأديب ، والنوكى بوزن هلكى: جمع أنـوك بـوزن التفضيل ، قال سيبـويه : إنمـا أجرى (أي نـوكى) مجرى هلكى لأنـه شيء أصيبـوا بـه في عقـولهم ، يعني أن وزن فعلى جمع لفعيل وفعل وصفين كقتيل وزمن. ولا يجيء جمعا لفاعل الا في ما شـذ مثل هـالك وميت ، والأنـوك الذي أصـابـه النـوك. والنـوك بضم النـون : الحمق . والمعنى : تركت محاولة تأديب الحمقى لأن ذلك شيء يعيي من يحاوله . أشار الى قول من قال:

لكـل داء دواء يستطبّ بـه • الا الحمـاقـة أعيت من يداويهـا

2) البزلاء: الداهية العظيمة، وأراد بها ما لا يحسن الصفح عنه من الذنب في سوء المعاملة ، والوهن: الضعف، والضمير في قوله «ووجه سبيلها» للأرض عائد على غير مذكور في اللفظ لأنـه ظاهر من المقام على حد «حتى تـوارت بالحجاب» وقوله «رحـب فضــاء» هو القرينـة، والواو واو الحال في معنى التعليل، أي: لأن الأرض فسيحة، قال الحماسي إياس بن قبيصة الطائي:

ألم تر أن الأرض رحبٌ فسيحة ... فهل تعجـــزني بقعة من بقاعهـــا

وقـال عبد الـرحمـــن بن الـزبير :

وفي الأرض عن دار القلى متحـول

3) اللبـانـة بضم اللام : الحـاجـة . ونسأت: أخـرت ، ومنـه النسيء : تأخير الأشهر الحرم . والـورد هنـا بمعنى الأول. لأن الـورد هو الخروج للشـراب .

4) أراد بالغطـاء أنـه ينظر اليه نظر المستقـل وأنـه سيزول غطاؤه برحلتـه عنـه .

5) بيان لقوله (على عيني أبـي أيـوب . .) البيت . فلذلك لم يعطفـه ، لأن الجملـة الثانية لهـا مع الأولى كمـال الاتصال .

6) الفجفـاج بفـائين وجيمين : كثير الكـلام والفخـر بمـا ليس عنده ، وقـولـه : «أسـود» كذا في الديـوان بالدال ، والصـواب «أسـوء» بالهمـز .

7) قوله «من جـار» «من» تعليليـة أى ارتحل من أجل الجار اللئيم. وبعض النصف الثـاني لا يقرأ في الديـوان من أثـر محـو .

نأتْ سلْمى وشطَّ بهـا التّنـائي وقامتْ دُونهَـا حَكَمٌ وحَـاءُ (1)
وأقْعَـدَنِي عن الغُـرِّ الغَـوَانِـي وَقَـدْ نَادَيْتُ أوْ سُمعَ النِّدَاءُ (2)
وَصِيَّـةُ مَنْ أرَاهُ عَلَيَّ رَبّـا وعَهْـدٌ لا يَنَـامُ بِهِ الوَفَـاءُ (3)
هَجَـرْتُ الآنِسَـاتِ وهُنَّ عِنْدِي كَمَـاءِ العَيْنِ فَقْدُهُمَـا سَـوَاءُ
وَقَدْ عـرَضْنَ لي وَاللهُ دُونِـي أعُـوذُ بِهِ إذَا عَـرَضَ البَـلاَءُ

---

1) مناسبة هذا الانتقال خفية، ووجهها أنه لما ذكر الترحل عن الذي لارغبة له فيه ذكر بعد من هو فيه راغب، بجامع حضور الضد في البال عند حضور ضده الآخر، وهو الجامع العقلي، وقوله: «حكم وحاء» حيان من عرب اليمن من ملحج من وراء رمل يبرين، والظاهر أن حاء من أزد عمان كما سيأتي في البيت 5 من الورقة 6. يضرب المثل ببعدهما، قال الشاعر:

طلبت الثـأر في حكم وحـاء

وفي الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي حتى حكم وحاء». يقول بشار: حالت دونها جهات بعيدة كجهات حكم وحاء، فجعلها كناية عن شدة البعد، فقوله «وقامت» بمعنى حالت لأن الذي يريد أن يحول بين المرء وغيره يقوم قائما ليمنعه منه، وهذا عكس قول عمرو بن كلثوم:

تعرضت اليمامة واشمخرت

أطلق التعرض على قيامها وارتفاعها للناظر كأنها متعرضة له تمنعه من المشي.

2) لما ذكر بعد الحبيبة أراد أن يفيد السامع وجه عدم طلابه القرب منها، فذكر قوله «وأقعدني عن الغر الغواني». وقوله: «وقد ناديت» جملة معترضة بين الفعل وفاعله، يريد: وقد حاولت الإذن لي في مغازلتهن فلم تنجح محاولتي، فتمثل بقوله يريد قول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا

فإنه يضرب مثلا فيمن يحاول عبثا ويسأل من لا يجيبه. وضبط في الديوان تاء «ناديت» بضمة والأظهر أنه بفتح التاء. وقد مضى في مقدمة الديوان ذكر نهي المهدي بشارا عن التعرض لغزل النساء، بدليل قوله في البيت الخامس عشر «ولولا القائم المهدي...» البيت.

3) قوله «وصية» فاعل (أقعدني). وقوله «وعهدا» وقع في الديوان بالنصب، والوجه أن يكون مرفوعا عطفا على (وصية)، وإنما قال «من أراه علي ربا» ليدل على أنه يعتقد إمامة الخليفة المهدي ويمتثل أمره، وإلا فإنه سيده سواء رأى ذلك أم لا، لكنه أراد أن يدل على أنه يجمع له الطاعة قلبا ولسانا وعملا. والرب: السيد والمالك، وهو لا يختص إطلاقه بالله تعالى على التحقيق، لا في الجاهلية ولا في الإسلام، كما ورد في القرآن والحديث.

ولَـوْلَا القَـائِمُ المَهْـدِي فينَـــا   حَلَبْتُ لَهُنَّ مَا وَسِعَ الإِنَـــاءُ (1)
وَيَوماً بالجُدَيْدِ وَفَيْـتُ عَهْـدًا   وَلَيْسَ لعَهْدِ جَـارِيَةٍ بَقَـــاءُ (2)
فَقُـلْ للغَـانِيَـاتِ يَقِـرْنَ إِنّي   وَقَرْتُ وَحَانَ من غَزَلي انْتِهَـاءُ (3)
نَهَـانِي مَالِكُ الأَمْلَاكِ عَنْهَـــا   فَثَـابَ الحِلْمُ وانْقَطَعَ العَنَاءُ
وكَمْ مِنْ هاجِرٍ لِفتـاةِ قَــومٍ   وبَيْنَهُمَـا إذا التقيـا صفـاءُ (4)
وغَضَـاتُ الشَّبَـابِ من العذارَى   عليهِـنَّ السُّمُوطُ لهـا إبـاءُ (5)
إذا نبحَ العِـدى فلَهُـنَّ وُدِّي   وتَـرْبِيَتِـي ولِلْكَلْبِ العُـــواءُ
لهـوتُ بِهِنَّ إذْ مَلَقِي أنيــقٌ   يَصِرْنَ له وإذْ نَسمي شفَـــاءُ (6)
وأطْبَـقَ حبهنَّ علَى فُـــؤَادِي   كَمـا انْطبقَـتْ على الأرضِ السَّماءُ
فلمّـا أنْ دُعِيتُ أصبْـتُ رُشْدِي   وأسْفَـرَ عَنِّيَ الـدَّاءُ العيَـــاءُ

---

1) قوله: «حلبت لهن ما وسع الإناء» أراد تشبيه الحديث والمغازلة بالحلب للضيف، وأنه لا ينقطع دره لهن ماطال زمن المجالسة والمواصلة. وهذا التوجيه مقصود منه ليتسنى له نقض وصاية المهدي، وقد تكرر له مثل هذا في قصائده.

2) «الجديد» بصيغة التصغير هو تصغير جُد بضم الجيم، وهو البئر، سمي به موضع بالبصرة وبشار بصري.

3) «يقرن» بكسر القاف مضارع وقر كوعد بمعنى جلس، وهو مأخوذ من الوقار، وهو الرزانة وليس هو مضارع وقُر ككرم إذا صار له الوقار سجية، لأن حلف فائه مؤذن بأنه غير مضموم العين.

4) هذا في معنى قول الأحوص:

يـا بيت عـاتكة التي أتعـزل   حذر العدى وبـه الفـؤاد موكـل

5) قـوله «عليهن السموط» الجملة في موضع الحال من «غضات الشباب». والسموط: جمع سمط، وهو القلادة، وقوله «لها إباء» هو خبر «غضات الشباب».

6) الملق بالتحريك: شدة التـودد واللطف، وأراد به التـودد لهن. والنسم: التنفس، وأراد بذلك زمان شبابه وقوته ورغبة النساء فيه. «يصرن» ضبطت في نسخة الديوان بضم الصاد، أي: يملكن ويقبلن، وهي أولى، قال الأخفش: صر الي (بضم الصاد) أي أقبل علي.

عَلَى الغَزَلَى سَلَامُ اللهِ مِنِّي وإِنْ صنع الخليفةُ ما يشاءُ (1)
فهذا حِينَ تُبْتُ مِنَ الجوَارِي ومِنْ رَاحٍ بِهِ مِسْكٌ ومَاءُ

---

1) الغـزلى: مصدر غزل يغـزل (كضرب) غـزلا وغـزلا بالتحريك، إذا مـزح مع النسـاء حبا لهن وذكـر محاسنهن، ولعلـه مشتق من الغـزل ، لأن المحب اذا تحبب الى النسـاء فهو كمن يغـزل غـزلا لينسج بـه. ونظيره قـولهـم : يفتـل منـه في الذروة والغـارب، وبشـار صاغه بوزن الفعلى، وهو غير معدود في المصادر على وزن فعلى، وقد ذكر سيبويه في كتابه باب المصادر التي في آخرها حرف تأنيث فلم يذكر فيه فعلى، وإنما ذكروا جمزى وبشكى ومرطى، أنـواع من سير الإبل السريـع ، وهذا كالوجلى في قول بشار أيضـا:

فالآن أقصـر عـن سمية باطلي وأشار بـالـوجلى عـلي مشيـر

وقد روي أن سيبويه عاب على بشار قوله: الوجلى والغـزلى. وقيل: إن بشارا هجا سيبويـه لأجل إنكاره عليه هذا بقوله:

أسيبويـه يابن القارسيـة مـا الـذي تحدثـت عن شتمـي وماكنت تنبـذ
أظلت تغنـي سـادرا فـي مساءتي وأمـك بـالمصـريـن تعطي وتـأخذ

وفي الأغاني أن الأخفش هو الذي طعن على بشار قوله: الغزلى والوجلى، فبلغ ذلك بشارا فقال: ويلي على القصارين، متى كانت الفصاحة في بيوت القصارين، دعوني وإياه، فبلغ ذلك الأخفش فجزع ، وأرسل أصحابه إلى بشار، فاستوهبوا منه عرضه، فقال: قد وهبته للؤمه. قيل: فكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعر بشار. ولا يظن ذلك بالأخفش.

وقد ذكر بشار هذا اللفظ في مواضع من شعره بتـراكيب متقاربة، فسيأتي في قافية الدال في الورقة 202 ويأتي في قافية الـراء .

ومعنى قوله «على الغزلى سلام الله» أنه يحييها ويذكرها بحسن الذكر، بدليل قولـه «وإن صنع الخليفة ما يشاء» أي أنه لم يزل يحن للمغازلة ، ولكنه تركها طاعة للخليفة، أما تذكره لها فلا يفتأ عنه وإن أباه الخليفة، كأنه يقول: إن الخليفة نهاني عن نفس الغـزل لا عن اسمه، فأنا أذكره لشوقي إليه، وهذا عكس هجران الحبيب بترك ذكره اسمه وكلامه مع بقاء حبه في القلب .

فإن قلت: قد قالوا: إن تقديم المجرور بعلى على لفظ السلام يختص بتحية الميت، أما تحية الحي فهي بتقديم لفظ السلام على المجرور، كقول عبدة بن الطبيب :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

وكقول جزء بن ضرار أخي الشماخ في رثاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عليك سلام من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

قلت: لعله أراد أن الغزلى قد انقضت منه ، فشبهها بالميت الذي يذكر بخير، أو أن ذلك مقيد بغير الضرورة الشعرية، وأما الشعر فالاعتماد في التفـرقة على القرائن كما في قول بشـار في القصيدة الآتية:

فعلى حقبة السلام مقيمـا وإذا سار تحت ظل اللواء

وإنْ أكُ قَدْ صَحَوْتُ فَرُبَّ يَوْمٍ   يَهُزُّ الكَأسُ رَأسِي والغِنَاءُ
أرُوحُ عَلَى المَعَازِفِ أرْبَحِيًّا   وتَسْقِينِي بِرِيقَتِهَا النِّسَاءُ (1)
ومَا فَارَقْتُ مِنْ سَرَفٍ ولكِنْ   طغَى طَرَبِي ومالَ بِيَ الفتاءُ (2)
أوانَ يقولُ مسْلمةُ بنُ قَيْسٍ   وليْس لِسيِّدِ النَّوْكَى دَوَاءُ (3)
رُوَيْدَكَ عن قِصافَ عليْك عينٌ   وللمُتكلِّفِ الصَّلِفِ العفاءُ (4)
فلَا لَاقى مناعِمَهُ ابنُ قيْسٍ   يُعَزِّينِي وقدْ غُلِبَ العَزاءُ

---

1) وقع في النسخة « أربخيا » بباء موحدة بعد الراء وخاء معجمة، فيكون صفة فيها معنى النسبة للمبالغة، كقولهم: أصلتي وأجنمي، وهو من ربخ بمعنى استرخى، من قولهم: ربخت المرأة (كفرح) بمعنى استرخت في مشيتها، فلعله أراد أن ذلك من سكره. والظاهر أنه تحريف، صوابه « أريحيا » بياء مثناة تحتية بعد الراء وبحاء مهملة، صفة فيها معنى النسب، وهو بمعنى سعة الخلق والاهتزاز للندى ونحوه، وهو المناسب للبيت، وانظر البيت الثامن في الورقة 140.

2) الظاهر أنه « قارفت » بقاف في أوله وفاء بعد الراء.

3) مسلمة بن قيس هو أبو أيوب المهجو، وقوله « سيد النوكى » تهكم، وذلك من تأكيد الهجاء بما يشبه المدح، كقول الشاعر، أنشده الكسائي:

إن هو مستوليا على احــد   الا على أضعف المجانيــن

وهو قريب من قوله تعالى « ذق إنك أنت العزيز الكريم »، وقوله، « رويدك.. » في البيت بعده بقية القول، وقوله « وليس لسيد النوكى دواء » جملة معترضة.

4) « رويدك » وما بعده هو مقول القول، وقصاف (بقاف فصاد مهملة بعدها ألف وفاء، بوزن كتاب) اسم امرأة، ممنوع من الصرف، وقوله « عليك عين » أي عليك رقيب.

وقـــال أيضاً يمـدح عقبة بن سلم (*):

حيِّيَـا صيـاحِبيَّ أمَّ العـــلَاء ... واحْذَرا طـرْفَ عيْنِهـا الحوْراء (1)
إنَّ فـِي عيْـنِهــا دواءً وداءً ... لِمُلِــمٍّ والــدَّاءُ قـبْـلَ الدَّواء
رُبَّ ممشى منْهـا إليْنـا علَى رغْـ ... ـمِ إزاءٍ، لَا طـابَ عيْشُ إزاءِ! (2)
أسْقمـتْ ليْلةَ الثُّـلَاثـاء قلْبي ... وتصـدَّتْ فـي السَّبْـتِ لي لِشَقائِي
وغـداةَ الخميسِ قدْ موَّتتْنـي ... ثُـمَّ راحتْ في الحُلَّـةِ الخضْراء (3)
يـوْمَ قالتْ: إذا رأيْتُك فِي النَّـوْ ... مِ خيالًا أصبْتَ عيْنِي بِـــداء(4)

*) وقال يمدح عقبة بن سلم (من بحر الخفيف) هو عقبة بن سلم (بفتح السين وسكون اللام) الهنائي (بضم الهاء) منسوبا الى هناءة (بضم الهاء) بن مالك بن فهم من بني دوس كما في جمهرة الأنساب لابن حزم، وكناه بشار «أبا الملد» في السطر 38 ورقة 156. ظهر عقبة في خلافة أبي جعفر المنصور، ذلك أن المنصور أولى على البصرة ابن أخيه محمد بن أبي العباس السفاح سنة 147، فاستعفى من ذلك فأعفاه، فانصرف الى بغداد واستخلف بالبصرة عقبة بن سلم، فأقره المنصور عليها، وفي سنة 151 أمره المنصور بالسير لقتال أهل البحرين والثائر بها سليمان بن حكيم العبيدي، فقاتلهم وخضد شوكتهم، ونشأ عن ذلك غضب المنصور عليه وعزله عن البصرة، حيث أظهر بعض الرفق على أهل البحرين، فبقي مجردا عن العمل، وتوفي عام 167 في بغداد، طعنه رجل بخنجر وهو ممدوح بشار بالقصائد الغر، وذكر بشار في قصيدة في مدحه في قافية الدال أنه غزا الهند، وفي قصيدة بشار أيضا أنه مسبوق في المجد بوالده وبعمه إذ قال:

هتفنا ونوهنا بعقبة إنـه ... مع النصر مفروط بعم ووالد

وقال رجل لبشار: ان مدائحك عقبة بن سلم فوق مدائحك كل أحد، فقال بشار: إن عطاياه إياي كانت فوق عطاء كل أحد. وقال له: إنه أجازني على هذه بثلاثة آلاف دينار.

1) كتب في الديوان: «حي باصاحبي» والصواب: «حييا صاحبي» بدليل قوله «احذرا». و«أم العلاء» يظهر أنه أراد امرأة وهمية بنى عليها نسيب القصيدة ويحتمل أنها كنية إحدى حبائبه.

2) كتب في الديوان «ممسى» بالسين المهملة، وضبطها بفتحة على الميم، والصواب أنه بالشين المعجمة مصدر بمعنى المشي، يدل لذلك قوله «إلينا» إذ لو كان «ممسى» لكان يقول «عندنا» ولكان بضم الميم.
و«إزاء» ككتاب هو القيم على الشيء، كأنهم سموه باسم المكان، لأن القيم يكون إزاء ما عهد إليه، وأراد به هنا رقيب هاته المرأة والقيم على حراستها، وفيه إيذان بأنها محجبة ممنعة غير مبتذلة.

3) قوله «قد موتتني» هو من الألفاظ الجديدة في شعر المولدين، وهي مولدة فصيحة، والأصل أماتت، وهو من قياس التضعيف على همز التعدية.

4) أصبت جواب (إذا).

واسْتخفَّ الفُؤادُ شوْقاً إلى قُرْ بِك حتَّى كأنَّني في الهواء
ثُمَّ صدَّتْ لِقوْلِ حمَّاء فِينا يا لقَوْمِي دمِي علَى حمَّاء! (1)
لا تلوما فإنها من نساء مشرقات يطرفن طرف الظباء
وأعينا امْرأ جفا وُدَّه الحيُّ وأمْسى مِن الهوى في عناء
اعْرِضا حاجتِي عليْها وقُولا: أنسيت السَّرَّار تحت الرِّداء (2)
ومقامِي بيْن المُصلَّى إلَى المِنْبرِ أبْكِي عليْك جَهْد البُكاء
ومقال الفتاةِ: عُودِي بِحِلْم ما التَّجنِّي مِنْ شِيمةِ الحُلماء
فاتَّقِي اللهَ في فتًى شفَّهُ الحُبُّ وقوْلُ العدى وطُولُ الجفاء
أنْت باعدْته فأمْسى من الشَّوْ قِ صرِيعاً كأنَّهُ في الفضاء
فاذْكُرِي وأيَهُ عليكِ وجُودِي حسْبُك الوأيُ قادحاً في السَّخاء (3)
قدْ يُسِيءُ الفتى ولا يُخْلِفُ الوعْـ ـد فأوْفِي ما قُلْت بِالرَّوْحاء (4)
إنَّ وعْد الكرِيم دَيْنٌ عليْهِ فاقْضِ واظْفرْ بِهِ علَى الغُرماء (5)
فاسْتهلَّتْ بِعَبْرةٍ ثُمَّ قالتْ كان ما بيْننا كظِلِّ السَّراء (6)

---

1) الحماء (بالمد): السوداء، مؤنث الأحم، وهو الأسود، وأصله مأخوذ من الحمة (بضم الحاء) لون بين الدهمة والحمرة في الخيل، يقال: فرس حماء. وأراد بشار أنها صدت لوشاية امرأة سوداء، أو هو اسم امرأة سميت باللون، كما سموا «حواء». وقوله «دمي على حماء» أي حيث كانت سبب قتله، وقوله «يا لقومي» منادى مستغاث مضاف الى ياء المتكلم.

2) ضبط «السرار» بشدة على الراء.

3) الوأي: الوعد، وقوله (حبسك) هو بتقديم الباء على السين، والوأي الثاني مفعول، ووقع في الديوان «حسبك الوأي» بتقديم السين على الباء ورفع الوأي، وكذلك رأيته في بعض دواوين الادب، وفسره بعضهم بأن الجود الحقيقي هو البذل قبل الوعد، وأنت قد وعدت فأنجزي، لأن ذلك آكد، وشأنك أن تبذلي قبل الوعد، وهو تفسير بعيد.

4) الروحاء: موضع.

5) أراد من هذا البيت أن يرسله مثلا، فلذلك أتى بقوله «فاقض» على خطاب المذكر، إذ المراد فاقض واظفر يا واعد، ولولا ذلك لقال: فاقضي واظفري.

6) السراء (بفتح السين وبالمد): شجر تتخذ منه القسي، واحدته سراءة، أراد أنه ظل مديد.

يـا سُلَيْمى قومي فرُوحي إليْـهِ أنْتِ سُرْسُورتي من الخُلطـاء(1)
بلِّغيـه السَّلام منِّـي وقـولي : كُـلُّ شيءٍ مصيـرُه لِفنـاء(2)
فتسلَّيْـتُ بِـالمعـازِفِ عنها وتعـزَّى قلْبـي ومـا مِـنْ عـزاء
وفـلَاة زوْراءَ تلْقـى بهـا العيـنَ رِفـاضاً يمْشين مشْيَ النِّساء(3)
مِنْ بِـلَادِ الخـافي تغـوَّلُ بِـالرَّكْـبِ ، فضاءٌ مـوْصُولةٌ بِفضـاء(4)
قدْ تجشَّمْتُهـا ولِلْجُنْـدُبِ الجوْ نُ نِداءٌ فِي الصُّبْح أوْ كالنِّداء(5)
حِينَ قال اليعْفُـورُ وارْتكض الآ لُ بريْعـانِهِ ارْتكـاض النِّهـاء(6)
بِسبُـوحِ اليدَيْـنِ عامِلة الـرِّجْـلِ مَـرُوحٍ تغْلُـو مِن الغُلْـوَاءِ (7)

---

1) السرسورة (بضم السين) : الحبيبة الخاصة من الحبائب.
2) أرادت أن تعزيه على هجرها وتؤيسه من عود وصلها.
3) الزوراء: البعيدة الأطراف. والعين: بقر الوحش. ورفاضا: متفرقة.
4) الخافي: الجن. وقوله « فضاء موصولة بفضاء » حال، وهو كناية عن سعة فضائها، وهو كقول رؤبة بن العجاج ، وقيل هو لأبي النجم :

ومهمه أطـرافه في مهمـه أعمى الهدى بالجاهلين العمه

5) الجندب ضرب من الجراد معتاد الحر ، فهو لا يستغيث الا من شدة الحر المفرطة، فيصوت أو يصك برجله، قال ذو الرمة :

وهاجـرة من دون مية لـم تقـل قلوصي بها والجندب الجون يرمح

ومثله كثير في كلامهم. وقوله « في الصبح » إشارة الى أن الحر أصبح باكرا، وقوله « أو كالنداء » « أو » فيه للتقسيم بمعنى أن الجنادب بعضها يصيح من شدة الحر ، وبعضها وهو أدربها بالحر يقارب أن يصيح، أو أراد بقوله « أو كالنداء » الاقتصاد في المبالغة على عكس: « وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون » إذ أريد به تحقيق العدد.
6) قال: أي هجع في القيلولة، واليعفور: حمار الوحش، وارتكض: اضطرب، والآل: السراب، والريعان: شدة السراب، والنهاء (بكسر النون) جمع نهى (بكسرها وفتحها)، وهو حيث ينتهي الماء من الوادي.
7) السبوح: السابحة وأراد الناقة. شبه سرعة سيرها مع قلة الاضطراب بسباحة الحوت، كما قال المتنبي:

سبوح لها منها عليها شواهد

همُّهـا أنْ تزُورَ عُقْبـةَ فـي المُلْـكِ فتروى من بحـرِه بِـدِلَاءِ (1)
مالِكِيٌّ تنشقُّ عَنْ وجْهِهِ الحـر ب كما انْشقَّتْ الـدُّجى عن ضِياءِ (2)
أيُّهـا السَّائِلِي عنِ الحزمِ والنَّجْـدةِ والبـأسِ والنَّدى والـوَفَـاءِ (3)
إنَّ تِلْكَ الخِـلَالَ عِنْـد ابنِ سلْم ومـزِيدًا مِنْ مِثْلِهـا فـي الغَنَاءِ (4)
كخِراجِ السَّمـاءِ سَيْـبُ يَديْـهِ لِقرِيبٍ ونـازِحِ الـدَّارِ نَـاءِ

---

1) قوله «فتروى من بحره بدلاء» شاع في كلامهم تشبيه الكريم بالبحر والماء وتشبيه عطائه بالسقي. قال علقمة في الحرث الغساني يستعطفه ليطلق أخاه شأسا:

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب

فقال الحرث «نعم، وأذنبه» وأطلقه من الأسر. وقال تعالى «فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم» على طريقة التهكم بهم.

2) «مالكي» نسبة الى جده مالك بن فهم، وقوله «تنشق عن وجهه الحرب» أراد بالانشقاق ظهوره في ساحة الحرب، يريد أنه إذا نزل الى ساحة الحرب ذهبت سورتها، فاستعار استعارة مكنية إذ شبه الحرب بالليل وتخيل ظهوره فيها شقا لها وتمزيقا، ولا شك أن تمزيق الحرب بظهور النصر، قال النابغة في راحلته:

فانشق عنها عمود الصبح جافلة ... الخ

وقوله «كما انشقت» تشبيه بهيئة انصرام الليل بعمود الفجر، وباعتبار الهيئة حصلت فائـدة إعادة التشبيه بعد حصوله بطريق الاستعارة، أو أراد من هذا التشبيه الأخير خصوص ما تضمنه من تشبيه وجه الممدوح بالضياء او بالشمس، قال امرؤ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ويروى في بعض كتب الادب «كما انشقت الدجى عن ذكاء» وذكاء بضم الذال: الشمس.

3) قوله «السائلي» أدخل حرف التعريف على المضاف لأنه وصف مضاف لمعرفة على مذهب الفراء الذي لا يرى اشتراط كون الوصف الذي تدخل عليه أل مثنى أو مجموعا، وإنما يعتبر كون المضاف اليه معرفة خلافا للجمهور، ومذهب الفراء هو الحق وإن انتصر ابن الحاجب للجمهور إذ لا معنى لاشتراط كون المضاف مثنى أو جمعا، وذلك أن الأصل ألا تدخل ال على المضاف للاكتفاء بتعريف الإضافة، فلما جاز دخولها على الأوصاف المضافة لأن إضافتها لفظية لا تفيدها تعريفا فالوجه الاكتفاء بشرط كون المضاف اليه معرفة إما بأل نحو الحسن الوجه والجعد الشعر أو بغيرها، ليكتسب بذلك قوة في باب التعريف. وأما كون المضاف مفردا أومثنى أوجمعا فلا وجه لاشتراطه، وإن كان الوارد كثيرا هو المجموع والمثنى كقول عنترة:

الشاتمي عرضي ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمي

4) «الغناء» بفتح الغين المعجمة ممدودا هو النفع وكفاية المهمات، وذلك أن تلك الصفات الخمس المذكورة في البيت قبله كلها منافع عظيمة.

حـرَّم اللهُ أنْ تـرى كـابْنِ سلْمٍ عُقْبـةِ الخيْـرِ مُطْعِـمُ الفُقَـراء (1).
يسْقُـطُ الطَّيرُ حيثُ ينْتَثِرُ الحَبُّ وتُغْشَـى منـازِلُ الـكُـرَمـاءِ (2)
لَيسَ يُعْطيكَ للرَّجـاءِ ولا الخوْ فِ ولَكنْ يَلَـذُّ طَعْـمَ العَطَـاءِ (3)
إنَّمـا لَذَّةُ الجَـوادِ ابْـنِ سَلْـمٍ فِي عَطَـاءٍ ومَـركَبٍ للقـــاءِ
لا يَهَـابُ الـوَغَى ولا يَعْبُـدُ المَـــالَ ولَكِـنْ يُهِينُـهُ لِلثّنَـاءِ (4)

---

1) «قوله حرم» الله أصل التحريم المنع، وشيء حرام ممنوع، قال تعالى «وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون» و(لا) في الآية صلة وتوكيد، وقالت الخنساء:

وإن حراما أن أرى الدهر باكيا على هالك الا بكيت على صخر

وجعل التحريم من الله هنا تأكيدا للمنع لأن الأمر الذي جعله الله لايتخلف. وقد كنى بشار بقوله «حرم الله ان ترى» الخ عن بلوغ الممدوح الغاية في المحامد، فلذلك عز وجود نظيره، وذلك أن النفائس في كل الأنواع قليلة، وأنفس النفائس لا يأتي الاعلى خلاف العادة، فكان منع الله مجيء مثل ابن سلم مستلزما لكونه من نفائس الموجودات، وأنه لا نظير له، وأن مثله لا يتعدد، وكل ذلك كناية عن بلوغه غاية في المجد والكرم لم يبلغها غيره، وقريب منه قول الشاعر:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمـان بمثلـه لبخيل

وقولـه: «عقبة الخير» الإضافـة على معنى اللام فتؤول الى معنى ذي الخير، كما قال الأعرابي لعمر بن الخطاب:

يا عمر الخير جزيت الجنة

وسمّى النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخيل زيد الخير.

2) هذا البيت استئناف بياني نشأ عن قوله «مطعم الفقراء» كأن قائلا، سأل: من أين للفقراء أن يغشوا منزله وهو رجل عظيم وهم ضعاف، وهل يكثر عنده الفقراء فأجاب بقوله «يسقط الطير» أي كما أن الطير تهتدي لموقع الحبوب، فلا تسل عن اهتدائهم لمنزله، ولا عن كثرتهم، لأن الحاجة قدم السائر. فقوله «يسقط» يتضمن تشبيها. وهذا البيت مثل بديع.

3) زاد بيانا ليدفع عجب السائل، فقال: هو لا يعطي العظماء طمعا في نفعهم له بالمال والجاه والولاية، ولا خوفا من نكباتهم أو من ألسنتهم، وهذا كقول جرير في عمر بن عبد العزيز: جئتكم من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، والخطاب في قوله «يعطيك» لغير معين ليعم كل سامع، مثل في قوله تعالى «ولو ترى إذا وقفوا على النار». وروي في الأغاني هذا البيت قبل الذي سبقه.

4) «يهينه» أي يبذله ويجود به، وأصل هذا الفعل أن العرب تقول: أهان ناقته أي نحرها للضيف، لأن النحر إهانة، قال سبرة بن عمرو الفقعسي:

نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أثمانها ونقامر

ثم أطلق على البذل بعلاقة الإطلاق.

أَرْيَحِيٌّ لَهُ يَدٌ تُمْطِرُ النَّيْـ ـلَ وأُخْرَى سُمٌّ عَلَى الأَعْدَاء (1)
قَدْ كَسَانِي خَزًّا وأَخْدَمَنِي الحُو رَ وخَلًّا بُنَيَّتِي فِي الخَلَاء
وحَبَانِي بِهِ أَغَرُّ طَوِيلُ البَا عِ صَلْتَ الخَدَّيْنِ غَضَّ الفَتَاء (2)
فَقَضَى اللهُ أَنْ يَمُوتَ كَمَا مَا تَ بَنُونَا وسَالِفُ الآبَاء
رَاحَ فِي نَعْشِهِ ورُحْتُ إِلَى «عُقْبَـةَ» أَشْكُو، فَقَالَ غَيْرَ نَجَاء: (3)
إِنْ يَكُنْ مِنْصَفٌ أُصِبْتَ فَعِنْدِي عَاجِلٌ مِثْلُهُ مِنَ الوُصَفَاء (4)
فَتَنَجَّزْتُهُ أَشَمَّ كَجِرْوِ اللَّيْـ ـثِ غَادَاكَ خَارِجاً مِنْ ضَرَاء (5)
فَجَزَى اللهُ عَنْ أَخِيكَ ابنَ سَلْمٍ حِينَ قَلَّ المَعْرُوفُ خَيْرَ الجَزَاء (6)
صَنَعَتْنِي يَدَاهُ حَتَّى كَأَنِّي ذُو ثَرَاءٍ مِنْ سِرِّ أَهْلِ الثَّرَاء
لاَ أُبَالِي صَفْحَ اللَّئِيمِ ولاَ تَجْـ ـرِي دُمُوعِي عَلَى الخَؤُونِ الصَّفَاء (7)
وكَفَانِي أَمْرًا أَبَرَّ عَلَى البُخْـ ـلِ بِكَفٍّ مَحْمُودَةٍ بَيْضَاء

---

1) تقدم الأريحي في البيت 6 من الورقة 3.

2) الضمير المجرور عائد على غير مذكور، اكتفاء بكونه معروفا من المقام، مثل «حتى توارت بالحجاب» وأراد به هنا مملوكا وهبه له عقبة، ثم مات هذا المملوك فوهبه مملوكا آخر. وهذه الأبيات الخمسة سخيفة المعنى وضعيفة المدح.

3) النجاء: مصدر ناجاه إذا ساره، والمعنى أنه وعد علنا، وذلك لجوده، لأن الإعلان بالوعد يمنع من الإخلاف ويغري غير السائل بالسؤال.

4) المنصف (بكسر الميم وفتح الصاد): المملوك والخادم، والوصيف أيضا: الخادم، وجمعه وصفاء، ووقع في الديوان «أصبت» والظاهر أنه أصيب أي هلك، وهذا البيت متصل بالذي قبله على وجه التضمين، وهو وإن عد عيبا لكنه عيب خفيف لكثرة الحاجة اليه، وقد سلكته العرب، قال النابغة:

فهم درعي التي استلأمت فيها وهم أصحاب يوم عكاظ أني
شهدت لهم مواطن صادقات أتينهم بود الصدر مني

5) الضراء (بفتح الضاد، بوزن سماء) أرض مستوية بها شجر تأوي اليها السباع.

6) الكاف في قوله «عن أخيك» إما راجعة لغير معين، كما في قوله «ليس يعطيك» في البيت 24 من ورقة 4، وإما راجعة للمخاطب في قوله: «أيها السائلي. . .».

7) «الخؤون الصفاء» هكذا بتعريف المضاف باللام لأن الإضافة لفظية وقد اقترن المضاف اليه أيضا باللام. وفي رواية «على خؤون الصفاء» وهي أحسن.

يَشْتَرِي الحَمْدَ بالثّنَا وَيَرَى الذّ م فَظِيعاً كَالحَيَّة الرَّقْشَاء
مَلِكٌ يَفْرَعُ المَنَابِرَ بِالفَضْلِ وَيَسْقِي الدِّمَاءَ يَوْمَ الدِّمَاء (1)
كَمْ لَه مِنْ يَدٍ عَلَيْنَا وَفِينَا وَأَيَادٍ بِيضٍ عَلَى الأَكْفَاء
أَسَدٌ يَقْضِمُ الرِّجَالَ وَإِنْ شِئْتَ فَغَيْثٌ أَجَشُّ ثَرُّ السَّمَاء(2)
قَائِمٌ بِاللِّوَاء يَدْفَعُ بِالمَوْتِ رِجَالاً عَنْ حُرْمَةِ الخُلَفَاء
فَعَلَى عُقْبَةَ السَّلاَمُ مُقِيماً وَإِذَا سَارَ تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاء(3)

* * *

وقال أيضاً (*) :

رِيقُ سُعْدَى يَابْنَ الدُّجَيْلِ الشِّفَاءُ فَاسْقِنِيهِ، لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءُ(4)
نَامَ عَنِّي صَحْبِي ولاَ أَعْرِفُ النَّوْمَ، بِعَيْنِي قَذًى وبالقَلْبِ دَاءُ
ويَقُولُ الوُشَاةُ : أَحْبَبْتَ سُعْدَى صَدَقُوا والجَلِيلِ حُبِّي عَيَاءُ
لا أَرَانِي أَعِيشُ، قَدْ ظَعَنَ الحِبُّ وحَفَّتْ بُيُوتَهُ الأَعْدَاءُ
ذَهَبَ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ وأَمْسَى جَارَ بَيْتِي البَغِيضُ، هَذَا البَلاَءُ
جَاوَرَتْنَا كَالمَاءِ حِيناً فَلَمَّا فَارَقَتْ لَمْ يَكُنْ لِحَرَّانَ مَاءُ
فَصِلِ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ إِلَى أَحْوَرَ فِيهِ تَعَرُّضٌ والتِوَاءُ
واسْتَرِحْ بِالحَبِيبِ فِيمَا تُلاَقِي كُلُّ شَيْءٍ سِوَى الحَبِيبِ عَنَاءُ

---

1) (يفرع) بالفاء بمعنى يعلو المنابر، يريد أنه خطيب، وكثير من الناس يحرف «يفرع» بـ (يقرع) بالقاف، يظن ذلك من قرع المنبر بالعصا التي بيد الخطيب، وهو خطأ، والباء في قوله «بالفضل» للملابسة، أي ملابسا للتفضل على العفاة ويسقي الأعداء دماءهم.

2) الثر (بفتح الثاء) الكثير الماء، ومنه الثرثار: الكثير الكلام، والأجش: السحاب الذي فيه صوت الرعد، يقال: سحاب أجش ورعد أجش، ووصف به هنا الغيث على حذف السببي، يعني أجش سحابة، فهو من إيجاز الحذف للقرينة، والسماء هنا بمعنى المطر.

3) تقدم ذكر هذا البيت عند تفسير البيت الخامس والعشرين من القصيدة التي قبل هذه.

*) وقال أيضا (في الغزل من بحر الخفيف).

4) الدجيل (كزبير): القطران، والظاهر أن «ابن الدجيل» هنا اسم مصنوع.

ويقُولُ الطَّبِيبُ : فـي رَحْمَةِ اللّـــــه غَنَـاءٌ ولَيْسَ عِنْدِي غَنَاءُ(1)
أَمَـمٌ مَا سَلِمْـتِ فَقْـدُ فَقِيـدٍ أيُّ نَفْسٍ صَفَا لها ما تَشَــاءُ(2)
لَيْسَ يَبْلَى بالصَّبْرِ عَنْهُ وفي طُـو لِ زَمَانٍ يَأْتِي عَلَيْـكَ عَـزَاءُ
نَصَـبُ الحَـادِثَـاتِ غَيْرُ سَلِيمٍ كَـلُّ كَأْسٍ لَهُ بِهَـا أَقْـذَاءُ

* * *

وقـال أيضـاً (*) :

طَـالَ انْتِظَـارِي عَهْـدَ أبَّـاءِ وجَـاوَرَتْ فِي الشُّوسِ مِنْ حَاءِ(3)
وبِتُّ كالنَّشْـوانِ مِنْ حَـاجَـةٍ ضاقَتْ بها نَفْسِـي وأحْشَـائِي
أقُـولُ لَمَّا ابْتَـزَّهَـا خَـاطِبٌ مِنْ بَيْـنِ أعْمَـامٍ وآبَـاءِ :
أرُحْـتِ في الرَّائِحِ يَوْمَ اللِّوَى؟ لا تَبْعَـدِي يـا بِنْتَ وَرْقَـاءِ(4)
إنْ كُنْتِ حَرْباً لَهُـمُ فانْظُـرِي شَطْرِي بِعَيْنٍ غَيْرِ حَـــولاءِ(5)

---

1) يعني أن الطبيب أيس من معالجة دائه، فوكل الأمر الى رحمة الله به، وقال: إن فيها غناء (بفتح الغين) أي ما يكفي المهم، على حد قول عروة بن حزام:
فقالا: شفاك الله، والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

2) الأمم (بفتح الهمزة): اليسير، أي أن فقد من يفقد أمر يسير اذا سلمت حبيبته.

*) وقال أيضا في حبيبة له فارقت بلده حين تزوجت ، ولعلها عبدة أو سلمى التي سيجيء ذكرها في الورقة 120. من بحر السريع وعروضه وضربه مطوية مكشوفة.

3) كتب في الديوان « أباي » بصورة ياء في آخره وحقه أن يكون بهمزة بوزن فعال للمبالغة من أبى يأبى، أي كثير الإباء، وأراد به الحبيبة، فذكره باعتبار الشخص بقرينة قوله: «وجاورت» والشوس جمع الاشوس وهو الذي اذا نظر ضيق نظره من الغضب أو الكبر، و«حاء» قبيلة من عرب اليمن، كما تقدم في البيت 10 في الورقة 2، وأراد بذلك أنها ممنعة ببعد أرضها وشراسة قومها، ولعله يريد بهم أهل عمان.

4) كتب اللوى بلامين، ولعله النوى بنون بعد اللام وقوله «يابنت ورقاء» تشبيه بليغ وورقاء حمامة.

5) الحرب هو العدو بمعنى المحارب، تقول العرب: أحرب أنت أم سلم. وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى: سلام أنت. والشطر (بفتح الشين) الجهة، وقوله «بعين غير حولاء» أي انظري جهتي بطرف العين نظرا عن قصد لا عن حول.
وهذا البيت والبيتان بعده مكررة في القصيدة التي أولها «قد لعب الدهر على هامتي» في الورقة 11، فهذا البيت هو 23 منها.

يـا حُسْنَهَـا يَـوْمَ تَرَاءتْ لَنَا مَكْسُورَةَ الطَّـرْفِ بِـإِغْضَاء(1)
كَـأَنَّما أَلْبَسْتَهـا رَوْضَـةً مِنْ بَيْـنِ صَفْـرَاءَ وَخَضْـرَاء(2)

* * *

وقـال أيضـاً (*) :

عَلِّلِيني يا عَبْدَ أَنْتِ الشِّفَاء وَاتْـرُكِي ما يقُولُ لي الأَعْدَاءُ(3)
كلُّ حَيٍّ يُقَالُ فيه ، وذُو الحِلْمِ مُرِيحٌ ، وللسَّفِيهِ الشَّقَاء
لَيْسَ منَّا مَنْ لا يُعَابُ فَأَغْضِي رُبَّ زَارٍ بَادٍ عَلَيْهِ الزِّرَاءُ(4)
أَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتِ لا أَنْقُضُ العَهْدَ ولا تَسْتَخِفُّني الأَهْوَاءُ
وعَجِيبٌ نَكْثُ الكَرِيم ، وللنَّفْسِ مَعَادٌ ، ولِلْحَيَاةِ انْقِضَاء
فاذْكُرِي حَلْفَتِي : أُقارِفُ أُخْرَى يَوْمَ زَكَّى تِلْكَ اليَمِينَ البُكَاء(5)

---

1) هذا البيت مكرر وهو 24 من الورقة 11.

2) هذا البيت مكرر وهو أول الورقة 12 . أراد اصفرار وجهها من ألم الفراق، ربما كان بشار يعني بهذا البيت وصف الحبيبة يوم خرجت لخاطبها في زينتها الشبيهة بالروضة في صفرتها وخضرتها.

*) وقال أيضا ينسب بعبدة ويعتذر لها والقصيدة من الخفيف .

3) عبدة هذه هي أشهر خليلات بشار واكثرهن ذكرا في شعره ولذلك خصها أبو الفرج الاصفهاني بأخبار بشار معها في ترجمة خاصة في الجزء السادس من الاغاني زيادة على أخبار بشار التي ذكرت في الجزء الثالث. وهي عبدة الباهلية من بني مالك بن وهبان من باهلة، والظاهر أن اسم أبيها العلاء لقول بشار : «نماها الى العلاء العلاء» وتكنى بأم العلاء كما تقدم في طالع قصيدة عقبة بن سلم، وكناها بشار مرة بأم عمرو ومرة بأم الوليد، وسماها ايضا عبيدة وعبادة، ووصفها بالدلفاء في ورقة 57، ووصفها مرة بابنة المحمود، وهي من اهل البصرة، وتزوجت برجل سماه بشار ابن قائد في البيت 9 من الورقة 158 وخرج بها زوجها الى عمان. وكان بشار قد تعشقها من سماع لطف حديثها، إذ زارته في مجلسه مع نسوة وكاشفها في حبه لها بواسطة غلامه فهشت له، وكانت دائبة على زيارته، وفيها قال:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

4) ضبط «الزراء» في الديوان بفتحة على الزاي ولعلها كسرة كما ضبطها في البيت 14 من ورقة 11. «الزراء» مصدر زاراه وصيغة المفاعلة فيه للمبالغة مثل قولهم عافاه الله .

5) قوله «أقارف» هو على حذف (لا) النافية أي اذكري حلفتي لا أقارف، وحذف (لا) النافية مع القسم شائع، قال امرؤ القيس : فقلت يمين الله أبرح قاعدا
وأقارف بمعنى أقارب وأواصل .

يَوْمَ لا تَحْسَبِي يَمِينِي خِلاَباً بِيَمِينِي تُوَقِّرُ الأَحْشَاء
فَتَصَدَّتْ بَعْدَ الصُّدُود وقَالَتْ : قَتَلَتْنِي أَنْفَاسُكَ الصُّعَدَاءُ(1)
قُلْتُ : نَفْسِي الفِدَا عَلَى عَادَةٍ مِنِّي جَرَى مَا جَرَى وقَلْبِي بَرَاءُ(2)
فاعْذِرِينِي يا شِقَّةَ النَّفْسِ إِنِّي تُبْتُ مِمَّا مَضَى وعِنْدِي وَفَاءُ(3)
وجَوَارٍ إِذَا تَحَلَّيْنَ لَمْ تَدْرِ أَشَاءٌ فِي حَلْيِهَا أَمْ نِسَاءُ(4)
يَوْمَ سَلْوَانَ إِذْ يُنَا.... إِلَيْنَا فَعِنْدَنَا مَا تَشَاءُ(5)
يَتَعَرَّضْنَ لِي بِفَاتِرَةِ الطَّرْفِ إِذَا أَقْبَلَتْ ثَنَاهَا الحَيَاء
مِنْ بَنَاتِ المُلُوكِ لاَ... نَمَاهَا إِلَى العَلاَءِ العَلاَءُ(6)
كَمَهَاةِ الكِنَاسِ تَطْوِي لَنَا النَّفْسَ عَلَى وُدَّةٍ وفِينَا جَفَاءُ(7)
رُحْنَ يَدْعُونَنِي إِلَيْهَا فَأَمْسَكْتُ بِسَمْعِي فَضَاعَ ذَاكَ الدُّعَاء
ضَامَهُنَّ الَّذِي تَمَنَّيْنَ شُغْلِي بِفَتَاةٍ مِنْهَا التُّقَى والحَيَاءُ(8)

---

1) الصعداء (بضم الصاد وفتح العين): التنفس الطويل كالتنهد.

2) كتب «غادة» بنقطة على الحرف الاول ويظهر أنه سهو وأن الحرف عين مهملة، أي جرى ما جرى مني من مداعبة غيرك لأن عادتي مع النساء ذلك ولكن قلبي لم يتغير عن حبك. و «براء» (بفتح الباء) وصف بالمصدر يستوي فيه الواحد والجمع، وقرىء «إنا براء منكم».

3) الشقة (بكسر الشين): الشقيقة يقال: رجل شق وامرأة شقة.

4) رواه في المختار: «أجوار في حليها أم ظباء».

5) في وسط البيت بياض، ولعله كان هكذا:

يوم سلوان إذ يناديني أقـ بل إلينا فعندنا ما تشاء

6) قوله: «من بنات الملوك» تشبيه بليغ. وفي البيت بياض، وقوله: «نماها الى العلاء العلاء» معناه نسبها الى الرفعة أبوها المسمى بالعلاء، فاكتسبت من اسم أبيها علوا إذ هي ابنة العلاء.

7) ضبط «ودة» بضمة على الواو، ولعل الصواب أنه بفتحة بوزن المرة من الود وقد يأتي المصدر بصيغة المرة، والمراد مطلق المصدر.

8) «ضامهن» أي منعهن ما تمنين شغلي، فشغلي فاعل ضامهن، و «ضام» يتعدى لمفعولين.

نَعِمَتْ فِي الصِّبَا فَلَمَّا اسْبَكَرَّتْ خَفَّ قُدَّامُهَا وَجَلَّ الوَرَاءُ(1)
وَرَآهَا النِّسَاءُ تَغْلُو فَسَبَّحْـ ـنَ غَلَاءً لَمَّا اسْتَبَانَ الغَلَاءُ(2)
هِيَ كَالشَّمْسِ فِي الجَلَاءِ وَكَالبَدْ رِ إِذَا قُنِّعَتْ عَلَيْهَا الرِّدَاءُ(3)

---

1) « نعمت » أي نشأت في نعمة ورفاهية عيش، قال عروة بن أذينة من شعراء الحماسة:

بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها واجلها

و(اسبكرت) استطالت وتمددت قامتها أي شبت. وقدام بضم القاف وتشديد الدال ضد وراء، وهو من أسماء الجهات، وأراد به هنا ما يحل في الجهة وهو بدنها المقدم، وقد استعمل قدام هنا غير منصوب على الظرفية، لأنه من الظروف المتصرفة، أي التي لا تلازم النصب على الظرفية، وأسماء الجهات من الظروف المتصرفة الا فوق وتحت فتصرفهما نادر، ووقع رواية في الحديث: « وفوقُه عرش الرحمان » وفي الحديث « يتوقد تحتُه نارا » برفع فوقه وتحته.

واعلم أن الظروف المتصرفة من أسماء الأزمنة والأمكنة ثلاثة أقسام:

الاول: كثير التصرف كيوم وشهر ويمين وشمال وذات اليمين وذات الشمال.

الثاني: متوسط التصرف وهو أسماء الجهات عدا الأربعة المذكورة آنفا وعدا فوق وتحت.

الثالث: نادر التصرف وهو فوق وتحت من أسماء الجهات ومثل: الآن وحيث ودون.

ومعنى قوله: «خف قدامها وجل الوراء» أنها مجدولة الكشح أي غير سمينة البطن وأنها وثيرة العجز، وذلك من محامد خلقة المرأة عندهم، قال كعب بن زهير:

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة

2) «تغلو» أي تشب شبابا سريعا في أول الشباب. والمصدر الغلو بضمتين واسم المصدر الغلاء بفتح الغين وبالمد، والغلواء بضم فسكون أو بفتح وبالمد، يقال: غلواء الشباب أوله وسرعته وغلواء الغصن سرعة امتداده. وقوله «فسبحن غلاء» أي تسبيحا كثيرا متجاوز الحد لما ظهر لهن سرعة شباب المرأة. والتسبيح للتعجيب من جمالها.

3) ذكر وجه شبهها بالشمس لئلا يتوهم السامع أنها مثل الشمس في كل الصفات، فإن من صفات الشمس ألا تستطيع العين التملي من النظر اليها، ولذا احتاج الى تشبيهها ثانيا بالبدر في الحسن، وقيد ذلك بوقت تقنعها. أي وضع القناع على رأسها، لأن القناع أسود في عرفهم، فكأن وجهها فيه كالبدر في سواد الأفق، والتقنع: لف الرأس في القناع، وقد ورد في صفة عمامة النبيء صلى الله عليه وسلم، وفي القرآن «مقنعي رؤوسهم»، وأسند «قنعت» الى المجهول ليدل على أنها مخدومة. لها وصائف يلبسنها ثيابها.

أُنْسِيتُ قَبرْقَرَ العَفَافِ وفي العَيْنِ دَوَاءٌ للنَّاظِرِينَ وَدَاءُ(1)
فَخْمَةٌ فَعْمَةٌ يَرُودُ الثَّنَايَا صَعْلَةُ الجيدِ غَادَةٌ غَيْدَاءُ(2)
أُزِّرَتْ دِعْصَةً وتَمَّتْ عَسِيباً مِثْلَ أَيْمِ الغَضَا دَعَاهُ الأَبَاءُ(3)

---

1) القرقر بفتح القافين وراءين، ويقال «القرقل» بلام في آخره، هو ثوب تلبسه النساء مثل القميص لا كمين له، قيل: والصحيح فيه قرقل بلام في آخره وأما الراء في آخره فخطأ، وسيأتي له في البيت 18 من الورقة 10، وأضافه الى العفاف لأنه يلبس للستر ويخلع في التجرد، ووقع في النسخة «أنسيت قرقر العفاف» بهمزة ثم نون ثم سين من النسيان، وهو لا يستقيم له معنى، والصواب «ألبست» بهمزة ولام وباء وسين من اللباس، لأنه ذكر قبل أنها شبت واكتملت، ثم ذكر الآن أنها ألبست لباس الشواب المستحييات العفيفات، فإنهم إذا شبت البنت ستروها، ولأنه بصدد وصف لبستها، وسيقول «أزرت دعصة . . .» الخ، وهذا موجود في شعر العرب، قال الأعشى:

ورادعة بالطيب صفراء عندنا لجس الندامى في يد الدرع مفتق

وورد في خبر قصي بن كلاب : أنه لاتدرع فتاة الا في بيته .

وقوله «وفي العين دواء» الخ أي وعينها لم يستطيعوا سترها.

2) الفخمة: الضخمة، والفعمة: الممتلئة لحما، والفعلان فخم وفعم بضم العين فيهما. وصعلة الجيد دقيقة العنق، والغادة: المرأة المتثنية لينا، والغيداء: فعلاء من غيدت كفرحت غيدا إذا أمالت عنقها في المشي تدللا واسترخاء.

3) الدعصة (بكسر الدال وسكون العين): القطعة المستديرة من الرمل، وهو منصوب على الحال على معنى التشبيه البليغ، كقول المتنبي:

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

أي ألبست الإزار كدعصة، أراد تشبيه ما تأزرت عليه، و«تمت» أي طال قدها، والعسيب: جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها، ونصبه على الحال للتشبيه البليغ أيضا، أي تمت قامتها كالعسيب في استقامة ودقة، وكلا الوصفين محمود في النساء عندهم، قال عمر بن أبي ربيعة:

أسيلات أبدان دقاق خصورها وثيرات ما التفت عليه المآزر

والأيم (بفتح الهمزة وسكون المثناة): ذكر الحية الأبيض اللطيف، وقديما شبهوا بشرة المرأة بلون الأيم ، قال العجاج:

وبطن أيم وقواما عسلجا

والأباء: القصب جمع أباءة (كعباءة): القصبة، والمعنى أنها تمشي في تثن وسرعة كالحية البيضاء أرادت أن تدخل أجمة القصب ، وجعل رؤية الحية لأجمة القصب ومحبتها الدخول فيه مشبهة بكون القصب يدعوها لأن تدخله، كقول المتنبي في الإبل: .

إذا ما استحيْن الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد

فجعل شهوتها الماء كأنه يعرض نفسه عليها وهي تستحي أن ترده مبالغة في حسن صفاته.

وثَقَالُ الأَوْصَالِ سَرْبلَهَا الحُسْنُ بياضًا: والرَّوْقَةُ البَيْضاءُ(1)
زانهَا مُسْفِرٌ وثغرٌ نقيٌّ مِثْلُ دُرِّ النِّظامِ فيهِ اسْتِواءُ
وقوامٌ يعْلُو القوامَ ونحْرٌ طابَ رُمّانُهُ عليهِ الأَيَاءُ(2)
وبنانٌ يا ويْحهُ مِنْ بنانٍ كُتُباتٌ (سقاهُ) جمٌّ رواءُ(3)
ولهَا وارِدُ الغدائرِ كالكرْمِ سوادًا قدْ حانَ منْهُ انتهاءُ(4)
وحديثٌ كأنّهُ قِطعُ الروْضِ زهتهُ الصّفْراءُ والحمْراءُ(5)
لمْ يُعلَّلْ بِهَا سِواي ولمْ تبْدُ لنارٍ.........الصِّلاءُ(6)
وإذا أقبلتْ تهادى الهُوَيْنَى اشرأبّتْ ثُمَّ اسْتنارَ الفضاءُ
لم تنلْهَا يدِي بحوْلِي، ولكنْ قُضِيتْ لِي، وهلْ يُرَدُّ القضاءُ(7)
كانَ وُدِّي لها خَبِيًّا فأسْرَعْتُ اليها والأمْرُ فيهِ الْتِواءُ

---

1) ثقال بفتح أوله من صيغ اسم الفاعل المشتق من فعُل بضم العين عند ابن مالك، وهو من الأفعال الدالة على الثبوت، ولذلك يعد الوصف بها صفة مشبهة عند كثير من الصرفيين والنحاة، فمن ذلك وزن فعال مثل: جبان، وحصان للمرأة الحصينة، ورزان كذلك للمرأة الرزينة، وثقال كما هنا للمرأة ذات الكفل العظيم. و(الأوصال) المفاصل، و(الروقة) بفتح الراء: الجمال الرائق.

2) قوله «يعلو القوام» لم يظهر مراده به. والأياء (كسحاب): شعاع الشمس، ويقال: إياء بكسر الهمزة والمد وبهاء عوض المد، قال طرفة:

سقته أياة الشمس إلا لثاته   أسف ولم تكدم عليه بإثمد

3) «ياويحه» النداء للتعجب، وكلمة ويح ونحوها من كلمات الدعاء بالشر تكون في مثل هذا المقام للتعجب، مثل: ويلك وتربت يمينك وثكلتك أمك. وكتب «حم» بالحاء المهملة ووضعت على الحاء ضمة، ولعل الصواب أنه بالجيم عليها فتحة أي كثير. و(رواء) بفتح الراء: الذي يروي لكثرته، ووقع في الديوان موضع لكلمة بياضا، ولعله «سقاه».

4) الوارد من الشعر: الطويل المسترسل.
وقوله: «كالكرم سوادا» شبهه بالعنب الاسود، ولعل أكثر عنب بلدهم أسود. وانظر البيت الخامس من ورقة 33.

5) «زهته» حسنته وزينته الأنوار الصفراء والحمراء. والصفراء: النرجس، والحمراء: الشقائق.

6) في عجز هذا البيت بالمخطوطة بياض.

7) يريد أنه أحبها اضطرارا دون اختيار منه، كقول النابغة:

فريع قلبي وكانت نظرة عرضت   يوما وتوفيق أقدار لأقدار

وسألْتُ النِّساءَ : أبصرْن ما أبْصَرْتُ مِنْ حُسْنِها فقال النِّساءُ :(1)
دُون وجْهِ البغِيضِ وحْشةُ هولٍ وعلَى وجْهِ مَنْ تُحِبُّ البهاء

* * *

وقال أيضا يهجو الباهلي (*):

يَفْخَرُ الباهليُّ أن جعل اللـ ـه لـه وَحْدَهُ جِراً من وَرَاء
ولقدْ قُلْتُ يوْمَ زافَ لمَسْعُو د وألْقى عَنْهُ قِناعَ الحَيَاء :(2)
خبَّرَتْنِي القنْفاء عَنْك بشيْءٍ فاتَّقِي الله في استِكَ الْبخْرَاء
لاتدَعْ زِنْيَةً ودَعْ زُبَّ يَحْيَى واسْألْ أخْتَيْك عنْ لذِيذِ الزِّناء

* * *

1) يعني أن النساء حسدنها فأبين أن يقررن بحسنها، وهذا مأخوذ من عمر بن أبي ربيعة:

ولقد قالت لأتراب لها وتعرّت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلنا لها: حسن في كل عين من تود
حسدا حُملنه من أجلها وقديما كان في الناس الحسد

*) من بحر الخفيف من الضرب الاول والعروض الاولى .
والباهلي: قال المرزباني في معجم الشعراء: هو أبو هشام عمرو بن عبد الرحمن بن الخلق الباهلي الظالمي ، وذكر أبو الفرج في الأغاني أنه بصري ، قال المرزباني : هو شاعر مكثر، كان على عهد المنصور والمهدي والرشيد. وذكر أنه يسكن بغداد، وأنه هاجى بشار ابن برد فانتصف منه، وأنه فيه يقول:

بـُذلة والديك كسبت عزا وباللؤم اجترأت على الجواب

ويصفه بابن خَلِيق، ويظهر أنه كان أسود اللون وأمه أمة، كما قال بشار، فوصفه بالزنجي في البيت 16 من الورقة 90، وبزنجي خالد في البيت 24 من الورقة 206. وكان يلقبه بالقزر، وكان معلما، أي معلم صبيان له كتّاب. وقد قال فيه بشار في البيت 17 من الورقة 91: « وما كان في كتابه بسكوب »، وكناه في بعض شعره بأبي كشكش، ولقبه بفرخ الزنج. وعاش الباهلي بعد بشار، وله شعر في موت بشار وفي موت حماد عجرد، ذكره أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة بشار وفي ترجمة حماد عجرد، ولم يذكر في الأغاني اسمه ولا اسم أبيه.

2) « زاف » تبختر في مشيه تخنثا، وقوله « لمسعود » متعلق بزاف، وهذا كقول النابغة :

إذا شاء منهم ناشيء دربخت له لطيفة طي الكشح رابية الكفل

وقال فيـــه أيضاً(*):

أَفَرْخَ الزَّنْجِ طال بِكَ البَـــلاءُ ... وَسَاء بِكَ المُقَدَّمُ وَالـــوراءُ
تنيكُ وتَسْتنيكُ، وما لهـــذا ... وهَــذا إذْ جَمَعْتَهُمَـــا دَوَاءُ
بَكَيْتَ خِلافَ كِنْدِيرٍ عَليـــهِ ... وَهَلْ يُغْنِي من الحَرَبِ البُكَـــاءُ(1)
فحَدَّثْنِي فقدْ نُقِّضْتَ عُمْـــرًا ... وَكِنْدِيرًا أَقَلَّ فتًى تشـــاءُ(2)
كفى شُغْلاً تتبُّعُ كُلِّ أيْـــرٍ ... أَصَابكَ في استكَ الدَّاءُ العيـــاءُ
أمَـا في كُرْبحٍ ونَــوَى لقَـــاطٍ ... وأبعـارٍ تُجمِّعهَـــا عـــزاءُ(3)
تُشَـاغِلُ آكِلَ التَّمْـرِ انتجـاعًـا ... وتُكْدي حيـن يَسْمَعكَ الرِّعَـاءُ(4)
وَعِنْدِي منْ أبِيكَ الوَغْدِ عِلْـــمٌ ... وَمِنْ أمٍّ بِهَا جَمَحَ الفتـــاءُ
أبُوكَ إذا غدَا خِنْـــزيرُ وَحْـــشٍ ... وأُمُّكَ كَلْبَةٌ فِيهَا بَـــذاءُ
فمَا يَأتِيكَ منْ هَـــذا وَهَـــذا ... إذا اجْتَمَعَا وضمَّهُمَا الفضـــاءُ

---

*) من بحر الوافر.

1) « كنديرِ » ضبطه في الديوان بكسر الكاف، والظاهر أنه علم مشتق من « الكُندر » بضم الكاف والدال وهو الحمار الغليظ، وقد نبز به الباهلي مرات، وقد مات كنديركما أشار اليه بشار في البيت5 من الورقة 92 ، وسيذكره في البيت 20 من الورقة 261.
و« خلاف » هنا بمعنى « بعد » كقوله تعالى « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » .
وأراد بشار بعد موت كنديـر. « والحرب » بفتحتين: سلب لباس المرء، ومن كلام عمر ابن الخطاب« وإياكم والدين فإن أوله هم وآخره حَرَب ».

2) يجوز أن تكون الهمزة في « أقل » للاستفهام.

3) ضبط في الديوان « كربح » بضم الكاف، وفي اللغة: الكربحة ضرب من العدو، ولم يذكروا فيها وزن فعلل، ربما كان محرفا عن الكربج (بضم الكاف وسكون الراء وفتح الباء بعدها جيم) قال اللغويون: إنه الحانوت او متاع حانوت البقال، وذكر ياقوت أنه موضع قريب من الأهواز من جهة البصرة و« اللقاط » بفتح اللام أصله السنبل الذي تخطئه مناجل الحصاد، وأطلقه على ما يتركه الجذاذون أو الآكلون من نوى التمر ، وقد عيره بأن أباه كان لقاط نوى، كما في البيت 17 من الورقة212. والمعنى أنه من الفقراء.

4) كتب في الديوان «يشاغل» بتحتية، والصواب أنه بفوقية .

ألا إنَّ اللئيـــمَ أبًا قـديمًــا ‏ وَأمَّاتٍ إذا ذُكِرَ النِّسَـــاء (1)
نتيجُ بَيْنَ خِنزيرٍ وكلْـب ‏ يَرَى أنَّ الكِمَارَ له شِفَـاءُ
أفرْخَ الزَّنج كيْفَ نطقْتَ باسْمِي ‏ وأنت مُخنَّثٌ فِيك التِّـواءُ
رَضِيتَ بأنْ تُناك أبًا بَنَـات ‏ وَليْسَ لمنْ يُناكُ أبا حيـاء
وقَدْ قامَتْ على أمّ وأخْـت ‏ شُهُود حين لقَّاهَا الزُّنـاءُ
إذا نِيكت حُشَيْشَةُ صَاحَ ديـكٌ ‏ وَصَوَّت في استِ أمِّك بَبَّغـاءُ
فـدَعْ شَتْمَ الأكارِمِ، فِيه لَهْوٌ ‏ ولَكِـنْ غُبَّـهُ أيْنـهُ وداء
لأمِّـكَ مَصْرَعٌ فـي كُـلِّ حَيٍّ ‏ وَخُشَّةُ هَمُّهَا فِيكَ الكِـرَاء
وَقَد تَجِرَتْ بِأخْتِكُمْ «غَنِيٌّ» ‏ فَمَا خَسِرَ التِّجَارُ وَلَا أسَاءوا
أصَابُوا صِهْرَ زَنْجيٍّ دَعِيٍّ ‏ بِبَرْصَاءِ العِجَانِ لَهَا ضَنَاءُ
فَمَا اغْتَبَطَتْ فَتَاةُ بَني «غَنِيٍّ» ‏ ولاَ الزَّنْجِيُّ، إنَّهُمَا سَوَاء

* * *

وقال أيضاً يهجو يحيى بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس(*):

لاَ تَبْغِ شَرَّ امْرِئٍ شَرًّا من الدَّاء ‏ وَاقْدَحْ بِحِلْمٍ وَلَا تَقْدَحْ بِشَحْنَاء(2)

---

1) وقوله «ابا» تمييز للئيم، وكذلك قوله «وأمات»، وقوله «قديما» أي من قديم الزمان، وجمع «أما» على «أمات» وهو قليل، والمشهور في جمعه: أمهات بناء على أن أصل أم أمهة، وقيل: إن «أمات» لجمع الأم من الحيوان.

*) وقال يهجو يحيى بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس (من بحر البسيط وعروضه مخبونة وضربه مقطوع: مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن ... فعلن).
ويحيى بن صالح هذا لم أقف عليه، ولكن أباه صالح بن علي كان أمير مصر والشام في خلافة أبي جعفر المنصور وأمير الحج في سنة 141. قال ابن حزم: وكانت في أولاد صالح ثروة ورئاسة وولاية في منبج وأعمال حمص وقنسرين، وعقبه كثير في تلك الجهات. والظاهر أن سبب هذه القصيدة أن يحيى هذا كان قد انتصر لحماد عجرد فزعم بشار أن ذلك لصلة بين حماد وأم يحيى.

2) يقول: إنك تقدح فيّ، فأنت بفعلك هذا تطلب شر رجل هو أشد شرا من الداء، واقدح فيّ بعقل ولا تقدح ببغض فيحملك البغض على أن تتجاوز في الحد في القدح، فقوله «شر» الأول اسم جامد وهو ضد الخير، و«شر» الثاني أفعل تفضيل نائب عن أشر، وقد ثبت في النسخة منصوبا على الحال وإن كان صاحبها نكرة، لأنه لما كان نكرة معروفة نزل منزلة المعرفة، والأحسن أن يضبط بالجر.

مَالي وأنتَ ضَعيفٌ غَيْرُ مُرْتَقِبٍ ... أُبْقِي عَلَيْكَ وتَفْرِي غَيْرَ إبْقَاءِ(1)
مَهْلاً فَإنَّ حِيَاضَ الحَرْبِ مُتْرَعَةٌ ... مِنَ الذُّعَافِ مُرَارٌ تَحْتَ حَلْوَاءِ(2)
أَحِينَ طُلْتَ عَلَى مَنْ قَالَ قَافِيَةً ... وطَالَ شِعْرِي بِحَيٍّ بَعْدَ أَحْيَاءِ(3)
أَلْزَمْتَ عَيْنَكَ مِنْ بَغْضَائِنَا حَوَلاً ... لَوْ قَدْ وَسَمْتُكَ عَادَتْ غَيْرَ حَوْلاءِ(4)
اطْلُبْ رِضَايَ ولا تَطْلُبْ مُشَاغَبَتِي ... لا يَحْمِلُ الضَّرِعُ المَقْوَرُّ أَعْبَائِي(5)
أَنَا المُرَعَّثُ لاَ أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ... ذَرَّتْ بِيَ الشَّمْسُ لِلدَّانِي وَلِلنَّائِي(6)
يَغْدُو الخَلِيفَةُ مِثْلِي في مَحَاسِنِه ... ولَسْتَ مِثْلِي فَنَمْ يَا مَاضِغَ المَاءِ(7)
إنِّي إذَا شَغَلَتْ قَوْماً فَقَاحُهُمُ ... رَحْبُ المَسَالِكِ نَهَّاضٌ بِبَزْلاَءِ(8)
يَثْوِي الوُفُودُ وأُدْعَى قَبْلَ يَوْمِهِمِ ... إلَى الحِبَاءِ ولَمْ أَحْضُرْ بِرَقَّاءِ(9)
لَوْ كَانَ «يَحْيَى» تَمِيمِيّاً أَسَأْتُ بِهِ ... لَكِنَّهُ قُرَشِيٌّ فَرْخُ بَطْحَاءِ

---

1) قوله «وأنت ضعيف غير مرتقب» جملتـان معترضتان بين «ما لي» و«أبقي عليك» أي ما لي لا أتعرض لك بالهجاء مع أنك ضعيف غير مرتقب، أي غير مشرف ولا عالي الحظ، وقوله «وتفرى» أي تكذب، فرى يفري أي كذب، وقوله «غير إبقـاء»، أي من دون أن تبقي من شرك ذاك شيئـا، ورواه في المختار «وتأتي غير إبقاء» أي تفعل ما لا إبقاء فيه.

2) الذعاف (بضم الذال): السم، وأراد بالحرب حرب المهاجاة. ومرار بضم الميم: شجر مرّ.

3) قوله «أحين» متعلق بقوله و«تفري». والهمزة للاستفهام الانكاري، أي أكان تطاولك على من نظم قصيدة واحدة وأنا شعري في جميع القبائل.

4) يريد أنك تنظر الينا بطرف عينك كنظر الأحول، ولو كنت هجوتك لكنت كالأحول يوسم بالشيء المحمى بالنار فيذهب حوله، فجعل الأذى الحاصل من الهجاء كالوسم بالميسم، وجعل حصول الارتداع به عن الشر كزوال الحول بالوسم بالنار.

5) المشاغبة: تداول الشر وتهييجه، والضرع ككتف: الضعيف، و«المقور» المتصف بالاقورار، وهو الضمور والتشنج. شبه المخاطب ببعير ضعيف ضامر فهو لا يستطيع حمل الاثقال، والأعباء جمع عبء وهو الثقل.

6) المرعث بالعين المهملة، تقدم وجه تلقيب بشار بالمرعث في المقدمة.

7) الظاهر أنه أراد بماضغ الماء الكناية عن الحمق وسوء وضع الاشياء موضعها

8) البزلاء: الخُطة العظيمة. ونهاض: شديد النهوض. أي القيام. والباء للمصاحبة.

9) أي يقيم الوفود ينتظرون العطاء ويعجّل عطائي، يريد لما له من القبول عند الخلفاء. و«الرقاء» أراد به هنا الشفيع والمتوسل به.

«يَحْيى» فَتًى هَاشِمِيٌّ عَزَّ جَانِبُهُ ... فَلَا يُلَامُ وَإِنْ أَجْرَى مَعَ الشَّاءِ
نِعْمَ الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ لا نُدَافِعُهُ ... عَنِ النَّبِيِّ وَإِنْ كَانَ ابْنَ كَلَّاءِ(1)
مَا زَالَ فِي سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ مَنْبِتُهُ ... مُقَابَلًا بَيْنَ بَرْدِيٍّ وَحَلْفَاءِ(2)
يَا أَسَدَ الحَيِّ إِنْ رَاحُوا لِمَأْدُبَةٍ ... وَثَعْلَبَ الحَيِّ إِنْ ذَافُوا لأَعْدَاءِ(3)
لاَ تَحْسَبَنِّي كَأَيْرٍ بِتَّ تَمْسَحُهُ ... كَيْمَا يَقُومُ وَيَأْبَى غَيْرَ إِغْفَاءِ(4)
قَدْ سَبَّحَ النَّاسُ مِنْ وَسْمِي «أَبَا عُمَرٍ» ... فَهَلْ رَبَعْتَ عَلَى تَسْبِيحِ قُرَّاءِ(5)
كَوَيْتُ قَوْماً بِمَكْوَاتِي فَمَا صَبَرُوا ... عَلَى العِقَابِ وَقَدْ دَبُّوا بِدَهْيَاءِ
وَرُبَّمَا أَغْرَقَ الأَدْنَى فَقُلْتُ لَهُ ... إِنْ كَانَ مِنْ نَفَرِى أَوْ نَجْلَ آبَائِى

---

1) الكلاء (فعلاء) أنثى الكل (بفتح الكاف) وهو البعيد في النسب، مشتق من كل كلا اذا عيي، والإعياء يستلزم البعد، ومنه سميت الكلالة في الميراث حين لا يكون للميت أصول ولا فروع أحياء، وأراد بها هنا من لا يشبه نسبها نسب زوجها، فهو تعريض بالمهجو بأن اللؤم جاءه من قبل أمه، كقول حسان في هجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

وإن سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

أي وجدك للأم عبد..

2) مقابلا (بفتح الباء) كريم النسب، وهو اسم مفعول من قولهم «قوبل نسبه» أي كرم، ويقال: مقابل مدابر، بفتح الباء فيهما. بمعنى كريم الطرفين من قبل أبيه وأمه. البردي: نبات قصبي رقيق ينبت على المياه ويكثر في نيل مصر ويدقونه فيخرج من قصبه مثل القطن كان القبط يتخذون منه ورق الكتابة. والحلفاء: نبت تتخذ منه الحبال، وأراد أن أباه شريف وأمه ذميمة، فهو كالبردي من جهة الأب وكالحلفاء من جهة الأم.

3) هذا من سوق الذم في صورة المدح، يقول: إن دعي القوم لمأدبة فأنت شجاعهم، وإن مشوا للقتال فأنت ثعلبهم، والثعلب جبان كثير المراوغة، وقوله «ذافوا» بذال معجمة بمعنى مشوا مشيا بتثبت.

4) يظهر أن هذا البيت موضوع في هذا الموضع خطأ من جامع الديوان لأنه غير لائق بسياق الكلام. ومثله الأبيات الأربعة الأخيرة من هذه القطعة.

5) أبو عمر هو حماد عجرد، وقد كناه بذلك في قصيدة تأتي في الورقة 210. و«ربعت» معناه حبست، ومفعوله محذوف في كلامهم، أي ربع نفسه اي حبسها، بمعنى استبقى راحته، يقال: اربع على نفسك بمعنى ارفق، كما ورد في حديث الدعاء بالجهر: اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا. والمعنى هنا فهل رخصت لابتهاج الناس وتسبيحهم حين هجوت أنا أبا عمر فلذلك غضبت له.

قُلْ مَا بَدَا لكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاء
يَنْزُو اللَّئِيمُ وَلَوْ الْقَيْتَ مِئْزَرَه لاحَتْ بِوَجْعَائِه آثَارُ كَسْوَاء
مَا زِلْتَ تُطْعَنُ بِالْمَلْعُونِ فِي دُبُرٍ حَتَّى اشْتَرَيْتَ حَلاقاً فِي اسْتِ خَرَّاء(1)
هلَّا مَنَعْتُمْ «بَنِي وَأَدَانَ» أُمَّكُمْ مِنَ الْمُوسِمِ إِذْ يَسْرِي بِقُنْفَاء
بِتُّمْ نِيَاماً وَبَاتَ الْعِلْجُ يَنْفُضُهَا فِي لَيْلَةٍ مِثْلِ ضَوْءِ الصُّبْحِ قَمْرَاء
وَيْلُ امِّهِ نَبَطِيّاً فَضَّ خَاتَمَهَا بِفَيْشَةٍ مِثْلِ رَأْسِ الْكَلْبِ جَوْفَاء

* * *

وقال أيضاً(*) :

مُنَّيْتَنِي بِشْراً وبِشْرٌ فتًى لا يَشْتَرِي الحَمْدَ بِإِعْطَاء(2)
عِلْجٌ بعِلْجٍ مِنْ بَنِي «دابِقٍ» صاحبُ تقْدِيرٍ وإِبْقَاء(3)
في نفسه شُغْلٌ وفي بيتِه فُضُوحُ إِخْوَانٍ وآبَاء
يا بِشْرُ ما بالُ التي وقفتْ بالْفَتْحِ تبْكِي بينَ أعْدَاء
يا بِشْرُ حَمَّامُ بني يشْكُرٍ حَدَّثَنِي عنْهَا بأَشْيَاء

* * *

وقال أيضاً(*) :

أجارتنا ما بالهوان خفاءُ ولا دُون شخْصِي يوْم رُحْتُ غطاءُ

---

1) هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده موضوعة في هذه القصيدة خطأ من جامع الديوان مثل البيت السادس عشر من هذه القطعة ، نشأ هذا الخطأ من تشابه البحر والقافية .

*) وقال أيضا في هجاء من اسمه بشر من أهل دابق، من بحر السريع وعروضه وضروبه مطوية مكشوفة.

2) منيني بشرا: جعلته لي أمنية، وهو بمعنى وعدتني ما أتمناه، قال كعب :

فلا يغرنك ما منت وما وعدت

وجعل بشرا نفس الأمنية والمراد عطاء بشر.

3) (دابق) بلدة بحلب. و«تقدير» يحتمل أن يكون مأخوذا من القدر بسكون الدال، أي المقدار، يعني صاحب حساب لماله ، ويحتمل أن يكون بمعنى التقتير.

*) وقال أيضا: هذه القصيدة قالها في شيء جرى بينه وبين حماد ، وكان يزري به في مجلس عقبة بن سلم . وفيها تعريض بتقصير عقبة في حقوق الصداقة ، وهذه القصيدة من بحر الطويل وعروضها مقبوضة وضربها محذوف .

أحِنُّ لِمَا أَلْقَى وإنْ جئْتُ زائراً دُفِعْتُ كأنّى والعَدوُّ سَواءُ
ومَنَّيْتِنَا جُودا وفيك تثاقل وشتّانَ أهلُ الجود والبُخَلاءُ(1)
عَلى وَجْهِ مَعْرُوفِ الكريمِ بَشَاشَةٌ ولَيْسَ لِمَعْرُوفِ البَخِيلِ بَهَاء
كأنَّ الذى يَأْتِيكَ مِنْ رَاحَتَيْهِمَا عَرُوسٌ عَلَيْهَا الدُّرُ، والنُّفَسَاء(2)
وقد لمتُ نفسي في الرباب فسامحتْ مرارا ولكن في الفؤاد عِصاء
تحمّلَ والي «أمِّ بكر» من اللوى وفارق من يهوى وبتُّ رجاء
فأصبحت مخلوعا وأصبح بأيدى الاعادي، والبلاء بلاء
خَفِيت لِعَيْنٍ من «ضَنينة» ساعفتْ وما كان منّي للحبيب خفاء
وآخر عهد لي بها يوم أقبلت تهادى عليها قرقر ورداء(3)
عشية قامت بالوصيد تعرضا وقام نساء دونها وإماء(4)
من البِيضِ مِعْلاقُ القُلوب كأنّما جرى بالرُّقَى في عينها لكَ ماء
إذا أسفرت طاب النعيم بوجهها وشبه لي أن المضيق فضاء
مريضةُ ما بيْن الجوانح بالصِّبا وفيها دواءٌ للقُلوب وداء(5)
فقُلْتُ لقلْبٍ جاثمٍ في ضميره ودائعُ حُبٍّ ما لهُنّ دواءُ :

1) رواه في المختار: «ومنيتنا جودا وأنت بخيلة». والتثاقل: المطل في العطاء، فهو بمعنى البخل.

2) شبه عطايا الكريم بالعروس في حسنها وبزها، وعطايا اللئيم بالنفساء في شحوبها وتلطخها، وإن كانت كلتاهما امرأة كما أن كلتا العطيتين عطية.

3) القرقر: تقدم تفسيره في صفحة 143 من هذا الجزء.

4) الوصيد: فناء الدار.

5) روي في المختار المصراع الأخير «وفيها دواء للعيون وداء» فيكون المراد بدواء العيون حسن المنظر، وبالداء ما تجره العين الى القلب من الحسرة، فكأن الداء جاء من العيون، قال النظام:

إن العيون على القلوب إذا جنت كانت بليتها على الأجساد

أو أراد ما تقاسيه العين في الحب من السهر. ويروى في الزهرة (33) «بالضنى» عوض «بالصبا».

تعزَّ عن الحوْراء إنَّ عِـدَاتِهـا وقـدْ نزلتْ «بالزَّابِيَيْــنِ» لفاءُ(1)
يمُــوتُ، الهــوى حتَّــى كأنْ لمْ يكُنْ هــوًى
وليْــس لمــا اسْتبْقَيْــتُ منْــك بَقَــاء
وكيْف تُرجِّي أُمَّ بكْــرٍ بعيــدةً وقدْ كُنْت تُجْفَى والبُيُوتُ رئاء(2)
أبــى شادنٌ «بـالزَّابِيَيْنِ» لقاءَنا وأكْثرُ حاجات المُحبِّ لقــاء
فأصْبحْتُ أرْضَى أنْ أعلَّلَ بالمُنى وما كان لي لوْلَا النَّوالُ جَــزاء(3)
فيا كبدًا فيها من الشوْق قرْحَــةٌ وليْس لها ممَّــا تُحبُّ شفــاء(4)
خلَا هَمَّ منْ لا يَتْبعُ اللَّهْوَ والصِّبَا وما لهُمُوم العاشِقِين خــلاء(5)
تَمَنَّيْتَ أنْ تَلْقَى الرَّباب وربَّمــا تَمنَّى الفَتَى أمرًا وفيه شَقَــاء
لَعَمْــرُ أبِيها ما جَزَتْنــا بِنـائلٍ وما كان منْهــا بــالوفــاءِ وَفــاءُ
وخيْرُ خَليلَيْك الَّذي في لقائــه رواحٌ وفيه حيــن شطَّ غَنَــاءُ(6)

---

1) الحوراء: المرأة ذات الحور في العين، وانظر البيت 5 من ورقة 121.
العدات: جمع عدة، واللفاء كسماء، بفاء: التراب والشيء الحقير، وهو خبر «إنّ». وقوله «وقد نزلت بالزابيين» جملة معترضة، والزابيان: نهران أسفل الفرات بين واسط وبغداد. والمعنى: تسلّ إن حلولها بالزابيين جعل وعدها بالزيارة كالشيء الذي لا يعبأ به.

2) «رئاء» بكسر الراء، أي والبيوت متقابلة متناظرة، يقال: حي حلال ونظر، أي متجاورون ينظر بعضهم بعضا، وقد فسر به قوله «تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون» ينظر بعضهم بعضا، في الصحاح: «يقال قوم رئاء، اي يقابل بعضها بعضا، وكذلك: بيوتهم رئاء».

3) في معنى عجز البيت غموض، ولعل صوابه: وما كان لي الا النوال جزاء.

4) نصب «كبدا» على أنه نكرة غير مقصودة، والمراد كبده، وهي معروفة، ولكنه أراد نداءه بصفة التنكير لا بصفة القصد، ومثله كثير في كلام العرب، إذ ليس المراد بالنكرة غير المقصودة أنها مجهولة، بل المراد أن المنادي لا يقصد اليها من جهة التعريف، بل يقصدها من حيث إنها واحدة من جنسها.

5) خلا فعل بمعنى فارق وبعُد، ويقال: خلاك ذم، بتخفيف اللام، أي تجاوزك.

6) يريد خير نوعي الأصحاب الخليل الذي ترتاح عند لقائه ويحفظ ودك عند مغيبه، وهو معنى قوله غناء بفتح الغين، وهو كفاية الامر المهم، وضده الخليل الذي يعنتك حاضرا وينساك غائبا، وهذا البيت هو ابتداء التخلص الى المقصود من القصيدة.

وَمـا القُرْبُ إلَّا للْمقرَّب نفسَـهُ ... ولوْ وَلَدَتْهُ جُـرْهُـمْ وصَـلاءُ(1)

ولا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتصنِّـعٍ ... بما ليْس فيه ، والْـودادُ صفـاء

سَأُعتِبُ خُلَّانِي وأَعْذِرُ صاحبِـي ... بما غَلَبَتْـهُ النَّفْـسُ والغُلَـوَاءُ(2)

وما لِيَ لا أعْفُـو وإنْ كَانَ ساءَنِي ... ونفْسِـي بِمَا تَجْنِي يَدَايَ تُسَـاء

عِتابُ الْفتى فِي كُلِّ يومٍ بَلِيَّـةٌ ... وتقْـويـمُ أضْغانِ النِّساء عَنَـاء

صَبَـرْتُ علَى الجُلَّى ولسْتُ بصابرٍ ... عـلَى مجْلِسٍ فيـه عليٍّ زِرَاء(3)

وإنِّي لأَسْتَبْقِـي بِحِلْمِـي مودَّتِي ... وعنْـدِي لِـذِي الدَّاء الْمُلِـحِّ دواءُ

قطعْـتُ مِراءَ الْقَـوْم يومَ مهايلٍ ... بقوْلِي ومـا بعْـد الْبَيَان مِـرَاءُ(4)

وقَدْ عَلِمَتْ عَلْيَـا رَبِيعَـةَ أنَّنِـي ... إذَا السَّيْفُ أكْدَى كانَ فِي مَضَاءُ(5)

---

1) جرهم من العرب البائدة، وهم بنو جرهم بن قحطان، كانت منازلهم بجبل قعيقعان بأعلى مكة وكانت لهم قوة وملك بمكة، وصاهرهم إسماعيل عليه السلام، ثم غلبتهم خزاعة على مكة فخرجت جرهم من الحجاز قاصدة اليمن في حدود سنة 550 قبل الهجرة، فأصابهم في طريقهم رعاف وبائي فانقرضوا بطريق اليمن بموضع يقال له «إضم» بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة.

وأما «صلاء» فبفتح الصاد وبالمد، وهو ترخيم صلاءة لضرورة الشعر، وأحسن الترخيم ترخيم ذي التاء، وهم بنو صلاءة بن عمرو بن خويلفة من بني الحرث بن نمير من قيس عيلان، وفي بني الحرث بن نمير شـرف بني نمير وعددهم، ومن بطونهم بنو صلاءة وبنو شريح، ويلقبان بالقلعين (بكسر القاف) وقد أراد بشار أن القريب هو المقرب نفسه ولو بعد نسبه، فتمثيله بجرهم في ذلك ظاهر، وأما تمثيله بصلاءة فلم أدر وجهه.

2) أعتب (بضم الهمزة): أزيل عتبهم ، أي أعذرهم ، قال تعالى «وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين»، وهذا مثل: أعذر اليه إذا أزال عذره.

3) «الجلى» فعلى مؤنث الأجل، وأراد بها الواقعة العظيمة كالمصيبة ونحوها. و «زراء» مصدر زاراه إذا بالغ في الإزراء به.

4) كتب في الديوان «مهابل» بالموحدة، وذكر في البيت 1 من الورقة 120 بياء بعد الالف فهي الصواب، والمهايل جمع مهيل كمجلس: مصب الرمال، مشتق من هال عليه التراب إذا صبه، والرمل كذلك، ومن أسماء الأماكن الأهيل، فلعله فيه رمل كثير.

5) كتب في الديوان «عينا» ولا يظهر له معنى فهو تحريف صوابه «عليا»، كما جاء في المختار لكنه بلفظ «عليا معد» ولعله سهو من صاحب المختار. والمراد «بعليا ربيعة» سادتهم كما في قول زهير:

عظيمين في عليا معد هديتما

تَرَكْتُ ابْنَ نِهْيَا بَعْدَ طُولِ هَدِيرِهِ مُصِيخاً كَأَنَّ الأَرْضَ مِنْهُ خَلاَءُ(1)
وما رَاحَ مِثْلِي فِي العِقَابِ ولا غَدَا لِمُسْتَكْبِرٍ فِي نَاظِرَيْهِ عِدَاءُ
تَزِلُّ القَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا حُمَاتُ الأَفَاعِي رِيقُهُنَّ قَضَاءُ(2)

* * *

وقال أيضاً(*)

قَدْ لَعِبَ الدَّهْرُ عَلَى هَامَتِي وذُقْتُ مُرّاً بَعْدَ حَلْوَاءِ
إِنْ كُنْتِ حَرْباً لَهُمْ فَانْظُرِي شَطْرِي بِعَيْنٍ غَيْرِ حَوْلاءِ(3)

---

1) ابن نهيا هو حماد عجرد، ونهيا (بكسر النون): اسم بلد بين الرضافة والقريتين في طريق الشام، وهو بلد به آثار وعمارة، والظاهر أن حمادا كان نزلها، قال في الأغاني: نسبه بشار الى أنه ابن نهي (بدون الف).
وحماد هذا هو قريع بشار وأشد الناس مهاجاة له، وهو حماد بن يحي بن عمرو، وذكر بشار هنا وفي مواضع كثيرة أنه ابن نهيا فلعلها أمه. وذكر في البيت 3 من ورقة 263 ما يقتضي أن عجردا لقب أبي حماد مولى بني عقيل بن عامر بن صعصعة مثل بشار، ويقال: إنه نبطي الأصل ويكنى أبا عمرو كما هو في تاريخ بغداد للخطيب، وفي ابن خلكان، ووقع في الأغاني أنه يكنى أبا عمر، وكذلك كناه بشار في البيت 3 من الورقة 261، وفي البيت 18 من الورقة 262، وفي ابن خلكان قيل: يكنى أبا يحيى، فلعله كانت له ثلاث كنى، ويلقب بعجرد، لأن أعرابيا مر به في يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان فقال له: تعجردت يا غلام فسمي عجردا، المتعجرد: المتعرى. ولد حماد بالكوفة، وقيل بواسط، نشأ بها، وكان يتكسب ببري النبال مثل أبيه وجده، وكان شاعرا ماجنا من مخضرمي الدولتين، الا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية، وكان يتهم بالزندقة. وقد تقدم في المقدمة أنه في عداد الزنادقة المعروفين، ويقال: إنه نادم الوليد بن يزيد الأموي، وقدم بغداد في زمن المهدي، وقتل سنة 161، قتله محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عامل البصرة. وكان قتله بظاهر الكوفة على الزندقة، وكان قتله قبل بشار، وقد ذكر بشار قتله، ولقبه بشار بألقاب، فلقبه بابن نهي، والظاهر أنه بكسر النون، وأصله اسم بلد بطريق الشام بين الرصافة والقريتين، ولعل سبب ذلك أن تلك الجهة جهة الأنباط، ولقبه بابن شبيرا، ونبزه بأنه نبطي، وقيل: إن ذلك من مختلفات بشار، ولقبه بابن سيمين في البيت 12 من الورقة 210.

2) الحمات جمع حمة (بضم الحاء وتخفيف الميم) وهي ما يلدغ به ذو السم كالناب للأفعى والشوكة للزنبور.

*) وقال أيضا في الشكاية من العذال والحساد، من بحر السريع وعروضه وضربه مخبول مكشوف.

3) هذا البيت والبيتان بعده تقدمت في ورقة 6، فيحتمل أنها تكررت في هذه القصيدة أو في الأخرى، وقد يبقى في ذهن الشاعر شيء من شعره السابق وهو يحسبه لم يصدر منه ويخاله مما بدا له حينئذ.

يَـا حُسْنَهـا حيـن تـراءتْ لنا   مكْسُـورَةَ العيْـنِ بـإغْفَـاء
كـأنَّمـا ٱلبسْتَهـا روْضـــةً   مـا بيْـن صفْـراءَ وخضْراء
يلُـومُني «عمْـرو» علَى إصْبـع   نمَّتْ عليَّ السِّـرَّ خـرْسـاء
للنَّـاس حاجاتٌ ومنِّي الهـوى   ..... شـيْءٌ بعْـدَ أشْيَـاء(1)
بـل أيهـا المهْجُـورُ منْ رأيه   أعْتِبْ أخاً واخْـرُجْ عـن الـدَّاء
مـنْ يأخُذِ النَّـار بـأطْـرافـه   يَنْضَحْ علَى النَّـار من الْمـاء
أنْـتَ امْرُؤٌ فِي سُخْطِنـا نـاصبٌ   ومـنْ هَــوَانَـا نَـازحٌ نَـاء
كَـأنَّمَـا أقْسَمْـتَ لا تَبْتَغِـي   بِـرِّي وَلا تَحْفـلْ بإيتَـائي(2)
وَإنْ تَعَلَّلْـتُ إلَى زَلَّـةٍ   أكَلْـتُ فـي سَبْعَـة أمْعَـاء(3)
حَسَدْتَنِي حينَ أصَبْتُ الغنَـى   مَـا كُنْـتَ إلَّا كَـابْـنِ حَـوَّاء
لاقَـى أخَـاهُ مُسْلمـاً مُحْـرمـاً   بطَعْنَـةٍ فـي الصُّبْـح نَجْلاَء(4)
وَأنْـتَ تَلْحَـانـي ولا ذَنْبَ لِي   لكُمْ يُرَى حَمَّـالَ أعْبَـائي(5)

---

1) في عجز البيت بياض بسبب محو.

2) « تحفل » في البيت ساكنة اللام إجراء للوصل مجرى الوقف للضرورة .

3) التعلل: التشاغل أو التلهي بأمر، وعداه هنا بإلى لأنه ضمنه معنى الميل، وقوله « أكلت في سبعة أمعاء » كناية عن الكفر، لما ورد في الحديث الصحيح « الكافر يأكل في سبعة أمعاء » أي إذا زللت عن غفلة كفرتني.

4) المحرم يطلق على المتصف بالإحرام لحج أو عمرة ، ويطلق على الحالّ بأرض الحرم ، كما في قول الراعي:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما   ودعا فلم أر مثله مخــذولا

ولا محل لهذين الإطلاقين في هذا البيت. ويطلق على المسالم وهو المناسب هنا. وأشار الى قصة ابني آدم قابيل وهابيل، ويتبين فيها أن هابيل، كان مسالما لأخيه لايجيز أن يبسط يده إليه.

5) قوله « لكم » صفة للذنب، أي لم أذنب إليك . وجملة « يرى » في موضع الحال من ذنب .

كأنّما عاينتَ بي عائفاً ... أزرقَ من أهلِ حرُوراء(1)
فارحلْ ذميماً أوْ أقمْ عائذًا ... مُلِّيتَ من غلٍّ وأدْواء
ولا رقأتْ عينُ امرئٍ شامتٍ ... يبْكي أخاً ليس ببكّاء(2)
لوْ كُنْتَ سيفاً لي ألاقي به ... طِبْتُ به نفْساً لأعْدائي(3)
أو كُنْت نفسي جُمعتْ في يدي ... ألْفيْتني سمْحاً بإبْقاء(4)

* * *

1) أراد بالعائف الكاره المعادي ، على سبيل المجاز ، ووصفه بالأزرق مبالغة في عداوته للناس، فإن الأزرق من الأوصاف الغالبة إتباعا للعدو، قال الحريري «حتى رثى لي العدو الأزرق» أوأراد به الواحد من الأزارقة ، وأصله أزرقي ، كقولهم : أعجم في أعجمي ، قال تعالى «ولو نزلناه على بعض الأعجميين» جمع أعجم أراد الأعجمين . وأهل حروراء هم الخوارج الذين خرجوا عن علي رضي الله عنه بحروراء ناحية من نواحي الكوفة ، وهم أول الخوارج ، وكان رأسهم عبد الله بن الكوّاء ، وكان من أصول مذهبهم تكفير الذين خالفوهم واستباحة دماء المخالفين لهم في المذاهب وأموالهم، ولذلك كرههم الناس كلهم وقاتلوهم ، وكان الصحابة رضي الله عنهم قد أمروا بقتالهم ، فضرب بشار المثل في العداوة بواحد منهم ، وهو يدل على ما كان لهم من سوء السمعة في تلك العصور .

2) رواه في المختار «امرىء أنوك». ومعنى «رقأت» جف دمعها . والأنوك اسم تفضيل وصف لمن كان به نوك ، وهو خلل في الرأي .

3) رواه في المختار «لو كنت لي سيفا غداة الوغى». والوغى (بالمعجمة) أصوات المحاربين في الحرب ، ويقال: الوعى (بالمهملة) وقد غلب الوغى (بالمعجمة) فصار اسما للحرب .

4) روي المصراع الثاني في المختار : «ألفيتها سمحا بإلقائي» .

قافية الألف

وقال أيضاً على قافية الألف في الزهد(*)

ذَهَبَ الدَّهْرُ بِسِمْطٍ وَبَبَرَا ... وجَرَى دَمْعِيَ سحًّا في الرِّدَا (1)
وتأَيَّيتُ لِيَوْمٍ لاحِقٍ ... ومضى في الْموْتِ إخْوانُ الصَّفَا (2)
فَفُؤادي كجناحَيْ طائرٍ ... مِنْ غدٍ لا بُدَّ مِنْ مُرِّ القَضَا
ومِنَ الْقَوْمِ إذا ناسمْتَهُمْ ... ملكٌ في الأخْذِ عبدٌ في العَطَا (3)
يَسْألُ النَّاسَ ولا يُعْطيهمُ ... هَمُّهُ «هاتِ» ولمْ يشْعُرْ بـ«ها» (4)
وأخٍ ذي نيقَةٍ يسْألُني ... عنْ خَليطَيَّ، ولبْسا بسوا (5)
قلْتُ: خنْزيرٌ وكلْبٌ حارسٌ ... ذاكَ كالنَّاسِ وهذا ذو نَدا (6)
يَخْذِ الْكلْبَ على ما عنْدَهُ ... يُرْعِبُ اللِّصَّ ويُقْعِي بِالْفِنَا

---

*) وقال أيضا في الزهد. لا حظ لهذه القصيدة ولا لبشار في الزهد، وإنما هي في الفخر وذم الزمان وأهله ثم هجاء الباهلي، والقصيدة من بحر الرمل وعروضه محذوفة وضربه كذلك.

1) السمط: الخيط المنظوم فيه الدر. والمراد أن الدهر نثر سلك صاحبته، وقوله «برا» الظاهر أنه (بضم الباء) جمع «برة» وهي الحلقة التي تلبسها المرأة في اليد أو في الساق مثل الخلخال، أي ذهب بنفائس أصحابه وزينتهم، وضبطه في الديوان بفتح الباء، فاذا صح ذلك وجب تقدير مفعول، أي وبرا عود أصحابي، أي انتقصهم.

2) «تأيت» تأخرت، يقال: تأيي بالمكان إذا تلبث عليه.

3) (ناسمتهم) أراد إذا علمت حالهم، لأنه يقال: تنسم علم كذا، أي تلطف في استطلاعه.

4) «ولم يشعر بها» أي بكلمة «ها» وهي اسم فعل بمعنى خذ، وفي الحديث: «الذهب بالذهب ربا إلا ها وها» أي خذ وخذ، أي يدا بيد، والمعنى: أنه لا حظ له في الإعطاء.

5) «نيقة» اسم التنيق وهو تجديد اللباس، وأراد بخليطيه النوعين من الأصحاب، وهما الأصحاب الصادقون والاصحاب المخادعون، ولكون تلك قسمة مشهورة اكتفى بقوله «عن خليطي».

6) ذو ندا: أي نباح.

قَلَّ منْ طابَ لهُ آباؤهُ وعلى أُمّاتِهِ حُسْنُ الثنا(1)
اذنُ منّي تلْقَني ذا مِرّةٍ ناصحَ الحُبِّ كريماً في الإخا(2)
ما أراكَ الدَّهرَ إلاّ شاخِصاً دائبَ الرِّحْلَةِ في غيرِ عَنَا
فَدَعِ الدُّنيا وعِشْ في ظلِّها طلبُ الدُّنيا مِنَ الدَّاءِ العَيا
رُبَّما جاءَ مُقيماً رِزْقُهُ وسعى سَاعٍ وأخطا في الرَّجا
وفَناءُ المرءِ مِنْ آفاتِهِ قلَّ مَنْ يسلَمُ منْ عِيِّ الفنا
وأرى النَّاسَ يَرَوْني أسَدًا فيقولُون بِقصْدٍ وهُدى(3)
فارْضَ بالقِسْمةِ مِنْ قَسّامِها يُعْدِمُ المرءُ ويغدُو ذا ثَرا
أيها العاني لِيَكْفي رِزْقُهُ هانَ ما يكفيكَ مِنْ طولِ العنا
تُرجِعُ النَّفْسَ إذا وقّرتَها ودواءُ الهمِّ مِنْ خمرٍ وما
والدَّعِيُّ ابنُ خُليقٍ عَجَبٌ حُرِمَ المِسْواكَ إلاّ مِنْ وَرَا

* * *

1) الأمات : جمع أم، وهو جمع نادر وان كان قياسيا، والأفصح في جمع أم أمهات، فهو اسم جمع إذ لم يسمع مفرده أمهة، وقيل سمع نادرا، ووقع جمع الأمات في قول المتنبي :

بأبي وأمي شادنا قلنا لــه نفديك بالأمات والآباء

2) « ذا مرة » أي ذا قوة ورباطة جأش ، قال تعالى : « ذو مرة فاستوى ».
و « ناصح الحب» أي ليس حبه مشوبا بخديعة ومكر .

3) قوله : « يروني » أصله « يرونني » جزم للضرورة ما ليس بمجزوم ، كقول عنترة :

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

على رأي.

قافية البـــاء

وقال بشار أيضاً على حرف الباء يمدح داود بن يزيد(*):

عُـوجـا خليلـيَّ لقينـا حسْبـا مـِنْ زمنٍ ألقـى علينـا شَغْبَا(1)
مـا إنْ يرى النّـاسُ لقلْبي قلْبا كَلَّفنـي سَلْمَـى غَـدَاةَ أتْبَـا(2)
وقـدْ أجـازتْ عِيـرُهـا الأجَبّا أصْبحَـتْ بصَرِيّـا وحلّـتْ غَرْبا(3)
فـالعيْـنُ لا تُغْفِي وفاضتْ سكْبا أمْلَّـتْ مـا منْيتمبـانـي عُجْبا(4)
بالخِصْبِ لـوْ وافقْتُ منْهُ خِصْبا فـلا تغُـرّانـي وغُرّا الـوَطْبا(5)

---

*) وقـال بشـار أيضا على حرف البـاء يمدح داود بن يزيد.
والقصيدة من الرجز وعروضه كضربه مقطوعة: مستفعلن مستفعلن مفعولن.
وداود بن يزيد هـو داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب: كان داود مع أبيه يزيد في إفريقية حين وليها يزيد بن حاتم سنة 154، وولي داود بن يزيد إفريقية سنة 170 بعد مقتل أبيه باستخلاف من أبيه، فبقي أميرا تسعة أشهر حتى وليها عمه روح بن حاتم، وسار داود إلى بغداد سنة 171، فلقي الرشيد أمير المؤمنين، فاستعمله وولي إمارة جيش وجه مددا لخراسان لقتال معين الخارجي سنة 175، ثم ولي على السند سنة 184 فبقي عاملا بها حتى مات سنة 305.

تنبيـه: اعلـم أني اصطلحـت في وضع الأعداد لأبيات أراجيز الديوان أنْ أعتبر كل شطرين بيتا على مصطلح جمهور المتأخرين، وإن كان القدماء يعتبرون كل شطر بيتـا، ولذلك كانوا يجعلـون أرجوزاتهـم مفردة الأشطار فتختـم بشطر مفـرد.

1) (حسبـا) أي كافيا يكفينا هموم الزمان.

2) أي لا يرى الناس لي قلبا، وهذا من طرق الكناية كما يقال: ليس لأخي زيد أخ، أي ليس لزيد أخ. وخرج عليه قوله تعالى «ليس كمثله شيء» على جعل الكاف غير زائدة فيكون نفي أن يكون شيء مثل مثل الله، كناية عن نفي أن يكون شيء مثل الله. و «أتبا» أغزى يعني يغزوه الحب.

3) (عيرها) بعين مهملة مكسورة وهي الركب المسافرون، ووقع في النسخة بالغين المعجمة وهو تحريف، والأجب: مكـان، ولم أقف على تعيينـه.

4) «عجبا» كتب في الديوان بدون نقط للحرفين الأولين، ولا شكل لهما، والظاهر أنه «عجبا» بضم العين وسكـون الجيـم، أي معجبا بـه.

5) الـوطـب: الرجل الجافي.

إنّـي وحمْلـي حُبَّ سلْمَى تبًا كحـامـلِ الْعِبْءِ يُـرجّي كسْبا(1)
فخـاب مِـنْ ذاك ولاقى تَعْبَـا وقـدْ أرانـي أريحيًّـا نـدْبـا(2)
أرْوِي النّـدامـى وأجُـرُّ الْعصْبـا أزْمـان أغْـدُو غـزِلاً أقبّـا(3)
لا أتّقـي دُون سُليْمى خَطْبَـا ومـا أبالي الـدَّهَيَـانَ الصّقْبا(4)
يـا سَلْمَ يـا سَلْمَ دعِي لِي لُبّـا أوْ ساعِفينـا ، قدْ لقينـا حسْبـا
مـا هكذا يجْـزِي الْمُحِبُّ الْحِبَّا وصـاحِبٍ أغْلَـقَ دُونـي دربـا
قُلْـتُ لـهُ ولمْ أُحَمْحِـمْ رُعْبـا : إنَّ لنـا عنْك مسـاحاً رحْبـا(5)
فأحْمِ جنْبـاً سـوْف نرْعى جنْبـا وفِتْيـةٍ مِثْـلِ السَّعالي شُبّـا(6)

---

1) قولـه «تبًّا» دعاء على نفسه ، أي تبًّا لـي .
2) (الأريحي) تقدم أنه الذي يهتز للكرم . والندب (بفتح النون وسكون الدال) : الرجل الخفيف عند الطلب النجيب ، وجمعه ندوب .
3) العصب ضرب من برود اليمن ، والأقب : الذي به قبب ، أي دقة قامة وضمور .
4) الدهيان : فعلان من دهاه ، إذا أصابه بداهية ،وهي المصيبة العظيمة ، وحركه لضرورة الشعر . و(الصقب) بفتح الصاد وسكون القاف : الطويل، أراد به هنا المقتدر ، وقد جمع في هذا المصراع غرابة اللفظ في الدهيان إذ لم يذكروا هذا الوزن في هاته المادة وغرابة المعنى المراد من الصقب.
5) « أحمحم» بحاءين مهملتين ، والحمحمة : صوت الفرس دون الصهيل كأنه حكاية صوته إذا طلب العلف أو رأى صاحبه المألوف . والمساح : اسم مكان من ساح يسيح ، وهو خلاف القياس ، إذ القياس مسيح ، فلعل بشارا اطلع على وروده في كلام العرب ، فإنه كان كثير الاطلاع .
6) «فأحم» بهمزة قطع ، أمر من أحمى المكان مثل حماه إذا جعله حمًى لا يقربه أحد. والجنب : الجانب كقوله تعالى «على ما فرطت في جنب الله» ، وقوله «سوف نرعى جنبا» أي إن تمنعنا مودتك فلنا في ود غيرك سعة .

«السعالي» بفتح السين وتخفيف العين وكسر اللام ، ولا يجوز فتح اللام ، لأن هذا مما تفرد في السماع بالكسر ، وإن كان في الاصل أن كل «فعل» بعد لامه الف زائدة بعدها حرف كتاء تأنيث أو همزة أو نون ، سواء كان اسما أم صفة يجوز فيه فتح اللام وكسرها في الجمع ، نحو صحراء وعذراء ، إلا ما انفرد فيه أحد الوزنين ، مثل سعلاء في الجمع على سعالى ومرادة في الجمع على مرادى بالكسر فيهما ، ومثل سكران في الجمع على فعالى بالفتح ، والسعالى : جمع سعلاة بكسر السين وبهاء التانيث ، ويقال : سعلاء بالمدو بالقصر ؛ وهي الغول أو ساحرة الجن ثم أطلقت على المرأة القبيحة الوجه السيئة الخلق.

و «شبا» كتب في الديوان كذلك ، وضبط بضم ففتح ، فهو بالتشديد جمع شاب ، ولم يرد عن العرب : والظاهر أن بشارا قاس فأثبت الأشب بمعنى القوي الشباب ثم جمعه على شب ، فيكون حالا من «فتية» ويحتمل أنه بفتح الشين اسم جمع شبة ، وهي المرأة التي في شبابها ، فيكون حالا من السعالي .

مِـنَ الْحُمَـاةِ الْمـانِعِيـنَ السَّرْبا   تلْقِيي شَبَـا الكَأْسِ بِهِمْ والحرْبا(1)

كَلَّفْتُهُـم ذا حـاجـةٍ وإرْبـا   عِنْدي يُسْرٌ فَعَبَبْنا عَبّـا(2)

مِنْ مَقَـدِيٍّ يُزْهِقُ الأَطِبّـا   أَصْفَرَ مِثْلِ الـزَّعْفَرانِ ضَرْبـا(3)

كأسِ امرىءٍ يسمو ويأبى جذْبـا   مَالَ علَيْنـا بالغريضِ ضَهْبـا(4)

والـرَّاحِ والـرَّيْحـانِ غضًا رَطْبًا   والْقَيْنـةِ الْبِكْـرِ تُغَنّـي الشَّرْبا

والْعِرْقُ لا نَدْرِي إذا مـا جبّـى   أضاحِكاً يحْكـي لنا أمْ كلْبـا(5)

يسْجُـدُ لِلْكأسِ إذا مـا صُبّـا   كَقارِىءِ السَّجْدةِ حيـنَ انْكَبّـا(6)

حتَّى إذا الدِّرْيـاقُ فِينـا دبّـا   وجـنَّ لَيْـلٌ وقَضَيْنـا نَحْبـا(7)

رُحْنـا مع اللَّيْـلِ مُلُوكاً غُلْبـا   مِنْ ذا ومِنْ ذاكَ أصبْنـا نَهْبـا

وحَلَبَـتْ كَفّـي لِقَوْمٍ حلْبـا   فلَـمْ أرشّـحْ لِعشيـرٍ ضبّـا(8)

---

1) «شبا الكأس» جمع شباة، وأصل الشباة حد السيف، ثم استعيرت لقوة كل شيء، فشبا الكأس: شدة خمرها.

2) «ذا حاجة» مفعول ثان لـ«كلفتهم» أي كلفتهم أمر ذي حاجة لقضائها، و«إربا» عطف على «ذا حاجة».

3) المقدي (بفتح الميم وفتح القاف المخففة) صفة للخمر المنسوبة الى مقدية، قرية من قرى الشام ينسب اليها الشراب، وربما شددوا الدال فقالوا مقدّي.

4) المراد بامرىء الساقي. (الغريض) بالغين المعجمة اللحم الطري، والضهب: مصدر ضهب اللحم إذا شواه ولم يبالغ في نضجه، وذلك ألذ طعما.

5) (العرق) بكسر العين: الماء القليل تمزج به الخمر، لكسر سورتها إذ قد وصفها من قبل بالشدة، يقال: أعرق الخمر وخمر معروقة. وكتب «جبا» بألف في آخر الكلمة والصواب أنها في صورة الياء، يقال: جبّى تجبية إذا انكب على الارض. وقوله «لاندري» أي لا نهتدي بماذا نشبهه: أيحكي ضاحكا أم يحكي كلبا، أي صوتيهما..

6) «يسجد» هو أي الإبريق المفهوم من قوله «اذا ما جبى». وهذا كقول ابن المعتز:

وحـان ركوع إبـريق لكأسي   ونادى الديك حي على الصبوح

7) الدرياق بكسر الدال وتفتح من أسماء الخمر.

8) «حلبت كفي» أي جادت بالعطاء، والضب: الحقد والغضب.

وربّمـا قُلـتُ لعمْرِي نَسْبَـا الْعضبُ أشهَـى فأذِقْنِـي الْقَضْبا(1)
فـالآن ودَّعْـتُ الْفتـوّ الحُـزْبـا أعْتبْتُ مِنْ عاتبنِي أوْ سبّـا(2)
ورَاجَعَـتْ نفْسـي حجـاها عُقْبا فـالْحمْـدُ للهِ الـّذِي أهبّـا(3)
مِـنْ فُـرْقـةٍ كـانتْ علينْا قضْباً أتى بِها الْغَيُّ فأغْضى الـرّبّـا(4)
ومَلِكٍ يَجْبِي الْقُـرى لا يُجْبـى نـزورُه غِبّـاً ونُـؤتِيـه رهْبـا(5)
ضَخْـمِ الـرِّوَاقيْـنِ إذا اجْلعبّـا يخافُـه النّـاسُ عِدًى وصحْبـا(6)
كمـا يخافُ الصّيْـدَنُ الأزبّـا صبٌّ لنا مِنْ وُدِّهِ واضْطبّـا(7)

---

1) «نسبا» الظاهر أنه تخفيف نسأ بالهمز، أي: نشتري الخمر لشربها فإن اشتراء الخمر يطلق عليه اسم السبا، قال المعري:
فما سبأوا الراح الكميت للـذة ولا كان منهم للخراد سباء
وقوله «لعمري» قسم. والمعنى: أقسمت لا نشتريها، و«لا» محذوفة بعد القسم. وكتب في الديوان العضب بعين وضاد ولا يظهر له معنى، فلعل صوابه الغصب بعين معجمة فصاد مهملة، أي أخذ الخمر من بائعها بطريق الغصب أشهى من ابتياعها.
وكتب «فأذقني القضبا» بقاف فضاد، ولعله تحريف، وصوابه: الغصباء بغين معجمة فصاد مهملة.

2) «الفتوّ» : جمع فتى .

3) (أهب) : نبه ، والمراد أنه نبهه من غشاوة الصبا فثاب الى رشده .

4) ضبط في الديوان «فرقة» بضمة على الفـاء، ولعله سهو والصواب بكسرة، وقوله «من فرقة» متعلق بأهبا ، أي أيقظني من فرقة قطعتنا عما يرضي الله ، وقوله ، «فأغضى الربا» كتب في الديوان بغين وضاد ، ولعل صوابه بعين مهملة وصاد مهملة وياء ، أي فجعلني الغي أعصي الله تعالى .

5) (يجبـي) : يأخذ الجباية ، وهي من شعار الملك ، قال الأعشى :
وتجبـى إليه السيلحون وعنـده صريفـون في جناتها والخورنق
والقـرى : جمع قرية ، وهي الأرض المعدة للحرث .

6) الرواق (بكسر الراء): ما يجعل في مقدم البيت ومدخل القصر، وهو سقف مرفوع على أعمدة دون حائط ، ويسمى في تونس برطالا . واجعلبّ : اضطجع.

7) الصيدن: الضبع. والأزب: هو كثير شعر الوجه، والزبب (بالتحريك) شعر الحاجبين والأذنين، ومنه جمل أزب: كثير شعر الوجه، ولعله أراد به في البيت الأسد لأنه كثير شعر الرأس، وهو غريب، وقوله «واصطب» أي أخذ لنفسه من ودي كما أعطاني من وده.

وُدًّا فما خُنْتُ ولا أسبّا ... ثبّتَ عهْدًا بيْننَا وثبّا(1)

حتّى افترقنا لم نُفرِّقْ شعْبَا ... كذاكَ مَنْ ربَّ كريماً ربّا(2)

والناسُ أخْيافٌ ندًى وزبّا ... فصافِ ذا وُدٍّ وجانبْ خَبّا(3)

يا صاح قدْ كُنْتَ زُلالاً عذْبا ... ثمَّ انقلبْتَ بعْد لَيْنٍ صعْبا(4)

مالِي وقدْ كُنْتُ لكُمْ مُحِبّا ... أُقْصى وما جاوزْتُ نُصْحاً قصْبا(5)

يَا صاح قدْ بُلِّغْتَ عنّي ذنْبا ... وهلْ علمْتَ خُلُقي مُنْكبّا

وهلْ رأيْتَ فِي خِلاطِي عَتْبَا ... ألمْ أزيِّنْ تَاجَكَ الذهبّا(6)

بالباقياتِ الصالحاتِ تُحْبى ... أضانَ فِي الحُبِّ وجُزْن الحُبّا(7)

---

1) «أسب» الظاهر أنه قصد ما قطع السبب، أي علاقة المودة، فهو بمعنى: ولا قطع الود، فالهمزة للإزالة، مثل أعجم الكتاب وأعذر اليه، وبشار يرى مثل هذا بنقاس وإن كان المسموع أن يقولوا: قطع السبب، قال تعالى «وتقطعت بهم الأسباب»، وقال لبيد «وتقطعت أسبابها ورمامها» وقوله «وثبّ» أي تمكن في مقامه على الود، وأصله الجلوس مع التمكن.

2) الشعب هنا: الجمع، و«رب»: استعبد أو اصطنع، وهو متعد، وأراد بالكريم نفسه، وقوله «ربا» فعل قاصر، أي صار ربا، أي مالكا، ويحتمل أن يكون مصدرا مؤكدا.

3) الأخياف (بالخاء المعجمة): المختلفون في الهيئة والاخلاق، ومنه فرس أخيف، اذا كانت إحدى عينيه زرقاء والاخرى سوداء، أي الناس يختلفون في الندى، فقوله «ندى» تمييز. و«زبا» بفتح الزاي مصدر زب القربة: ملأها، أي مختلفون في البذل والسخاء فيه.

4) قوله «ياصاح» خطاب للممدوح على سبيل العتاب والتبري مما وشي به اليه.

5) القصب: القطع، والمراد به هنا الفراق.

6) الذهب، ضبط في الديوان بفتح الذال وفتح الهاء وتشديد الباء، وهو بباء واحدة في آخره، وأما تضعيف بائه فضرورة شعرية مثل قول رؤبة:

أو الحريق وافق القصبا

اراد القصب لأن من وجوه الوقف على الحرف المتحرك أن يضاعف الحرف الذي يوقف عليه بزيادة مثله قبله وإدغامه فيه، والقوافي معتبرة موقوفا عليها. وانظر تفسير البيت 16 من ورقة 67.

7) أراد المدائح الباقيات، و«الصالحات»: جمع صالحة، وهي النافعة، كقوله تعالى «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا» أي الحسنات النافعات للنفس وللناس، وقول بشار هنا كقول الحطيئة:

كيف الهجاء ولا تنفك صالحة ... من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

مِثْل نُجوم اللَّيْلِ شُبَّتْ شبّا — أحيينَ شاع الشَّعْرِ واتْلأبّا(1)
وَنظر النّاس إِليَّ أَلْبًا — أَبْدلْتَني مِنْ بَعْدِ إِذْنٍ حجْبًا(2)
بِئْس جزاءُ المرْءِ يأْتِي رَعْبًا — لمّا رأَيْتَ زائرًا مُربًّا(3)
باعدْتَهُ وكان يرجُو القُرْبا — فزار غِبًّا كَيْ يُزاد حُبًّا

كذلِك المحْفُوظُ يطْوِي سَرْبًا(4)

* * *

وقال أيضاً يمدح عُقبة(*):

يا دارُ بيْن الفرْعِ والجِنابِ — عفا عليْها عُقَبُ الأعْقابِ
قدْ ذهبتْ والعيْشُ لِلذّهابِ — لمّا عرفْناها علَى الخرابِ
ناديْتُ هلْ أسْمعُ مِنْ جوابِ — وما بدار الحيِّ مِنْ كرَّابِ(5)
إلا مطايا المِرجلِ الصّخّابِ — وملْعَبِ الأحْبابِ والأحْبابِ(6)
فِي سامِرٍ صابٍ إِلى التّصابِي — كانتْ بِها سَلْمَى مع الرَّبابِ
فانْقلبتْ والدّهْرُ ذُو انْقِلابِ — ما أقْرَبَ العامِرَ مِنْ خرابِ

---

1) اتلأبّ: استقام، اتلئبابا وتلأبيبة (بضم التاء).

2) الألب (بفتح الهمزة وبكسرها أيضا): الجماعة المجتمعة على الظلم والعداوة.
والمعنى نظر الناس الي في حال كونهم ألبا، أي مجتمعين على العداء.

3) كتب في الديوان «رعبا» بعين مهملة وضبط بضمة على الراء، فقوله «يأتي» حال من «جزاء المرء»، وقوله «رعبا» حال (يأتي). و«مزبا» كتب بالزاي المعجمة، والمزب: الكثير المال، كالمزبب، ولا معنى له هنا، والصواب أنه بالراء، والمرب: المقيم بالمكان.

4) السرب (بفتح السين وسكون الراء): الطريق، والمحفوظ هنا من الحفيظة، وهي الغضب، يقال: أحفظه: إذا أغضبه، وقياسه المحفظ، والمعنى أن الغاضب يفارق الناس الذين أغضبوه ويطوي الطريق بالسير.

*) وقال أيضا يمدح عقبة بن سلم، وفيها وصف مرابع البادية.
والقصيد من بحر الرجز وعروضه كضربه مقطوعة، كالارجوزة التي قبل هذه.

5) «كراب» بمعنى أحد: وأصله من كرب الأرض إذا حرثها، وهو من الأسماء الملازمة للنفي.

6) مطايا المرجل هي الأثافي لأن المرجل يعتلي عليها فكأنه يركبها. والصخاب: الكثير الغليان.

وقـــدْ أراهُـــنَّ عـلَى الْمثــابِ   يلْهُـونَ فــي مُسْتـأْسِـدٍ عُجابِ(1)
سهْـلِ الْمجـارِي طيِّبِ التـرابِ   نــورٌ يُغنِّيـــهِ رُغـا الــذُّبــابِ
فِي ناضِرٍ جعْـدِ الثَّـرى كُبـابِ   يلْقـى الْتِهاب الشَّمْسِ بِالْتِهابِ(2)
مِثْـلَ الْمصـلِّي السَّاجِدِ التَّـوَّابِ   أيـام يبْـرقْـن مـن الْقِبــابِ
حُـورَ الْعيُـونِ نُـزَّهِ الأَحْبـابِ   مِثْل الـدمى أوْ كمَهَا الْعذابِ(3)
فَهُـنَّ أتْـرابٌ إِلَى أتْـرابِ   يمْشِيـنَ زُوراً عَنْ مَـدَى الحِـرابِ
في ظِلِّ عيْشٍ مُتْرَعِ الحِـلابِ   فَابْكِ الصِّبَــا فِي طَلَـلٍ يَبَـابِ
بَـلْ عَدِّهِ لِلْمَشْهَـدِ الْجَـوَّابِ   وَصَـاحِـبٍ يُدْعَى «أبـا اللَّبْلاَبِ»
قُلْتُ لَـهُ والنُّصْـحُ للصِّحَابِ :   لا تَخْـذُلِ الْهَاتِـفَ تَحْتَ الْهَابِ(4)
وانْبِضْ إِذَا حَارَبْتَ غَيْرَ نَـابِ   يَـا عُقْبَ يَا ذَا الْقُحَمِ الـرِّغَابِ(5)
والنَّـائِـلِ الْمَبْسُـوطِ لِلْمُنْتَـابِ   فِي الشَّرَفِ الْمُوفِي عَلَى السَّحَـابِ
بَيْـنَ رِوَاقِ الْمُلْـكِ والْحِجَـابِ   مِثْـلَ الْهُمَامِ فِي ظِلاَلِ الْغَـابِ(6)
أَصْبَحْتَ مِن قَحْطَانَ فِي النِّصَابِ   وفِي النِّصَابِ السِّـرُّ واللُّبَـابِ(7)

---

1) المثاب: مقام الساقي من البئر، يقال: ثاب الحوض إذا امتلأ، ويلهون: النون التي فيه نون النسوة، والواو التي فيه هي لام الكلمة، ولم يحذف منه شيء، بخلاف قولك: الرجال يلهون، فالواو فيه ضمير الجماعة والنون علامة الرفع ولام الكلمة وهي الواو حذفت لالتقاء الساكنين.

2) «جعد الثرى» من إضافة الصفة الى الموصوف، والجعد الذي كثر نداه. و«كباب» بضم الكاف الذي لزم بعضه بعضا.

3) «العذاب» لعله اسم موضع.

4) الهاتف: الصائح، أراد به المستنجد، و«الهاب» زجر الخيل بصوت: هاب هاب، والمعنى: انصر الفارس.

5) «انبض» أمر من نبض، أي تحرك، والمراد هنا: اسرع الى الحرب ولا تتاقل. وقوله «ياعقب...» اقتضاب تخلص به الى مديح المقصود، والقحم (بضم القاف): جمع قحمة وهي (بضم القاف): الاقتحام في الشيء والمهلكة، أي الاقتحام في أمر خطير، و«الرغاب» بغين معجمة: الواسعة. أراد القوية.

6) الهمـام (بضم الهاء) من أسماء الأسد.

7) النصاب: الأول بمعنى الاصل، والنصاب الثاني تأكيد له، والسر: روح الشيء، واللباب: الخلاصة.

مِـنْ نَفَـرٍ مُـوَطَّـإ الأَعْقَـابِ   يُرْبِي عَلَى القَـوْمِ بِفَضْلِ الرَّابِي(1)
وَأَنْـتِ شَغَّـابٌ عَلَى الشَّغَّـابِ   لِلْخُطَّـةِ الْفَقْمَـاءِ آبٍ آبِ(2)
مِـنْ ذِي حُـرُوبٍ ثَاقِبِ الشِّهَابِ   إِذَا غَدَتْ مُفْتَـرَّةً عَنْ نَـابِ(3)
وَعَسْكَـرٍ مِثْـلِ الـدُّجَى دَبَّـابِ   يَعْصِـفُ بِـالشِّيـبِ وَبِـالشَّبَابِ(4)
جُنْـدٍ كَأُسْـدِ الْغَـابَةِ الصِّعَـابِ   صَبَّحْتَـهُ وَالشَّمْسُ فِي الْجِلْبَـابِ
بِغَـارَةٍ تَحْـتَ الشَّفَـا أَسْرَابِ   بِالْمَـوْتِ وَالْخُرْسِيَّـةِ الْغِضَابِ(5)
كَـالْجِـنِّ ضَرَّابِيـنَ لِلـرِّقَـابِ   دَأْبَ امْـرِىءٍ لِلْوَجَلَى رَكَّـابِ(6)
لاَ رَعِشِ الْقَلْـبِ وَلاَ هَيَّـابِ   جَـوَّابِ أَهْـوَالٍ عَلَى جَـوَّابِ
يُزْجِي لِوَاءً كَجَنَـاحِ الطَّـابِ   فِي جَحْفَلٍ جَمٍّ كَعَرْضِ الـلاَّبِ(7)
حَتَّى اسْتَبَـاحُوا عَسْكَـرَ الْكَذَّابِ   بِالطَّعْـنِ بَعْـدَ الطَّعْنِ وَالضِّرَابِ(8)
ثُمَّـتَ آبُـوا أَكْـرَمَ الْمَـآبِ   نِعْمَ لِـزَازُ الْمُتْرَفِ الْمُـرْتَـابِ(9)

---

1) « موطأ الاعقاب » أي راسخ الأقدام .

2) الفقماء: العوجاء، والأفقم من الأمور: الأعـوج أي العوج المجازي، وهو الذي فيه فساد. وقوله «آب » الثاني تأكيد للاول.

3) « من ذي حروب » بيان للشغاب، وكتب في الديوان «خروب» بخاء معجمة وهو تصحيف .

4) « يعصف » أي يرمي، كما تعصف الريح .

5) « الشفا » بفاء بعد الشين، مثل الشبا بموحدة جمع شباة السيف، وهي حده .

6) « الوجلى » اشتقه بشار من الوجل، كما اشتق الغزلى، وأراد موضع الخوف، وقد تقدم ما فيه في الورقة 3 .

7) قوله «كجناح الطاب » لايصلح الطاب هنا لمعنى من معاني طبا. واللاب: جمع لابة، وهي الحرة الواسعة. والمدينة: طيبة بين لابتين.

8) أراد بالكذاب هنا سليمان بن حكيم العبدي، من عبد القيس أهل البحرين، وكان قد ثار على أبي جعفر، فسير اليه عقبة بن سلم أمير البصرة، فقتل سليمان بن حكيم وسبى أهل البحرين، وذلك سنة 151.

9) التاء في قوله « ثمت » زائدة، تزاد مع « ثم » العاطفة، وتزاد مع « ثم » بفتح المثلثة الذي هو اسم مكان، وتزاد بعد « رب ». واللزاز: ما يلز به، أي يشد به، والمعنى أنهم يكفون مهم القوم، قال لبيـد:

إنا اذا التقت المجامع لم يزل   منا لزاز كريهـة جشامهـا

ومثله السداد كقوله: ليوم كريهة وسداد ثغر

ونِعْمَ جارُ العُيَّلِ السِّغابِ … يهْوُون في المُحْمَرَّةِ الغِلابِ(1)
رحْبُ الفِناءِ مُمْرِعُ الجَنابِ … يلْقاكَ ذُو الغُصَّةِ للشَّرابِ
بَلْجَ المُحَيَّا مُحْصَدَ الأسْبابِ … يجْرِي علَى العِلَّاتِ غيْرَ كابِ(2)
مُسْتَفْزِعاً جرْيَ ذوِي الأحْسابِ … ما أحْسَنَ الجُودَ علَى الأرْبابِ(3)
وأقْبحَ المطْلَ علَى الوهَّابِ … أبطأتُ عنْ أصْهارِيَ الحِبابِ(4)
والشَّهْدُ منَّا ولْقَةُ الغُرابِ … وأنا مِنْ عبْدَةَ في عذابِ(5)
قدْ وعدتْ والوعْدُ كالكِتابِ … فأنْتَ لِلأدْنَيْنَ والجِنابِ(6)

---

1) أراد بالمحمرة الرايات التي بأعالي الرماح تكون محمرة من دم العدو، والغلاب بكسر الغين.

2) بلج المحيا: طلق الوجه. محصد بمعنى قوي. والعلات (بكسر العين): الأحوال، أي يجيب من استنجده على كل حال، وهذا كقول الحماسي:

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم … لأية حرب أم لأي مكان

3) كتب «الجور» بالراء وضبطت الجيم بالفتح، ولعله: الجود.

4) الحباب بكسر الحاء: اسم مصدر أحب أو حب وهو وصف لأصهاري، ولم يجمع لأن الوصف بالمصدر لا يطابق موصوفه، ويجوز أن يكون جمع أحباب الذي هو جمع حابٍّ اسم فاعل حب (بدون همز) فهو كالصحاب، وسيجيء في البيت السادس عشر من ورقة 53.

5) ضبط في نسخة الديوان «الغراب» بفتحة على الغين وهو سهو، والصواب أنه بضم الغين، وهو الطائر المعروف، ويضرب به المثل في الاختطاف.

والولقة: المرة الواحدة من الولق وهو إسراع الأخذ. وأراد بالشهد عطاء الممدوح، استعار له لفظ الشهد لأنه محبوب الحصول ترتاح له النفس.

والمعنى أن عطية عقبة قريبة كولقة الغراب في سرعة النوال، وهذا قريب من معنى قول زهير:

فهن ووادي الرس كاليد للفم

أي في سرعة الوصول.

وكتب «وأنا من عبدة» ولا مناسبة له مع سياق الكلام. فلعل صوابه «من وعدك»، أي من انتظاره في عذاب، أو «من عدة» بطرح التنوين ثم تعويضه بفتحة ممنوعا من الصرف للضرورة فاشتبهت على ناسخ الديوان.

6) ضبط «قد وعدت» بفتحة على الواو وفتحة على العين، ولعل صوابه: وعدت بضم الواو وكسر العين. والضمير يعود إلى العدة المفهومة من وعدك وهو المناسب للتأنيب في قوله في البيت بعده «فامضها».

و«الجناب» بكسر الجيم: مصدر جانب بمعنى باعد، وهو صفة لموصوف محذوف، تقديره: للناس أو للقوم، كما يدل عليه قوله قبله «فأنت للأدنين».

والوصف بالمصدر لا يطابق موصوفه في غير الإفراد والتذكير.

كالامٌ لاتجفُو علَى العِتابِ　　فأمْضِها مِنْ بخرِكَ العُبابِ(1)
بالنَّجنجيَّاتِ مع الثِّيابِ　　فَدَاكَ كُلُّ مَلِقٍ خيَّابِ(2)
دانِي المُنَى ناءٍ عنِ الطُّلَّابِ　　إنِّي مِن الحبْسِ علَى اكْتِئابِ
فاحْسِمْ تَبَبًّا أوْ تنيلُ ما بِيَ　　ولا يكُنْ حظِّي انْتِظارَ البابِ(3)

* * *

---

1) فامضها: أي أنجزها، يقال: أمضي الأمر، إذا بته ولم يتردد فيه، وضمير المؤنثة الغائبة عائد إلى العطية الموعودة المفهومة من السياق. والعباب بضم العين: معظم الماء، وأراد الجود.

2) «النجنجيات» منسوبة إلى النجنجة بفتح النونين وهي التحريك والتقليب أو الجولة عند الفزع. أراد بالنجنجيات الرواحل السريعة النشيطة. وكانت الرواحل مما يعطيه السادة من العرب وملوكهم، قال النابغة في النعمان بن المنذر:

الواهب المائة المعكاء زينها　　سعدان توضح في أوبارها اللبد

وكذلك كانت الثياب مما يعطونه في العطايا.

3) «فاحسم» بمعنى اقطع. أراد إنجاز الأمر كما قال آنفا فامضها. «وتبيا» ضبط في الديوان بفتحة على التاء الفوقية وهو سهو، والصواب: أنه بضمة مبنيا للنائب أي بياك الله وهو دعاء بالمسرة.

وكتب «أو تنيل»، ولعله تحريف صوابه «وتنيل»، والأقرب أنها وتزيل، أي تقطع ما فيها من الشوق إلى الأهل والعشيرة».

ويجوز أن يكون «احسم» بمعنى اقطع العطاء، أي أبطله، فيكون حرف (أو) على ظاهره، وكذلك كلمة تنيل، ويكون (تنيل) بمعنى فعل الامر. والمعنى أمنع العطاء لبائس فاليأس احدى الراحتين، أو أنلني ما يهمني.

وقال أيضاً يمدح ابن هُبَيرة (*) :

سَلِّمْ على الدَّارِ بِذِي تَنْضُبِ فَشَطِّ حَوْضَى فَلِوَى قَعْنَبِ(1)
واسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ عَلَى رَسْمِهَا بَلْ حُلَّ بالرَّسْمِ وَلَا تَرْكَبِ
لَمَّا عَرَفْنَاهَا جَرَى دَمْعُهُ مَا بَعْدَ دَمْعِ العَانِسِ الأَشْيَبِ
طَالِبُ بِسُعْدَى شَجَناً فَائِتاً وَهَلْ لِمَا قَدْ فَاتَ مِنْ مَطْلَبِ

---

*) وقال يمدح ابن هبيرة من بحر السريع ، وعروضه وضربه كلاهما مطوي مكشوف.
ابن هبيرة هو يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أصله من الشام ، ولد سنة سبع وثمانين وتوفي بواسط سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، كان جسيما طويلا ، أكولا شجاعا ، سخيا حسودا . وكان يلقب شيخ العرب ، ولي قنسرين في زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ثم ولي العراق لمروان بن محمد سنة 128 ليقاتل من بالعراق من الخوارج ، وجمع له العراقين البصرة والكوفة ، وكانت له مواقف عظيمة في قتال الثوار مدة مروان بن محمد وفي مقاومة أصحاب الدعوة العباسية ، فقاتل قحطبة بن شبيب الطائي صاحب الدعوة العباسية والمثنى بن عمران العائذي ومحمد بن خالد بن عبد الله القسري وشيبان الحروري وأبا حمزة الخارجي ، وكان مع مروان ابن محمد يوم غلب على دمشق عند ظهور جيش الدعوة العباسية ، ولما غلبت الجيوش العباسية وقتل مروان خرج يزيد من الكوفة واستعصم بواسط ، ولما بويع السفاح وجه أخاه أبا جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة بواسط ، فنزل أبو جعفر لحصار واسط ، وجرت السفراء بينه وبين يزيد بن هبيرة ، وطلب ابن هبيرة الأمان ، فأمنه أبو جعفر وأرسل اليه ليأتيه ، فأتاه في فرسانه وخاصة قومه وبقي أياما يحاسن أبا جعفر ويأكل عنده ، وقد أعجب المنصور بابن هبيرة ، ولكن أبا مسلم الخراساني كان يغري الخليفة السفاح بقتل ابن هبيرة ، حتى أمر بقتله مكرها . ومن كلام ابن هبيرة للمنصور « أيها الامير إن دولتكم بكر ، فأذيقوا الناس حلاوتها ، وجنبوهم مرارتها ، تصل محبتكم الى قلوبهم ، ويعذب ذكركم على ألسنتهم . وكان أهل مجلسه الفقهاء ووجوه الناس وأهل البيوت ، وكان قاضيه عبد الله بن شبرمة الفقيه ، ولما قتل رثاه أبو عطاء السندي بقصيدته التي أولها :

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود !

وهي مذكورة في الحماسة وفي كتب البلاغة . ووالد يزيد هو عمر بن هبيرة كان أميرا على العراق من قبل يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكان مقره البصرة ، وكان يستنصح الحسن البصري والشعبي ، كما وجدته في مجموعة الجد الوزير ، قدس الله روحه ، نقلا عن محاضرات الحاتمي . وانظر ورقة 259.

1) قعنب : اسم . وحوضى (بفتح الضاد) : مكان . انظر تفسيرات البيت 1 في الورقة 3 .

وَصَاحِبٍ قَدْ جُنَّ فِي صِحَّةٍ ... لاَ يَشْرَبُ التِّرْيَاقَ مِنْ عَقْرَبِ(1)
جَافٍ عَنِ الْبِيضِ إِذَا مَا غَدَا ... لَمْ يَبْكِ فِي دَارٍ وَلَمْ يَطْرَبِ
صَادَيْتُهُ عَنْ مُرِّ أَخْلاَقِهِ ... بِحُلْوِ أَخْلاَقِي وَلَمْ أَشْغَبِ(2)
حَتَّى إِذَا أَلْقَى عَلَيْنَا الْهَوَى ... أَظْفَارَهُ وَارْتَاحَ فِي الْمَلْعَبِ(3)
أَصْفَيْتُهُ وُدِّي وَحَدَّثْتُهُ ... بِالْحَقِّ عَنْ سُعْدَى وَعَنْ زَيْنَبِ
أَقُولُ وَالْعَيْنُ بِهَا غُصَّةٌ ... مِنْ عَبْرَةٍ هَاجَتْ وَلَمْ تَسْكُبِ :
إِنْ تَذْهَبِ الدَّارُ وَسُكَّانُهَا ... فَإِنَّ مَا فِي الْقَلْبِ لَمْ يَذْهَبِ
لاَ غَرْوَ إِلاَّ دَارُ سُكَّانِنَا ... تُمْسِي بِهَا الرُّبْدُ مَعَ الرَّبْرَبِ(4)
تَنْتَابُهَا سُعْدَى وَأَتْرَابُهَا ... فِي ظِلِّ عَيْشٍ جَافِلٍ مُعْجِبِ
مَرَّ عَلَيْنَا زَمَنٌ مُصْعَبٌ ... بَعْدَ زَمَانٍ لَيْسَ بِالْمُصْعَبِ
فَاجْتَدَّ سُعْدَى بِحَذَافِيرِهَا ... غَيْرَ بَقَايَا حُبِّهَا الْمُصْحَبِ
قَدْ قُلْتُ لِلسَّائِلِ فِي حُبِّهَا ... لَمَّا دَنَا فِي حُرْمَةِ الأَقْرَبِ :
يَا صَاحِ لاَ تَسْأَلْ بِحُبِّي لَهَا
وَانْظُرْ إِلَى جِسْمِي ثُمَّ اعْجَبِ
مِنْ نَاحِلِ الأَلْوَاحِ لَوْ كِلْتَهُ
فِي قَلْبِهَا مَرَّ وَلَمْ يَنْشَبِ

---

1) التِرياق (بكسر التاء): دواء السموم، وقوله «من عقرب»، أي من أجل عقرب، من أي أجل سمها، وكنى بذلك عن قوته وصلابة قلبه.

2) «صاديته»: داريته.

3) لعله «حتى إذا ألقى عليه»، و«إلقاء الأظفار» استعارة تخييلية، شبه نشوب الهوى في فؤاده بنشوب الأظفار في الفريسة على طريقة المكنية، كقول أبي ذؤيب الهذلي:

واذا المنيــة أنشبـت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

4) الغرو: العجب، غرت: عجبت، والربد: جمع الأربد، وهو الذي لونه الربدة، وهي الغبرة، يطلق على الأسد وعلى النعام، وأراد هنا الأسود مجازا، أي رجال الحي. والربرب: القطيع من بقر الوحش، وأطلقه مجازا على نساء الحي أو ليستقيم العجب.

شَتَّانَ مَجْدُودٌ وَمَنْ جَدُّهُ ... كَالْكَعْبِ إِنْ تَرْحَلْ بِهِ يَرْتُبِ(1)
أُغْرَى بِسُعْدَى عِنْدَنَا فِي الْكَرَى ... مِنْ لَيْسَ بِالدَّانِي وَلا الْمُصْقِبِ(2)
مَكِّيَّةٌ تَبْدُو إِذَا مَا بَدَتْ ... بِالْمِيثِ مِنْ نَعْمَانَ أَوْ مَغْرِبِ(3)
عُلِّقْتُ مِنْهَا حُلُماً كَاذِباً ... يَا لَيْتَ ذَاكَ الْحُلْمَ لَمْ يَكْذِبِ
وَمَلْعَبِ النُّونِ يُرَى بَطْنُهُ ... مِن ظَهْرِهِ أَخْضَرَ مُسْتَصْعِبِ(4)
عَطْشَانَ إِنْ تَأْخُذْ عَلَيْهِ الصَّبَا ... يَفْحُشْ عَلَى الْبُوصِيِّ أَو يَصْخَبِ(5)
كَأَنَّ أَصْوَاتاً بِأَرْجَائِهِ ... مِنْ جُنْدَبٍ فَاضَ إِلَى جُنْدَبِ(6)
رَكِبْتُ فِي أَهْوَالِهِ ثَيِّباً ... إِلَيْكَ أَوْ عَذْرَاءَ لَمْ تُرْكَبِ(7)

---

1) رتب من باب كتب إذا ثبت ولم يتحرك، والكعب: قطعة تشبه كعب الانسان يلعب بها الصبيان: يقال: أرتب الغلام الكعب إذا أثبته، أي لم ينقله من موضعه في الارض أو في الرقعة، ويقال: رتب فلان رتوب الكعب أي ثبت في مكانه. وإنما يفهم معنى رتوب الكعب إذا عرفت كيفية اللعب به ولذلك جعله بشار تمثيلا بما هو معروف عندهم . ومعنى «ترحل به» تنقله، فهو مجاز.

2) المصقب : القريب ، والصقب (بالتحريك) القرب ، وأصقب : قرب.

3) « الميث » : (بكسر الميم) جمع ميثاء: الرملة اللينة ، وجمعها ميث، و« نعمان » بفتح النون: واد وراء عرفة بين مكة والطائف.

4) « ملعب النون » مجرور بواو (رب) لأنه نكرة ، وقوله « ركبت في أهواله » خبر عن «ملعب» يدل لذلك أنه جر قوله «مستصعب» على الصفة لملعب، و«ملعب النون» هو النهر ، لأنه فيه يلعب الحوت ، وأراد به الفرات حين ركبه من البصرة قاصدا الأمير يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط في خلافة مروان بن محمد .

5) كتب «عطشان» أراد به قليل الماء أي هو في حالة جزر ، والبوصيّ: الملاح، يريد أن الفرات اذا هبت عليه ريح الصبا اشتد على الملاح، والإفحاش والفحش: مجاوزة الحد، كقول الأعشى:

مثل الفراتي اذا ما طما ... يقذف بالبوصي والماهر

أي يرمي الملاح بمائه. و«يصحب» كتب في الديوان بالحاء المهملة، والصواب أنه بالخاء:

6) قوله « من جندب » صفة لموصوف محذوف ، تقديره : أصوات من جندب ؛ وهو المشبه به والجندب : ذكر البوم الصغير ، أراد أن أصوات الموج بأرجاء الفرات كأصوات الجنادب إذا جاوب بعضها بعضا .

7) أراد بالثيب والعذراء السفينة ، على وجه الإلغاز ، أي ركبت سفينة مستعملة أو سفينة جديدة ، فقوله « ثيبا . . . . أو عذراء » تشبيه ، ودل على وجه التشبيه قوله « لم تركب » وكأنه أراد أنه ركب اليه من البصرة بلده الى الكوفة، مقر الامير المملوح.

لمّا تيمّمتُ على ظهرها ... لمجلسٍ في بطنها الحوشبِ(1)
هيّأتُ فيها حين خيّستها ... من حالك اللون ومن أصهبِ(2)
فأصبحت جاريةً بطنها ... ملآن من شتّى فلم تضربِ(3)
لا تشتكي الأينَ إذا ما انتحت ... تهدى بهادٍ بعدها قُلّبِ(4)
راعي الذراعين لتحريزها ... من مشربٍ غارَ إلى مشربِ(5)
إذا انجلت عنها بتيّاره ... وارفضّ آلُ الشرف الأحدبِ(6)
ذكّرتُ من هِقلٍ غدا خاضباً ... أو هِقلةٍ ربداء لم تخضبِ(7)

---

1) الحوشب: المنتفخ، أراد به المتسع.
2) «خيستها» أي ذللتها وهيأتها، وأراد أنه فرش في بطن السفينة بسطا وزرابي ذوات ألوان للجلوس عليها:
3) أي فأصبحت تجري بدون ضرب لا كما تركب الرواحل، وقوله «بطنها ملآن من شتى» أراد أنواع الراكبين وما يتبع كل راكب، وارتكب التورية في لفظ «جارية». وفي قوله «بطنها ملآن» فزاد في الإلغاز. وقوله «فلم تضرب» أي لم تضرب ضرب حد الزنى وهذا إكمال للإلغاز.
4) اي لا تشتكي التعب من السير، وقوله «تهدى بهاد» اي يسيرها ملاح عارف متقلب في الأمور، والقلب: الرجل الذي مارس الأمور وتقلب في الأحوال.
5) كتب «راعي» ولعله «عاري» والتحريز: المبالغة في الحرز، أي الحفظ، وكلمة مشرب في الموضعين لعلها تحريف عن: مسرب، أي: مذهب في البحر ومجرى.
6) التيار: عظيم الماء، و«ارفض» بمعنى اتسع، والآل هو السراب الذي في أول النهار، والشرف الجبل المرتفع، وذلك أن السراب يبدو للماشي في الماء فيرى على الجبال المحيطة به أمثال المياه في أول النهار. ومعنى «انجلت عنها» انجلت عن نفسها في مكانها وتخلفها غيرها في مكان آخر، أي يكاد الرائي يصدق أنها هي التي كانت في المكان الاول، وهذا ضرب من المبالغة المبنية على التجريد، نحو لقيت من فلان أسدا، ومعنى «ارفض»: تفرق وذهب و«آل الشرف»: أي أهل الموج العالي كالجبل، و«الأحدب» من قولهم «حدب الموج» وهو حدوره في صبب.
7) الهقل (بكسر الهاء وسكون القاف): الفتى من النعام، والخاضب هو أحمر الرجلين، وذلك أن ذكر النعام تحمر رجلاه في آخر الربيع، فشبهوه بالخاضب بالحناء. قال النابغة يصف خيلا في سرعة عدوها:

كالخاضبات من الزعر الظنابيب

جمع ظنبوب وهو عظم الساق.

والهقلة: الأنثى، والربداء (بفتح الراء): وصف من الربدة (بضم الراء) وهو لون بين السواد والغبرة، وهو لون النعام، والأنثى لا تحمر رجلاها، ومعنى (ذكرت) تذكرت هقلا، اي تخيلت، والمراد التشبيه.

تَصِرُّ أحْيَاناً بِسُكَّانِهَا ... صَرِيرَ بَابِ الدَّارِ فِي الْمِذْنَبِ(1)

بِمِثْلِهَا يُجْتَازُ فِي مِثْلِهِ ... إنْ جُدَّ جَدَّتْ ثُمَّ لَمْ تَلْعَبِ

دُعْمُوصُ نَهْرٍ أنْشَبَتْ وَسْطَهُ ... إن تَنْعَبِ الرِّيحُ لَهَا تَنْعَبِ(2)

إلى إمَامِ النَّاسِ وَجَّهْتُهَا ... تَجْرِي عَلَى غَارٍ مِنَ الطُّحْلُبِ

إلى فَتًى تَسْقِي يَدَاهُ النَّدَى ... حِيناً وَأحْيَاناً دَمَ الْمُذْنِبِ

إذَا دَنَا الْعَيْشُ فَمَعْرُوفُهُ ... دَانٍ بِعَيْشِ الْقَانِعِ الْمُتْرِبِ

زَيْنُ سَرِيرِ الْمُلْكِ فِي الْمُغْتَدَى ... وغُرَّةُ الْمَوْكِبِ فِي الْمَوْكِبِ

كَأنَّ مَبْعُوثاً عَلَى بَابِهِ ... يُدْنِي وَيُقْصِي نَاقِداً يَجْتَبِي

إذَا رَمَاهُ النَّقَرَى بِامْرِئٍ ... لأنَ لَهُ الْبَابُ وَلَمْ يُحْجَبِ(3)

---

1) سكان السفينة (بضم السين وتشديد الكاف) هو مؤخرها، قال طرفة:

كسكان بوصي بدجلة مصعد

وقوله «في المذنب» متعلق بـ«تصر»، والمذنب (بكسر الميم): أسفل الوادي، والمراد به هنا شاطىء النهر حين يقصر الماء فتسمع للسفينة صريرا كصرير الباب، ولا جرم أن ختم أوصاف السفينة بآخر أحوالها عند مقاربة الإرساء. ولذلك قال بعده: بمثلها يجتاز في مثله.

2) الدعموص (بضم الدال وسكون العين): دودة سوداء لها رأسان تكون في الماء القليل، شبه السفينة بها، وهو تشبيه بديع. والنعيب صوت الريح وصوت الغراب. أراد أن اشتداد الريح يجعل للسفينة صوتا في الماء من شدة سيرها فيه.

3) «النقرى» (بفتح النون والقاف): الدعوة التي ينتقى لها المدعورون، مأخوذ من انتقر بمعنى انتقى لأن الطير إذا انتقر الحب انتقاه بمنقاره، والدعوة للطعام عند العرب نوعان: الجفلى (بالتحريك) وهي التي لايختار لها المدعوون، والنقرىٰ وهي التي يختار لها، والكرماء يجعلون النوعين، لأنهم يأدبون السادة والعامة، وكانوا يمتدحون بالجفلى، قال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لاترى الآدب فينا ينتقر

وإنما وصف مأدبة الممدوح بالنقرى لأنه كان أميرا، فلايزوره الاخاصة الناس فقد صارت مدحا لأمثاله بحسب العادة، لدلالته على أنه محجب بعيد عن الناس، وهذا لاينافي أن يكون يطعم الفقراء في غير مآدبه الخاصة، كما قال فيما تقدم في مدح عقبة:

عقبة الخير مطعم الفقراء

انظر البيت 23 من الورقة 4، وقوله «بامرىء» أي من غير أهل النقرى، أي ضيف غير مدعو للنقرى لم يحجبه عنها، وبذلك تم له المدح.

دَأبْتُ حَتّى جِئتُهُ زَائِراً
ثُمَّ تَعَنَّيْتُ وَلَمْ أَدْأبِ

مَا انْشَقَّتِ الْفِتْنَةُ عَنْ مِثْلِهِ
فِي مَشْرِقِ الأَرْضِ وَلا مَغْرِبِ(1)

أطَبَّ لِلدِّينِ إذَا رَنَّقَتْ
عَيْنَاهُ مِنْ طَاغِيَةٍ مُجْرِبِ(2)

أَلْقَى إِلَيْهِ «عُمَرٌ» شِيمَةً
كَانَتْ مَوَارِيثَ أَبٍ عَنْ أَبِ(3)

---

1) «ما انشقت الفتنة عن مثله» أي لا تنتهي ولا تزول الا به، وليس غيره يقوم مقامه فيها رأيا وشجاعة، وهذا كقوله في البيت 18 من الورقة 4 :

مالكي تنشق عن وجهه الحرب ... الخ

وقد أشار بشار الى مواقف الممدوح في نصر الدولة الاموية ومحاربته الخوارج عنها مثل قحطبة وغيره.

2) «أطب» منصوب على الحال من الضمير المجرور في قوله «مثله». ورنق البصر: ضعف. والطاغية: الطاغي الشديد في الباطل. ومجرب (بالجيم) بمعنى ذي الجرب. جعل الخوارج وأهل الباطل مفسدين للدين على طريق التخييلية، إذ شبه الهيئة الحاصلة من إضرارهم للدين بالهيئة الحاصلة من عدوى الأجرب للصحيح، وجعل مقاومة الممدوح إياهم وذبه عن الدين كمعالجة الطبيب لذي الجرب، وقد أشار بشار بهذا الى مواقف يزيد بن هبيرة في نصر الخلافة والذب عن الحوزة ايام اختلال الأمور بظهور الخوارج والفتن في آخر الدولة الاموية من سنة 126، مثل خروج سليمان بن هشام بن عبد الملك على يزيد بن الوليد بعمان، وخروج أهل حمص، وخروج أهل فلسطين، وظهور الخوارج بالعراق، وظهور شيعة بني العباس، وهؤلاء كلهم الذين قاتلهم اليزيد بالعراق وبواسط في خراسان.

3) أراد بعمر أبا الممدوح، وقد تقدم ذكره.

قَوْدَ الْمَطَايَا بِعَمَى مَارِقٍ
عُوتِبَ فِي اللهِ فَلَمْ يُعْتِبِ(1)

إِنَّ يَزِيدًا فَادْنُ مِن بَابِهِ
فِي الضِّيقِ إِنْ كَانَ أَوِ الْمَرْحَبِ

أَجْدَى عَلَى النَّاسِ إِذَا أَمْحَلُوا يَوْماً وَأَكْفَى لِلثَّأَى الْمُنْصِبِ(2)

دِعَامَةُ الأَرْضِ إِذَا مَا وَهَتْ سَمَاؤُهُ عَنْ لاَقِحٍ مُقْرِبِ(3)

---

1) «قود المطايا» بدل من «شيمة» في البيت قبله، أي قود الجيوش، وقود المطايا في لسان العرب بمعنى خروج الجيوش، قال النابغة:

مخافة عمرو أن تكون جياده يُقَدْن إلينا بين حاف وناعل

والمطايا: جمع مطية وهي ما يركب.

وقوله «بعمى» الباء للسببية. و «مارق» كتب بالزاي في الديوان، والمأزق (بكسر الزاي): مضيق الحرب، والعمى: استبهام الامر، أي قود الجيوش للمأزق الذي لا يهتدي فيه الناس الى ما يصنعون، والظاهر أن «مأزق» تحريف وأن صوابه «مارق» بالراء، والمارق هو الخارج عن الملة، والعمى حينئذ هو الضلال، أي يسوق الجيوش بسبب ضلال مارق، وبذلك يستقيم موقع المصراع الثاني، فيكون صفة لمارق، أي لام أهل الحق هذا المارق ووعظوه، و «في» للتعليل أي لأجل الدين فلم يرعو عن مروقه. يقال: أعتب اذا عمل بالعتاب. وقد أشار بشار الى ما هو المعروف في أحكام الاسلام من تقديم الاستتابة قبل قتال المحاربين والمرتدين ونحوهم.

وعلى مافي أصل الديوان يكون المصراع الثاني استئنافا لبيان تصميم الممدوح، أي عاتبه المعاتبون على قتال الأعداء، فتكون «في» للظرفية المجازية، كما في قوله تعالى «يجادلنا في قوم لوط» وقوله «ولا تخاطبني في الذين ظلموا» أي في شأنهم، وقول الحديث «مر على رجل من الأنصار يعاتب أخاه في الحياء» أي في شأن الحياء أوعلى الحياء. والمراد بالعتاب في الله: العتاب في دين الله أو خلافته، فلا بد من تقدير مضاف من باب دلالة الاقتضاء، وهكذا كل فعل تعلق بذات وليس من شأنه أن يتعلق بالذوات، نحو «حرمت عليكم الميتة».

ومعنى لم يعتب: لم يكف عما عوتب عليه، وفي المثل «ما مسيء من أعتب».

2) «أجدى على الناس» خبر «إن يزيدا» في البيت السابق، وما بينهما اعتراض، والظاهر أن «أجدى» هنا: اسم تفضيل، يقال: جدا فلان على فلان: إذا أعطاه الجدوى، أي العطية، وكذلك يقال: أجداه. و «أمحلوا» أصابهم الجدب والشدة. والثأى: الأمر العظيم الذي يقع بين القوم، ويطلق «الثأى» على ما يكون فيه فساد وخرم، والمنصب: المتعب.

3) «وهت سماؤه عن...» أي انشقت عن حرب، وهي السحاب، أي انبثق بالمطر. و «لاقح» و «مقرب» هنا صفتان للحرب التي تنشق عنهما سماء الممدوح، يقال «حرب لاقح» وذلك على المثل بالناقة الحامل، ولذلك قال «مقرب» على المثل بالتي قربت ولادتها.

الجَالِبُ الأُسْدَ وأشْبَالَهَا   يَزُرْنَ مِنْ دُورَيْنِ فِي المَجْلَبِ(1)
بِعَسْكَرٍ ظَلَّتْ عَنَاجِيجُهُ   فِي القَودِ مِنْ طِرْفٍ ومِنْ سَلْهَبِ(2)
مَجْنُوبَةَ العَصْرَيْنِ أوْ عَصْرَهَا   بِسَيْرِ لاَ وَانٍ وَلاَ مُتْعَبِ(3)
يَتْبَعْنَ مَخْذُولاً وَأشْيَاعَهُ   بالعَيْنِ فَالرَّوْحَاءِ فَالمَرْقَبِ(4)
حَتَّى إذَا اسْتَيْقَنَّ مِن كَبْوَةٍ   وكُنَّ مِنْهُ لَيْلَةَ المُذَّبِ(5)
خَرَجْنَ مِن سَوْدَاءَ في غِرَّةٍ   يَرْدِينَ أمْثَالَ القَنَا الشُّرَّبِ(6)

---

1) « الأسد وأشبالها » استعارة لكهول الشجعان وشبابهم. ودورين (بضم الدال المهملة) اسم بلد سمي بصيغة المثنى فلذلك يجري على لفظه في مواقعه على حكم إعراب المثنى مثل صفين.
وكتب في الديوان « يزرن » ، ولعله « يزأرن » أي الأسد وأشبالها . و« المجلب » بالجيم وبكسر الميم اسم مكان الجلب بفتحتين، وهو اختلاط الأصوات .

2) العناجيج جمع عنجوج (كعنقود) هي جياد الجيل، والطرف (بكسر الطاء) : الكريم من الخيل، والسلهب من الخيل: ما عظم وطالت عظامه.

3) مجنوبة اسم مفعول جنبه جنبا (بالتحريك) أي قاده سائرا الى جنبه، وذلك أن الخيل تنقاد لا يركبون عليها لئلا يتعبوها، لأنها تساق الى ميدان الحرب فيركبها الفرسان حين الحرب. والعصران: الليل والنهار، وقوله: « أو عصرها »، أي أو يسيرون بها في أحد الوقتين إذا اشتد الحر. وقوله « بسير » بالباء، ووقع في النسخة « يسير » فعلا مضارعا، وهو تحريف. وقوله « لا وان ولا متعب » اسمان مضاف اليهما سير، وقد جعلت « لا » جزءا من الكلمة على حد « إنها بقرة لا فارض ولا بكر »، وقول النابغة:
وغيمة لا وان ولا واهن القوى   وجد إذا خاب المفيدون صاعد
ويجوز أن تجعل « لا » بمعنى غير، فتكون مضافة لوان ومتعب.

4) أراد بالمخذول المثنى بن عمران العائذي عامل الخوارج على العراق، إذ لاقاه ابن هبيرة بعين التمر، فهزمه، وهي مراد بشار بالعين ثم لحق به وبجمعه في جهات متعددة لعلها هي التي أرادها بشار بقوله « فالروحاء فالمرقب » وذلك سنة 129.

5) « ليلة » كتب في الديوان بهاء دون نقط ، والصواب أنها تاء منقوطة ، أي على مسافة ليلة. و« المذب » بكسرة تحت الميم وشدة على الذال ، ولعله أراد المذبذب ، أي السريع السير ، فحذف منه للضرورة ، قال البعيث بن حريث من شعراء الحماسة :
خيال لأم السلسبيل ودونها   مسيرة شهر للبريد المذبذب
ويكون جعل الكسرة تحت الكاف غلطا من ناسخ الديوان . ويجوز أن يكون اسم موضع لم يذكروه .

6) « يردين » أي يمشين الرديان، وهو بين العدو والمشي، وفعله ردى كرمى، والشرب: جمع شاربة، وهي القناة التي سقيت بالماء حتى استكملت وغلظت .

لَمَّا رَأَوْا أَعْنَاقَهَا شُرَّعاً بِالْمَوْتِ دُونَ الْعَلَقِ الأَغْلَبِ(1)
كَانُوا فَرِيقَيْنِ فَمِنْ هَارِبٍ وَمُقْعَصٍ بِالطَّعْنِ لَمْ يَهْرُبِ
مِثْلَ الْفَزَارِيِّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
جَدَاهُ يَكْفِي غَيْبَةَ الْغُيَّبِ(2)
أَنْزَلْنَ عَبْدَ اللهِ مِنْ حِصْنِهِ
إِذْ جِئْنَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَرْهَبِ(3)
وَانْصَعْنَ لِلْمَخْدُوعِ عَنْ نَفْسِهِ
يَذْقُنَّ مَا ذَاقَ فَلَمْ يُصْلَبِ(4)

---

1) شرعا: رافعة الرؤوس. وكتب «العلق» بلام ولم يظهر له معنى. ولعله بنون، والعنق: نوع من السير.

2) قوله «الفزاري» هو ابن هبيرة. وموقع هذا البيت في غير هذا الموضع من القصيدة، فينبغي أن يضم الى الأبيات التي فيها صفات الممدوح.

3) الضمير من «أنزلن» للعناجيج. أراد بعبد الله: عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، وكان من عمال بني أمية على العراق، ثم خرج بعد بيعة مروان بن محمد، واعتصم بواسط، فسار اليه ابن هبيرة، وأخذه أسيرا فحبسه (انظر الورقة 234).

4) أراد «بالمخدوع عن نفسه» سليمان بن هشام بن عبد الملك، فإنه كان من المطيعين لمروان ابن محمد، فلما خرج مروان من الرصافة قاصدا قرقيسيا ليلحق بابن هبيرة عامله هناك فيقاتلا الضحاك استأذن سليمان مروان أن يقيم بالرصافة فيستريح مدة ويلحق به، فهنالك أتاه جماعة من المخلفين في جند مروان، وحسنوا له خلع طاعة مروان، وقالوا له أنت أولى منه بالخلافة، فأجابهم ونزل بقنسرين ودعا أهل الشام، فأجابوه، ورجع إليهم مروان يقاتلهم قتالا شديدا، وقتل جماعة من قرابة سليمان وذوي رحمه، وصار سليمان ينتقل من موضع الى آخر فرارا من مروان، ومروان يلحقه، الى أن لحق في آخر الأمر بعبدالله بن عمر بن عبد العزيز بواسط، وفي أثناء هاته الحوادث ذاق سليمان الأمرين، وقتل ابن أخيه بمرأى من سليمان، قطعت يداه ثم ضربت عنقه، ثم كان من آخر أمر سليمان أن ركب البحر الى السند، فبقي هناك الى ظهور الدعوة العباسية، وذلك بين سنة ثمان وعشرين وتسع وعشرين ومائة، فلذلك قال بشار:

وانصعن للمخدوع عن نفسه

وسيأتي ذكر سليمان في الورقة 69 مفصلا.

وقد ضبط «يذقن» بفتح الياء وضم الذال، والظاهر أنه بضم الياء وكسر الذال، أي يذقنه ما ذاق، وقوله «فلم يصلب» ضبط بضم الياء، فالمعنى أنه نجا إذ فر الى السند ولولا ذلك لصلب. ويحتمل أن يكون بفتح الياء وضم اللام، أي فلم يقو ويشتد، بل هزم ووهن بالفرار.

وَلَــوْ تَــرَى الأَزْدِيَّ فِــي جَمْعِــــــه
كَــانَ كَضِلِّيــــلِ بَنِـــي تَغْلِــبِ(1)
أَيَّـــامَ يَهْــــزُزْنَ إِلَيْـــهِ الــــرَّدَى
بِكُـــلِّ مَـــاضِي النَّصْـــلِ والثُّعْلُـبِ(2)
حَتَّـــى إِذَا قَـــرَّبَـــهُ حَيْنُـــــه
مِنْهَــا وَلَــوْلاَ الْحَيْــنُ لَــمْ يَقْـــرُبِ(3)

---

1) الأزدي هو أبو حمزة بلج بن عقبة البصري الخارجي من الإباضية، كان فيمن خلع طاعة مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية، وكان يوافي مكة كل عام في الموسم يدعو الناس الى الخروج على مروان، وكان يطوف على أحياء العرب يدعوهم للخروج ومتابعته، الى أن ورد حضرموت وبايع هنالك لرجل من حضرموت يقال له: عبد الله بن يحيى الحضرمي الملقب بطالب الحق، كان مطاعا في قومه، ولقبوه بطالب الحق، ثم دخل أبو حمزة المدينة فوجه اليه مروان عبد الملك بن عطية السعدي، فندب جيشا لقتاله من قومه، منهم أبو وجزة مولى بني سعد القائل:

قل لأبي حمزة هيد هيـد　　　أتاك بالعادية الصنديـد

فقاتله هنالك حتى قتل أبو حمزة، وكفى الله المسلمين شره. وقوله «كضليل بني تغلب» أراد به امرأ القيس، وهو الملقب بالملك الضليل، بوزن سكين، لأنه ضل له ملك أبيه، ولم يزل في طلبه فلم ينله حتى مات، فلعل هذا وجه التشبيه. وإنما أضافه الى بني تغلب لأن بني تغلب أخواله، وهم الذين استنصر بهم، ووقع في النسخة «بني ثعلب» بالثاء المثلثة، وهو تحريف.

2) «الثعلب»: طرف الرمح الداخل في السنان.

3) قوله «حتى إذا قربه حينه» الحين (بفتح الحاء): الهلاك، وحذف جواب «إذا» لظهوره، أي قتل بأدنى وقعة، كما حذف في قوله تعالى «حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها....» الآية. ونكتة حذف الجواب في مثله التهويل أو التعظيم.

خَاضَ ابنُ جُمْهُورٍ وَلَوْ رَامَهَا مُطَاعِنَ الأُسْدِ عَلَى الْمَشْرَبِ(1)
وَزُرْنَ شَيْبَانَ فَنَامَتْ بِهِ عَيْنٌ وَلَمْ تَأْرَقْ عَلَى مُذْنِبِ(2)

---

1) الضمير في «خاض» عائد على جيش الممدوح أو على الممدوح نفسه. ولم يضبط في الديوان نون «ابن جمهور» ولا نون «مطاعن» فلم يتبين المفعول، والظاهر أن «ابن جمهور» مفعول. والتقدير: خاض جيش الامير قتال ابن جمهور، فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه، كقوله تعالى «واسأل القرية» أي أهلها، وقول حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

أي ماء نهر بردى وهو نهر دمشق.

وابن جمهور هو منصور بن جمهور، كان أولاه يزيد بن الوليد بن عبد الملك عاملا على العراق وعلى خراسان في سنة ست وعشرين ومائة، وتركه شهرا ثم صرفه عن العمل، وأولى بعده عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وسكن منصور بن جمهور الشام، ولم يوله مروان بن محمد مدة خلافته ولاية، فكان منصور بن جمهور مع الخوارج الذين خرجوا على بني أمية، سنة 127، وأغرى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالخروج، ولما نزلت الخوارج لقتال يزيد بن هبيرة الممدوح بعين التمر كان منصور معهم، ثم كان معهم في واقعة الموصل سنة تسع وعشرين ومائة. وإلى ذلك أشار بشار بهذه الأبيات ثم صار منصور عاملا لأبي العباس السفاح على السند في عام 132.

و«مطاعن الأسد» فاعل «رامها»، وجواب «لو» محذوف كقوله تعالى «ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد...» الآية، فلم يذكر (لو) جوابا، وقد مرت نكتة ذلك آنفا، والتقدير هنا لخاض إليه وظفر به، و«مطاعن الأسد» لم يرد به شخصا معينا، بل أراد الجنس فيكون «مطاعن» حالا من ضمير «خاض»، ويجوز أن يريد به بشر بن عوانة المعروف بقتال الاسود، وهو صاحب القصيدة:

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

أو أراد عروة السباع الذي كان يصيح بالأسد يزجره فيموت الأسد فيشق بطنه فيوجد قلبه زال عن موضعه. وفي أحاديث العرب أساطير كثيرة عمن قاتلوا الأسد، مثل ما ذكره الجاحظ في المحاسن والأضداد عن جحدر بن مالك الحنفي، وقتله الأسد المحبوس بمرأى من الحجاج بن يوسف فيكون الحال تشبيها بليغا.

2) هو شيبان بن عبد العزيز أبو دلف الحروري من الخوارج، كان رئيس الخوارج، وكان سليمان ابن هشام معه، فنزل الموصل لقتال مروان، فهزمهم مروان، وابن هبيرة، فأجلى الخوارج عن الموصل، وهو ما أشار اليه بشار بالبيت بعده، ولحق شيبان بفارس، ثم خرج الى عمان، فقتله هنالك جلندى بن مسعود الازدي عامل بني أمية سنة 134، وهو معنى قوله «فنامت به عين»، أي لم ينظر شيبان في الأمور فنامت عين بصيرته عن الحذر وقوله «ولم تأرق على مذنب» يريد أن المذنب يقع في سوء عواقب ذنبه فيعمي الله بصيرته حتى يؤخذ، هكذا عكس البر إذ تكون له عين ساهرة، كما قال النابغة:

فلما وقاها الله ضربة فاسه وللبر عين لا تغمض ناظره

أَجْلَى عَنِ الْمَوْصِلِ مِنْ وَقْعِهَا أَوْ خَرَّ مِنْ حُثْحُوثِهَا الْمُطْنِبِ(1)
هُنَاكَ عَادَ الدِّينُ مُسْتَقْبِلاً وَانْتَصَبَ الدِّينُ عَلَى الْمَنْصِبِ(2)
وَعَاقِدُ التَّاجِ عَلَى رَأْسِهِ يَبْرُقُ وَالْبَيْضَةُ كَالْكَوْكَبِ(3)
لاَ يَضَعُ الَّلأْمَةَ عَنْ جِلْدِهِ
وَمِحْمَلَ السَّيْفِ عَنِ الْمَنْكِبِ
جَلاَّبُ أَتْلاَدٍ بِأَشْيَاعِهِ
قُلْتُ لَهُ قَوْلاً وَلَمْ أَخْطُبِ(4)
لَوْ حَلَبَ الأَرْضَ بِأَخْلاَفِهَا
دَرَّتْ لَكَ الْحَرْبُ دَماً فَاحْلُبِ(5)

---

1) الحثحوث بحاء مضمومة ثم ثاء مثلثة ثم حاء مهملة ثم واو فثاء مثلثة هو الكثير السريع، وأراد به الجيش، أي جيش الخارجين عن الخلافة، وخره بخاء معجمة وراء. وأو للتقسيم، اي أجلى من أجلاهم، وقتل كثيرا، فخروا على الارض هلكى، ووقع في النسخة بجيم بعد الثاء الاولى، وهو تحريف إذ لا وجود له. والمطنب (بكسر النون): اسم فاعل من قولهم: أطنب في عدوه، إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة.

2) أراد أن يزيد خضد شوكة كل الخارجين عن الخلافة وأسقطهم واحدا بعد واحد، فعاد أمر جامعة المسلمين، وتم الأمر لبني أمية، وكذلك كان، إلا أن أمر بني أمية اختل إثر ذلك بظهور الدعوة العباسية، وقوله «مستقبلا» كناية عن النجاح، لأنه يقال أدبر أو استدبر، إذا ساءت حاله، فكذلك يقال: أقبل وأمر مقبل وأمر في إقبال ومستقبَل (بكسر الباء) إذا حسنت حاله. وقوله «وانتصب الدين» أي ظهر وقوي، لأن الانتصاب من القوة كما يقال: قام الأمر إذا قوي وظهر، يقال: قامت السوق، إذا غلت أسعارها. وقامت الحرب: اشتدت، وقام الملك، أي غلب وظهر، قال جزء بن كليب الفقعسي:

فلا تبغينها يابن كوز فإنه غذا الناس مذ قام النبيء الجواريا

و«انتصب» ارتفع، والمنصب: المقام والعلو والرفعة.

3) الواو لعطف الجملة، «وعاقد التاج» مبتدأ، وقوله في البيت الثالث «قلت له» هو الخبر، وضبط في الديوان «وعاقدِ» بكسرة تحت الدال، وهو سهو إذ لا يصلح أن تكون الواو واو (ربّ).

4) (الأتلاد): اسم لبطون عبد القيس، وقوله: «ولم أخطب» أي ليس في قولي مبالغة خطابية بل هو حقيقة.

5) «لو حلب» أي لو حلبت، ففي ضمير الغائب التفات، والأخلاف: جمع خلف (بكسر الخاء وسكون اللام) وهو ضرع الناقة.

يـــأيُّهـــا النَّـــازِي بِسُلْطَـــانِـــهِ ... أَدْلَلْـــتَ بِـــالْحَرْبِ عَلَى مِحْرَبِ(1)
الْغَيُّ يُعْدِي فَاجْتَنِـــبْ قُـــرْبَـــهُ ... واحْـــذَرْ بُغَى مُعْتَزَلِ الأَجْـــرَبِ(2)
أَنْهَـــاكَ عَنْ عَاصٍ عَـــدَا طَـــوْرَهُ ... وأَلْهِـــبِ الْقَصْـــدَ عَلَى الْمُلْهِـــبِ(3)
لاَ تَعْجَـــلِ الْحَرْبَ لَهَـــا رَجْـــبَةٌ ... تُغْضِبُ أَقْـــوَاماً وَلَمْ تَغْضَـــبِ(4)
إِنْ سَـــرَّكَ الْمَـــوْتُ لَهَا عَاجِـــلاً ... فَـــاسْتَعْجِـــلِ الْمَـــوْتَ وَلاَ تَرْقُبِ(5)

---

1) خاطب كل من همت نفسه بالخروج عن طاعة ابن هبيرة : فهو خطاب لغير معين ، نحو «ولو ترى إذ المجرمون» ، والنازي: اسم فاعل من نزا ينزو نزوا ونزوانا ، إذا وثب ، وأصله أن يتعدى بعلى ، لكنه عداه بالباء لما ضمنه معنى الواثب المستخف بسلطان الممدوح . والإدلال : الجرأة الناشئة من إعجاب صاحبها بنفسه واعتقاده الفواق على غيره في شيء فلا يتوخى في معاملته الصواب والحزم ، فمنه يقال : دل عليه : انبسط واستخف ، وأدل على أقرانه : أخذهم من فوق . والمحرب (كمنبر) : الشجاع ، جعله كالآلة للحرب ، وهذا كقولهم : مسعر حرب ومحش حرب .

2) أراد أن هؤلاء الخارجين كان يتابع بعضهم بعضا غرورا ، فحذر المخاطب غير المعين من أن يصغي لمن يغره ، فإن الغي والضلال يعدي فيوقع المهدي في الغي ، وهذا من عدوى الأخلاق ، وقال أبو تمام في عدوى الفضائل :

ولو لم يزعني عنك للحلم وازع ... لأعديتني بالحلم ، إن العلا تعدي

والبغي (بضم الباء والقصر) : مصدر بغيته أبغيه، بمعنى طلبته، ومعتزل: محل اعتزاله، أي محل إبعاده عن الابل فإنه قد يحل فيه البعير فيجرب ، ومن شعر العرب:

تعدي الصحاح مبارك الجرب

3) «ألهب»: أهاج . والملهب (بكسر الهاء) : مهيج غيره، أي أهاج من هو مهيج غيره ، والمراد بالقصد الاعتدال .

4) الكلمة الأخيرة من الشطر الاول غير واضحة ، والأقرب أنها «رجة» براء وجيم ، أي لا تعجل إلى الحرب فإن لها شدة ، أو «رحبة» أي متسع .

5) لا ترقب: لا تنتظر .

مَـا أُحْـرِمَتْ عَنْكَ خَطَـاطِيفُـهُ ... فَارْقَ عَلَى ظَلْعِـكَ أَوْ قَبْقِـبِ(1)
إنَّ الأُلَى كَـانُـوا عَلَى سُخْطِـهِ ... مِنْ بَيْـنِ مَنْـدُوبٍ وَمُسْتَنْـدِبِ(2)
لَمَّـا دَنَـا مَنْـزِلُـهُ أَطْـرَقُـوا ... إطْـرَاقَـةَ الطَّيْـرِ لِذِي الْمِخْلَبِ(3)

* * *

وقـال أيضـاً(*) :

يَـا مَالِكَ النَّـاسِ فِي مَسِيرِهِـمُ ... وَفِي الْمُقَامِ الْمُطِيرِ مِنْ رَهَبِـهْ(4)

---

1) وقع في الديوان بفتح الهمزة ، وضبط «خطاطيفه» بضمة على الفاء جمع خطاف، وهي أعواد معوجة تناط بالحبال ليجذب بها الدلاء من البئر، وأراد بها أسباب الموت ، وهي الجيوش والعدة، والظاهر أن يكون «أحرمت» بضم الهمزة، أي ما منعت عنك، وهذه صيغة إباحة، أي دونك وإياها، وقوله : « فارق على ظلعك » مثل جاء على ألفاظ كثيرة ، قالوا : اربع على ظلعك وق على ظلعك (أمر من وقى) وارق على ظلعك (بفتح القاف وبكسرها) وارق على ظلعك أن يهاض وأرقأ على ظلعك (بهمزة في آخره) وكلها تفيد معاني متقاربة ، والذي أراد بشار بها هو أن يكون «ارق» فعل أمر من رقي يرقى ، إذا صعد السلم ونحوه ، والظلع: العرج، والمعنى ارق رقيا مناسبا لعرجك ولا تتجاوز حدك، يضرب مثلا للذي يريد أن يتجاوز حده الى ما لا يطيق . وقوله « قبقب » من قبقب إذا هذر وكذب ، يقول : ضع نفسك عند حدها أوكن كذابا لا يعبأ بالفخر الكاذب ، أي خذ لنفسك ما تريد منهما ، فإن كليهما لا يضر الممدوح.

2) «على سخطه» أي ساخطين عليه، أي كارهين له. « والمندوب: المدعو للأمر، والذي وجهه النادب الى الحرب، والمستندب طالب الدعوة الى الحرب ، فالسين والتاء للطلب.

3) منزله : مكان نزوله.

*) وقال أيضا :
الظاهر أنه قصد من هذه الأبيات حكاية نهي الخليفة المهدي إياه عن مغازلة النساء مرة بعد أخرى ووصف حال وفائه وأنه لا يحتاج الى تأكيد النهي ولا يتهم بعدم الامتثال .
والقصيدة من بحر المجتث، لكنه استعمله تاما: مستفعلن ، فاعلاتن فاعلاتن مرتين، وكذلك وزنه في الدائرة الرابعة وهي دائرة المشتبه، لكنه لم يسمع عن العرب تاما، وإنما سمع مجزوا: مستفعلن فاعلاتن مرتين، وقد شذ استعماله تاما عند المولدين ، ومن ذلك قول بعضهم:

يا من على الحب يلحى مستهامـــــا ... لا تلحني إن ملي لن يلامـــا

وقد استعمله بشار في هذه القصيدة تاما على الشذوذ، وارتكب فيه زحافين ليخففه وهما الكف في فاعلاتن الاول فصار فاعلات ، والقبض في فاعلاتن الثاني فصار فاعلتن.

4) «المطير» لم تضبط الميم في الديوان، والوجه أنها بالضم، فهي من أطاره، أي جعله يطير، أي من شدة خوفه.

لاَ تَخْشَ غَدْرِي وَلاَ مُخَالَفَتِي كُلُّ امْرِىءٍ رَاجِعٌ إِلَى حَسَبِهْ(1)
كَشَفْتَ عَنْ مَرْتَعٍ دُجُنَّتَهُ عَوْدًا وَكُنْتَ الطَّبِيبَ مِنْ وَصَبِهْ(2)
وَلَسْتَ بِالْحَازِمِ الْجَلِيلِ إِذَا اغْتَرَّ وَلاَ بِالْمُغْتَرِّ فِي نَسَبِهْ(3)
وَرُبَّمَا رَابَنِي النَّذِيرُ فَعَمَّيْتُ رَجَاءَ الأَصَمِّ عَنْ رِيَبِهْ
عِنْدِي مِنَ الشُّبْهَةِ الْبَيَانُ وَمَا تَطْلُبُ إِلاَّ الْبَيَانَ مِنْ حَلَبِهْ(4)
إِنْ كُنْتَ تَنْوِي بِهِ الْهَلاَكَ فَمَا تَعْرِفُ رَأْسَ الْهَلاَكِ مِنْ ذَنَبِهْ
وَإِنْ يُدَافِعْ بِكَ الْخُطُوبَ فَمَا دَافَعْتَ خَطْبًا بِمِثْلِهِ ملبه(5)
سَيْفُكَ لاَ تَنْثَنِي مَضَارِبُهُ يَهْتَزُّ مِنْ مَائِهِ وَفِي شُطَبِهْ(6)
تَرْنُو إِلَيْهِ الْعَرُوسُ عَائِذَةً فَلاَ يَمَلُّ الْحِدَابُ مِنْ عَجَبِهْ(7)

---

1) «علري» كتب في الديوان بالعين المهملة ثم الذال المعجمة. وضبط بضمة على العين، والظاهر أنه بالغين المعجمة المفتوحة ثم دال مهملة، يقول: يمنعني حسبي أن أغدرك فيما عاهدتك عليه أو أن أخالفك.

2) أراد أن الخليفة كرر عليه النهي وعاود تحذيره، والدجنة: الظلمة. شبه حاله بمكان يرتع فيه وهو مظلم فكشف عنه ظلمته. وشبهه بمرض فأزاله الخليفة بطبه.

3) ضبط تاء «لست» بفتحة، وجعل «اغتر» فعل مضي، فيكون خطابا للملك، ويظهر لي أن التاء مضمومة «وأغتر» مضارع مضموم الراء. والحديث عن نفسه.

4) قوله «من الشبهة» متعلق بالبيان قدمه عليه للضرورة، أي أستطيع أن أدفع الشبهة عن نفسي.

5) الظاهر أن قوله «بك» تحريف وأن صوابه «به» وهو يعود الى السيف الواقع في البيت التاسع وقد كتبه في الديوان هاء، ثم رسم هو أو مصحح آخر على الهاء كافا. والصواب ما كتب أولا، والكلمة الأخيرة هكذا كتبت، ولم أفهم لها ضبطا ولا معنى.

6) الظاهر أن قوله «سيفك» تحريف، صوابه: سيفي، وانه اراد بسيفه لسانه، وبذلك تنتظم الضمائر في الأبيات بعده. الشطب (بضم الشين المعجمة وفتح الطاء) جمع شطبة (بضم فسكون). الطريقة التي في حديدة السيف، وهي مثل التموج يكون في الحديد، وهذا كقولهم: جراح اللسان، وقول ابن سناء الملك:

ولي قلم في راحتي إن هززته فما ضرني ألا أهز المهندا

7) كتب في الديوان «الحداب» بموحدة، وهو تحريف، وصوابه «الحداث» بالمثلثة، وهذا البيت في عيون الأخبار لابن قتيبة (ص 182 جزء 2) هكذا:

ترنو اليه الحداث غادية ولا تمل الحديث من عجبه

خالف رواية الديوان في ترتيبها وبعض ألفاظها.

يَصْدُقُ فِي دِينِهِ وَمَوْعِدِهِ   نَعَمْ وَيُعْطَى النَّدَى عَلَى كَذِبِهْ(1)

لِلَّهِ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ   مِنْ لُؤْلُؤٍ لاَ يُنَامُ عَنْ طَلَبِهْ(2)

يَخْرُجْنَ مِنْ فِيهِ لِلنَّدِيِّ كَمَا   يَخْرُجُ ضَوْءُ السِّرَاجِ مِنْ لَهَبِهْ(3)

زَوْرُ مُلُوكٍ عَلَيْهِ أُبَّهَةٌ   تَعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطَبِهْ(4)

يَقُومُ بِالْقَوْمِ يَوْمَ جِئْتَهُمُ   وَلاَ يَخِيبُ الرُّوَّادُ فِي سَبَبِهْ(5)

مُؤَبَّدُ الْبَيْتِ وَالْقَرَارَةِ وَالتَّلْعَةِ فِي عُجْمِهِ وفِي عَرَبِهْ(6)

---

1) أي مع كونه يكذب فهو يعطى الندى على كذبه. وأراد به جائزة الخليفة له على شعره لأن الشعر فيه تشبيهات ومبالغات تلحقه بالكذب، قال تعالى : «وأنهم يقولون ما لا يفعلون»، وقالوا : أحسن الشعر أكذبه .

2) قوله «لاينام عن طلبه» بضم ياء «ينام» أي لا يفتأ يطلبونه فيسهرون لأجل طلبه من شدة الرغبة ذكره الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ص 368 في ذكر الذين وصفوا الشعر وأدلوا به .

3) الندي (بفتح النون وكسر الدال) : منتدى القوم يجتمعون فيه ، وهو النادي .

4) «زور ملوك» الزور : الزائر ، وهو في الأصل مصدر زاره ، فلذلك استوى في الوصف به الواحد وغيره. وفي الحديث «وإن لزورك عليك حقا» فإذا وصف الجماعة به فليس من باب الوصف باسم الجمع كصحب وركب وشرب وسفر ، لأن تلك لا تجيء وصفا للمفرد وانما يزور الملوك من كان قريبا من مرتبتهم، وقد كان في العرب أهل الوقادة (بالواو) أي الذين لهم وفادة على النعمان أو على كسرى في كل عام ، وذلك من شعار السؤدد، يقولون : له وفادة كسرى . والأبهة (بضم الهمزة وفتح الباء المشددة وفتح الهاء): العظمة والكبرياء . وقوله «تعرف» ضبط في الديوان بضمة على التاء، والأظهر أنه بفتحة وأنها تاء خطاب لغير معين ، أي اشتهر شعره في الحسن وخطبه ، يقول العرب ، : تعرف من فلان وتنكر ، أي تعرف له محاسن وتنكر منه مساوى ، ومنه سمى الخير معروفا والشر منكرا .

5) ضبط «جئتهم» بهمزة بعد الجيم بصيغة الماضي المسند إلى المخاطب على أن ضمير الغائبين مفعول به ، ولا يظهر. ولعل الصواب «جيئتهم» من المجيء أي يوم مجيئهم، وسببه: طريقه .

6) والقرارة في الأصل : القاع ، والمستقر المطمئن من الارض، والتلعة : المكان المرتفع ، أراد به رفعة الشأن .

المراد بالقرارة ما رسخ واستقر من أصوله ومناسبه. والمراد بالتلعة هنا ما أشرف وتفرع من ذوي قرباه . وانظر قول العرب : «ما أخاف إلا من سيل تلعتي»، أي من بني عمي وأقاربي» يقول : إنه مؤبد النسب من مسيل القرابة في العرب إلى مستقرها في العجم .

لَوْ قَامَ بِالْحَادِثِ الْعَظِيمِ لَمَا عَيَّ بِعُمْرَانِهِ وَلاَ خَرِبِهْ(1)
لاَ يَعْبُدُ المَالَ حِينَ يَجْمَعُهُ وَلاَ يُصَلِّي لِلْبَيْتِ مِن صُلُبِهِ(2)
تِلْعَابَةٌ تعكف النِّسَاءُ بِهِ يَأْخُذْنَ مِنْ جِدِّهِ وَمِنْ لَعِبِهْ(3)
يَزْدَحِمُ الناس كل شَارِقَةٍ بِبَابِهِ مُشْرِعِينَ فِي أَدَبِهْ(4)
شَابَ وقدْ كَانَ فِي شَبِيبَتِهِ شَهْماً يَبُولُ الرِّئْبَالُ مِنْ غَضَبِهْ(5)
حَتَّى إِذَا دَرَّتِ الدَّرُورُ لَهُ وَرَغَّثَتْهُ السُّرَاةُ فِي نَسَبِهْ (6)
قَضَى الإِمَامُ الْمَهْدِيُّ طَعْنَتَهُ عَنْ رَأْسِ أُخْرَى كَانَتْ عَلَى أَرَبِهْ(7)
فَالْحَمْدُ لِلهِ لا أُسَاعِفُ بِاللَّهْوِ وَلا أَنْتَهِي بِمُكْتَئِبِهْ

* * *

1) « عي » أصله « عيي » فأدغمه للتخفيف ، والإدغام في مثله جائز ، والفك أفصح .

2) قوله : « ولا يصلي للبيت من صلبه » انظر ماذا يراد بهذا المصراع .

3) و«تلعابه» ضبط في الديوان بفتح التاء وضبط الباء الموحدة بفتحة ، وجعل تنوينا على هاء التأنيث ، وهذا اضطراب ، لان التلعاب، (بفتح التاء): اللعب ، مصدر على وزن التفعال ، انظر البيت 18 من الورقة 199 ، وذلك يقتضي ضمة على الموحدة وضمة واحدة على الهاء على أنها هاء ضمير، فالوجه أنه بكسر التاء. والتلعابة : الكثير اللعب، يعني نفسه، وهذا المناسب لقوله بعده «من جده ومن لعبه» لأنه لو كان التلعاب مصدرا بمعنى اللعب لم يستقم أن يكون للعب جد ، بخلاف اللاعب يكون له جد تارة ولعب أخرى .
وفي رواية عيون الاخبار: تلعابة تعكف الملوك به ... الخ . فهو بكسر التاء صفة .

4) « كل شارقة » ظرف، أي كل صباح ، تقول العرب : كلما ذر شارق وكل شارق . قال النابغة :

سوى أسد يحمونها كل شارق بألفي كمي ذي سلاح ودراع

و « مشرعين » رواها ابن قتيبة في عيون الأخبار « مسرعين ».

5) الرئبال : الأسد .

6) يقال: ناقةدرور، أي كثيرة الدر ، و«رغثته»: أرضعته، يقال: رغث كمنع : رضع ، والنسب هنا: مصدر نسب (بفتح السين) بالمرأة ، أي شبب بها في شعره .

7) أراد أنه نهاه مرة بعد أخرى، وقوله « كانت » صفة لطعنة، ولم يضبط في الديوان « أربه » ولعله بفتح الهمزة وفتح الراء، وهو العقل، أي طعنة أزالت عقله.

وقال يعاتب يعقوب بن داود (*) :

طــال الْمُقَــامُ عَــلى تَنَجُّــزِ حَاجَــــــــــــــــــةٍ
عِنْــدَ الإمَـــــامِ وَقَــدْ ذَكَـــرْتُ إيــــابِــــي(1)

---

*) وقال يعاتب يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان مولى عبد الله بن خازم السلمي، كان والده داود كاتبا لنصر بن سيار من عمال بني أمية الذي كان خارجا على بني العباس، وكان قد اعتنى بأولاده، فعلمهم وأدبهم، وكان يعقوب منهم، ولما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب على المنصور وخرج يعقوب مع عبد الله بن الحسن وقتل ابراهيم سنة 145 أخذ يعقوب فحبسه المنصور واستخفى اخوة يعقوب ولما توفي المنصور أطلق المهدي يعقوب مع من أطلقهم سنة 158، واتصل يعقوب بالمهدي بسبب سعايته بالحسن بن ابراهيم بن عبدالله الى المهدي ودلالته اياه عليه وإن كان قد أخذ له الأمان من المهدي ودخل الحسن في طاعة المهدي فلم يزل يعقوب يرتفع عند المهدي حتى استوزره وكتب له توقيعا بأنه اتخذه أخاه، وكان يعقوب على مذهب الزيدية ، ثم سعى به الساعون لدى المهدي وخوفوه عاقبته، وقال بشار فيه :

بني أمية هبوا طــال نومكــــــــم ... إن الخليفة يعقــوب بــن داود
ضاعت خلافتكم يا قـوم فالتمســـوا ... خليفة الله بين الـزق والعــود

وكان ذلك سنة 166 فتنكر المهدي عليه مرارا كانت أخراها أن سجنه في جب ، فبقي هنالك حتى ذهب بصره ، الى أن ولي الرشيد الخلافة فأذن بسراحه وخيره ماذا يريد ، فطلب الإقامة بمكة فأذن له: فلم تطل مدته بمكة حتى مات سنة 181.وقد ذكرنا في مقدمة الديوان أن يعقوب ابن داود هو الذي ألح في ضرب بشار، وكان بشار يمدح يعقوب بن داود، حتى ظهر منه التنكر لبشار ، والظاهر أن هذه القصيدة مبدأ ذلك التنكر ، وقد ذكر أهل الأدب أن بشارا كان في مجلس يعقوب وقد طال انتظاره الجائزة ، فقال بشار ليعقوب :

طــال الثواء على رسوم المنـــزل

فأجابه يعقوب:

فإذا تشاء أبا معــاذ فارحــــل

والمصراع الاول من بيت قديم، تمثل بشار بمصراع منه وهو من شعر عنترة، وبعده:

بيــن اللكيــك وبين ذات الحرمــل

وبعض النـاس يظنـه من شعر بشار. والأبيات هذه تدل على أن بشـارا كان ينتظر جائزة الخليفـة المهـدي، واتهـم يعقوب بأنه المتعرض له في إعطائهـا .
وهــذه القصيدة من بحر الكامــــل .

1) المراد بالامام : الخليفـة المهـدي، و«تنجز حاجة» : طلب إنجـازها .

فَجرت دُمُوعِي من تَذكُّرِ مَا مَضى وَكَـأَنَّ قَلْبِي فِي جَنَـاحِ عُقَـابِ

وَأَحُـولُ مِنْ شَـرَفِ الْعَشِيرَةِ مُبْسَـق قَـوْماً وَأُمسِـكُ عَنْ هُمَامِ الْغَـابِ(1)

« يعقُوبُ » قَدْ وَرَدَ الْعُفَاةُ عَشِيَّةً مُتَعَـرِّضِيـنَ لِسَيْبِكَ الْمُنْتَابِ (2)

فَسَقَيْتَهُمْ وَحَسِبْتَنِـي كَمُّونَـةً نَبَتَتْ لِـزَارِعِهَـا بِغَيْـرِ شَرَابِ(3)

مَـهْ لا أَبَا لَكَ إِنَّنِي رَيْحَانَـةٌ فاشمُمْ بِأَنْفِكَ وَاسْقِهَـا بِذِنَـابِ(4)

---

1) كذا كتب المصراع الأول وضبط ، ولم ينتظم له معنى ، ولعله هكـذا :

واحولُ من شرب العشيرة مبسقٌ

احول بسكون الحاء وتشديد اللام وشرب بكسر الشين بضمة على الهمزة والظاهر أنه بفتح الهمزة عطفا على مبسق .

والمعنى تحول ماء العشيرة فسقي قوماً فأبسقهم ، أي جعلهم باسقين ، وأمسك الماء عن همام الغاب أي أسد القوم ، يعني أن الخليفة أفاض سيبه على أقوام فأغناهم وترك عشيرته وذويه الذين منهم أسـد الغاب وهو بشـار ، يمت بأنه من شيعة العباسيين ، لأن أصله من الفـرس . وضبط في الديوان « وأمسك » بضمة على الهمزة والظاهر أنه بفتح الهمزة عطفا على مبسق .

2) أضاف السيب إلى يعقوب هنا لأنه الواسطة فيه ، وإن كان ذكر أن الحاجة عند الخليفة ، ومتعرضين : متصدين طالبين ، وسيبك : عطائك ، والمنتاب : إما أن يكون الذي يقصده الناس مرة بعد مرة ، وإما أن يكون الذي يصل إلى الناس مرة بعد مرة أيضاً ، فهو اسم مفعول أو اسم فـاعـل .

3) يزعم الناس بأن الكمون ينبت بالأماني ، يقول له زراعه كل يوم: غدا أسقيك ، غدا أسقيك ، وقيل في المثل : مواعيد الكمون ، يضرب الوعد الكاذب ، قال الشاعر :

فأصبحت كالكمـون ماتت عروقه وأغصانـه ممـا يمنـونـه خضـر

وقال بشار أيضاً فيما سيأتي (في آخر الورقة 164) :

ليس المحب ككمـون بمزرعة إن فاته الماءُ أغنتـه المواعيـد

وقال ابن الرومي وأجاد في جمع الفلفل والكمون المضادة مع جمع النظير :

كم شامخ باذخ بثروتـه أصلـه قبليّ المضلونـا

جعلـته بالهجـاء فلفلـة إذ جعلـتني منـاه كمـونـا

أراد أشبعتـه بالهجـاء .

ومن أمثال عامتنا « عيش بالمنا يا كمون » وهو من الزراريع التي يُصلح بها الطعام كالتوابل.

4) قوله « مه لا أبا لك » كذا في الديوان وفي المختار الخالديين ، وفي الأغاني : مهلا لديك فإنني . . الخ ، وهو أحسن ، وعلى ما في الديوان يكون المقصود التعجب ، ولكنه من العجرفة بمكـان ، والذّناب بكسـر الذال : جمع ذنوب ، وهو الدلو .

تُعْطِي الْغَزِيرةُ دَرَّهَا فَإِذَا أَبَتْ كانَتْ مَلامَتُهَا على الْحَلاَّبِ(1)
طال الثَّوَاءُ بِحَاجَةٍ مَحْبُوسَةٍ شَمِطتْ لديْك، فَمُرْ لها بِخِضَابِ(2)

* * *

وقال أيضاً(*) :

طَال ليْلِي مِنْ حُبِّ مَنْ لا أَرَاهُ مُقَارِبِي
أَبَدًا مَا بَدَا لِعَيْنِكَ ضَوْءُ الْكَوَاكِبِ
أَوْ تَغَنَّتْ قَصِيدَةً قَيْنَةٌ عِنْدَ شَارِبِ
فَتَعَزَّيْتَ عَنْ « عُبَيْدَةَ » وَالْحُبُّ غَالِبِي
تِلْك لَوْ بِيعَ حُبُّهَا ابْتَعْتُهُ بِالْحَرَائِبِ(3)
وَلَوِ اسْطَعْتُ طَائِعاً فِي الأُمُورِ النَّوَائِب
[23] لَفَدَاهَا مِنَ الرَّدَى هَارِبِي بَعْدَ قَارِبِي(4)
عَتَبَتْ خُلَّتِي وَذُو الْحُبِّ جَمُّ الْمَعَاتِبِ

---

1) الغزيرة : الناقة الحلوب ، قال في الأغاني : يقول ليعقوب : أنت من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يوصل الى درها فليس ذلك من قبلها إنما هو من صنع الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس البخل من قبله لسعة معروفه ، انما هو قبل السبب اليه .

2) الثواء : المقام ، ومحبوسة : ممنوعة القضاء،شمطت كفرحت : شابت ، وهو كناية عن طول مدتها .

*) وقال أيضا في الشكاية من هجر عبدة.
والقصيدة من بحر الخفيف وعروضها كضربها مجزوة صحيحة .

3) الحرائب : جمع حريبة، وهي مال الرجل الذي يعيش به ويقوم به أمره، وهو مراد بشار : وقيل:الحريبة المال الذي يسلب منه،يقال:حربه يحربه اذا سلب ماله، وكان هذا هو الأصل ، ثم سمي المال الذي به عيش المرء حريبة ، لأنه لو سلب منه لبقي محروبا كما يسمى المال بالتركة .

4) الهارب: الذي صدر عن الماء ، والقارب (بالقاف) : ضده: الذي يطلب الماء.والمقصود هنا التعميم، يقال « ما له هارب ولا قارب » أي ليس له أحد . وهكذا شأن اسمي الضدين إذا جاءا في الخبر ، فالمقصود التعميم ، كقولهم : أهل الشرق والغرب ، ولله ملك السموات والارض .

مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيْهَا   بِهِ قَوْلُ كَاذِبِ
فَتَقَلَّبْتُ سَاهِرًا   مُقْشَعِرَّ الذَّوَائِبِ
عَجَباً مِنْ صُدُودِهَا   وَالْهَوَى ذُو عَجَائِبِ
ولَقَدْ قُلْتُ وَالدُّمُو   عُ لِبَاسُ التَّرائِبِ(1)
لَوْ بَدَا الْيَأْسُ مِنْ «عُبَيْدَةَ» قَدْ قَامَ نَادِبِي
«عَبْدَ» بِاللهِ أَطْلِقِي   مِنْ عَذابٍ مُواصِبِ(2)
رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ   رَاهِباً أَوْ كَرَاهِبِ(3)
يَسْهَرُ اللَّيْلَ كُلَّهُ   نَظَرًا فِي الْعَوَاقِبِ
فَثَنَاهُ عَنِ الْعِبَـ   ـادَةِ وَجْدٌ بِكَاعِبِ
شَغَلَتْهُ بِحُبِّهَا   عَنْ حِسَابِ الْمُحَاسِبِ
عَاشِقٌ لَيْسَ قَلْبُهُ   مِنْ هَوَاهَا بِتَائِبِ
يَشْتَكِي مِنْ فُؤَادِهِ   مِثْلَ لَسْعِ الْعَقَارِبِ
وكَذاكَ الْمُحِبُّ يَلْـ   ـقَى بِذِكْرِ الْحَبَائِبِ
وَلَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَرُو   حَ بِنَعْشِي أَقَارِبِي
عَاجِلاً قَبْلَ أَنْ أَرَى   فِيكُمُ لِينَ جَانِبِ
فَإِذَا مَا سَمِعْتِ بَا   كِيَةً مِنْ قَرَائِبِي
نَدَبَتْ فِي الْمُسَلِّبَا   تِ قَتِيلَ الْكَوَاعِبِ(4)
فَاعْلَمِي أَنَّ حُبَّكُمْ   قَادَنِي لِلْمَعَاطِبِ!

* * *

---

1) ضبط في الديوان «لباس» بفتحة على اللام، ولعله سهو وهو بكسرة. الترائب: عظام الصدر. يعني أن دموعه سالت على صدره كأنها لباس الصدر.

2) مواصب (بالصاد المهملة): اسم فاعل من واصب، بمعنى دام، يقال: واصب: دام.

3) كتب «ذاهبا أو كذاهب» بالذال المعجمة، ولا معنى له، والصواب أنه بالراء فيهما: «راهبا أو كراهب» بدليل البيت السابع عشر من هذه القصيدة الآتي قريبا.

4) يقال: سلبت المرأة (بتشديد اللام) على ميتها، إذا لبست ثياب الحداد السود، فهي مسلب أو مسلبة (بتشديد اللام المكسورة).

وقـال أيضـا (*)

عَدِمْتُك عَـاجِلاً يَا قَلْبُ قَلْبَـــا ... أَتَجْعَلُ مَنْ هَوِيتَ عَلَيْك رَبًّـا (1)
بِـأَيِّ مَشُـــورَةٍ وَبِـأَيِّ رَأْيٍ ... تُمَلِّكُهَـا وَلا تَسْقِيـك عَـذْبَـا
تَحِنُّ صَـبَابَـةً فِي كُـلِّ يَــوْمٍ ... إلى « حُبَّى » وَقَدْ كَرَبَتْك كَرْبَـا
وَتَهْجُرُ النِّسَـاءَ إلى هَـوَاهَـــا ... كَأَنَّك ضَامِنٌ مِنْهُنَّ نَحْبَــا (2)
أَمِنْ رَيْحَانَـةٍ حَسُنَتْ وَطَـابَـتْ ... تَبِيتُ مُـرَوَّعاً وَتَظَـلُّ صَـبَّـا
تَـرُوعُ مِنَ الصِّحَـابِ وَتَبْتَغِيهَـا ... مَعَ الْـوَسْـوَاسِ مُنْفَرِدًا مُكِبًّـا (3)
كَـأَنَّكَ لا تَرَى حَسَناً سِـوَاهَـا ... وَلا تَلْقَى لهَا في النَّـاسِ ضَرْبَا (4)
وَكَمْ مِنْ غَمْرَةٍ وَجَوَازِ فَيْـــنٍ ... خَلَـوْتَ بِهِ فَهَلْ تَزْدَادُ قُرْبَـا (5)
بَكَيْتَ مِنَ الْهَـوَى وَهَـوَاك طِفْـلٌ ... فَوَيْلك ثُمَّ وَيْلك حِينَ شَبَّـا
إِذَا أَصْبَحْتَ صَبَّحَك التَّصَابِـي ... وَأَطْرَابٌ تُصَـبُّ عَلَيْك صَبَّـا
وَتُمْسِي وَالْمَسَـاءُ عَلَيْك مُـرٌّ ... يُقَلِّبُك الْهَـوَى جَنْباً فَجَنْبَـا

---

*) وقال أيضا في خليلته « حُبَّى » العامرية، الملقبة بخاتم الملك، وبنى القصيدة على مخاطبة قلبه، والقصيدة من بحر الوافر، من العروض الأولى المقطوفة ضربها مقطوف ايضا: مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

1) « علمتك » دعاء على قلبه. ولما تضمن الدعاء معنى التعجب من حاله المنبيء عنه قوله: « أتجعل من هويت عليك ربا» نصب قوله « قلبا » على التمييز المفسر لنسبة تعلق الدعاء بالمدعو عليه، فهو تمييز محول عن المفعول، مثل قوله تعالى « وفجرنا الأرض عيونا».

2) كتب « سواها » ولا معنى له، فهو تحريف، صوابه « هواها » والنحب: النذر، أي كأنك تكفلت لهن بقضاء نذر فأنت تتباعد منهن خشية الغرم.

3) كتب « تروع » بعين مهملة ولا تستقيم تعديته بحرف « من » فلعله تصحيف « تروغ » بالغين المعجمة، أي تنزوي من الصحاب غيرها، ولعل (من) محرفة (عن).

4) الضرب: الشبيه.

5) الجواز (كسحاب): صك المسافر ليمر به في البلاد فلا يتعرض له أحد، وجمعه: أجوزة. و« الفين » بفتح الفاء وسكون الياء: المجيء، يقال: فان فينا، وأراد به إذنها له بالزيارة، أو أراد الكناية عن تمكنه من زيارتها دون معارض.

أَظُنُّك مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ يَوْماً ... بِدَاءِ الْحُبِّ سَوْفَ تَمُوتُ رُعْبا
أَتُظْهِرُ رَهْبَةً وَتُسِرُّ رَغْباً ... لَقَدْ عَذَّبْتَنِي رَغْباً وَرَهْباً(1)
فَمَا لكَ فِي مَوَدَّتِهَا نَصِيبٌ ... سِوَى عِدَةٍ فَخُذْ بِيَدَيْكَ تُرْبا
إِذَا وُدٌّ جَفَا وَأَرَبَّ وُدٌّ ... فَجَانِبْ مَنْ جَفَاكَ لِمَنْ أَرَبَّا(2)
وَدَعْ شَغْبَ الْبَخِيلِ إِذَا تَمَادَى ... فَإِنَّ لَهُ مَعَ الْمَعْرُوفِ شَغْبَا
وَقَالَتْ : لا تَزَالُ عَلَيَّ عَيْنٌ ... أُرَاقِبُ قَيِّماً وَأَخَافُ كَلْبَا
لَقَدْ خَبَّتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ سَاهٍ ... فَكُنْ خَبّاً اذَا لاقَيْتَ خِبّاً(3)
وَلا تَغْرُرْكَ مَوْعِدَةٌ «لِحُبَّى» ... فَإِنَّ عِدَاتِهَا أَنْزَلْنَ جَدْبَا
أَلا يَا قَلْبُ هَلْ لكَ فِي التَّعَزِّي ... فَقَدْ عَذَّبْتَنِي وَلَقِيتُ حَسْبَا
وَمَا أَصْبَحْتَ تَأْمُلُ مِنْ صَدِيقٍ ... يَعُدُّ عَلَيْكَ طُولَ الْحُبِّ ذَنْبَا
كَأَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلاً
بِحُبِّكَ أَوْ جَنَيْتَ عَلَيْهِ حَرْبَا
رَأَيْتُ الْقَلْبَ لا يَأْتِي بَغِيضاً
وَيُؤْثِرُ بِالزِّيَارَةِ مَنْ أَحَبَّا

* * *

وقال أيضا(*) :

خَفِّضْ على عَقِبِ الزَّمَانِ الْعَاقِبِ ... لَيْسَ النَّجَاحُ مَعَ الحريصِ الناصِبِ(4)

---

1) كتب في الديوان «رعبا» في الموضعين بعين مهملة، والظاهر أنهما بغين معجمة.
2) «أرب» بمعنى لزم وقرب، ومنه قول أبي خراش الهذلي:
فلا وأبي الطير المربة في الضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم
3) الخب (بفتح الخاء وبكسرها): المخادع الكثير الخداع.
*) وقال أيضا في النسيب بحبيبته حمدة المكناة بأم محمد، والظاهر أنها كانت ببغداد، ثم انتقلت الى الشام، ولعل عبد الواهب رجل تزوجها وخرج بها الى الشام. وهي التي رثاها بالقصيدة التي في الورقة 215. والقصيدة من بحر الكامل.
4) الناصب: التاعب، يقال: نصب ينصب من باب تعب ومعناه. وروى في المختار الدائب.

تَأْتِي الْمُقِيمَ ـ وَمَا سَعَى ـ حَاجَاتُهُ عَدَدَ الْحَصَى وَيَخِيبُ سَعْيُ الْخَائِبِ(1)
فَاتْرُكْ مُشَاغَبَةَ الْحَبِيبِ إِذَا أَبَى لَيسَ الْمُحِبُّ عَلى الْحَبِيبِ بِشَاغِبِ
غَلَبَتْكَ « أُمُّ مُحَمَّدٍ » بِدَلالِهَا وَالْمُلْكُ يُمْهَدُ لِلأَعَزِّ الْغَالِبِ
وَاهاً « بِأُمِّ محمّدٍ » وَرَسُولِهَا وَرُقَادِ قَيِّمِهَا وَسُكْرِ الْحَاجِبِ
لَمْ أَنْسَ قَوْلَتَهَا : أَرَاكَ مُشَيَّعاً عَبِثَ الْيَدَيْنِ مُوَلَّعاً كَالشَّارِبِ (2)
أَحْسِنْ صِحَابَتَنَا فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ بَعْضَ اللُّبَانَةِ بِاصْطِنَاعِ الصَّاحِبِ
وَإِذَا جَفَوْتَ قَطَعْتُ عَنْكَ مَنَافِعِي وَالدَّرُّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الْحَالِبِ (3)
لِلَّهِ دَرُّ مَجَالِسٍ نُغُصْتَهَا بَيْنَ الْجُنَيْنَةِ وَالْخَلِيجِ النَّاكِبِ (4)
أَيْنَ الذِينَ تَزُورُ كُلَّ عَشِيَّةٍ يَأْتِيكَ آدبهم وإن لم تَأْدَبِ(5)
ذَهَبُوا وَأَنْسَى مَا تَذَكُّرُ مِنْهُمُ هَيْهَاتَ مَنْ قَدْ مَاتَ لَيْسَ بِذَاهِبِ(6)
مَنَعَتْكَ « أُمُّ مُحَمَّدٍ » مَعْرُوفَهَا إِلا الْخَيَالَ، وَبِئْسَ حَظُّ الْغَائِبِ(7)

---

1) كتب في الديوان «سعي الخائب» والموجود في المختار وبعض كتب الأدب « سعي الطالب » وهي الرواية الصحيحة لأنه مقابل قوله «تأتي المقيم» وعلى ما في الديوان. فالمعنى: ويخيب سعي من قدرت له الخيبة.

2) المشيع: الشجاع الجريء، و«عبث» بكسر الباء: أي كثير العبث بيديه، أي الملاعبة بهما.

3) نسب في لباب العباب في شرح أبيات الآداب هذا البيت لابن الرومي وهو سهو منه، ورواه في المختار:

أحسن صحابتنا ولا تك جافيا فالدر يقطعه جفاء الحالب

فلفق مصراعه الثاني من البيت الموالي.

4) الجنينة: اسم موضع بالعقيق وبنجد وفي وادي القرى، والجنينات: موضع ببغداد، ولعله المراد هنا. والخليج خليج من دجلة.

5) ضبطت « تأدب » بفتح الدال، والصواب بالكسر، مضارع « أدب » أي عمل مأدبة أو دعا اليها.

6) كتب في الديوان « من قد مات » والصواب « من قد فات » بفاء إذ لا معنى لمات هنا، و«ليس بذاهب» أي غير ذاهب عن الذكر وإن مضى.

7) كتب في الديوان: « العاتب » ولعله: « الغائب ».

نَزَلتْ على بَرَدى وَأنْتَ مُجَاوِرٌ ... حَفَرَ الْبُصَيْـرَةِ كالْغَرِيبِ الْعاتِبِ(1)

لا تَشْتَهِي طُرَفَ النَّعِيمِ وَتَشْتَهِي ... طَيَّ الْبِلادِ بِأرْحَبِيٍّ شَاحِبِ(2)

وَاذَا أرَدْتَ طِلاعَ «أمِّ محمَّد» ... غَلَبَ الْقَضَاءُ وَشُؤْمُ «عَبْدِ الْواهِبِ»(3)

عِلَلُ النِّساءِ اذَا اعْتَلَلْنَ كَثِيرَةٌ ... وَسَمَاحُهُنَّ مِنَ الْعجيبِ الْعَاجِبِ

فاصبِرْ على زَمَنٍ نَبَا بِكَ رَيْبُهُ ... لَيْسَ السُّرُورُ لنا بِحتمٍ وَاجِبِ

وَلَقَدْ أزُورُ على الْهَوى وَيَزُورُنِي ... قَمَرُ الْمَجَرَّةِ في مَجَاسِدِ كاعِبِ(4)

أيَّامَ أتْبَعُ الصِّبَا وَيَقُودُنِي ... صَوْتُ الْمَزَاهِرِ وَالْيَرَاعِ القَاضِبِ(5)

سُقْيَاً «لأمِّ محمد» سُقْيَاً لهَا ... إذْ نَحْنُ في لَعِبِ الشَّبَابِ اللاَّعِبِ

بَيْضَاءُ صَافِيَةُ الأدِيمِ تَرَغْرَعَتْ ... في جِلْدِ لُؤْلُؤةٍ وَعِفَّةِ رَاهِبِ

فَإذَا امْتَرَيْتَ لَبُونَ «أمِّ محمَّد» ... رَجَعَتْ يَمِينُكَ بالحِلابِ الخَائِبِ(6)

---

1) «حفر» لم يضبط في الديوان، ولعله بفتح الحاء وفتح الفاء وكتب في الديوان لفظ «العاتب» بدون نقط، ولعله «العاتب» أي كالقريب المغاضب لقومه، كقول امرىء القيس:

فراق الخليط ذي الأذاة المزايل

و«بردى» بثلاث فتحات: نهر دمشق، و«حفر البصيرة» موضع قرب البصرة لباهلة يقال له الحُفَير بالتصغير.

2) الأرحبي: المنسوب الى «أرحب» قبيلة من همدان عرفت بنجائب الإبل. وقيل نسبة الى «أرحب» فحل لهم.

3) الطلاع: الاطلاع، وهو مصدر، وانظر من الذي أراده بعبد الواهب الذي ضرب المثل بشؤمه. ولعله رجل تزوج «حمدة».

4) المجاسد: جمع مجسد كمنبر، وهو الثوب الذي يلي الجسد، قال طرفة:

تروح الينا بين برد ومجسد

«والمجرة»: بياض مستطيل بين النجوم.

5) المزاهر: جمع المزهر (كالمنبر) وهو العود الذي يضرب به، والبراع هنا: القصب الذي ينفخ فيه فيكون له صوت وحنين.

كتب «القاضب» بألف ولام وضاد معجمة، ولعله «لقاصب» بلام دون ألف وبصاد مهملة. ويقال: للنافخ في القصب قاصب.

6) «امتريت» بمعنى مريت، أي مسحت الضرع، واللبون: الناقة ذات اللبن، وهي هنا استعارة، والخائب: الذي لم يحصل مراده.

فَارْجِعْ كَمَا رَجَعَ الْكَرِيمُ وَلَا تَكُنْ
كَمُقَارِفٍ ذَنْباً وَلَيْسَ بِتَائِبِ
وَرَضِيتَ مِنْ طُولِ الرَّجَاءِ بِيَأْسِهِ ... وَالْيَأْسُ أَمْثَلُ مِنْ عِدَاتِ الْكَاذِبِ

* * *

وقال أيضاً (*)

بَلَغَ الْمُرَعَّثَ فِي الرَّحِيلِ خَرَائِدٌ مِنْهُنَّ نَحْبُهْ(1)
فَجَفَتْ يَدَاهُ عَنِ النُّسُوعِ وَشَدَّ بِالأَنْسَاعِ صَحْبُهْ(2)
وَثَنَاهُمَا عَنْ رَحْلِهِ دَمْعٌ يَبُلُّ الْجَيْبَ سَكْبُهْ
وَنَحِيبُ مَطْرُوفِ الْفُؤَادِ ثَوَى مَعَ الأَحْبَابِ لُبُّهْ(3)
فَالدَّمْعُ مُنْحَدِرُ النِّظَامِ إِذَا تَرَقْرَقَ فَاضَ غَرْبُهْ
وَعَقَارِبُ الْحُبِّ الَّذِي يُخْفِي مِنَ الْوَسْوَاسِ قَلْبُهْ(4)
فَإِذَا أَرَادَ النَّوْمَ أَرَّقَهُ وَسَاوِسُ تَسْتَهِبُّهْ(5)
مَنْ ذِكْرِ مَنْ تَبَلَ الْفُؤَادَ فَحَسْبُهُ مِنْ ذَاكَ حَسْبُهْ(6)

---

*) وقال أيضا في النسيب بعبدة، والقصيدة من بحر الكامل، وضربه مجزوء مرفل، يصير الى متفاعلاتن، وعروضه مجزوءة صحيحة.

1) أي جاءه خرائد لتوديعه عند عزمه على الرحيل، فقوله «خرائد» فاعل «بلغ»، وكتب ناسخ الديوان: أن في نسخة منه «باع» عوض «بلغ»، ولا يظهر لها معنى، و«منهن» أي من أجلهن.

2) «جفت يداه» أي لم تستطيعا شد أنساع رحله، والنسوع والأنساع جمعان لنسع، وهو سير من جلد تشد به الرحال.

3) المطروف: الذي لاينظر الا الى جهة واحدة.

4) أي الذي يخفيه قلبه، فحذف العائد من الصلة، لأنه ضمير متصل منصوب بفعل، وحذفه كثير، وقوله «من الوسواس» متعلق بـ «يخفي» و «من» تعليلية، وضبط في الديوان «يخفى» بفتحة على الياء وفتحة على الفاء وهو سهو.

5) «تستهبه» تطلب هبوبه، أي عدم نومه.

6) تبله (كضربه) بمعنى أسقمه الحب أو ذهب بعقله، فهو متبول، والمصدر التبل (بسكون الباء) كضرب:

سَقَطَ النِّقَابُ فَرَاقَنِي إِذْ رَاحَ قُرْطَاهُ وَقُلْبُهُ(1)
وَمُؤَشَّرٌ أَلْمَى اللِّثَا تِ شَهِيٌّ طَعْمِ الرِّيقِ عَذْبُهُ(2)
أَحْبِبْ إِلَيَّ بِهِ وَإِنْ كَانَ الوِصَالُ لِمَنْ يَرُبُّهُ(3)

---

1) «قرطاه». فاعل «راقني» و«قلبه» بضم القاف وسكون اللام: سوار المرأة، ووجه ذكره هنا أنها لما سقط النقاب ظهر القرطان فسترت وجهها بيدها فظهر السوار، كما قال النابغة:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

وضبط «قلبه» في الديوان بفتحة على القاف وهو سهو.

2) «مؤشر» معطوف على «قرطاه» لأن الثغر بدا لما سقط النقاب، والمؤشر (بفتح الشين مشددة على زنة اسم المفعول من الرباعي) هو بمعنى المرقق الأسنان، أي ليست شديدة الغلظ. قال ابن خميس التلمساني:

نظرت اليك بمثل عيني جؤذر وتبسمت عن مثل سمطي جوهر
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو كالطلع أو كالأقحوان مؤشر

واسم رقة الأسنان الأشر (بضمتين). و أصله مشتق من أشر الخشب (بالتخفيف) بمعنى شقه بالمئشار، والمئشار (بالهمز) هو المنشار (بالنون)، فكأنهم شقوه من «أشر» المضاعف الدال على شدة التشقيق المستلزم للرقة، قال عنترة يصف جملا:

كأن مؤشر العضدين حجلا هدوجا بين أقلبة ملاح

وإلا فهم يقولون: أشرت المرأة أسنانها (بالتخفيف) بمعنى حددت أطراف أسنانها وفلجتها للحسن، والمستأشرة هي المرأة التي تدعى لصنع ذلك كالماشطة.
و«ألمى»: من صفات الألوان مثل أخضر وأسود، فعله لمي (كرضي) لمى، واللمى: سمرة في اللثة أو في الشفة، ومن اقتصر من اللغويين على أنه سمرة في الشفة فقد قصر، قال طرفة:

وتبسم عن ألمى كأن منورا تخلل حر الرمل دعص له ندى
سقته إياة الشمس الا لثاته أسف ولم تكدم عليه بإثمد

فإنه أراد تبسم عن ثغر ألمى، أي أسمر اللثات، كذا فسره التبريزي، فجعل اللمى صفة للثغر، ولم يرد أنه صفة الشفة لأنها ليست من الثغر، ولأنه قال «تبسم عن ألمى» ولم يقل «تبسم بألمى» ولأنه قال في وصفه باللمعان «سقته إياة الشمس الا لثاته» فاستثنى اللثات لأنها منه.
قال التبريزي: «وهم يمدحون سمرة اللثة لأنها تبين بياض الأسنان» فلقد أصاب بشار في تصريحه بالمضاف اليه في قوله «ألمى اللثات».

وقد دل بيت طرفة وغيره من شعر العرب على أن نساءهم كن يتصنعن لتسمير اللثتين بوضع الإثمد على اللثة لتزيد مبمرة، كأنهن يتشبهن بأجمل الحيوان وهي الظباء. وهو معنى قول طرفة أسف بإثمد، أي ذر عليه الإثمد.

3) أراد «بمن يربه» من يملكه، وهو زوج عبدة، كما يتبين من البيت السابع من هذه الورقة 26.

مِنْ نَازِحٍ حَسَنِ الدَّلا ... لِ أَبَى لكَ التغميضَ حُبُّهْ(1)
شَحَطَ المَزَارُ بِهِ ولَوْ ... يَدْنُو إليْكَ شَفَاكَ قُرْبُهْ(2)
أَنْكَرْتَ عَيْشَكَ بَعْدَهُ ... والدَّهرُ ضَاقَ عَلَيْكَ رَحْبُهْ
وَكَذاكَ دهرُكَ لِلْمُحِبِّ ... يَرُوحُ إذْ لَمْ يَغْدُ شَغْبُهْ(3)
أَحْبَبْتَهُ وَنَأَى بِهِ وُدٌّ ... لآخَرَ لا يُحِبُّهْ(4)
ومن العجائبِ أنَّهُ ... في غيرِ شِعْبِكَ كانَ شِعْبُهْ(5)
وَغَوِيُّ قومٍ هَرَّنِي ... دُونَ الذي أَحْبَبْتُ كَلْبُهْ(6)
فَصَفَحْتُ عَنْهُ لَعَلَّهُ ... فيما أُرِيدُ يَذِلُّ صَعْبُهْ
وَأَخُو النِّسَاءِ مُوَارِبٌ ... يَوْماً اذَا لَمْ يَصْفُ شِرْبُهْ
فَدَعِ الغَوِيَّ وذَنْبَهُ ... فَعَلَيْهِ لَيْسَ عَلَيْكَ ذَنْبُهْ
وَسَلِ التي أَحْبَبْتَهَا ... إنْ كانَ ذَاكَ عَرَاكَ حَرْبُهْ(7)

---

1) قوله «من نازح» تمييز لإبهام التعجب الذي في قوله «أحبب الي به» فإن «من نازح» تمييز مجرور بمن البيانية، والنازح: البعيد، «نزح» من بابي منع وضرب.

2) شحط: بعد. والمزار: مكان زيارته. والمقصود الكناية عن بعدها.

3) «شغبه» فاعل يتنازعه فعلا (يروح) و(يغد) ويروح يمشي في وقت الرواح، وهو من الزوال الى الليل. ويغدو: يمشي في وقت الغدو، وهو اول النهار. ومعنى البيت أن من عادة الدهر أن يشغب على المحبين، فإن لم يبكر شغبه جاء في الرواح.

4) هذا البيت تضمن قول الأعشى:

علقتها عرضا وعلقت رجلا ... غيري وعلق أخرى ذلك الرجل.

ولكن بيت بشار أعذب لفظا وأوجزه وأكثر معنى بقوله «ونأى به ود»، إذ فيه ذكر أن هذه الحبيبة تباعدت عنه لطلب لقاء من لا يحبها.

5) الشعب: أصله الطريق في الجبل وما انفرج بين الجبلين، كالوادي، واستعاره بشار للرأي والميل. مثل قولهم: أنا في واد وأنت في واد.

6) كتب «هزني» بالزاي. والصواب بالراء، والمرادي بالغوي: الرقيب، وبالكلب: اللسان عند الهجاء أو النميمة به: قال النابغة يخاطب النعمان:

سأكعم كلبي إن يريبك نبحه

يريد به لسانه وهجاءه.

7) اسم الإشارة راجع الى «الغوي». وكتب في الديوان «عدال» وهو تحريف، إذ لا معنى له، والظاهر أنه «عراك».

مَــا تَــأمُــريــنَ بــعــاشــقٍ   عَــيٌّ الطَّبيــبُ بــه وَطِبُّــــهْ
قَــدْ مَــاتَ أوْ هُــوَ مَيِّــتٌ   إنْ لــمْ يُعَــافِ اللهُ رَبُّـــهْ
غَصَبَتْ «عُبَيْـدَةُ» قَلْبَــهُ   أيَحِــلُّ في الاسلام غَصْبُـــهْ
صَبٌّ اليهــا لــوْ تَنِـــي   منهــا الـرِّسَـالـةُ أوْ تُغِبُّـهْ(1)
لغَـدتْ عَليْـهِ مَنِيَّـــةٌ   وَلَـمَـاتَ أوْ لازْدَادَ كَــربُـــهْ

* * *

وقال أيضـــا (*)

ألا قُلْ لتلك المالكيّة أصْحِبِي   وإلاّ فمنّينا لقاءكِ واكْذِبي (2)
عدينا فإنّ النّفس تُخْدَعُ بالمنى   وقلبُ الفتى كالطّائر المتَقلّب
وقدْ تامَنِي منْ لا يزالُ مُباعدًا   على قُرْبٍ منْ يدنُو بِسَهْلٍ ومرْحَبِ
فإنّك لوْ تجفُوك أمٌّ قريبةٌ   تجافيتَ عنْها للبعيدِ المقرّبِ
إذا يئستْ نفسُ امرىءٍ من قرينةٍ   تبدّل أخرى مركبًا بعد مَرْكَبِ
فلا تُمْسكيني بالهوان فإنّني   عن الهُونِ ظعّانٌ لقصدِ الملحّبِ(3)
حَبَستُ عليك النّفس حولينِ لاأرى   نوالاً ولا وعدًا بنيلٍ مُعقّبِ
وما كُنْتُ ــ لوشمّرْتُ ــ أوّل ظاعنٍ   بِرَحْلِيَ عَنْ جدْبٍ إلى غير مُجدِبِ
ولكنّني أغضِي جُفونًا على القَذَا   وأحْفظُ ما حمّلتني في المغيَّبِ
وأنتِ بما قرّبتني واصطفيتني   خلاءٌ وقدْ باعدْتني بُعْدَ مُذْنِبِ

---

1) «تني»: مضارع ونت، أي أبطأت.

*) وقال أيضا في النسيب بعبدة، والقصيدة من بحر الطويل.

2) المالكية: عبدة، وقوله: «أصحبي» بهمزة قطع مفتوحة (كما ضبطه الديوان) فيكون مضارع «أصحب» المهموز إذا جعل غيره صاحبا. أي أصحبينا نفسك، فتكون الحاء مكسورة.

3) «الملحب» بفتح الحاء المشددة: الطريق اللاحب الواسع، وكتب «طمان» بطاء مهملة، والصواب أنه بظاء معجمة.

كقائلة : إنَّ الحمــار ــ فنحِّــه عن القَتِّ ــ أهْلُ السَّمْسِم المتَهذِّبِ(1)
وما الحُبُّ إلاّ صَبْوةٌ ثُمَّ دَنْــوةٌ إذا لمْ يكُنْ كان الهوى روْغَ ثعْلبِ

* * *

وقال أيضــــا(*)

ومريضــة مــرَضَ الهَــوَى بَكَرتْ بِعَــبْرَتِها تَعَيبْ(2)
ورفعتُ عنْــدَ جــوابِهــا صــوْتي ، وقــدْ سَكَتَ المرِيبْ
إنَّ الهُمُــومَ تعلَّقــتْ حَوْراءَ كالرَّشــإِ الرَّبيبْ (3)
ويْلي على روْغــانِهَــا ولِسانِهــا الملِــق الخَــلوبْ
فلقــدْ شُعِفْــتُ بِحُبِّهــا شعفَ النَّــصارَى بالصَّليبْ(4)

1) أي كالتي حاولت إكرام الحمار فقطعت عنه أكل القت وأطعمته السمسم وهو لا يريده، والقت (بقاف مفتوحة): الفصفصة ، وهي نبت حضري شهي للدواب، وتعرف في تونس بالفصة. والسمسم: الجلجلان، وبذلك ظهر وجه التشبيه، فالفاء في قوله « فنحه عن القت » فاء الفصيحة، أي إن كان أهل السمسم فنحه عن القت، كالفاء في قول عباس بن الأحنف:

قالوا: خراسان أقصى مايراد بنا ثم القفول ، فقد جئنا خراسانا

وقد أتى بجملة «فنحه» مقدمة على دليل شرطها للضرورة، كما قال في البيت21من هذه الورقة:

إن الحبيب ــ فلا أكافئــه بعث الخيال علي واحتجبــا

ونظيره تقديم المعطوف على المعطوف عليه بالفاء عند هشام في ضرورة الشعر.

*) وقال أيضا في النسيب ، والقصيدة من مجزوء الكامل، وضربها معرى متفاعلن متفاعلن .

2) «بكرت بعبرتها» أصل فعل بكر الدلالة على الدخول والحصول في وقت البكرة وهو الصباح، ويستعمل في معنى المبادرة الى فعل، فيقال بكر بفعل كذا، أي بادر وشرع ، فيلحق بأفعال الشروع قال ضمرة بن ضمرة النهشلي:

بكــرت تلومك بعد وهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابــي

فقول بشار (تعيب) حال من ضمير «بكرت» أو خبر لفعل «بكرت» لأنه ملحق بباب كان، وقوله « بعبرتها » متعلق بـ« تعيب »، مثل قوله فيما سبق (ورقة 4 البيت8):

فاستهلت بعبرة ثم قالت ... الخ .

3) «الرشأ»: الظبي الصغير إذا مشى مع أمه، والربيب: فعيل بمعنى مربوب، أي محضون، أي الصغير الذي لم يزل في رعاية أمه.

وجملة « إن الهموم » الخ مقول القول لأن «صوتي» في معنى قولي.

4) . «شعفت وشعف» بالعين المهملة، بمعنى الذي بالغين المعجمة.

عهِـــدتْ إِليَّ وأدبـــرَتْ   عَهْـــداً تَــذَكُّــرهُ يُشِيـــبْ
وكَأنّهـــا لمَّـــا مَشَـــتْ   أيْمٌ تأوّد في كَثِيـــبْ(1)
وكــأنَّنــي مِنْ حُبِّهـــا   ظَـــأْرٌ أهــاب بِهِ مُهِيـــبْ(2)
خُلِـقَ النِّســـاءُ خِلاَفَهـا   ضُرُبًا وليس لـهـا ضَرِيـــبْ(3)
زَيْنَ المجـاسِـدِ مِثْلُهـــا   يُشْفَى بِـه ضِغْنُ القُـــلوبْ
لمَّـا شَعبْتُ على الوُشـــا   ةِ وغُصْنُ ناظِـرِكَ الشُّعُوبْ(4)
رَجَعَ الوُشَـــاةُ كأنَّهُـــمْ   عُرفـاءُ لَيْسَ لَهُـمْ نَقِيبْ(5)

* * *

---

1) الأيم: الحية الابيض اللطيف، انظر البيت10 من الورقة7، والكثيب: الرمل. وتأود: انعطف وانثنى.

2) «أهاب» زجر بقوله «هاب هاب» كما في القاموس، أو «هوب هوب» كما في التبريزي على معلقة طرفة، وهو من أسماء الأصوات للابل والخيل، ثم توسع فيه فاستعملوه في النداء القوي، قال في اللسان: أهاب الراعي بغنمه، أي صاح بها لتقف او لترجع. وقوله «ظأر» كتبه بظاء مشالة وهمزة وضبط الراء بكسرتين تحتها، ولا يلتئم له معنى، لأن الظأر هكذا هو المثل يقال: عدو ظأر، أي مثله معه كذا في القاموس، فصوابه «ظأن» كما يقال: نعق الراعي بضأنه.

3) ضبط في النسخة قوله «ضربا» بفتح فسكون، وهو خطأ، والصواب أنه بضم الضاد والراء: جمع ضريب، فإن «فعلا» بضمتين يطرد جمعا لكل اسم رباعي ممدود ما قبل اللام وليس لامه حرف علة كقضيب وقضب وعماد وعمد، ويدل لذلك قوله بعده «وليس لها ضريب»، والضريب هو المشابه والمشاكل، ووقع لصاحب القاموس فيه غلط، إذ جعله بمعنى الصنف وانما ذلك الضرب بفتح فسكون.

4) كتب «وغصن ناظرك الشعوب» والظاهر أن صوابه «وغض ناظرك الشعوب». شعب: صرف وكف، وعداه بعلى، لتضمينه معنى أغلظ. ومعنى «وغض ناظرك» اي إعراضك عنهم وعدم الالتفات الى أحوالهم. والشعوب: الموت، وهو علم جنس للموت، فيكون ممنوعا من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي. وقد دخلت عليه الالف واللام على رأي من رأى من أهل اللغة دخولهما على «شعوب» بمعنى الموت، فيقال: الشعوب، وهذا رأي الجمهور، وعليه ورد في القاموس، بناء على أن التعريف للمح أصل الصفة، لأن «شعوب» مشتقة من الشعبة وهي الفرقة، وقيل: لا تدخلها الالف واللام، وهذا رأي الجوهري في الصحاح. وصف ناظرها بالموت عوض أن يقول «المميت» مبالغة، كقول رويشد الطائي: قولا ليرثكم اني أنا الموت

5) العرفاء: جمع عريف، وهو كبير الحي، والنقيب: هو كبير القبيلة كلها، فهو يجمع تحت نظره عرفاء كثيرين، ومنه سمي نقيب العلويين ونقيب الهاشميين ونقيب النقباء في الدولة العباسية. ووجه الشبه المراد في البيت هو التفرق والانخذال.

وقال أيضـــا(*) :

طَرِبَ الحمامُ فَهَاجَ لي طَرَبَا رُبَّمَا يكُونُ تذكُّري نَصَبَا(1)
إِذْ لاَمَني «عمرو» فقُلْتُ لهُ : غُلِبَ العزاءُ ورُبَّما غَلَبَــا(2)
إنَّ الحَبِيبَ ـ فــلا أُكافئُــهُ ـ بَعَثَ الخَيَالُ عليَ واحْتَجَبَا(3)
فاعْذِرْ أخــاكَ ودَعْ مَلاَمَتَــهُ إنَّ المــلامَ يَــزِيــدُهُ تَعَبَــا
لا تَنْهبنْ عــرْضي لتقسمَــهُ ما كان عرْضُ أخيك مُنْتَهبَــا
وانْحُ الغَــدَاةَ على مُقابِلِهِــمْ لخَليلكَ المشْغُوف إنْ طَلَبَــا(4)
[28] الطُــرُقُ مُقْبِلَـــةٌ ومُدبِــرَةٌ هَوِّنْ عَلَيْكَ لأَيِّهــا رَكَبَـــا
لوْلا الحمامُ وطَيْفُ جاريَــة ما شفَّني حُبٌّ ولا كَــرَبَا(5)

---

*) وقال أيضا في النسيب بعبدة، ويذكر مراسلته إياها مع جارية ظريفة ، وما أجابت عبدة. والقصيدة من بحرالكامل. وعروضها حذاء وضربها أحذ .

1) الطرب: التأثر من استحسان أو إساءة فهو من الأضداد. وكتب «وبمايكون» بالواو، وهو تحريف، صوابه «ربما»، وجملة «ربمايكون» الخ صفة «طربا ...»

2) قوله: «غلب العزاء» هو بالزاي المعجمة، أي الصبر أي ضعف الصبر.

3) قوله: «فلا أكافئه» عطف مقدم ومعترض بين اسم إن وجملة خبرها، كقوله في البيت الخامس من هذه الورقة:

كـقـائلـة: ان الحمار فنحه ـ الخ

4) كتب «الغداة» بغين معجمة مفتوحة، ولعله بعين مهملة مضمومة .

5) يريد لولا هديل الحمام يذكرني الحبيبة، وهذه شنشنة غرامية في التذكر بالحمام كثرت في كلام القدماء والمولدين، وذلك أن العرب تزعم في خرافاتها أن الحمام إذا غنى فإنما هو ينوح على «هديل»، وهو حمام مات في زمن نوح، ولذلك سموا نواحه هديلا فضربوا به المثل في الشوق والتحسر، قال النابغة:

إذا تغنــى الحمــام الــورق ذكــرنــي ولو تصبــرت عنهــا أم عمـــار

وقـــال المعري يصف إبـــلا تشتـاق لمواطنهـــا :

أشبهــن في الشــوق الحمــام وإنمــا طيرانهــن تــرقــص وذميـــل

فلم يزل صوت الحمام من مذكرات الأحبة . وقوله: «ولا كربا» أي ولا قارب أن يشفني، فكرب من أفعال المقاربة ، وحذف خبرها هنا لقيام الدليل عليه بقوله «ما شفني»، كما حذف خبر «كاد» في الحديث «من تأنى أصاب أوكاد» .

إنَّ التي راحتْ مودَّتُها رغمًا عليَّ فبتُّ مُكْتئِبا

حوراءُ لو وَهَبَ الإلهُ لنا منْها الصَّفاءَ لحَلَّ ما وَهَبا(1)

خُلِقَتْ مُباعدةً مُقارِبَةً حَسَبًا وتمَّتْ صورةً عَجَبا

في السّابِريّ وفي قلائدِها مُنْقادُها عَسِرٌ وإنْ قرُبا(2)

كالشَّمْسِ إنْ بَرَقَتْ مَجاسِدُها تَحْكي لَنَا اليَاقُوتَ والذَّهبا

أطْوي الشَّكاةَ ولا تُصدِّقُني وإذا اشْتكَيْتُ تَقولُ لي: كَذَبا

عسُرَتْ خَلائقُها على رَجُلٍ لَعِبَ الهَوَى بِفُؤادِهِ لَعِبا

ولقدْ لطفْتُ لها بجاريةٍ

روتِ القَريضَ وخالطتْ أدبا(3)

---

1) كتبت «لحل» بحاء، والصواب «لجل» بالجيم.

2) السابري: الثوب الرقيق الذي يشف عما تحته من الثياب، قال بعض أهل اللغة: هو منسوب إلى سابور، كورة من كور فارس، نسبة على غير قياس، قال في المشارق: لما استثقلوه خففوه. وقال بعض علماء اللغة: أصله الدرع السابرية، وهي دروع مشهورة بدقة صنعها، فلعلها منسوبة إلى سابور ملك الفرس العظيم، كما شهر بعض الدروع بالنسبة إلى داود أو إلى سليمان، وبعضها بالنسبة إلى تبع، وكل هؤلاء من مشاهير الملوك الغزاة، فشبهوا الثوب الشفاف بالدرع في الشدة والشفوف.

واعلم أن «السابري» ضبط في نسخة الديوان بكسرة تحت الباء، وكذلك ضبط في جميع ما وقفت عليه من الكتب المضبوطة، مثل مواضع من لسان العرب ومخصص ابن سيده ونسخة من ديوان ذي الرمة مخطوطة، ولم يضبط صاحب القاموس ولا في شرحه تاج العروس، ووقع في لب اللباب في الأنساب للسيوطي التصريح بأنه بفتح الباء، وكذلك وقع في شرح الزرقاني على الموطإ في البيع على البرنامج، ولعل ذلك حمل منهما على مصطلح صاحب القاموس: أنه إذا أطلق كلمة عن الضبط فضبطها الفتح، ولم أقف على من صرح أنه بالفتح غير هذين، على أن صاحب القاموس قد اشترط أنه لا يريد الفتح، إلا إذا لم تكن الكلمة مشهورة بغيره، فلعله رأى أن السابري مشهور عند الناس بكسر الباء، وهذا قصارى ما تحصل لي في ضبطه الخ، وهو لباس الترف.

وقوله «في السابري» حال من قوله «وتمت»، وقوله «منقادها» استئناف كلام، والمنقاد: مصدر ميمي من انقاد، بمعنى لان وخضع.

3) لطف له بكذا (كنصر) بمعنى أوصل إليه شيئا برفق، ويتعدى لطف باللام، كما يتعدى بالباء، لطف به وله.

قـالتْ لهـا : أصْبحْـتِ لاهِيَـةً
عمَّـن يَـراكِ لِحتْفِـهِ سَبَبَـا
لـوْ مُتِّ مـاتَ ولـوْ لطُفْـتِ لـهُ
لـرأى هَـواكِ لقـلْبِـهِ طـرَبَـا(1)
تأتيـكِ نـازحـةً مَنَـاسِبُـهُ
ويحُـوطُ غَيْبكُـمْ وإنْ غَضِبَـا(2)

---

1) «لطفت له» بمعنى رفقت لأجله ، يقال : لطف (بضم الطاء) ،

2) «نازحة» حال من كاف الخطاب ، والنازحة : البعيدة ، تقدم في البيت 3 من الورقة 26 . والمناسب : جمع منسبة (بفتح الميم وكسر السين) وهي اسم مصدر نسب بالمرأة كضرب ونصر ، بمعنى ذكر محاسنها ، والاسم منه ايضا : النسيب يعني يأتيك شعره ذاكرا محاسنك ، وقوله : «ويحوط غيبكم» بمعنى يحوطكم ، أي يحفظكم في الغيبة ، فجعل الغيب مفعول «يحوط» وهو في الحقيقة ظرفه ، على طريقة المجاز العقلي في إيقاع الفعل على غير مفعوله الذي هو له ، ونكته أن المحافظة على السر والوداد في زمن الغيبة لما كان هو أقوى أحوال الحفاظ علقه بذلك الزمن ، قال عمر بن أبي ربيعة :

أسكيـن ما مـاء الحيـاة وبرده منّي ، على ظمأ وحب شـراب
بأحب منك وان نأيت ، وقلمـا يرعى النساء امانـة الغيـاب

ولو ذهبنا نقدر هذا منصوبا على نزع الخافض لخرجنا الى كلام معسول يفيت هذا المقصد البليغ . وقوله « غيبكم » جاء بضمير الجمع المذكر لتعظيم المخاطبة ، وتلك طريقة العرب في تعظيم الأنثى لا يأتون به ضمير جماعة الإناث ، كما قال جعفر بن علبة الحارثي :

فـلا تحسبي أني تخشعت بعدكـم لشيء ولا أني من المـوت أفـرق .

وكما قال الحارث بن خالد المخزومي :

فإن شئت حرّمت النسـاء سواكـم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

ومنه قوله تعالى « إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر» على أحد تأويلين في معنى «لأهله» أن أهله هي زوجه. وانظر البيت 8 من الورقة 42، والبيت 2 من الورقة 223. وقوله : «وإن غضبا» مبالغة «وإن» فيه وصلية ، وهي التي تدل على شرط معطوف على شرط محذوف ، وذلك الشرط المعطوف أولى بالحكم من الشرط المحذوف ، وتستعمل في هذا المعنى إن ولو ، لأن حالة الغضب قلما يبقى معها حفظ العهد إلا إذا كان عهدا مكينا ، ونظيره قول عمرو بن معد يكرب في الحماسة :

ليس الجمـال بمئـزر. فاعلـم وإن رديت بـردا

وقوله تعالى « فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به » .

وإذا رُفِعتِ إلى مَخِيلتِه
مطَرَتْ علَيْكِ سماؤُهُ ذهبا(1)

ذهب الهَوَى بفُؤاده عبثًا
وأَفَادهُ مِنْ قلْبِهِ جربا(2)

فارْثِي لهُ ممَّا تضمَّنهُ
من حرِّ حُبُّكُمُ فقدْ نشِبا(3)

قالت «عبيدة» : قد وفيت له
بالود حتى مل فانقلبا

وصغا إلى أخرى يُراقِبُها
فِينا وكُنْتُ أحقَّ من رقبا(4)

قُولِي لهُ: ذرْ منْ زيارتِها
للقائنا إنْ جِئْتَ مُرتقبا

واجْهدْ بيمينك لا تُخالفني
فيما هويتُ وكان لِي أربا

1) المخيلة (بضم الميم وبفتحها مع تخفيف الخاء) هي السحابة التي يعرف منها أنها ماطرة ، والمعنى إذا ذكرك في ذهنه الذي هو مفيض الشعر أنشأ ذهنه فيك قصائد كالذهب.

2) « كتب جربا » بجيم ، والجرب: مرض يعتري الجفون ، فلعل قوله « من قلبه » صوابه « من جفنه » أو لعله « حربا » بالحاء المهملة وهو ذهاب المال ، ورجل محروب بمعنى مسلوب المال .

3) لقد أبدعت هاته الجارية في طرق الخلابة اللفظية لترقيق عبيدة ، وفي المثل « أرسل حكيما ولا توصه » ولذلك نجحت في رسالتها ، كما أنبأ عنه قوله آخر القصيدة « ولقيتها كالخمر صافية . . . الخ .

4) «صغا» بمعنى مال ، ومنه « فقد صغت قلوبكما » . وأما أصغى فبمعنى أصاخ سمعه .

وإذا بكيْتَ فلا عدمْت شفًا   وأكلْت لحْمك جنَّةً كلبـا(1)
سألتْ لأعْتُبَهـا وأَطْلُـبهـا   ممَّا تخافُ فقُلْتُ : قدْ وجبا(2)
ولقيتُها كالخمْـر صافيـةً   حلتْ لشاربهـا وما شـربا

* * *

---

1) قوله «وإذا بكيت» عطف على «لا تخالفني» فهو من جملة اليمين، وقوله «فلا عدمت شفا» جواب إذا والفاء مزيدة في الجواب للدلالة على أن (إذا) مضمنة معنى الشرط و(لا) مزيدة وإلا فإن المراد أن يقول إذا بكيت عدمت الشفاء، أي لا يحصل لي شفاء بكائي. وجملة «وأكلت لحمك» عطف على جملة «وإذا بكيت» فهو قسم آخر.

كتب في الديوان «وإذا بكيت» ولم يظهر له معنى هنا باعتبار ما قبله وما بعده، فلعل «بكيت» تحريف «نكثت»، وكتب «شفا» بفاء ولم يضبط الشين فيكون دعاء له، وهو غير مناسب لعجز البيت الواضح في أنه دعاء عليه، فلعل شفا تحريف شقا بالقاف وكتابته بالالف دون الإمالة يرتكب ناسخ الديوان مثلها في أمثاله تارات، والمعنى: إذا نكثت عهد اليمين فلا فارقك الشقاء وهو شدة سوء الحال، فهذا من تمام صيغة الحلف الذي استحلفته به، وقد كان من الحلف عند العرب ما يشتمل على دعاء الحالف على نفسه إن كذب أو أخلف. قال النابغة يخاطب النعمان بن المنذر :

ما إن أتيتُ بشيء أنتَ تكرهـه   إذن فلا رفعت سوطي إليّ يدي

وقال معدان بن جواس الكندي أو حجية بن المضرب من شعراء الحماسة الجاهليين يخاطب النعمان :

إن كان ما بلغت عني فلامني   صديقي وشلت من يدي الأنامل
وكفنت وحدي منذرا بردائه   وصادف حوطا من أعادي قاتل

منذر أخوه، وحوط ابنه.

وقد أشار الحريري إلى أن هذا لم يزل متبعا عند العرب في الإسلام في المقامة العاشرة الرحبية في رواية ادعاء أبي زيد السروجي على غلام وسيم أنه قتل ابنه وأحضره عند والي البلد، وأنه اكتفى منه باليمين على براءته من قتل ابنه :

«فقل والذي ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا. ولا جعلت هامته لسيفي غمدا، وإلا فرمى الله جفني بالعمش، وخدي بالنمش، وطرتي بالجلح، وطلعي بالبلح» الخ..

2) يقال : أعتبه إذا قبل منه عذرا عن عمل عاتبه عليه، أي سألت ذلك، أي سألتني اليمين لقصد أن أقبل عذرها وأزيل عتابها، وهو العتاب الذي أبلغته إليها الجارية في قوله قبل هذا :

قالت لها أصبحت لاهية

الأبيات الستة. فمفعول (سألت) محذوف أي سألت ذلك، وقوله «فقلت قد وجبا» التزام بذلك.

وقال أيضا (*) :

لقدْ زادني ماتعلميـن صبابـةً إليْك فللقلْب الحزيـن وجيـب
وما تُذْكرين الدّهْر إلا تهلّلـت لعيْنيّ مِنْ شوْق إليك غـروب
أبيتُ وعيْني بالدُّموع رهينـةٌ وأصْبِح صبًا والفُـؤادُ كـئيبُ
إذا نطق القومُ الجُلُـوسُ فإنّنـي أكِبُّ كأنّي مِنْ هـواك غـريبُ(1)
يقُولُون : داءُ القلْبِ جِنٌ أصـابهُ ودائي غزالٌ في الحجالِ ربيبُ(2)
إذا شِئْتُ هاج الشّوْقُ واقتادهُ الهوى إليْك من الرِّيح الجنـوب هبُوبُ(3)

---

*) (وقال أيضاً) في الأغاني عن أبي عبيدة : كان بشار يهوى عبدة فخرجت عن البصرة إلى عمان مع زوجها فقال بشار فيها أبياتا خمسة وهي على ترتيب الأغاني 5 ــ 6 من ورقة 29 من الديوان ثم 6 ــ 7 من ورقة 31 ، ثم 2 ــ من ورقة 29 . وحيث كانت 6 ــ 7 في ورقة 31 لبشار فأبيات الأغاني ملفقة من قصيدتين ، وهي في حبيبته سعدى وليست في عبدة فالظاهر أن أبا عبيدة اختلطت عليه لاتحاد البحر والقافية . والأبيات من بحر الطويل .

1) روي في الأغاني المصراع الثاني :

مكب كأني في الجميع غـريب

2) ضمير « يقولون » عائد على القوم الجلوس . وجملة « داء القلب » مقول القول ، والخبر محذوف ، تقديره : به داء القلب ، أي يقولون ذلك إذ تحدثوا عن حالته . وجملة « جن أصابه » مقول قول أيضاً : إما أنهم يقولون هذين المقولين على وجه التردد والحيرة في معرفة دائه جهلا منهم بدائه الحقيقي ، وإما أن يقول فريق منهم هذا وفريق منهم ذاك . ولذلك فصل بين الجملتين بدون عطف ، لأنهما في سياق تعداد أقوالهم ، ولو قال كل واحد كلا القولين لكان نظم الكلام « داء القلب وجن أصابه » .

3) كتب « إذا شئت » وليس للفظ « شئت » موقع ، فلعله تحريف « إذا بنت » ، واقتاد بمعنى قاد مع مبالغة اقتضتها زيادة المبنى .

وأما جملة « من الريح الجنوب هبوب » فهي مستأنفة استئنافا بيانيا لجواب سؤال ناشيء عن قوله « إذا بنت » ، وهو أن يقال : بأية جهة بانت ، فأفاد بقوله « من الريح الجنوب هبوب » بيان جهة حلولها مع ذكر بعض ما يذكي شوقه . وللرياح مكان واسع في شعر العرب المتيمين لا يخفى على مزاول شعرهم ونوادرهم . ومن أغرب ما قيل في الريح قول بعضهـم :

هبت شمالا فقيل من بلـد أنت به طاب ذلك البلـد
فقبل الريح من صبابتـه ما قبل الريح قبله أحـد

هوى صاحبي ريحُ الشمال إذا جرت … وأهْوى لقلْبِي أنْ تهُبَّ جنُوبُ (1)

وما ذاك إلاّ أنَّها حين تنتهي … تَنَاهَى وفيها مِنْ « عُبَيْدة » طيبُ

وإنّي لمُستشفي « عبيدة » إنَّها … بدائي وإن كاتمته لطبيبُ

كقارُورةِ العطَّار أوْ زاد نعْتُها … تلينُ إذا عاتبْتُها وتطيبُ (2)

لقدْ شغلتْ قلْبِي « عُبيْدة » في الهوى … فليْس لأُخرى في الفُؤادِ نصيبُ

ألا تتَّقين الله في قتْلِ عاشقٍ … لهُ حين يُمْسِي زفْرةٌ ونحِيبُ

يُقطِّعُ منْ أهْلِ القرابةِ ودَّهُ … فليْس لهُ إلاَّ هَواكِ نسيبُ

تُمنِّينني حُسْنَ القضاءِ بَعِيدةً … وتلْوِينني ديْنِي وأنْتِ قريبُ

فواللهِ ما أدْرِي : أتجحدُ حُبَّنا … « عُبيْدةُ » أمْ تجْزِي بِهِ فتُثيبُ

وإنِّي لأشْقى النَّاس إن كان حُبُّها … خصيبًا ومُرْتادُ الجنابِ جديبُ (3)

وقائلةٍ : إنْ مِتَّ في طَلَبِ الصِّبى … فلا بُدَّ أنْ تُحْصَى عليك ذُنُوبُ

فرُمْ توْبةً قبْلَ المماتِ فإنَّني … أخافُ عليْك اللهَ حين تؤوبُ

تكلِّفُ إرْشادِي وقدْ شاب مَفْرِقِي … وحَمَّلَني أهْلِي فليْس أريبُ (4)

---

1) روى في الأغاني « وأشفى لقلبي »، وإنما أحب الجنوب لأن عمان بالجنوب من البصرة، ولعله أراد بصاحبه زوج عبدة ، لأن بشارا يصاحب ذكره ، والحديث عنه كقول الحجاج في خطبته بعد يوم ذي الجماجم : « ألستم أصحابي بالأهواز » أي اللدين قاتلتموني ، وإنما كان هوى صاحبه ريح الشمال لأنها تهب من ورائهم في السير الى عمان، لاسيمان أن كل السير في النهر والبحر، وقد نسب في شرح مختار المختار ص 84 هذا البيت واللذي بعده الى غير بشار. وغير اسم « عبيدة » في البيت الموالي باسم « أميمة » .

2) كتب في الديوان: كنى زورة العطار، وهو تحريف، وأصله لا محالة : « كقارورة العطار » القارورة: إناء مستطيل متسع الوسط ضيق الأعلى تجعل فيه الخمر والعطور يكون من الزجاج ، ولذلك سمي الزجاج القوارير: وفي حديث حداء أنجشة جاذي ركب النبيء صلى الله عليه وسلم أنه قال له « رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير » وقال بشار : فإنه عربي من قوارير ، أي ضعيف النسب للعرب. وقد تكون من فضة أو ذهب، وهي مشتقة من القرار .

3) « مرتاد » اسم مكان من ارتاد: إذا ذهب يطلب الكلأ، أي إذا كان حبها في نفسي خصيبا، أي كثيرا ومحل ارتياد قلبي منها جديب .

4) قوله « وحملني أهلي. . . . » أي هو حمال أعباء عشيرته ، يصرف أمورهم . « فليس أريب » معناه أنه لا يصم نفسه بريبة .

فقُلْتُ لهـا : لمْ أجْـن في الحُبِّ بينـنــــا
أثامًـــا على نفْسٍ ، فَمِـمَّ أتُــــــوبُ

أرانا قريبًـــا في الجـــوار ونلْتقِـــــي
مِـرارًا ولا نخْلُـــو ، وذَاكِ عجيـــــبُ

ألا ليت شِعْـري : هـلْ أزُورُكِ مـــــرَّةً
وليس علينْـا يـا « عُبيْـــدُ » رقيـــــبُ

فَنَشْفِي فُؤادينْـا من الشّـــوْق والهــــوى
فإنَّ الذي يشْفـي المحبَّ حبيــــــبُ

ومـا أنْسَ ممَّـا أحْـدث الدَّهْـرُ للفـــتى
وأيَّـامُـهُ اللاتـي عليْـهِ تنُـــــوبُ

فلسْتُ بِنـاسٍ مِنْ رُضـابـكِ مشْربًـــا
وقـدْ حـان مِنْ شمْسِ النّهـار غُـرُوبُ (1)

فبِـتُّ لمـــا زوّدْتــنِي ، وكــأنَّنـــــي
مِنَ الأهْـلِ و المـالِ التّـلادِ حريـــبُ

إذا قُلْـتُ يُنْسِينيـك تغْمِيـضُ ساعـــة
تعـرَّضَ أهْـوالٌ لكُـمْ وكُـــرُوبُ

* * *

1) « فلست بناس » جواب « ما » الشرطية في قوله قبله « وما أنس . . . » الخ .

وقال أيضـــــا (*) :

طَرِبْتَ إلى «حَوْضَى» وأنت طَرُوبُ . وشاقك بيْنَ « الأَبْرقيْـــنِ » كثيبُ(1)
ونُؤْيٌ كخلْخالِ الفتاةِ وصائـــمٌ أشجُّ على ريْبِ الزَّمانِ رقُـــوبُ (2)

---

*) وقال أيضا في النسيب بسعدى بنت صقر بن قعقاع المالكية من بني بكر ، كما يؤخذ مما هنا ومن الورقة 118 والورقتين 184 ــ 185 والورقة 223. ويؤخذ من البيت الخامس عشر في الورقة 35 أنها من بني سعد بن بكر، وربما سماها سعاد تلطفا، كما في الورقة 141 . وبنو سعد بن بكر هم من هوازن، كانت منازلهم بين مكة وحنين ، ولغتهم من أفصح لغات العرب، وهي إحدى اللغات السبع التي نزل بها القرآن ، ومنهم كانت حليمة مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث «أنا افصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد» ، وبنو مالك : بطن منهم، وهم بنو مالك بن الحطيط (بوزن زبير وبطاثين) ابن جشم .
والقصيدة من بحر الطويل وعروضها مقبوضة وضربها محذوف ، الا أنه جاء في البيت الأول بالعروض أيضا محذوفة لأجل التصريع ، لأنهم إذا صرعوا ساووا العروض بالضرب، حتى أنهم يأتون بالعروض معه صحيحة إذا كان الضرب صحيحا ، مع أن العروض لاتكون صحيحة في الطويل ، كقول امرىء القيس :

ألا عم صباحا أيهـا الطلـــل البالـــي وهل يعمن من كان بالعصر الخالي ؟

ثم قال :

وهل يعمن إلا سعيد مخلد ....

1) « طربت » بفتح التاء خطاب لنفسه على طريقة التجريد، و«حوضى» اسم مكان ورد ذكره في شعر النابغة ، و«الأبرقان » بفتح الهمزة وفتح الراء : تثنية أبرق ، جبل فيه لونان من رمل وحجارة فيكون أسود وأبيض ، والأبرقان : اسم غلب على أبرق حجر اليمامة ، وهو منزل بعد رميلة اللوى من طريق البصرة للقاصد إلى مكة .
وقد نسج قصيدته هذه على منوال قصائد العرب، فلذلك ذكر النؤى والأطلال، وكان الشعراء وخاصة بشارا يتنافسون في محاكاة شعر العرب، لتظهر مقدرتهم البلاغية بالموازنة بين شعرهم وشعر فحول الجاهلية ، وقد ذكرنا ذلك في مقدمة شرح الديوان، ولم يخالف الطريقة الجاهلية إلا في قوله « مسجد شيخ » أي محل سجوده ، فذلك معنى إسلامي .

2) «النؤي »: الحفير حول الخباء يمنع السيل ، ويكون مستديرا . وأراد بالصائم الوتد ، بدليل قوله «أشج» لأن الوتد يدق من أعلاه، فهو كالأشج ، والأشج هو المجروح في رأسه، ووصفه بالصائم لأنه ثابت في مكانه ، من قولهم : خيل صيام ، أي واقفة ، وسلك في قوله « وصائم » طريقة المحاجاة بالتورية .

وَمَسْجِدُ شيْخٍ كنتَ في سنن الصِّبى   تُحيِّيه أحْيانًا وفيه نُكُوبُ(1)
غـدا بِثَلاثٍ مَا يَنَامُ رقِيبُها   وَأبْقَى ثَلاثًا ما لهُنَّ رقيبُ (2)

---

1) « مسجد شيخ » أي محل سجوده ، أي سقوطه ، سلك طريقة المحاجاة بالتورية ، والشيخ : الجمل ، ومنه بيت كتاب سيبويه :

ما لك من شيخك إلا عمله   إلا رسيمه وإلا رمله

واستعمال بشار هذا اللفظ في معنى الجمل على طريقة التورية يقوي روايته في كتاب سيبويه (بالياء والخاء) ، ويرد على من زعم أنه تحريف أصله شنجك (بنون فجيم) بناء على أن اللغويين لم يذكروا أن الشيخ يستعمل بمعنى الجمل ، بدليل قوله «غدا بثلاث . . . » الخ.
والسنن : العادة ، ورأيت في مجموعة أظنها لأبي القاسم الأصفهاني لفظ « الضحى » عوض « الصبى » ، وأريد به ترشيح للتورية بالسجود ، لأن الضحى وقت نافلة الضحى .
و«الصبا» بكسر الصاد اسم مصدر صبا يصبو ، وهو الميل الى النساء وحبهن ، وجملة «تحييه» يظهر أنها صفة لشيخ ، لأنه الأقرب لها ، فمعنى «تحييه» تمر به فتسلم عليه ، وذلك من فعل المحبين وهزلهم ، ومرت عزة بكثير وكانت مغاضبة له وكان راكبا على جمله فقالت : السلام عليك يا جمل ، فقال كثير :

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت   فحي ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لي فأشكرها   فكان ياجمل حييت يارجل

ولعل بشارا أخذ هذا المعنى من بيتي كثير ، ويجوز أن تكون الجملة صفة لكثيب في البيت السابق ، فيكون معنى «تحييه» تزوره ، كنى بالتحية عن الزيارة لتلازمهما عرفا ، قال بشامة بن حزن النهشلي من شعراء الحماسة :

إنا محيّوك يا سلمى فحيينا   وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

والنكوب يطلق على ظلع في مشي البعير أوميل في مشيه كأنه نكوب ، فيكون صفة لشيخ . ويطلق النكوب على هبوب الريح النكباء ، وهي ريح بين الصبا والشمأل (بالهمز) لينة البرودة فيكون صفة لكثيب.

2) الضمير في «غدا» عائد الى الشيخ أي الجمل ، أي رحل. أراد بالثلاث التي ما ينام رقيبها حبائبه من بنات الحي ، وسيأتي ذكر هؤلاء الثلاث مع شوقه الى « حوضى » في القصيدة الدالية التي في الورقة 202 ، ولك أن تجعل فاعل «غدا» محذوفا ، وتقديره غدا غاد ، كقوله في الحديث «ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» أي الشارب ، وهذا كقول المثوب : أصبح ولله الحمد أي الصباح ، وقريب منه قوله تعالى «حتى توارت بالحجاب» أي الشمس ، ولما كانوا قد يأتون بالفاعل اسما مشتقا من لفظ فعله نحو «سال سائل» «وقال قائل» ساغ لهم التوصل بذلك الى حذفه ، وللعرب في التوصل الى الحذف للايجاز مسالك لطيفة. وأراد بالثلاث التي ما لهن رقيب : النؤي ، والوتد ، ومبرك الجمل.

أواجيُّ حُزْنٍ للمُحبِّ يهِجْنـــــهُ إذا اجْتاز فيما يغْتدي ويـــؤُوبُ(1)
فلا بُدَّ أنْ تغْشاك ــ حين غَشِيتَها ــ هَوَاجِدُ أبْــكارٍ عَلَيك وثيِّــبُ(2)
ظَلِلْتَ تُعنّي العَينَ عَيْنَكَ بعْـدمـا جَرَتْ عَبْرةٌ منْها وعزَّ نحيــــبُ(3)
ويوْمَ التقى شرقيَّ جِزْعٍ مُتَالِـعٍ تقنَّعتَ من أخْرى وأنْت مُـريبُ(4)
تُسارقُ « عمرًا » في الرِّداء صبابةً بِعيْنيك مِنْها حاشِكٌ وحليـــبُ(5)

---

1) الأواجي جمع: واجية، وأصله وواجي (بوزن فواعل) فقلبت الواو الاولى همزة للتخفيف، كما قالوا: أواقي جمع واقية، والواجية: فاعلة الوجى، وهو الألم، وأراد بالأواجي هذه الثلاث: النؤي والوتد ومسجد الشيخ، لأنها تهيج آلام وجده.

2) الضمير المنصوب في قوله « غشيتها » عائد الى الأواجي، و«هواجد» فاعل تغشاك، والمعنى أنه تخيل الحال التي كانت تلك المنازل آهلة وهو يغشاها فتتلقاها الأبكار والثيبات، فتوهم ذلك واقعا، فقال: فلا بد أن تغشاك كقول مالك ابن الريب:

دعاني الهوى من أهل ودي وجيرتي ،بذي الطبسين فالتفت ورائيـا

والهواجد: الساهرات، يريد أنهن يسهرن الليل ليزرنه، وقوله «عليك» متعلق بهواجد، أي ساهرات لأجلك، فعلى للتعليل، مثل قوله تعالى «ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام»، والثيب (بكسر الثاء) جمع ثيب، بدليل مقابلته بالأبكار، ولم يسمع جمع ثيب على ثيب، لأنه في الأصل بوزن فعل بضم فسكون فقلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء، كما قالوا: شيب وهيم، وحيث لم يسمع امرأة ثيباء فلا وجه لجمعه على ثيب، وهذا من قياس بشار في اللغة، أو مما يثبت على سبيل الندور.

3) عز: تعذر، والنحيب: الصوت في البكاء، وإنما يعز النحيب إذا ضعفت القوة، ووقع في النسخة « نجيب » بالجيم، وهو سهو. وقوله « تعني » كتب في الديوان بغين معجمة، ولا وجه له، وهو بعين مهملة، أي تكلفها البكاء.

4) كتب في الديوان «التقى» بالإمالة، فهو فعل، وفاعله غير مذكور، وتقديره: التقى الملتقون. كما تقدم قريبا في قوله: غدا بثلاث، ولعل الصواب أن يكتب بالالف على أنه مقصور للضرورة. وأصله: التقاء، أي يوم التقائنا بشرقي جزع ...الخ، فأضاف المصدر الى ظرف مكانه، والجزع (بكسر الجيم): مااتسع من وسط الوادي، ومتالع (بضم الميم): اسم سميت به جبال كثيرة: والتقنع: تغطية الرأس وبعض الوجه، قال تعالى « مهطعين مقنعي رؤوسهم ». والمقصود أن لا تعرف تسترا من امرأة أخرى.

5) الصبابة: الشوق، وأراد به هنا البكاء من الشوق، فقوله « صبابة » هو مفعول ثان لتسارق. وقوله « في الرداء» حال من فاعل تسارق، أي تسارق رقيبا اسمه عمرو، والحاشك: المتتابع من اللبن، وأصله من حشك الناقة، إذا ترك حلبها ليكثر اللبن فاذا كثر صار دافقا، ولعل هذا من صيغة فاعل التي هي بمعنى مفعول، وأمثلته قليلة. والحليب: المحلوب، اي النازل بكلفة.

إِذَا زُرْتَ أَطْلاَلاً بَقِينَ عَلَى اللِّوَى   مَلأْنَكَ مِنْ شَوْقٍ وَهُنَّ عُذُوبُ(1)
وَنَمَّتْ عَلَيْكَ العَيْنُ فِي عَرَصَاتِهَا   سَرَائِرَ لَـمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ عَرِيبُ(2)
مَتَى تَعْرِفِ الدَّارَ التِي بَانَ أَهْلُهَا   «بِسُعْدَى» فَإِنَّ الدَّمْعَ مِنْكَ قَرِيبُ(3)
تَذَكَّرُ مَنْ أَحْبَبْتَ إِذْ أَنْتَ يَافِعٌ   غُـلاَمٌ فَمَغْنَاهُ إِلَيْكَ حَبِيبُ(4)
لَيَالِي تَشْتَـاقُ الجِوَارَ غَرِيبَـةً   إِلَى قَوْدِ أَسْـرَارٍ وَهُـنَّ غُيُوبُ(5)
وَإِذْ يُصْبِحُ الغَيْـرَانُ تَغْلِي قُدُورُهُ   عَلَيْنَا وَإِذْ غُصْنُ الشَّبَابِ رَطِيبُ(6)

---

1) العذوب (بضم العين المهملة وبذال معجمة(: جمع عاذب، وهو الفارغ من الطعام والذي لا يستطيع الأكل من شدة العطش وكتب : «عدوب» بالدال المهملة،

2) نصب «سرائر» على أنه مفعول نمت بنزع الخافض الذي هو الباء. وعريب (بعين مهملة مفتوحة) : اسم بمعنى واحد من الناس ؛ وهو من الأسماء التي لا تستعمل إلا في النفي ، وله نظائر ، منها : أحد وديار ، وقد أنهيتها إلى أربعين اسما).وكتب في الديوان بغين معجمة وهو سهـــو .

3 ــ 4) في رواية صاحب زهر الاداب :

... ... فإن العهد منك قريـــب
تذكرك الأهواء إذ أنت يافع   لديهـا فمغناهاالخ

فعلى رواية الديوان يكون معنى البيت الأول منهما منفصلا عن معنى الثاني ، وعلى رواية زهر الاداب يكون بينهما تضمين ، والمتأخرون يعدونه من العيوب ، والعرب يستكثرون منه ، وهو أحسن عندي ؛ وعليه فقوله «تذكرك» جواب متى ، ومتى هنا مهملة غير عاملة في فعل الشرط وجوابه ، وإهمالها نادر ، ومنه ما وقع في حديث عائشة : «وأنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس» .
والمعنى متى رأيت الدار بكيت وتتذكر من أحببته فيها وأنت شاب فلذلك تجد منزله محبوبا لك ، وهذا معنى بديع سبق به بشار وأخذه منه ابن الرومي على بن العباس وأحسن في قولـــه :

وحبب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الشباب هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

5) كذا كتب . ولم يظهر له معنى ، ولعل به تحريفاً صوابه : «ليالي تستاق الحوار غريرة» . أي تسوق إلى المحادثة حال كونها غريرة ، وقوله إلى قود متعلق بتستاق ، أي فتظهر من ذلك أسرار مكتومة . أي تظهرلي لأنها غريرة .

6) كتب في الديوان «وإن» وهو تحريف صوابه وإذ. والغيران : الشديد الغيرة ومعنى تغلي قدوره تمثيل لشدة الغضب والحقد في النفس ، ومثله قولهم : يجوش مرجله ، قال النابغة جامعا بينهما :

يسير بها النعمان تغلي قدوره   تجيش بأسباب المنايا المراجل

وإذْ نحنُ بالأدْعاص أمَّا نهارُنـــا فصعْبٌ وأمَّا ليْلُنا فــرَكُــوبُ (1)
وإذْ نلْتقي خلْف الْعُيون كأنَّنـــا سُلافُ عُقارٍ بالنُّقَـــاخِ مَشُــوبُ(2)
وإنْ شهدتْ عينٌ صَفحْت وأعْرضتْ . إلى عيْنه الْعيْنُ الّتي ستغيــبُ(3)
يرى النَّاس أنَّا في الصدُود وتحْتــه مداخلُ تحْلوْلِي لنا وتطيــبُ(4)
فكدَّر ذاك الْعيْش بعْد صفائــه أحاديثُ قتَّـات لهُـنَّ دبيـبُ(5)
وسعْيِ وُشاة النَّاس بيْني وبيْنهــا بما ليْس فيه للْــوُشـاة نصيـبُ
ونظْرة عيْنٍ لمْ تُخالطْ عبــاءةً رأت مجْلسي فرْدًا وفيَّ عُــزُوبُ(6)

---

1) الأدعاص: جمع دعص بكسر الدال وسكون العين : كثيب الرمل. ومعنى « نهارنا صعب » أنه متعاص عن الغزل خشية الرقيب، شبه النهار بفرس صعب لايركب، ولذلك قابله بقوله «وأما ليلنا فركوب» وهو بفتح الراء أي ممكن من الركوب، ويجوز ضم الراء، أي فأمرنا ركوب، أي لأجل الزيارة، كقول حميد بن ثور:

ومطوية الأقراب أما نهارهــا فسير وأما ليلهــا فذميــل

2) النقاخ (بضم النون وبخاء معجمة) : الماء البارد، وقد عد هذا اللفظ من المتنافر المخل بكمال الفصاحة، والتشبيه هنا لشدة الاتصال في العناق ونحوه بامتزاج الماء والراح .

3) «صفحت»: أعرضت عن المحبوبة ووليتها صفحة وجهك كمادل عليه قوله بعده:

يرى الناس أنا في الصدود . . البيت .

4) أراد أن يظهر الصدود ليخفي حبه، وهذا معنى قديم، قال الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي أتعـــزل حذر العدى وبه الفؤاد موكـل
إني لأمنحك الصدود وإنني قسما اليك على الصدود لأميـل

5) القتات (بقاف وتاءين) هو النمام، و في الحديث «لا يدخل الجنة قتات». ووقع في نسخة الديوان بباء موحدة بعد القاف تحريفا.

6) معنى «لم تخالط عباءة» أن تلك العين لم تعتد أن تعلوها العباءة، إذ العباءة لبسة اللفيف من النساء، قالت ميسون بنت بحدل (بموحدة ومهملتين) بن أنيف الكلبية التي تزوجها معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، وهي أم يزيد:

للبس عبـاءة وتقـر عينـــي أحب الي من لبس الشفـــوف

أو أراد أنها لا تحتجب ببقية غطاء جسدها، بل تجعل لرأسها ووجهها خمارا وقناعا، لأن سود الملابس من شيم أهل الترف، قال جرير:

لم تتلفع بفضل مئزرهـــــا دعد ولم تسق دعد في العلـب

وقوله «فردا» حال من المضاف اليه، وهو ياء المتكلم، وصح مجيء الحال منه لأن المضاف كالجزء من المضاف اليه، كقوله تعالى «أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا». وكتب في الديوان « غروب » بغين معجمة وراء، والصواب أنه بعين مهملة وزاي، والعزوب: البعد.

فقالتْ: خلا بالنَّفس إذْ عيل صبرُهُ   يُشاوِرُها أيَّ الأُمُور تجُوبُ(1)
أصابتْ بظنٍّ سِرَّ ما في جوانحي   وما كُلُّ ظنِّ الْقائلين يُصيبُ
فأصْبحْتُ من «سُعْدى» قصيًا بحاجةٍ   أرى كبدي من حرِّها ستذُوبُ(2)
ونُبِّئْتُ نسْواناً عرضْن بحاجتي   عليْها فقالتْ: دُون ذاك شَعُوب(3)
تعذَّرَ مأتاهُ فما نستطيعُهُ   علَى قوْلِ منْ يغْتابُنا ويَعيبُ
سقى الله «سُعدى» من خليط مباعد   على أنّني فيما تُحِبُّ وهوب
عذيري من الْعذَّال لا يتْرُكُونني   بغمِّي، أما في الْعاذلين لبيبُ(4)
يقولُون: لوْ عزَّيْت قلْبك لارْعوى   فقُلْتُ: وهلْ للْعاشقين قُلُوب
يعدُّون لي قلْباً ولسْتُ بمُنْكرٍ   هواناً ولا يرْضى الْهوان أريبُ(5)
وما الْقلْب إلا للَّذي إنْ أهنْتهُ   بغى مشْرباً يصْفُو لهُ ويطيبُ
أقول لقلْب ليس لي غيْر أنّهُ   لما شئْتُ منْشوقٍ إليَّ جلُوبُ:(6)
ألا أيها الْقلْبُ الذي أدْبرتْ به   سُعادُ بني بكْرٍ ألسْتَ تُنيبُ
تُؤمِّلُ «سُعْدى» بعْدما شعَبَتْ بِها   نوًى بيْن أقْران الْخليط شَعُوب(7)

---

1) «خلا بالنفس» أي انفرد متفكرا في أمر نفسه، لأن الذي يخلو بشخص يريد أن يسر له بحديث أو مشورة. و«تجوب» السكك والمسافات، يقال: جاب البلاد إذا سار فيها، ورجل جواب آفاق.
2) قوله «فأصبحت» تفريع على قوله «رأت مجلسي»، وقوله «فقالت» أي فكان ذلك داعيا لها الى الهجر تدللا، إذ تحققت أنه معنى بحبها.
3) «شعوب» علم جنس للموت، اشتق لها من الشعب على وزن فعول بمعنى فاعل، والشعب: التفريق، لأن الموت يفرق بين الناس، ومن أجل كونه علما منقولا صح دخول اللام عليه، فيقال: الشعوب للمح الأصل (كما تقدم في شرح البيت 17 من الورقة 27).
4) رواه في الأغاني هكذا:

عذيري من العذال إذ يعذلونني   سفاها وما في العاذلين لبيب

5) قوله «يعدون لي قلبا» الخ دليل على الإنكار الذي تضمنه قوله «وهل للعاشقين قلوب»، أي كيف يعدون لي قلبا مع أني أتحمل الهوان ولا يرضى بالهوان عاقل، فذلك دليل على أني لا قلب لي.
6) أثبت أن له قلبا يخاطبه لكنه لا يملكه كما يملك الناس قلوبهم، وبذلك ظهر وجه الجمع بين إثبات القلب هنا ونفيه في الأبيات الثلاثة المتقدمة.
7) شعوب: هنا صفة لنوى، من أمثلة المبالغة، أي شديد التفريق، وليس هو شعوب الذي هو علم جنس للموت.

تُمنّيكَ «سُعْدى» كلَّ يومٍ بكذبةٍ جديدٍ ولا تُجْدي عليكَ كذوبُ(1)
إذا الناصح الأدْني دعاكَ بصوتِه : «دعِ الجهلَ» لمْ تسمعْ وأنتَ كئيبُ(2)
تمنّى هوى «سُعْدى» مُشيدًا لحبِّها كأنْ لا ترى أنَّ المفارقَ شِيبُ

* * *

وقال أيضاً (*)

ألا حيِّ ذَا البيتَ الذي لستُ ناظرًا إلَى أهْلِهِ إلاَّ بكَيْتُ إلى صَحْبي
أزورُ سواهُ والهوَى عندَ أهْلِهِ إذا ما استخفَّتْني تَباريحُ مِنْ حُبّي(3)
وإنْ نَالَ منّيَ الشّوْقُ واجهْتُ بَابَهَا بإنسانِ عينٍ ما يُفيقُ من السَّكْبِ
كما ينظُرُ الصَّادي أطال بمنْهلٍ فحلأهُ الوُرَّادُ عن باردٍ عَذْبِ(4)
تَصُدُّ إذا ما النّاسُ كانتْ عيونُهم عَليْنَا وكُنَّا للمُشيرِينَ كَالنَّصْبِ(5)
علَى مُضْمَرٍ بيْنَ الحَشَا من حَديثِنَا مَخافَةَ أنْ تَسْعَى بنا جارةُ الجَنْبِ(6)

---

1) «جديد» وصف لكذبة، وجرده من تاء التأنيث لأنه بمعنى مجددة، وفعيل بمعنى مفعول، إذا جرى على موصوف يلازم التذكير، وقد يقولون: جبة جديدة، على معاملة جديد معاملة الصفة المشبهة.

2) «دع الجهل» مقول «دعاك» لتضمنه معنى القول. و «لم تسمع» جواب إذا.

*) وقال أيضا في النسيب بعبلة، والقصيدة من بحر الطويل.

3) تقدم معنى ذلك في البيت التاسع عشر من الورقة 30.

4) الصادي: العطشان، وقوله «أطال» صفة، أي الذي أطال المكث على المنهل ينتظر الورود. وقوله «فحلأه» مضاعف، حلأه عن الماء تحليئا وتحلئة بالهمز بمعنى طرده ومنعه، وقد استعمله مضاعفا كما استعمله النابغة في قوله:

ليهنىء لكم أن قد نفيتم بيوتنا مندى عبيدان المحلىء باقره

أشار النابغة الى قصة قديمة، وذلك أن بني سود بن عاد كان منهم رجل وهو أعز قوم عاد، وكان له بقر وله راع اسمه عبيدان، فكان عبيدان يسقي فلا يزاحمه أحد، فلما كبر لقمان ابن عاد صار أعز قومه فصار يحلىء عبيدان، أي يمنعه من الماء، فضرب مثلا لكل من كان قريبا فبعد، والباقر: اسم جمع لبقرة.

5) «النصب» ما نصب، فالناس يشيرون اليه و يتوجهون.

6) «جارة الجنب»: الجارة القريبة، كقوله تعالى «والصاحب بالجنب».

يُفَنِّدُنِي «عبدُ العزيزِ» بأنَّني صَبَوْتُ إلَى «الذَّلْفاءِ» حين صَبَا تربي(1)
وما ذَنْبُ مَقْدُورٍ عليهِ شقاؤهُ من الْحُبِّ عند الله في سَابِقِ الْكُتْبِ
لقدْ أُعْجِبَتْ نفْسي بها فتبدَّلتْ فَيَا جهْدَ نفْسي قَادَهَا للشَّقا عُجْبي
وإني لأَخْشَى أنْ تَقُودَ مَنِيَّتي مَوَدَّتُها، والْخَطْبُ يَنْمي إلَى الْخَطْبِ
إذَا قُلتُ يَصفو من «عبيدةَ» مَشْربٌ لحرَّانَ صاد كَدَّرتْ في غَد شربي
وَقَدْ كُنْتُ ذَا لُبٍّ صَحيحٍ فَأَصْبَحَتْ «عُبَيْدَةُ» بالْهِجْرَان قَدْ أَمْرَضَتْ لُبِّي
وَلَسْت بأحْيَا من «جَميلِ بن مَعْمَرٍ» و«عُرْوَةَ» إنْ لَمْ يَشْفِ مِنْ حُبِّهَا رَبِّي(2)
تَعُدُّ قَليلاً ما لَقِيتُ من الْهَوَى وحَسْبي بِمَا لاَقَيْتُ من حُبِّهَا حَسْبي
إذَا عَلِمَتْ شَوْقِي إلَيْهَا تَثَاقَلَتْ تَثَاقُلَ أُخْرَى بَانَ مِنْ شِعْبِهَا شِعْبي(3)

---

1) قوله «حين صبا تربي» كذا في الديوان، ولعله «حين صحا تربي». و«عبد العزيز» لم أقف على مراده.

2) جميل بن معمر بن عبدالله العذري، ويقال: جميل بن عبدالله بن معمر، صاحب بثينة، أحد عشاق العرب من شعراء صدر الدولة الأموية، عشق بثينة و هما غلامان فلما كبر خطبها، فرد عنها، فقال فيها شعرا، ولم يزل مشغوفا بها حتى مات بحبها في مصر، وقدم مصر على عبدالعزيز بن مروان فما أقام قليلا حتى مات هناك في سنة اثنتين وثمانين.

وأما عروة فهو عروة بن حزام (بحاء مهملة مكسورة فزاي) بن مهاصر العذري، شاعر إسلامي، أحد المتيمين اللذين قتلهم العشق، عشق عفراء ابنة عمه عقال ابن مهاصر، وكانا نشآ معا غلامين حتى شبا، وكانت جميلة ظريفة، فلما بلغ مبلغ الرجال خطب عمه في عفراء، فوعده خيرا، ولكن أم عفراء أبت أن تزوجها إلا من ذي مال، فزوجوها رجلا من أنساب بني أمية نزل بين أهل عفراء وارتحل بها الى الشام لعله يرى عفراء ونزل ضيفا ببيت زوج عفراء، وأخبرت عفراء زوجها بشأنه فلم ير زوج عفراء بأسا في مقامه معهما، ولكن عروة كره أن يبقى معهما، فخرج راجعا الى أهله ومرض قريبا من ذلك، وتوفي في خلافة معاوية، وكان من شأن عروة أنه منذ علم بترويج عفراء لم يزل كئيبا حزينا حتى هلك في محبتها، وقصته طويلة في كتاب الأغاني وغيره، وله فيها شعر كثير.

وأما قول بشار «فلست بأحيا» فهو تفضيل من حيي، وأراد بالتفضيل طوال الزمان، أي لست باقيا أكثر من بقائهما، أي أني هالك بحب عبدة كما هلكا.

3) «الشعب» هنا ينبغي أن يكون بكسر الشين، وهو ما انفرج منخفضا بين قطعتي الجبل يسيل فيه الماء، أي بعد مسلكي من مسلكها، و ليس المراد بأن قومها من قومي ولا بانت محبتها من محبتي، بل المراد الكناية عن التخالف وعدم الوفاق. وقوله «أخرى» أي امرأة غيرها لا محبة بيني وبينها ولا يقصد امرأة معينة.

فَلَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهَا عَذَرْتُهَا بِهَجْرِي وَلَكِنْ قَلَّ فِي حُبِّهَا ذَنْبِي
وَقَدْ مَنَعَتْ مِنِّي زِيَارَتَهَا الَّتِي إِذَا كُرِبَتْ نَفْسِي شَفَيْتُ بِهَا كَرْبِي(1)
فَأَصْبَحْتُ مُشْتَاقاً أُكَفْكِفُ عَبْرَةً كَذِي الْعَتْبِ مَهْجُوراً وَلَيْسَ بِذِي عَتْبِ(2)
كَأَنَّ فُؤَادِي حِينَ يَذْكُرُ بَيْنَهَا مَرِيضٌ وَمَا بِي مِن سَقَامٍ وَلاَ طِبِّ(3)
أُحَاذِرُ بُعْدَ الدَّارِ وَالْقُرْبُ شَاعِفٌ فَلاَ أَنَا مَغْبُوطٌ بِبُعْدٍ وَلاَ قُرْبِ(4)

* * *

وقال أيضاً(*):

يَا صَاحِ دَعْنِي فَإِنَّنِي نَصِبُ حُبِّي «سُلَيْمَى» وَتَرْكُهَا عَجَبُ
جَانَبْتُ شَيْئاً أُحِبُّ رُؤْيَتَهُ لِلَّهِ دَرِّي أَهْوَى وَأَجْتَنِبُ (5)
هَجَرْتُ بَيْتَ الْحَبِيبِ مِنْ حَذَرِ الْعَيْنِ وَنَفْسِي إِلَيْهِ تَضْطَرِبُ

---

1) «كربت» يجوز فيه ضم الكاف وكسر الراء، من قولهم: رجل مكروب، أي كربه الهم، وهو ما اقتصر عليه صاحب القاموس، ويجوز فتح الكاف وكسر الراء أيضا، يقال: كرب الرجل كسمع إذا أصابه الكرب والتعب.

2) العتب: اللوم، فقوله «كذي العتب مهجورا وليس بذي عتب» يريد به نفسه.

3) الطب: السحر، ويقال للمسحور: مطبوب.

4) «شاعف» بعين مهملة أي مغش على قلبي، والجملة حالية لقصد التعجب، أي أحاذر البعد مع أن القرب متعب للقلب، وبذلك ظهر وجه التفريع في المصراع الثاني، وشعاف القلب لغة في الشغاف.

*) وقال أيضا في النسيب بسلمى، وهي جارية كان يحبها بشار، كانت تسكن الروحاء بجوار بشار، فوهبها سيدها لصاحب له يقال له واهب من أهل الشام، ففارقت جوار بشار، وسيأتي ذكرها في الورقة 45 مرتين، وهي غير سليمى التي تزوجت عثمان التي سيذكرها في ورقة 119. والقصيدة من بحر السريع وعروضها وضربها مخبول مكشوف.

5) قوله «لله دري» تعجب، وأصله أن الناقة إذا كثر لبنها قالوا: لله درها خشية عليها من العين، ثم نقل هذا التركيب الى مطلق التعجب من شيء. ويتغير ضميره بحسب المتعجب منه؛ وقيل أرادوا منه نسبة اللبن الذي غذي به المتعجب منه الى الله، كقولهم: لله أبوه، وقد ينشأ من التعجب المدح والثناء بحسب القرينة، والتعجب هنا من شدة عزمه وثباته أن يجمع بين الحب واجتناب المحبوب بدليل البيت بعده.

أَرَاقِبُ النفْسَ فِي الْحَيَاةِ وَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنِّي بِتَرْكِهَا عَطِبُ(1)
واللهِ مَالِي مِنْهَا إِذَا ذُكِرَتْ إِلَّا اسْتِنَانُ الدُّمُوعِ والطَّرَبُ(2)
زَادَتْ عَلَى النَّاسِ فِي الْجَفَاءِ وَقَدْ تَعْلَمُ أَنِّي بِحُبِّهَا نَشِبُ (3)
تنأى فتسْلَى وإِنْ دَنَتْ بَخِلَتْ سِيَّانِ بُعْدُ الْبَخِيلِ وَالْقُرُبُ(4)
يا كاهِنَ الْمِصْرِ هلْ تُحَدِّثُنِي: ما بالُ قَلْبِي بِذِكْرِهَا نَخِبُ(5)
إِنْ كان سِحْرًا دعوتُ راقِيَةً أَوْ كانَ سُقْماً فَحَسْبِيَ الْوَصَبُ(6)
إِنِّي ومنْ لبَّتْ الرِّفَاقُ لهُ شُعْثاً أَسارِيبَ خلْفَهَا سُرَبُ (7)
ما جِئْتُ «سلْمى» طوْعاً لتجْعَلَنِي ذِبْحاً ولكنْ أَطاعَنِي النُّجُبُ(8)

---

1) «أراقب النفس في الحياة» أي: أراعي حق نفسي في أن تبقى حية، وضمير «بتركها» عائد الى الزيادة المستفادة من قوله «هجرت دار الحبيب».

2) «استنان الدموع» (بسين مهملة): صبها، لأن السن (بالمهملة) هو الصب السهل، وبالمعجمة: النضح، والطرب: اضطراب النفس.

3) نشب: متعلق.

4) أي تنساه إذا نأت وتبخل عنه إذا قربت، فالبعد والقرب سواء في معاملتها إياه، وكتب «بعد الخليل» وصوابه: «بعد البخيل» وهذا كقوله فيما يأتي:

إن البخيل بعيد غير مقروب

وقوله «فتسلى» بفتح اللام مضارع «سلي» كرضي مرادف سلا كدعا.

5) الكاهن الذي يزعم أنه يتطلع على الأمور المغيبة يخبره بها شيطانه المسمى رئيًّا، والمصر البصرة و«نخب» (بنون فخاء معجمة مكسورة) جبان ضعيف.

6) جعل راقية السحر أنثى جريا على ما هو شائع عند العرب أن السحر تعالجه النساء، فهذا مثل التأنيث في قوله تعالى «ومن شر النفاثات في العقد».

7) الأساريب: جمع أسراب الذي هو جمع سرب، وهو الجماعة من الناس، والسرب: جمع سربة بمعنى سرب، وقيل يختص السرب بجماعات العجماوات، ولم يسمع في جماعة الرجال إلا رجز العجاج:

وربّ أسراب حجيج كُظَّم عن اللّغا ورَفَثِ التكلُّم

وبيت بشار هنا موافق للعجاج.

8) أطاعني أي جعلني طائعا، وكتب في الديوان «النجب» بنون فجيم، وهو جمع نجيب، ولا يظهر له معنى، فلعله بنون فحاء مهملة مفتوحة، جمع نُحبة بوزن غرفة، بمعنى القرعة، أي طوعني الى المجيء اليها البخت والمصادفة، كقول النابغة:

فريع قلبي وكانت نظرة عرضت يوما وتوفيق أقدار لأقدار

فرَّغتُ قلْبِي لها لتسكُنَــــهُ حيناً فَأَمْسَى فيه لَهَا شُعَب

وقائلٍ: «خلِّها» وقدْ عَقَــدَتْ نَفْسِي إلى نَفْسِها فلَا هَرَبُ

الآنَ إذْ قَامَت الرُّوَاةُ بنـــا وإذْ تغنَّتْ بحبِّنا العربُ (1)

أصْرِفُ نفْسي عنْها وقدْ غلقتْ هَيْهَاتَ ...... دَوِيَّةٌ أشبُ (2)

يا «سَلْمَ» هلْ تذْكُرين مَجْلسَنَا أيَّام رأسي كأنَّهُ عِنَبُ (3)

إذْ نحنُ بِالْميثِ لا ترى أحداً يُزْرِي وإذْ شأنُنا به اللَّعِبُ(4)

يا «سَلْمَ» جُودي بما رأيْت لنا ما عنْد أخرى سواك لي أربُ (5)

وصاحِب ضامنِي وضمْتُ لهُ نَفْسِي ليَرْضَى فَرَاحَ يلْتهبُ(6)

وَافَقَ ظُلْمي حُلْواً فأعْجبهُ والظُّلْمُ حُلْوٌ كأنَّهُ جَرَبُ(7)

أعْرَضْتُ عنْهُ وَالحِلْمُ منْ خُلُقِي وليْس منِّي التَّثْريبُ والصَّخبُ

يا «سَلْمَ» أنْتِ الْهَوَى إذَا شَهِدَالنَّـ ـاسُ وأنْتِ الْهَوَى إذَا ذَهبُوا

عُودي على سقْطةٍ جَهِلْتُ بها ما كُلُّ ذنْبٍ فيه الْفتى يثِبُ(8)

---

1) الرواة جمع راو، أي رواة الشعر، والمراد أن حبه اشتهر فروى شعره الرواة وتغنى به المغنون، وقوله «ألآن» ظرف دخلت عليه همزة الاستفهام، والظرف متعلق بقوله «أصرف» في البيت بعده.

2) غلقت: أي تعذر فكاكها، من «غلق الرهن» اذا استحقه المرتهن لعدم وفاء الراهن.
والدوية: الفلاة، وأشب: مختلط، يقال: أشب الشجر (كفرح) فهو أشب، اذا التف، ويجوز فتح الشين. وفي البيت بياض بقدر كلمة بعد كلمة «هيهات».

3) أي كأنه عنب أسود، ولعله كان أكثر عنب بلدهم. كما تقدم في البيت الخامس عشر من الورقة 7.

4) «الميث»: بكسر الميم جمع ميثاء، وهي الرملة اللينة.

5) «بما رأيت» أي بما يبدو لك.

6) أراد التعريض بها، أي رب صاحب ضامني... الخ.

7) أراد أن ظلم الصاحب العاذل حلو لدى العاشق، وفيه ضر كحلاوة حكة الجرب.

8) «السقطة»: الغلطة والفعلة الذميمة، «وعلى» بمعنى مع، ويثب: يغضب للخصومة، وهذا في معنى قول بشار:

إذا كنت في كل الذنوب معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

و«عودي» أمر من العود وهو الرجوع، اغفري لي هذه السقطة. والمراد بالسقطة الإعراض الذي حكاه في قوله من قبل «أعرضت...» الخ. وأما قوله «يثب» أي ينهض مغضبا.

ظَلَمْتِنِي والْهوى مُقَارَضَةٌ كَيْلاً بكَيْلٍ فكَيْفَ تَصْطَحِبُ(1)
لا تَأْمَنِي أن تَجُورَ مَظْلَمَةٌ بِرَبِّها والزَّمانُ يَنْقَلِبُ (2)
فارْضَيْ بأشْباه ما عَمِلْتِ بِنَا لِكُلِّ نفس من كَفِّها حلبُ

* * *

وقال أيضاً(*) :

مَنَعَ النَّوْمَ طارقٌ من «حُبابَهْ» وهُمُومٌ تجُول تحْت الرِّهابَهْ(3)
جلستْ فيِ الحشا إلى ثُغْرة النَّحْرِ بشوْقٍ كأنَّهُ نُشَّابَهْ
ولقدْ قُلْتُ إذْ تلوَّى بيَ الحُبُّ وفوْقي من الْهوى كالضَّبابهْ
إن قلْبي يشُك فيما تُمَنِّينِي ونفْسي حزينةٌ مُرتابَهْ
فأذَنِي لي أزُرْكِ أوْ سكِّنينيِ بانْتِيَابٍ لاَ شَيْءَ بَعْدَ انْتِيابهْ(4)
لاَ تَكُونِي كَمَنْ يقُولُ ولا يُوفي، كذاكَ الْمَلاَّقَةُ الخلاَّبهْ
كيْف صبْري عُوفيتِ ممَّا ألاقِي بيْن نار الْهوى وغمِّ الصَّبابهْ
ليْت شعْري تبْكين إنْ مُتُّ من حُبِّك أو تضْحكيِن يا خشَّابهْ(5)
إننيِ والْمقامِ والْحَجَرِ الأسْوَدِ والْبَيْتِ مُشْرِفاً كالسَّحَابَهْ

---

1) أي أنت ظلمتني من قبل، فكانت سقطتي معك جزاء عن ظلمك، لأن أحوال المحبين كالسلف مثلا بمثل، فلا يكون جزاء الجهل الفراق بل جهلا مثله، كما قال الآخر:

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا فما الذي أوجب جرح الصدور

2) قوله «أن تجور مظلمة بربها» هو في التركيب كقول السموأل :

ارفع ضعيفك لايجر بك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نما

*) وقال أيضا في النسيب بحبابة، وهي حبى العامرية وسماها في البيت 2 من الورقة 98 حباء بالمد، وهي أيضا خاتم الملك، وسيذكرها في الورقة 98. وفي الورقة 108 وورقة 257. والقصيدة من بحر الخفيف.

3) الرهابة كسحابة: عظم الصدر المشرف على البطن، وجمعها: رهاب كسحاب.

4) انتيابة: مرة من الانتياب، وهو الزيارة عقب الزيارة، أراد: أو كرري زيارتي.

5) «الخشابة» مبالغة من خشبه يخشبه إذا خلطه، والمعنى أنها لخفة شبابها وطيش دلالها تختلط أحوالها فربما أحبت وربما كرهت. فلذلك تردده في حالها.

أشتهي أن أُدَسّ قَبْلَكِ في التُّـرْ ب لِكَيْ تُصْبحِـي بِنَا كَالْمُصَابَهْ(1)
وَعَسَى ذَاكَ أنْ يَحِيـنَ فتبكِـي لا تقُـولي بُعْدًا لمنْ فِي الْغِيابهْ(2)

* * *

وقال أيضـاً(*) :

يا «طَيْبَ» سِيَّان عنْدي أنت والطِّيبُ كلاكُما طِيبُ الأنْفـاس محْبُـوبُ
لوْ قدْ لقيتُك خَلْفَ الْعيْن خاليةً أصْلحْت منِّي الذي لايُصْلِحُ الطِّيبُ(3)
لوْ كُنْتِ غَيْرَ فتاة كُنْت لُؤْلؤةً غالَى بهـا مَلِكٌ بالتّـاج معْصُـوبُ
يا «طَيْبَ» جُودي بِنَيْلٍ منْكِ نأملُهُ وأطْمعِينَـا فما في مَطْمَعٍ حُـوبُ(4)
لله «طيْبَةُ» لا تُبْقِي علَى رَجُـلٍ بِقَلْبِـهِ هَاجِسٌ كالنّـار مشْبُـوبُ
أسـاورُ الْهمَّ تحْتَ اللَّيْـل مُجْتنحـاً
قدْ شفّني قمـرٌ في السِّتر مَحْجُـوبُ(5)

---

1) «أدس» أي أدفن، قال تعالى «أم يدسه في التراب». كتب في الديوان «لنا»، وصوابه «بنا»: وقوله «كالمصابة»، بمعنى أن قساوة قلبها عليه في حياته جعلته لايثق بأنها تكون مصابة بوفاته، بل غايتها أنها تقارب المصابة.

2) كتب: «إن أجن» ولا معنى له، وصوابه «أن يحين» أي وعسى أن يحين دسي في التراب، و«الغيابة» بغين معجمة مفتوحة ما يستر الشيء عن النظـر، وأكثـر مايستعمل في الساتر المنخفض كغيابة الجب، وغيابة الوادي، واراد به هنا القبر. ووقع في نسخة الديوان بعين مهملة، ولا يستقيم له معنى.

*) وقال أيضا في التسيب بمن اسمها طيبة بفتح الطاء، وقد نسب بها أيضا في ورقة 38. وطيبة اسم عربي.
والقصيدة من بحر البسيط.

3) العين: الرقيب، وخلف: هنا بمعنى في غيبته.

4) الحوب: الإثم.

5) «مجتنحا» اي ساهرا جنح الليل، بكسر الجيم وسكون النون، أي طائفة منه بعد طائفة.
وكتب في الديوان «قمر في السر». وصوابه «في الستر».
من معـاني «السر» مـا يناسب حجر القمر. فهـو مستهل الشهر أو آخره كالسرار والسرر، ويقال: استسر الهلال في آخره الشهر، اذا استتر، وبهذا التوجيه يصح ما في المخطوطة.

يغشاني الموتُ من وجدٍ بها ديَماً ... والشَّوْقُ تأخُذُني منهُ أهاضيبُ(1)
للقلب راعٍ إليها لا يفارقُهُ ... وفي الضَّمير من الحُبِّ الأعاجيبُ
لَهْفَانَ قدْ يَشْتَهي رَوْحاً يعيشُ به ... بادي الصَّبابة، والهجرانُ تعذيبُ(2)

* * *

وقال أيضاً(*) :

يا طيبَ «عَبْدَةَ» ويلي منكَ يا طيبي ... قَطَّعْتَ قلبي بشوقٍ غيْرَ تَعْتيبِ(3)
قُلْ للَّتي نفسُها نَفْسي وما شعرتْ ... منّي عليَّ بنومٍ منك موهوب
إنَّ الرَّسول الَّذي أرسلْت غادرني ... بغُلَّة مثل حرِّ النَّار مشبوب
أُساورُ الليلَ تحت الهمِّ مُجْتنحاً ... منْ طُول صفحك عنّي في أعاجيب(4)
كأنَّ بي منك طَبّاً لا يُفارقُني ... وإنْ غدوتُ صحيحاً غيرَ مطبوب(5)

---

1) الديم: جمع ديمة، وهي فعلة من دام يدوم؛ وفي الحديث «كان يحب من العمل ما كان ديمة». والأهاضيب: جمع هضاب الذي هو جمع هضبة وهي الجبل الطويل، وأراد هنا الكثرة. يظهر لنا في لفظتي الديم والأهاضيب توجيه آخر، فالديم هنا جمع ديمة، وهي المطرة تدوم؛ والأهاضيب جمع أهضوبة أو هضاب التي هي جمع هضبة، ومعناها المطرة الدائمة العظيمة. فمفاد البيت أن «بشارا» قد تغشاه من الموت بسبب الوجد أمثال المطر الدائم، وأخذه من الشوق أمثال المطر الدائم أيضا.

2) المراد بالروح — هنا — الراحة من عذاب الهجران.

*) وقال في النسيب بعبدة. وذكر أنها أرسلت اليه طيبا مع رسولها. والقصيدة من بحر البسيط.

3) كتب في الديوان « . . . . يا طيب » بموحدة في آخره، فاقتضى أن تكون الباء مضمومة، لأنه منادى مقصود؛ وحينئذ يفوت التصريع في اول القصيدة، وذلك قبيح، فالصواب أن يكتب بموحدة بعدها تحتية على أنه إضافة الى نفسه، لأن عبدة أهدته إياه، فصار طيبه، وبذلك يتم التصريع.

ووقعت كلمة «تعتب» في الديوان غير منقوطة الحروف والأظهر أنها تعتيب، والتعتيب تواصف الموجدة، أي أقول قطعت قلبي غير معاتب لك.

4) الصفح (بفتح الصاد): الإعراض: قال تعالى «أفنضرب عنكم الذكر صفحا». و«مجتنحا» تقدم في القصيدة السابقة.

5) انظر البيت 10 من الورقة 32.

لقدْ ذَكرتُكِ والْفَوْقَانُ يأخُذُنــي وما نسيتُكِ بيْن الْكأْس والْكُــوب(1)
وقائلٍ إذْ رأى شوْقي وصفْحكُمُ : دعْها فَمَالَكَ منْهــا غيْــرُ تنْصيب
لا شيْءَ أبْعد ممــا لَسْتَ نَائلَهُ إنَّ الْبخيلِ بعيــدٌ غيْرُ مقْــرُوب
فَقُلْتُ : كلَّا سيجْزي منْ لهُ كرمٌ شوْقــاً بشوْقٍ وتقْريباً بتقْــريــب
يهْزُنِي النَّاسُ منْ واشٍ ومُنْتصِحٍ واللَّيْثُ يفْرُسُ بيْن الْكَلْب والذِّيب(2)
لاخيْرَ في الْعيْش إنْ لمْ تُقْضَ حاجتُنا ممَّا نُحبُّ علَى رغْــم الأَقاريــب

---

1) «الفوقان» أراد به الفواق (كغراب) اسم ريح تعترض في الصدر لها صوت تكون عند الاحتضار او من شدة المرض، لأنه هو المناسب من معاني هاته المادة لبيت بشار، الا أنه لم ينقل بوزن فعلان، فلعله أراد أن يشتق منه وزن فعلان مصدرا دالا على الاضطراب كالغليان، وسكنه للضرورة، فتأمل. والكأس والكوب كلاهما إناء للخمر، فالكأس: إناء واسع الفم مستطيل له عروة، والكوب: اناء ضيق الفم لا عروة له ولا خرطوم.

وأراد بالبيت أنه يذكرها في حالتي الشدة والرخاء، وهما حالتان لذكرى الحبيب، ومذكرات الحبيب نوعان:

أحدهما: مشابهاته وملابساته كنسيم جهته وبرقها وأطلال منازله، قال أبو الطيب:

ولقد ذكرتك والظــلام كأنــه يوم النوى وفؤاد من لم يعشــق

الثاني: مهيجات سواكن النفس، فإن النفس عند انتقالها من حالها المعتاد الى حالة تأثر غير معتاد تتذكر أعز شيء عليها، فمن ذلك تذكر الأحبة بالحوادث المزعجة، كقول عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

وقال ابن رَشيق القيرواني:

ولقد ذكرتك في السفينة والردى متوقع بتلاطم الأمواج

. . . الابيات الثلاثة

وقول أبى عطاء السندي:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقفة السمر

ومن الذكر في حال الرخاء بيت بشار هذا وقول الصفدي:

ذكرتمو وكاسات الندامى تدور على بدور مثل شمس
وأضواء الشموع نجوم أفق قضت بالأنس فيه لكل نفس
وأصوات المثالث والمثاني علت ولها خفضنا كل حس
فنغص كل ما أنافيه ذكري لكم فمضى السرور وغاب أنسي

2) قوله: «والليث يفرس» يريد أن ضعيفين يغلبان قويا، وأراد إظهار ثباته على حبها في حالة يتغير فيها غالب الناس. وكتب في الديوان «يهزني» بالزاي، ولعله «يهرني» بالراء.

يزيدُ في الدّاء منْ تُقْلَى وِبَارَتُـهُ ... إذا الْتقيْنا، وشَاف كُلُّ محْبُوب(1)

يا «عبْدُ» حتّام لا ألْقاكِ خاليـةً ... ولا أنــامُ لقدْ طوّلْت تعْـذيبـي

أهْديْتِ لي الطِّيبَ في ريْحانِ ساحرةٍ ... يا «عبْدَ» ريقُكِ أشْهى لي مـن الطِّيب

أهْدي لنا شرْبةً منْهُ نعيشُ بهـا ... إنْ كُنْتِ مُهْديةً رَوْحاً لمكْـرُوب

إنَّ الْبغيض إليْنـا لا نُطالبُـهُ ... ذاك الْهوى، وحبيبٌ كُلُّ مطْلُـوب

أمّا النساءُ فَإنّي لا أعيجُ بهـا ... قدْ صُمْتُ عنْها بنحْبٍ منْكِ منْحُوب(2)

أنْتِ التي تشْتفي عيْني برؤْيتهـا ... وهُنَّ عنْدي كـمـاءٍ غير مشْـرُوب

وفي الْمُحبّين صبٌّ لا شفاءَ لهُ ... دُون الرِّضي بيْن مـرْشُوفٍ ومصْبُـوب

إني وإنْ كُنْتُ حمّالاً أجاورُهُ ... صرّامَ حبْلِ التّمنّي بالأكاذيبِ(3)

لا يخْرُجُ الْحمْدُ منّي قَبْلَ تجْربةٍ ... ولا أكُونُ أجاجـاً بعْد تَجْـريبِ

* * *

وقـال أيضـاً(*):

يَـا خَليلاً نبا بِنَا في الْمشيب ... لمْ يُعرِّجْ علَى مشار الطَّبيـب (4)

---

1) قوله: «إذا التقينا» ظرف متعلق بيزيد، وقوله: «وشاف» مبتدأ، والجملة عطف على جملة «يزيد في الداء».

2) لا أعيج، أي لا أنتفع بها، يقال: ما عاج فلان بالدواء، أي لم ينتفع به، وما عاج بالماء: لم يرو، وهذا هو المناسب لقوله قبله: أهدي لنا شربة منه نعيش بها

وقوله بعد: وهن عندي كماء غير مشـروب

ويجوز أن معناه لا أعبأ بها، من قولهم: ما أعيج به: ما أعبأ به: وروي قول النابغة:

فما رأيت بها شيئا أعيج بــه ... الا الثمام والا موقد النـار

وهو من الأفعال التي لا تستعمل في كلامهم الا منفية أو في سياق نفي. والنحب: الحاجة، والمنحوب: المحصل.

3) «حمالا» مفعول لفعل محذوف يفسره «أجاوره» المشتغل عنه بضميره، والظاهر أن الحمال عندهم مثل في الكذب والخساسة، ولذلك فقوله «صرام» ينبغي أن يكون منصوبا نعتا لحمالا، ولم يضبطه في الديوان، وقوله «لا يخرج الحمد» في البيت بعده هو خبر «إن»، فتأمل.

*) وقال أيضا في سعدى المالكية. والقصيدة من الخفيف.

4) مشار الطبيب، أي إشارة العليم، فإن الطبيب بمعنى الخبير المجرب، قال عبدة بن الطبيب:

فان تسألوني بالنساء فإنني ... خبير بأدواء النساء طبيـب

لَيْسَ مَنْ قَابَلَ الأُمُورَ وحِيداً بِحَلِيمٍ فِيهَا ولا بِمُصِيبِ
إنَّ الْبَغِيضَ إلَيْنَا لا نُطَالِبُهُ يَتَجلَّى عَنْ بَاطِلٍ مَكْذُوبِ(1)
فَاسْتَشِرْ نَاصِحاً أرِيباً فَإنَّ الْـ حَظَّ فِي طَاعَةِ النَّصِيحِ الأَرِيبِ
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى أطَاعَ أخَاهُ ومُطِيعُ النِّسَاءِ غَيْرُ مُصِيبِ
وكَعَابٍ مِنْ آلِ «سَعْدِ بنِ بَكْرٍ» رَعَمَتْنِي جُفُونُهَا فِي الْمَغِيبِ(2)
وتَقُولُ: اتَّقَيْتَ فِينَا أُنَاساً لَمْ أكُنْ أتَّقِيهِمُ فِي الْعُرُوبِ(3)
لا ومَنْ سَبَّحَ الْحَجِيجُ لَهُ مَا كَانَ ظَنِّي اتِّقَاءَ عَيْنِ الرَّقِيبِ(4)
غَيْرَ أنَّ الإمَامَ أمْسَكَنِي عَنْكِ فَقُولِي فِي ذَنْبِهِ لا ذُنُوبِي(5)
إنَّ قَلْبِي مِثْلُ الْجَنَاحِ إلَى مَنْ بَاتَ يَدْعُو وأنْتَ غَيْرُ مُجِيبِ(6)
لَوْ يَطِيرُ الْفَتَى لَطِرْتُ مِنَ الشَّوْ قِ مُنِيباً إلَى الْحَبِيبِ الْمُنِيبِ
لَوْ أُلاقِي مَنْ يَحْمِلُ الشَّوْقَ عَنِّي رُحْتُ بَيْنَ الصَّبَا وبَيْنَ الْجَنُوبِ
فَبَكَتْ بَكْيَةَ الْحَزِينِ وَقَالَتْ: كُلُّ عَيْشٍ مُوَدِّعٌ عَنْ قَرِيبِ(7)
كُنْتَ ـ نَفْسِي الْفِدَا ـ فَبِنْتَ فَقِيداً ارْعَ وُدِّي ـ نَعِمْتَ ـ غَيْرَ مُرِيبِ(8)

---

1 المصراع الأول وقع هنا غلطا بدلا من مصراع آخر سقط إذ هذا المصراع من القصيدة السابقة عدد 4 من هذه الورقة، وهو من بحر البسيط، وهذه القصيدة من بحر الخفيف.

2) سعد بن بكر قبيلة من هوازن تقدم ذكرها في الورقة 30، ورعم (بعين مهملة، كمنع): رقب الشمس وقت مغيبها . وحق البيت أن يقول : وعمتها جفوننا .
وربما كان تحريفا عن « زعمتني جفوتها في المغيب » أي ادعت أني كنت لها جافيا لما غابت عني .

3) « اتقيت فينا أناسا » أي اتقيت في زيارتنا . وكتب في الديوان «العروب» براء، ولعله تحريف «العزوب» بالزاي، أي المغيب.

4) كتب في الديوان « لنا » وصوابه « له » أي لله.

5) أراد بالإمام : المهدي الخليفة العباسي.

6) الخطاب في قوله « وأنت » لنفسه.

7) قوله «كل عيش ..» الى منتهى القصيدة هو مقول قولها.

8) « نفسي الفدا » جملة معترضة . وحذف متعلق الفدا لوضوحه ، أي الفدا لك. وحذف خبر «كنت» لدلالة قوله « فبنت» عليه، أي كنت قريبا.

لوْ سألْتَ الْعُلاَّمَ عنّي لقالُوا: تُبْ إلَى اللهِ منْ جَفاءِ الْحبيبِ(1)
غلبتْني نفسي عليْك وإنْ كُنْتَ مَسَّاكاً في ظِلِّ مُلْكٍ قَشيبِ(2)
كيْف أرْجُو يوْماً كيوْمي على الرَّ سِّ وأيّامنا بحقْفِ الْكَثيبِ
إذ نسُوقُ الْمُنى ونغْتبِقُ الرّا حَ ويأتي الْهوى علَى تغْييبِ(3)
قدْ رَانا مثْلَ الْيديْنِ تَلَقّى هذه هذه بوُدٍّ وطيبِ(4)
نتعاطى جيداً وتَلْمسُ حُقًّا حينَ نخْلُو نَراهُما غيْرَ حُوبِ(5)
فَانْقَضَى ذَلِكَ الزَّمانُ وأبْقَى زَمَناً رَاعَنَا بأمْرٍ عَجيبِ
فعليْك السَّلامُ خيَّمْتَ في الْمُلْكِ وغُودِرْتُ كالْمُصابِ الْغريبِ(6)

* * *

وقال أيضاً(*):

أعَاذِلَ إن لومَكِ في تبابِ وإنَّ الْمرْءَ يلْعبُ في الشَّبابِ
أعاذِلَ لا أسُرّكِ في «سُليْمى» ولا أعْفيكِ منْ عَجَبِ التَّصابي

---

1) كتب في الديوان «الغلام» بغين معجمة، والظاهر أنه بعين مهملة وتشديد اللام، أي لو سألت الذين يعلمون حبي لك لفندوا وهمك أني أجفوك.

2) المساك (كسحاب): البخل، وصفه بالمصدر، أي: وإن كنت مسّيكا. وقوله: في ظل ملك قشيب، أي في جوار الخليفة المهدي، وهذا من تشوق الحبيبة اليه.

3) «نغتبق الراح»: نشربها في العشي. والتغييب: الإبعاد.

4) كذا كتب في الديوان «قد رانا» ولعله «قد أرانا». وجملة «تلقى هذه» حال من اليدين.

5) كتب في الديوان «حيدا» بالحاء المهملة، و«خفا» بالفاء، والظاهر أنه تصحيف، أصله «جيدا» بالجيم، و«حقا» بالقاف، والحق (بضم الحاء وبالقاف). علبة صغيرة من عاج ومن رفيع الخشب يوضع فيه دهن الطيب. وأراد به هنا الثدي، وهو تشبيه شائع، قال عمرو بن كلثوم:

وثديا مثل حُق العاج رَخْصاً حصَانا من أكف اللامسينا

«وحوب»: إثم.

6) «خيمت»: أقمت. وهو من خطاب سعدى إياه. وأرادت بالملك السلامة من عبودية الحب.

*) وقال أيضا في سليمى وعواذله فيها.
والقصيدة من بحر الوافر، وعروضه كضربه مقطوفة، إذا الوافر لا يستعمل تاما.

أبى لي أنْ أُفيق مُشوَّقاتٌ يُقَدْنَ إليَّ كالخَيْل العِراب(1)
وشوقي في الصَّباح إلَى «سُلَيْمى» أتاني حبها من كلِّ باب(2)
وقالت: في النِّساء مُلفَّفاتٌ يَضَعْنَ المَشْيَ في وَرَق الشَّباب(3)
فقُلْ في حاسرٍ ذمًّا وحمْدًا ولا تغْرُرْك عينٌ في النِّقاب(4)
فملْءُ العيْن قصرٌ قدْ تَراهُ جديدَ الباب داخلُهُ خرابُ(5)
فقُلْتُ لها: دعي قلبي «لسَلْمَى» وقُولي في النِّساء ولا تُحابي
لقدْ قَرَفَ الوُشاةُ علَى «سُلَيْمَى» وقالُوا في البُعاد وفي الصِّقاب(6)
فما صدروا بقَرْفِهِمُ «سُلَيْمى» ولا أعْتبْتُهمْ عنْدَ العِتاب(7)

---

1) الخيل العراب: العربية الكريمة.

2) «من كل باب» كناية عن تمام الإحاطة، كقوله تعالى «وجاءهم الموت من كل مكان».

3) «وقالت» أي العاذلة لتدخل إلى تبغيضه في سليمى بطريق التشكيك لما علمت أنه لا يقبل فيها لوما صريحا، فقالت له: إن في النساء ملففات في البراقع والمعاجر يتكلفن المشي في المعاجر كأنهن شواب وما هن الا شهلات، فعبر عن الملاحف والمعاجر بورق الشباب، لأنها لبسة الشواب يحتجبن فيها، فشبهها بورق الأغصان.

4) كتب «خاسر» بخاء معجمة، والصواب أنه بحاء مهملة، والحاسر: المرأة التي تكشف وجهها، وهو وصف لا يؤنث لاختصاصه بالمرأة، والمعنى: صف المرأة الحاسر بما فيها من حسن وضده، ولا تغتر بالمتقبات، أي لا تجزم بمدح من ترى قدها في البرقع، والمراد التعريض بأن سلمى ليست شابة، فإنك لو كشفت عن وجهها لعلمت أنها غير جديرة بالحب، وهذا كقول ذي الرمة:

جزى الله البراقع من لباس عن الفتيان شرا ما بقينا
يوارين الملاح فلا نراها ويخفين القباح فيزدهينا

5) هذا كقول ذي الرمة:

على وجه «مي» مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

وفي بيت بشار إقواء حيث جاء لفظ «خراب» مرفوعا مع أن القافية مكسورة.

6) قرف: بغى، والبعاد (بضم الباء): البعيد، والصقاب جمع صقب (بفتحتين): القريب، والمفرد والجمع هنا سواء، لأن المقصود الجنس واللام لتعريف الجنس إذا دخلت على جمع تبطل منه معنى الجمعية، والوشاة هم بنو الحباب وسيذكرهم.

7) ما أعتبتهم: ما أزلت عتبهم، فالهمزة فيه للسلب، مثل أعجم الكتاب، أي: ما قبلت عذرهم. وقوله «فما صدروا» أي ما رجعوا باتهامهم سليمى، إذ فقدوا ذلك الاتهام بدفاعي عنها.

إذا نَصَبُوا لَهَا ذَبَّبْتُ عنها   وربَّتما أعنْتُ علَى الصَّواب(1)
فَيَا عَجَبًا من الْحُبِّ الْمُؤَتِّي   وَحَسْبُكَ بالْغَيُور من الْقِحَاب(2)
يُضيعُ نساءَهُ ويَظَلُّ يَحْمي   نساءَ الْعَالَمين من اللُّعَاب
وكَمْ منْ مثْله تَصِبٍ مُعَنًّى   بِلاَ تِرَةٍ يُطالِبُها مُصَاب(3)

---

1) «ربتما» هي «ربما»، لحقت التاء «رب» كما لحقت «ثم» في قولهم «ثمت» لقصد تأنيث اللفظ لا غير. وذبيت (بياءين): دافعت عنها بذبابة السيف.

2) «فيا عجبا» تركيب يستعمل في التعجب الشديد، وهو تركيب استغاثة، أصله: يا للعجب (بفتح اللام). والاستغاثة مستعملة كناية عن الحث للعجب ليحضر إليه سريعا، كما يحضر المبادى المستغاث مسرعا، ويحذفون لام الاستغاثة تخفيفا ويعوضون عنها الفاء في آخر المنادي كألف المندوب، ويكثر هذا عند إرادة التعجب سواء كان التعجب بمادة عجب كما هنا وهو يفيد التعجب بالصريح والسرعة بالكناية، أم كان التعجب بمجرد النداء للمتعجب منه كقولهم: ياماءا، ويا كلأ، إذا أعجبهم الماء والكلأ، فقوله هنا «ياعجبا» لا ينون آخره. «وحسبك» اسم يدل على الاكتفاء، وأصله مصدر حسب الذي هو بمعنى عد العدد فقد يكون معمولا غير عامل، فهو إذن اسم خالص مثل: حسبنا الله. وذلك من قبيل الإخبار بالمصدر. وقد يجعلونه عاملا لتضمنه معنى فعل الاكتفاء، مثل: حسبك الحديث، أي كف عن الحديث، فقيل: هو حينئذ اسم فعل، وقيل: هو مجرد مصدر أعمل عمل المصدر الآتي بدلا من فعله، وهو قول ابن هشام، وهو هنا مستعمل بالطريقة الثانية، والباء للتعدية، والأمر مستعمل في التعجب بقرينة قوله قبله «فيا عجبا» أي لا تطلب أكثر من هذه الغيور عجبا. والغيور المرأة الغائرة، أي التي تغار على شيء، وهو فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث. والمراد التي تتظاهر بأنها غيور لا أنها غيور حقا، فالفعل مستعمل في معنى التظاهر بمدلوله لا في وقوع مدلوله، كقوله تعالى «يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون».
و«من» في قوله «من القحاب» تبعيضية وليست بيانية.
وكتب في الديوان «الحب» بحاء مهملة وضبطت بضمة، ولعل صوابه بالخاء المعجمة وتضبط بفتحة (الخب) أي المخادع، المؤتي (بهمزة وبياء تحتية في آخره) اسم فاعل من أتّيت على وزن فعّلت مضاعف أتى، تقول العرب: أتّيت للماء تأتية، أي سهلت له سبيله ليخرج، فالمعنى التعجب من الوشاة المخادعين. والقحاب جمع قحبة، وهي في الأصل العجوز، ثم شاعت في المرأة الفاجرة المتصنعة.
يستعجب من نوعين من الناس: نوع هو خب مخادع، ونوع غيور من سليمى، وهن عواذله فيها، وقد جمعهما معا في قوله بعده:
فلا كان الوشاة ولا الغيارى

3) ترة: ثأر.

مَلأتُ فُؤَادَهُ غَيْظاً وغمّاً فَيَا ويحَ المُحبِّ من الطِّلاب
إذا ما شئتُ نغّصني نعيمي وأجرى عَبْرتِي جرْيَ الحَبَابِ(1)
غضابٌ يكْذبُون علَى «سُلَيمى» وهلْ تجدُ الصّدُوقَ من الغِضاب
فقُلْتُ «لواقدٍ» و «ابْنَيْ يَزيدٍ»
وقد صدَعَا لقَوْل «بني الحُباب»(2)
ورَبٌّ مِنّى لقدْ كذبُوا عليْها
كما كَذَبَ الوُشاةُ علَى الغُراب(3)
دعوْا عوَرًا بمُقْلته ويغدُو
صحيح المُقْلتيْن من المَعَاب
فلَا كان الوُشاةُ ولا الغَيَارَى
لَعَلَّ العيْشَ يَصْفُو للحِبَاب(4)

* * *

1) الحباب (بفتح الحاء) : معظم الماء.

2) يظهر أن واقدا وابني يزيد عن أخلائه ، وبنو حباب من الوشاة. وكتب في الديوان « لقول » بلام في أوله ولعله بباء، أي جهرا بقول الوشاة .

3) قوله « كما كذب الوشاة على الغراب » أشار به إلى ما كان في خرافات العرب من التشاؤم بالغراب ، فلذلك يلقبونه بالأعور، قال الميداني في « أشأم من غراب البين »: فلشؤمه لقبوه بالأعور تطيرا مع أنهم يقولون: أصفى من عين الغراب، فاضطربوا في وصفهم إياه. وفي ثمار القلوب للثعالبي : يقولون : أبصر من غراب ، قال أبو الطمحان :

إذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين غراب صفوها لم يكدر

الوقيعة : كل مكان صلب يمسك الماء . وإنما يقال للغراب « أعور » لانه يغمض إحدى عينيه مقتصرا على الأخرى من قوة بصره ، ويقال : انما سموه أعور على طريق التفاؤل عليه .
قال الشاعر :

لقبوني الشحيح من سوء حالي مثلما سمي الغرابيب عورا

والظاهر أن تلقيبه بالأعور دعاء عليه بإفساد أحسن شيء فيه لأنه كان يؤذنهم بالبين .

4) الحباب جمع أحباب كصحاب جمع أصحاب الذي هو جمع صاحب ؛ وذلك أنه يقال: حب ، فيجيء اسم فاعله حاب فيجمع على أحباب ثم على حباب .

وقـــال أيضـــاً(*) :

أَلَا «يـا صَنَمَ» الأَزْدِ الـــــذي يـدْعُـونَهُ رَبّـــا(1)
سُقيتَ العَـذْبَ مـنْ وِدّي وإنْ لـمْ تسْقـني عَـذْبَـــا
أَرَانـي بكَ مكْـرُوبـــاً ولا تَكْشـفُ لي كَـرْبَـــا
ألا تـرزُقُنـــي منـــكَ سُلُـوَّ القَلْـب أوْ قُـرْبَـــا
فــإنَّ الشَّـوْق يــدْعُـوني وإنّـــي ميِّـتٌ حُـبَّـــا
إذا مـا ذَكَـرَتْـكَ العَيْنُ لمْ تَمْلِكْ لهـا غَـرْبَـــا(2)
كـــأنّـي بـكَ مطْبُوبٌ ومـا أَحْدثْـتَ لي طَبّـــا(3)
ولَـكـــــنْ حُبُّـــكَ الـدَّاخــــ
ـــلُ فــي الأَحْشَـاءِ قَـدْ دَبّـــا
أفـــي شَـــوْقٍ تُــرَى جِسْمـــي
صَبَبْـــتَ الهَـــمَّ لي صَـبّـــا(4)

---

*) وقال أيضا في النسيب بامرأة من الأزد معروفة، قال في الأغاني : قال يونس النحوي: العجب من الأزد يدعون هذا العبد ينسب بنسائهم ويهجو رجالهم – يعني بشارا – ويقـول :

ألا يا صنم الازد الـــــ ــلذي يـدعـونـه ربـــا

ألا يبعثون إليه من يفتق بطنه. ويونس بصري من بلد بشـار..

وهذه القصيدة من بحر الهزج .

1) «صنم الأزد» في عهد الجاهلية اسمه «باجر» بفتح الجيم ، ولم يرده بشـار ، إنمـا أراد أن الحبيبة كانت من الأزد ، وكانت أجمل نسائهم صورة ، وكان قومها يديمون النظر إليها كأنهم يعبدونهـا ، وقوله «الذي يدعونه ربا» استعارة تمثيلية ، إذ ليس ثمة دعوتها بالرب ، ولكنه مثل حالهم في الإقبال على التملي من النظر إليها ومدحها بإقبال عبدة الصنم على عبادته والدعاء عنده ، وأطلق المركب المؤذن بهيئة عبادة الصنم على هيئة المحبين والعاشقين، وقوله «الذي» جاء بموصول المذكر رعيا لقوله «صنم» وإن كانت المعنيـة امرأة، وقد جرى في بقية القصيدة على اعتبار التذكيـر .

2) غربـا : دمعا .

3) تقدم تفسير كلمة «طب» في البيت 10 في ورقة 32 وكلمة «مطبوب» في البيت 41 من ورقة 34 .

4) لعل «ترى» محرفة عن «برى» أي هزل جسمي وأضعفه.

وَهَبْنِي كُنْتُ أَذْنَبْتُ ... أَمَا تَغْفِرُ لِي ذَنْبَا
تَرَكْتَ الْقَلْبَ قَدْ مَاتَ ... وَمَا أَبْقَيْتَ لِي لُبَّا
أَبِيتُ اللَّيْلَ مَحْزُوناً ... وَأَغْدُو هَائِماً صَبَّا
كَذِي الْوَسْوَاسِ لاَ يُعْ ... تِبُ مَنْ عَاتَبَ أَوْ سَبَّا
وَطِفْلُ الْحُبِّ أَضْنَانِي ... فَوَيْلٌ لِي إِذَا شَبَّا(1)
فَإِنِّي لَيْسَ لِي قَلْبٌ ... وَإِنْ كُنْتَ تَرَى قَلْباً
كَذَا تُمْسِي وَمَا يُمْسِي ... لَنَا سِلْماً وَلاَ حَرْبَا(2)
فَحَدِّثْنِي بِمَا أَدْعُو ... كَ طُولَ اللَّيْلِ مُنْكَبَّا
أَتَشْفِينِي مِنَ الأَسْقَا ... مِ أَمْ تُورِدُنِي نَحْبَا
فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ طَابَ ... لِمَنْ أَوْرَدْتَهُ جَذْبَا
يُلَبِّي قِبْلَةَ «الأَزْدِ» ... وَلَوْلاَ أَنْتَ مَا لَبَّى(3)

* * *

وقال أيضاً(*):

ذَهَبْتَ وَلَمْ تُلْمِمْ بِبَيْتِ الْحَبَائِبِ ... وَلَمْ تَشْفِ قَلْباً مِنْ طِلاَبِ الْكَوَاعِبِ
نَعَمْ إِنَّ فِي الإِبْعَادِ لِلْقَلْبِ رَاحَةً ... إِذَا غَلَبَ الْمَجْهُودُ مِنْ كُلِّ طَالِبِ
وَإِنِّي لَصَرَّافٌ لِقَلْبِي عَنِ الْهَوَى ... وَإِنْ حَنَّ تَحْنَانَ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ(4)

---

1) طفل الحب : أوله والضعيف منه، و «إذا شب» : إذا قوي .

2) وقوله «وما يمسي» كتب في الديوان بالياء المثناة تحت ، ولعل الصواب أنه «وما تمسي» بالمثناة فوق ، وقوله «لنا سلما ولا حربا» أي لم تسعفنا بالرضى ولم تعرض عنا .

3) كتب في الديوان «قتلة» بمثناة فوقية بعد القاف ، وهو تحريف ، صوابه «قبلة» بباء موحدة.

*) وقال أيضا في النسيب بجدة . وهي من بحر الطويل .

4) التحنان (بفتح التاء) : الحنين . والمخاض : النوق التي قاربت الولادة . والضوارب : التي تضرب بأرجلها إذا أرادها الفحل ، فالظاهر أنه أراد من تحنانها أنها تحن على ولدها حين تضعه ، فإطلاق المخاض عليها مجاز باعتبار ما كان ، كقوله تعالى «وآتوا اليتامى أموالهم» . والمعنى أنه قادر على الإعراض عمن يحبه .

تَكَلَّفَنِي مِنْ حُبِّ «عَبْدَةَ» زَفْرَةً ... وَفِي زَفَرَاتِ الْحُبِّ كَرْبٌ لِكَارِبِ
وَلِلْحُبِّ حمى تَعْتَرِينِي بِزَفْرَةٍ ... لَهَا فِي عِظَامِي نَافِضٌ بَعْدَ صَالِبِ(1)
فَوَيْلِي مِنَ الْحُمَّى وَوَيْلِي مِنَ الْهَوَى ... لِأَيِّهِمَا أَبْغِي دَوَاءَ الطَّبَائِبِ
لَقَدْ شَرِقَتْ عَيْنِي «بِعَبْدَةَ» غَادِياً ... وَدَبَّتْ لِقَتْلِي مِنْ هَوَاهَا عَقَارِبِي(2)
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَبِي مِنْ طِلَابِهَا ... جُنُونٌ أَمِ اسْتَحْدَثْتُ إِحْدَى الْعَجَائِبِ
إِذَا ذُكِرَتْ دَارُ الْهَوَى بِمَسَامِعِي ... كَمَا دَارَتِ الصَّهْبَاءُ فِي رَأْسِ شَارِبِ
هِيَ الرُّوحُ مِنْ نَفْسِي وَلِلْعَيْنِ قُرَّةٌ ... فِدَاءٌ لَهَا نَفْسِي وَعَيْنِي وَحَاجِبِي(3)
فَإِنْ يَكُ عَنِّي وَجْهُهَا الْيَوْمَ غَائِباً ... فَلَيْسَ فُؤَادِي مِنْ هَوَاهَا بِغَائِبِ

* * * *

وقال أيضاً(٠):

أَلَا يَا «طَيِّبُ» قَدْ طِبْتَ ... وَمَا طَيَّبَكَ الطِّيبُ
وَلَكِنْ نَفَسٌ مِنْكِ ... إِذَا ضَمَّكِ تَقْرِيبُ
وَثَغْرٌ بَارِدٌ عَذْبٌ ... جَرَى فِيهِ الْأَعَاجِيبُ
وَوَجْهٌ يُشْبِهُ الْبَدْرَ ... عَلَيْهِ التَّاجُ مَعْصُوبُ(4)
وَعَيْنٌ تَسْحَرُ الْعَيْنَ ... وَمَا فِي سِحْرِهَا حُوبُ
وَوَحْفٌ زَانَ مَتْنَيْكِ ... وَزَانَتْهُ التَّقَاصِيبُ(5)

---

1) الصالب: الرعدة التي تأخذ المحموم قبل الحمى، والنافض: شدة البرد قبل الحمى.
2) شرقت العين (بكسر الراء): احمرت؛ وأراد بشار أنها احمرت من البكاء.
3) زيادة «وحاجبي» هنا من العي بالقافية، وهو من السماجة.
٠) وقال أيضا في حبيبته طيبة.
والقصيدة من بحر الهزج. وفي كثير من أبياتها زحاف الكف، وهو حذف الساكن السابع أعني نون مفاعيلن فيصير مفاعيل.
4) التاج: إكليل من ذهب تجعله المرأة على رأسها، قال المعري:
الحجل للرجل والتاج المنيف لما ... فوق الحجاج وعقد الدر للعنق
5) الوحف (بفتح الواو وسكون الحاء): الشعر الكثيف الأسود، وكان النساء يسدلن شعورهن على ظهورهن. والتقاصيب: جمع تقصيبة، وهي الخصلة الملتوية من الشعر، ويقال لها: قصبة.

وَجِيدٌ يُشْبِهُ الدُّرَّ كَجِيدِ الرِّيمِ سُلْهُوبُ(1)
وَنَحْرٌ بَيْنَ حُقَّيْنِ يَشِفُّ الْعَيْنَ مَشْبُوبُ(2)
عَلَيْهِ الْجَوْهَرُ الأَخْضَرُ وَالْيَاقُوتُ مَنْصُوبُ
وَشَيْءٌ بَيْنَ فَخِذَيْنِ كَقَعْبِ الشُّرْبِ مَكْبُوبُ(3)
وَحُبٌّ لَكَ قَدْ شَاعَ وَبَيْتٌ لَكَ مَنْسُوبُ(4)
فَلَوْ سَاعَفَنَا وَجْهُكِ والدِّرْيَاقُ والطِّيبُ(5)
أعِشْنَاكَ وَعِشْنَا بِكِ إن الْعَيْشَ مَحْبُوبُ
قَضَى لِي طَاعَةَ الحُبِّ وَقِرْنُ الحُبِّ مَغْلُوبُ
تَهُزِّينَ بِهِ الْقَلْبَ كَمَا اهْتَزَّ الْعَسَابِيبُ(6)
وَوَعْدٌ كَجَنَى النَّحْلِ وَلَكِنْ ذَاكَ مَثْلُوبُ(7)
فَعَيْنِي تَسْكُبُ الدَّمْعَ وَقَلْبِي بِكِ مَكْرُوبُ
وَلَوْ شِئْتِ تَمَتَّعْنَا وَإنْ سَبَّحَ «يَعْقُوبُ»(8)

* * *

1) « السلهوب » لم يذكره أهل اللغة بهذا الميزان، والموجود (سلهب) بفتح الهاء: الطويل من الناس والخيل ، واسلهبّ الفرس : طال .

2) «يشف» بكسر الشين: يزيد، أي يزيد العين إذا نظرته.

3) القعب: بفتح القاف: قدح واسع فيه قدر ما يروي الرجل .

4) « منسوب » من النسب ، والبيت: القرابة .

5) الدرياق، هنا : الخمر .

6) كتب « العسابيب » ولعله اليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو سلطان النحل .

7) «ذاك» إشارة إلى الوعد المشبه . ومثلوب: ملوم، أي ملوم صاحبه لأنه لم يف بما وعد.

8) قوله « إن سبح يعقوب » يريد به رجلا ، ومعنى « سبح » يحتمل أنه قال « سبحان الله » إنكارا للتمتع منها ، فيكون يعقوب عاذلا ، ويحتمل أنه انشغل بالنوافل عن التلذذ بالحبائب، فيكون يعقوب صاحبا صالحا لم يشارك بشارا في لهوه .

وقــال أيضــاً(*) :

مِنَ الْمَشْهُورِ بِـالْحُبِّ إِلَى قَـاسِيَـةِ الْقَلْـبِ
سَلاَمُ اللهِ ذِي الْعَرْشِ عَلَى وَجْهِكِ يَـاحِبِّـي(1)
فَـأَمَّـا بَعْـدُ يَاقُـرَّ ةَ عَيْنِـي وَمُنَـى قَلْبِـي
وَيَـا نَفْسِي الَّتِي تَسْكُـنُ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْجَنْـبِ
لَقَـدْ أَنْكَرْتُ يَا «عَبْـدَ» جَفَـاءً مِنْـكِ فِي الْكُتْـبِ
أَعَنْ ذَنْـبٍ وَلاَ واللَّــهِ مَـا أَحْدَثْتُ مِنْ ذَنْـبِ
وَلاَ وَاللهِ مَـا فِي الشَّرْ قِ مِنْ أُنْثَـى وَلاَ الْغَرْبِ
سِواكِ اليـوم أهواهـا على جِـدٍّ ولا لِعْـبِ(2)

* * *

وقــال أيضــاً(*) :

ياصاح قُمْ فاسْقني بالْكأس إعْـرابا ولا تُطعْ عاقباً فينـا وعقّابـا(3)
إن الْهوى حَسَنٌ حتّى تُدنِّسـهُ فاطْلُبْ هَواكَ سَتيرًا وارْعَ أحْبابـا
واحْفظْ لسانك في الْواشين إنَّ لهُمْ عيْناً ترودُ وتنْفيرًا وإلْهـابـا(4)
لا تُفْش سرَّ فتاةٍ كُنْتَ تألفُهـا إنَّ الْكريمَ لها راعٍ وإنْ تـابَـا

---

*) وقال أيضا في النسيب بعبدة على صورة رسالة جوابا عن كتب وردت إليه ، وقد أشرت إلى هذا الاسلوب في بعض شعر بشار في مقدمة الشرح .

1) «حبي» بكسر الحاء: الحب، وصفها بالمصدر .

2) اللعب : بكسر اللام وسكون العين لغة في اللعب .

*) وقال أيضا في أسماء ابنة الاشد من بني جشم ، كانت حبيبته ثم تزوجت ، وذكر اسمها في ورقة 155 .
والقصيـدة من البسيـط .

3) « الإعراب » : الإبانة والإفصاح، يريد: اسقني جهرة . كتب « عاقبا » و « عقابا » بقاف فيهما ، فالظاهر أنه أراد بالعاقب : المغتاب، أخذه من قولهم : عقبه يعقبه إذا ضرب عقبه ، والعقاب : مبالغة فيه .

4) «ترود» : تردد النظر طالبة ما يتهيأ للوشاية . والهابا : تهييجا .

واسْعدْ بما قال في الْحِلْم ابنُ «ذي يَزَنٍ» يلْهُو الْكِرامُ ولا ينْسوْن أحْسابَا(1)
جِدُّ امْرِىءٍ جَارُهُ من كلِّ فاضحةٍ فانْهضْ بجَدٍّ تنلْ جاهاً وإكْسابَا
قدْ شفَّني حَزَنٌ ضاق الْفُؤادُ به وسرَّني زائرٌ في النَّوْم مُنْتابَا
باتتْ عرُوساً وبتْنا مُعْرسينَ بها حتَّى رأيْنا بياضَ الصُّبْح مُنْجابَا(2)
وقائلٍ: نَامَ عنْ «أسْماء» شاكيةً لا نَوَّمتْ عُيْنه إنْ كان كذَّابَا
مازلْتُ في الْغمِّ من وِرْدٍ يُقلِّبُها كأنَّني فيه لا ألْقى له بابَا(3)
بلْ كيْف أسْقى علَى الرَّيْحان مُتَّكئاً وقدْ تعلَّقْتُ من «أسْماء» أسْبابَا
عاد الْهوى بلقاء الْغرِّ منْ «جُشَم» يمْشين تحْت الْغمام الْغُرِّ أتْرابَا(4)
عَلَّقْتُ منْهنَّ شمسَ الدَّجْن أوْ قَمَرًا غدَا لَنَا لاَبِساً دِرْعاً وجِلْبَابَا
لا أشْتهي بهواهُ جنَّةً أُنُفاً ولوْ تَدَلَّتْ لنا تِيناً وأعْنابَا(5)
للهُ دَرُّ فتاةٍ منْ بني «جُشَم» ما أحْسنَ الْعيْنَ والْخدَّيْن والنَّابَا(6)

---

1) «ابن ذي يزن» هو سيف بن ذي يزن ملك العرب باليمن، وهو الذي أنقذ اليمن من سلطة الحبشة وطرد الحبشة بإعانة الفرس، وملك خمس عشرة سنة بعد الحبشة، وتوفي قبل البعثة، وهذا الكلام الذي ضمنه بشار بيته لعله مثل منسوب لسيف لم أقف عليه.

2) «منجابا»: انجاب الصبح انفلق.

3) ورد (بكسر الواو وسكون الراء): اسم للحمى، ويطلق على يوم نوبة الحمى، وقوله «كأنني فيه» أي كأني أنا المحموم و «لا ألقى له بابا» للنجاة منه.

4) «جشم» بضم ففتح: اسم لأحياء، فمن مضر بنوجشم بن قيس بن سعد بن عجل ابن نجيم بن بكر بن وائل، ومن تغلب بنو جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، ومن اليمن من همدان. والظاهر أن بشارا أراد بني جشم بن قيس من بكر بن وائل، لأن مواطنهم كانت بالعراق.
و«الغر»: جمع غراء، وهي البيضاء، والغمامة الغر: جمع الغمامة الغراء، وهي البيضاء، وإنما تكون كذلك إذا كانت ذات مطر، قال أبوتمام:
كأن السحاب الغر غيبن تحتها حبيبا فما ترقا لهن مدامع

5) ضمن «أشتهي» معنى أستبدل، فلذلك علقه بالباء بمفعول ثان، «أنفا» بضم الهمزة: لم ترْعَ.

6) قوله «ما أحسن العين» الخ، أراد عينها وخديها ونابها، واللام عوض عن المضاف إليه على رأي الكوفيين كقوله تعالى «فإن الجنة هي المأوى»، أو التقدير: العين منها والخدين منها الخ على رأي البصريين.

تُرِيكَ في القولِ جشّاباً وإنْ ضَحِكَتْ أرتْك منْ ثَغْرِها المثلوجِ جَشّابا (1)
بدا لنا منظرٌ منها اعتبرتُ به وشاهدُ المسكِ يلقى الأنفَ ما غابا (2)
قدْ زُيِّنتْ بالمُحيَّا صورةً عجباً وزانها كَفَلٌ رابٍ وما عابا (3)
إذا رآها نساءُ الحيِّ قُلْنَ لها: سُبحانَ منْ صاغها! يُغْرِقْنَ إطنابا (4)
كأنَّما خُلقتْ منْ جِلْدِ لُؤلُؤةٍ نفساً من العِطرِ إنْ حرَّكْتَها ثابا (5)
يطيبُ مِسْواكُها منْ طِيبِ رِيقتِها وإنْ ألمَّ بجِلْدٍ جِلْدُها طابا (6)
تلكَ التي أرْجَلَتْني بالهوى سنةً وكُنْتُ للمُهْرةِ الحسْناءِ رَكّابا (7)

---

1) الجشاب (بالجيم المفتوحة والشين المعجمة): صفة للندى، وهو الندى المتساقط كأنه المطر صباحا، شبه كلامها في الحسن والانتساب بقطر الندى، كقول بعض العرب، أنشده الفراء:

وحديثها كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جدبا

وشبه ثغرها بقطر الندى في النظافة وصفائه وتبرده. وكتبه في الديوان بالخاء المعجمة المضمومة خطأ.

2) «وشاهد المسك» عطف على «منظر»، يعني ومسكها تبقى رائحته بالأنف لا يغيب عنه.

3) المحيّا: الوجه لأنه يحييه الناس بالسلام عند رؤيته.

4) قوله: «قلن لها» أي لأجلها: كقوله تعالى «وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا». وليس المراد أنهن يخاطبنها بذلك لقوله «من صاغها» ولأن قولهن ذلك في حديثهن في غيبها أقرب إلى الصدق لعدم المصانعة. وقوله «يغرقن إطنابا» الإطناب (بكسر الهمزة) التطويل في الكلام مع زيادة المعاني، وقوله «يغرقن» بضم الياء، يقال: أغرق إذا طلب أو جعل الشيء غارقا، وأطلق مجازا على تجاوز الحد والغلو فيه، وقوله «إطنابا» يجوز أن يكون تمييزا ويجوز أن يكون مفعول «يغرقن».

5) كتب في الديوان «نفسا» بالنصب، فيكون حالا من ضمير «خلقت»، وقوله «من العطر» صفة «نفسا» أي هي العطر نفسه، وثاب: رجع، أي نفحت منها رائحته مرة أخرى.

6) الضمير في قوله «طاب» عائد إلى «جلد» النكرة، وإن كان أبعد من الجلد المضاف لضمير المرأة، والقرينة ظاهرة.

7) «أرجلتني»: جعلتني أمشي على رجلي، أي غير راكب، وهو استعارة تمثيلية لعناء جفائها إياه فهو متعب في طلبها، أي لم تمكنه من وصالها، ولذلك قابل هذه الاستعارة بضدها في قوله:

وكنت للمهرة الحسناء ركابا

فكان دالة على استمرار الفعل في الماضي، كقول مالك بن رقبة، شاعر اسلامي في عهد ابن الزبير:

أماتوا من دمي وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد

أي وكان شأني ركوب المهرة الحسناء، استعارة لمواتاة حبائبه السوابق.

لـمْ أنْسَها طَالَعَتْ منْ تحت كِلَّتها | فأعْلقتْ عامِرِيًا بعْد ما شَابَـا
يا «أسْم» جُودي بِمعْرُوفٍ نعِيش بِهِ | ولا تكُوني لنا حرْباً وأوْصابـا
واللهِ أنْساكِ يا «أسْماءُ» ما طَرفَتْ | عيْنِي ومَا قرْقرَ الْقمْرِيُّ إطْـرابا(1)

* * *

وقال أيضـاً(*):

أ«حارثَ» علِّلْني وإنْ كُنتُ مُسهبَا | ولاَ ترْجُ نوْمِي قدْ أجدُّ ليذْهبَـا(2)
دنَا بيْتُ منْ أهْوَى وشطٌ بِبَيْنِه | حبِيبٌ فأصْبحْتُ الشّقِيُّ الْمُعذَّبـا(3)

---

1) قوله «والله أنساك» أي والله لا أنساك، وحذف «لا» النافية مع القسم كثير في كلامهم. قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا

أي لا أبرح.

*) وقال أيضا في حبيبته «خشابة» وهي امرأة فارسية كانت تغشى مجلس بشار بالبصرة، وكان اليها مائلا، ثم تزوجت وخرجت من البصرة، قاله في الأغاني، ولبشار فيها قصيدته التي أولها:

أخشاب حقا أن دارك تزعـج

وتسميتها خشابة منقولة من الخشاب (بضم الخاء وتشديد الشين المعجمة)، وهي كلمة فارسية بمعنى الماء الطيب الرائحة. ذكر ذلك يا قوت في معجم البلدان في ذكر قرية خشاب من قرى الري. وضبطت كلمة «خشابة» في الديوان في البيت الثالث عشر من هذه القصيدة بضمة على الخاء وشدة على السين. والقصيدة من الطويل.

2) «أحارث» الهمزة للنداء، وحارث منادى مرخم، أصله حارثة لأنه في الديوان ضبط بفتح الثاء، ويجوز أن يكون المقصود بسمّى حارثا فيكون بضم الثاء، وهو أليق بأسلوب الشعر العربي، فإن العرب تكني عن الإنسان بالحارث، وفي الحديث «كلكم حارث وكلكم همام»، وقال النابغة.

أقول والنجم قد مالت اوائلـه | الى الغـروب تثبت نظرة حـار

وهو هنا غير الحارث المهري الذي هجاه في ورقة 116 لأن المخاطب هنا ودود. و«علني» أصله: اسقني العلل، وهو الشرب الثاني بعد شرب أول، والأول يسمى النهل، وأطلقه على إعادة الحديث لانه يرتاح بسماعه كراحة الظمآن للشراب، وقوله «قد أجد ليذهبا» أي قد اجتهد في الذهاب، وأجد: مشتق من الجد (بكسر الجيم): الاجتهاد.
و«مسهبا» بفتح الهاء، أي: ذاهب العقل.

3) كتب «وشط ببينه» بتاء فوقية بعد الياء التحتية، وهو تحريف صوابه بنون عوض التاء الفوقية، أي بعده، أي كان بيت الحبيب قريبا، ولكن بعده الحبيب بهجره، فهو في معنى قوله:

قرب الحبيب وما اليه وصول

إذا شئتُ غَادَانِي وخيمٌ مُلَعَّنٌ ... وجَنَّبْتُ مِنْ وُدِّي لهُ فَتَجَنَّبا (1)
«أحارِثَ» ما طَعْمُ الْحياةِ إذا دَنَا ... بغيضٌ وفارقْتُ الْحبيبَ الْمُقرَّبا
وقائلةٍ: مالِي رأَيْتُكَ خاشعاً ... وَقَدْ كُنْتَ مِمَّا أنْ تَلَذَّ وتَطْرَبا(2)
فَقُلْتُ لها: مشَّى الْهوى في مَفَاصِلِي ... ورامِي فتاةٍ لَيْتَهُ كان أصْوَبَا(3)
تَرَقُّبُ فِينَا الْعاذلِينَ علَى الْهوى ... وما نال عَيْشاً قبلنا منْ ترقَّبا
إذا نحنُ لمْ ننعم شباباً فإنَّما ... شَقِينا ولم يحزَنْ لنا منْ تشبَّبا
وما استَفْرَغَ اللَّذّاتِ إلاَّ مُقابِلٌ ... إذا همَّ لمْ يذْكُرْ رِضَى مَنْ تغضَّبا(4)
فَلَا ترقُبِي في عاشقٍ أنتِ همُّهُ ... قريباً ولا تستأذِنِي فيهِ أجْنَبَا
لعلَّكما تستعهِدانِ مِنَ الْهوَى ... بِنظرةِ عينٍ أوْ تُرِيدانِ ملْعبا (5)

---

1) الوخيم: الرجل الثقيل، والملعن: الذي يكثر الناس تلعينه، والتلعين: مبالغة في اللعن. وقوله «وحبت» وقوله «فتحيبا» كتبا بالحاء بعدها باء، ولعله تحريف صوابه (وجنبت) بالجيم (فتنجبا) بالجيم، أي بعدت مودتي عنه فتنجبا، والواو لعطف التفسير لقوله «عاداني وخيم»، وحرف (من) للتبعيض، أي أبعدت بعض ودي له أي شيئا من إظهار ودي له.

2) «مما أن تلذ» كلمة (من) إذا اقترنت بها (ما) تستعمل لمعنى التكثير كما في قول ابن عباس: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله تعالى «لا تحرك به لسانك». رواه البخاري في كتاب بدء الوحي. ومنه قول أبي حية النميري:

وإنا لمما نضرب الكبش ضربة ... على رأسه تلقي اللسان من الفم

يريد بالكبش رئيس القوم وزاد بشار حرف (أن).

3) «مشّى» بمعنى مشى ليدل على التكثير، مثل موّت، وبين الصبح، قالت كبشة بنت معديكرب:

فإن أنتم لم تثأروا واتديتموا ... فمشوا بآذان النعام المصلم

في رواية فتح الميم، أي فاذهبوا أذلاء كالنعام، قاله المرزوقي في شرح الحماسة. وإثبات الآذان تخييل للمكنية، وقوله «ورامي فتاة» جملة معطوفة على جملة مشى الهوى.. الخ وهو مقول القول، أي وقلت: رامي فتاة ليته كان أكثر صوابا في رميه.

4) «المقابل» كريم النسب. وليس له وقع رشيق هنا. وقد وقع نظير لهذا البيت بيتا ثالثا في القصيدة الثانية من ورقة 52 من الديوان لكن بلفظ «مشيع» عوض «مقابل» وسيأتي شرحه.

5) «لعلكما تستعهدان. . . » الخ لاثنين، وليس في هذه القصيدة ما يناسب تثنية الخطاب. فلعل هذا البيت من القصيدة الآتية في الورقة 52 فيكون ثانيا لقوله:

خليلي قوما فاعذرا أو تعتبا ... ولا تعذلاني أن ألذ وأطربا

واستعهد منه: أخذ عهده. و «ملعب» مصدر ميمي.

يَلُومُكَ فِي الْحُبِّ الْخَلِيُّ وَلَوْ غَدَا ... بِدَاءِ الْهَوَى لَمْ يَــرْعَ أُمًّا وَلاَ أَبَـا
أ«خُشَّابَ» قَدْ طَالَ انْتِظَارِي فَأَنْعِمِي ... عَـلَى رَجُلٍ يَدْعُو الأَطِبَّاءَ مُتْعَبَـا
أُصِيبَ بِشَوْقٍ فَاسْتُخِفَّتْ حَصَاتُهُ ... وَلاَ يَعْرِفُ التَّغْمِيضَ إِلاَّ تَقَلُّبَـا(1)
يَرَى الْهَجْرَ أَحْيَاناً مِنَ الْهَمِّ عَارِضاً ... وَإِنْ هَمَّ بِالْهِجْرَانِ هَـابَ وَكَـذَّبَـا
بِهِ جِنَّـةٌ مِنْ صَبْـوَةٍ لَعِبَتْ بِـهِ ... وَقَدْ كَـانَ لاَ يَصْبُو غُلاَماً مُشَبَّبَـا
تَمَنَّـاكِ حَتَّى صِرْتِ وَسْوَاسَ قَلْبِهِ ... وَعَـاصَى إِلَيْكِ الصَّالِحِينَ تَجَنُّبَـا
وَبَيْضَاءَ مِعْطَـارٍ يَـرُوقُ بِعَيْنِهَـا ... عَلَى جَسَـدٍ . (2)
رَأَتْ بِي كَبِيراً مِنْ هَوَاكِ فَسَبَّحَتْ ... وَأَكْبَـرُ مِمَّا قَدْ رَأَتْ مَـا تَغَيَّبَـا
أ«خُشَّابَ» قَدْ كَانَتْ عَلَى الْقَلْبِ قُرْحَةٌ ... مِـنَ الشَّوْقِ لاَ يَسْطِيعُهَا مَنْ تَطَبَّبَـا
إِذَا قُدِحَتْ مِنْهَا الصَّبَابَةُ نَتَّجَتْ ... عَقَارِبَ فِيهَا عَقْرَباً ثُمَّ عَقْـرَبَـا(3)
وَحَتَّى مَتَى لاَ نَلْتَقِي لِحَدِيثِنَـا ... وَمَكْنُونُ حُبٍّ فِي الْحَشَا قَدْ تَشَعَّبَـا
تَقَطَّعُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَــةٍ ... إِلَيْكِ مَنُوطاً بِالأَمَانِيِّ خُلَّبَــا(4)

* * *

وقال أيضاً(*) :

أَفِـدَ الرَّحِيلُ وَحَثَّنِي صَحْبِـي ... وَالنَّفْسُ مُشْرِفَـةٌ عَلَى النَّحْـبِ (5)

---

1) الحصاة : العقل ، لأن به إحصاء الاشياء وتمييزها ، أي إصابة الأشياء، ومعنى « استخفت حصاته» وجد عقله خفيفا، أي ضعف رأيه، فالسين والتاء للحسبان. وقوله «إلا تقلبا» استثناء منقطع.
2) معطار : من عادتها العطر . وفي آخر البيت بياض تركه ناسخ الديوان .
3) استعار لأوجاع القرحة فعل « قدحت » تشبيها لها بالنار على طريقة الاستعارة المكنية. وشبه تلك الآلام بالعقارب تلسعه .
4) كتب في الديوان «تقطع» بفتح التاء وفتح الطاء، والأظهر أن يكون بضم التاء وكسر الطاء مبالغة في القطع ، و« منوطا » مفعول «تقطع» وهو صفة لمحذوف تقديره طريقا كما يقتضيه فعل «تقطع». ومعنى «منوطا بالأماني» أن الطريق محفوف بالأماني -التي لا تفيد، والخلب: البرق الذي لا مطر معه، وأراد أن نفسه تقطع ضمائر ووسائل منوطة، أي معلقة بالأماني التي لا تحقق لها.
*) وقال أيضا في عبدة، وهذه القصيدة من بحر الكامل، وعروضها حذاء، وضربها أحذ مضمر، متفاعلن متفاعلن فعلن، متحركة العين ، والضرب: فعلن، ساكنة العين .
5) « أفد » بفتح الهمزة وكسر الفاء: قرب، والنحب: الحاجة، ويكنى به عن الموت كما هنا،

لَمَّا رأيْتُ الهمَّ مُجْتنِحـاً ... في القَلْبِ والعَيْنان في سكَبِ(1)
والبَيْنُ قدْ أفْـدَتْ ركَـائِبُـهُ ... والقَوْمُ مِـنْ طَرَبٍ ومِنْ صَخَبِ
ناديْتُ: إنَّ الحُبَّ أشْعرنِـي ... قَتْـلاً ومـا أحْدَثْـتُ مِنْ ذَنْبِ(2)
أهْدَى لعَيْنِي ذِكْرُكُمْ سَهَـداً ... مِـنْ غيْرِ مـا سَقَـمٍ ولا طَـبِّ
إلاَّ التَّمنِّـي أنْ أفُـوزَ بِكُـمْ ... فتَحَرَّجِي يَـا «عَبْدَ» من غَضَبِـي
لوْ تسْمعِيـنَ وكُنْتِ شـاهِـدَةً ... ما يقْرأ الرُّهْبانُ فِي الكُتُبِ (3)
لَوَجَدْتِ حُبَّـكِ قاتلِي عَجَـلاً ... إنْ لمْ يُفـرِّجْ كاشِفُ الكُـرَبِ
وعلامَـةٌ مِنْكُـمْ مبيِّنَـةٌ ... حسْبِي بِهـا من حُبِّكُمْ حَسْبِـي
أنِّي أُكبُّ إذا ذكـرتُكُـمُ ... مِنْ مجْلِسِ القُـرَّاءِ والشَّـرْبِ(4)
حتَّى يقُـول النَّـاسُ بيْنَهُـمْ: ... شَغَفُ «المُرَعَّثِ» داخِلُ الحُبِّ (5)

---

1) يقال: اجتنح كما يقال: جنح أي أقبل.

2) النداء: رفع الصوت لإسماع الكلام، ومنه سمي الأذان النداء، قال تعالى «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة» وقال «ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون» وقال «فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى» وقال الحريري: فلما جلس كأنه ابن ماء السماء، نادى مناد من قبل الأحماء، وحرمة ساسان» الخ وكثر استعماله في رفع الصوت بطلب إقبال الشخص، ثم في مطلق طلب الإقبال، ومنه سميت حروف النداء وليس ذلك بمراد هنا، وقل من يتفطن لأصل استعماله. وأشعر البعير: شق جلده حتى يظهر الدم أوطعنه كذلك، ليكون ذلك علامة على أنه هدي، وقوله «قتلا» تمييز لنسبة الإشعار أو مفعول لأجله.

لقد أجاد في هذه التمثيلية إذ جعل ابتداء علوق الحب به كجرح خفيف القصد منه حصول النحر عقبه، فلذلك قال «لما رأيت الهم مجتنحا..» الخ ناديت، الخ أي أنه رأى علامات هي ليست بالهلاك ولكنها مؤذنة به فإن نداءه دليل على بقاء الحياة فيه. وأراد بالنداء رفع الصوت للاستغاثة وللتفجع والتحسر لأن الشأن رفع الصوت فيهما ليفزع من يعينه على الخلاص أو يتوجع له، ويجوز في همزة «إن الحب» الكسر على أنه حكاية للنداء، والفتح على المصدرية والتأكيد.

3) قوله «لو تسمعين...» البيتين، لا وجه للارتباط بين الشرط وجوابه فهو من التلفيق.

4) «أكب» بضم الهمزة وكسر الكاف، أي أسقط على وجهي، والقراء: أهل القرآن والعلم، والشرب (بفتح الشين) جمع شارب للخمر، وأراد أنه يغلبه التأثر لذكرها ولو كان في مجلس جد.

5) «داخل الحب» أي متمكنه، والحب والشغف مترادفان، فكأنه قال: شغف المرعث شغف داخل، قال النابغة:

تحرك داء في فؤادي داخل

مَا زِلْتُ أذْكُرُكـمْ ولَيْلَكُـــمُ حَتَّى جَفَـا عَنْ مَضْجَعِـي جَنْبِـي
وَعَلِـمْـتُ أنَّ الصَّرْمَ شِيمَتُكُـــمْ فِي النَّأيِ والْهِجْـرَانَ فِي الْقُــرْبِ
فَظَلِلْتُ لا أدْرِي: أُقِيـمُ علَى الْـــهِجْرانِ أوْ أغْـدُو مـعِ الرَّكْــبِ
فلئِــنْ غدوتُ لقدْ أُصِبْتُ بِكُمْ ولئِنْ أقمْـتُ لَمُسْهَـبُ اللُّــبِّ(1)
قَامَتْ تَـرَاءى لِي لِتَقْتُلَنِــــي فِي الْقُـرْطِ وَالْخَلْخَالِ والإِتْــبِ(2)
فَدَعَوْتُ ربِّــي دَعْـوَةً جَمَعَـتْ رَغَبَ الْمُحِبِّ وشِـدَّةَ الـرَّهْــبِ(3)
ألاَّ تَـرَاكِ بِنَـا مُتَيَّمَـــــةً فَأجَـابَ دَعْـوَةَ عَاشِــقٍ ربِّــي(4)
أهْذِي بكُمْ مَـا عِشْتُ إنَّكُـــمُ يَا حِبُّ وَافَقَ شَعْبُكُـمْ شَعْـبِي(5)
وَرَأتْ عُجَاباً شَيْبَتِــي فَبَكَـتْ جَـزَعاً لَهَــا والدَّهْـرُ ذُو شَغْــبِ
لاَ تُكْثِــرَنَّ بِشَيْبَتِــي عَجَبــاً إنَّ الْعَجَائِبَ فِي «أبِي حَرْبِ»(6)

---

1) «مسهب» من قولهم: أسهب، أي ذهب عقله.

2) الإتب (بكسر الهمزة وبتاء مثناة من فوق) : برد للمرأة مشقوق من غير جيب ولا كمين، وروي المصراع الأول من هذا البيت في ص 350 من زهر الآداب «ولقد تعرض لي خيالكم»

3) كتب «رعب المحب» بعين مهملة، وهو تصحيف، إذ لا تصح مقابلته بقوله «الرهب»، صوابه «رغب» بغين معجمة وبفتح الراء لتصح المقابلة.

4) أن لا ترى نفسها متيمة به إشفاقا عليها من آلام الحب، وبذلك يظهر الارتباط بينه وبين قوله قبله «قامت تراءى لي لتقتلني» وقوله «فأجاب دعوة عاشق ربـي» يريد منه التعريض بأنها لا تحبه كما يحبها.

5) خاطبها بضمير الجمع تعظيما لها (انظر البيت 13 في الورقة 28 وانظر البيت 22 في الورقة 231) وقوله «وافق شعبكم شعبي» يجوز فيهما فتح الشين على أن المراد القوم، ويجوز كسرها أي مسيل الماء في الجبل واستعاره للوفاق والمحبة بين الجانبين، لأن الشعبين إذا اتفقا التقى الماء في ملتقاهما فصار سيلا واحداً.

6) الظاهر أنه قال «لا تكثرن بشيبة» دون إضافة إلى ياء المتكلم لتتم التورية بشيبة بن ربيعة ابن عبد شمس وبأبي حرب الذي هو أمية بن عبد شمس وهو والد حرب والد أبي سفيان، وأراد هنا التورية ثم الكناية عن قوته بأنه قادر على الحرب.

وَلَقَدْ أَتَانَا أَنَّ غَانِيَةً ... أُخْرَى، وَكُنْتُ بِهِنَّ كَالنُّصْبِ(1)
يَأْمُلْنَنِي وَيَرَيْنَ مَنْقَصَتِي ... عِنْدَ الرِّضَا عَنْهَا وفي الْعَتْبِ(2)
لمَّا مررتُ بها مُسَتَّرَةً ... في الْحيِّ بين خرائدٍ عُرُبِ(3)
قالتْ لِنِسْوَتِها على عَجَلٍ: ... أَنَّى لنا بِمُصَدِّعِ الْقَلْبِ
لَسَمَاعُهُ - إِنْ كان يُسْمِعُنَا - ... أشهى إلَى قلْبِي من العَذْبِ(4)
فَأَجَبْنَهَا: إِنَّ الْفَتَى غَزِلٌ ... وأحَبُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى التُّرْبِ(5)
لاَ تُعْجِلِينَا أَنْ نُوَاعِدَهُ ... فَيَكُونَ مَجْلِسُنَا عَلَى خِصْبِ
وَنَنَالَ مِنْهُ غَيْرَ وَاحِدَةٍ ... إِنَّ السَّمَاعَ لَأَهْوَنُ الْخَطْبِ

* * *

وقال أيضاً(*):

أَأَرِقْتَ بَعْدَ رُقَادِكَ الأَوَّابِ ... بِهَوَاكَ أَمْ بِخَيَالِهِ الْمُنْتَابِ
نَعَقَ الْغُرَابُ فَخَنَّقَتْنِي عَبْرَةٌ ... وَبَكَيْتُ من جَزَعٍ عَلَى الأَحْبَابِ
يَا رُبَّ قَائِلَةٍ - وغَيَّبَ عِلْمُهَا -: ... مَاذَا يَهِيجُكَ مِنْ نَعِيقِ غُرَابِ(6)

---

1) قوله «ولقد أتانا» الخ هذا من إغاظة المحبوب، فإنه لما ذكر الصرم شيمتها والهجر، وعرض بأنها لا تحبه ذكر محبوبة أخرى ليغيظ هذه، كما قال امرؤ القيس بعد قوله: فسلي ثيابي... الخ – فقال:

فمثلك حبلى قد طرقت... الأبيات.

و«النصب» ضبط في الديوان بفتح النون وسكون الصاد، ويجوز فيه ضم النون، وهو ما ينصب للعبادة. أي وكنت بهن مثل النصب المعبود في إحاطتهن به وطوافهن حوله، بدليل قوله بعده «يأملنني....» الخ. وضمير بهن مراد به الغواني كما دل عليه قوله «إن غانية أخرى» أي من بين غوان.

2) أي يرين نقصان عقلي في محبتي إياها، سواء رضيت عنها أو عتبت عليها.

3) قوله «لما مررت» هو خبر أن في قوله «أن غانية» وما بينهما اعتراض، وضمير «بها» عائد الى «غانية» وقوله «عرب» جمع «عروب». يقال: عرب كما يقال: عرب بضمتين.

4) أراد بالسماع سماع شعره.

5) قوله «وأحب» أي أشد عشقا، فهو مشتق من «حب» الذي هو بمعنى «أحب»

*) وقال أيضا في الغزل من بحر الكامل.

6) أي رب سائلة عن سبب تهيجي من نعيب الغراب.

كَاتَمْتُهَا أَمْرِي وَمَاشَعَرَتْ بِهِ وَكَذَاكَ قَدْ كَاتَمْتُهُ أَصْحَابِي
وَدَوَاءُ عَيْنِي ـ قَدْ عَلِمْتُ ـ وَدَاؤُهَا رَيَّا الْبَنَانِ كَدُمْيَةِ الْمِحْرَابِ(1)
فِي نَأْيِهَا وَصَبٌ عَلَيَّ مُبَرِّحٌ وَدُنُوهَا شَافٍ مِنَ الْأَوْصَابِ
تَمْشِي إِذَا خَرَجَتْ إِلَى جَارَاتِهَا مَشْيَ الْحُبَابِ مُعَارِضاً لِحُبَابِ(2)
خَوْدٌ إِذَا انْتَقَبَتْ سَبَتْكَ بِنَظْرَةٍ وَأَغَرُّ أَبْلَجَ غَيْرَ ذَاتِ نِقَابِ(3)
تَعْتَلُّ إِنْ شَهِدَ الأَمِيرُ بِقُرْبِهِ
وَإِذَا نَأَى وَجِلَتْ مِنَ الْحُجَّابِ(4)
وَعِتَابِ يَوْمٍ لَوْ أَجَبْتُكَ طَائِعاً
قَصُرَ الْوِصَالُ بِهِ وَطَالَ عِتَابِي(5)
لَكِنْ رَأَيْتُ مِنَ السُّكُوتِ بَدِيهَةً
فَشَدَدْتُ وَصْلَكُمُ بِتَرْكِ جَوَابِي(6)
إِنِّي عَلَى خُلْفِ الْمَوَاعِدِ مِنْكُمُ
صَابٍ إِلَيْكَ وَلَسْتُ بِالْمُتَصَابِي(7)

* * *

1) الدمية: الصورة من العاج، والمحراب: موضع العبادة من كنيسة النصارى.

2) الحباب بضم الحاء: الحية، وهي يشبه بها حسن التلوي في المشي دون عجل.

3) قوله «إذا انتقبت» ظرف، العامل فيه قوله «سبتك»، وقوله «وأغر» عطف على نظرة، أي وبوجه أغر إذا لم تكن متقبة، وقوله «غير ذات نقاب» حال من الضمير المرفوع في «سبتك».

4) أراد أنها تكثر الأعذار الباطلة، فتعتل عن عدم الزيارة اذا حضر الامير في البلد بأن الأمير يمر بالبلد فلا تستطيع الخروج، واذا لم يحضر الأمير تعتل بأنها تخشى من أهلها الذين يحجبونها.

5و6) ذهب هنا ملهب الذين تركوا العتاب، إلا أن بعضهم تركه قهرا، وهو القائل:

وكنت معدا للعتاب دفاترا فلما التقينا ما وجدت ولا حرفا

ومنهم من تركه اختيارا لأسباب، وأحسنها هذا السبب الذي سلكه بشار، وهو خشية ضياع وقت الوصال في العتاب.

7) كتب في الديوان «وليس بالمتصابي» وهو خطأ.

وقــال أيضــاً(*):

بِأبِي وأمِّـي مَـنْ يُقَـارِبُنِـي فِيمَـا أقُـولُ ومَـنْ أقـارِبُـهُ(1)
عَجِـلُ الْعَـلامـةِ حِيـن أغْضِبُهُ فَـإِذا غَضِبْـتُ يلِيـنُ جـانِبُـهُ
دلًّا عَلَـيَّ وعـادةً سَبَقَـتْ أنْ سَـوْفَ إِنْ أغْضـى أعَاتِبُـهُ(2)
فَيبِيتُ يَشْعَـبُ صدْعَ أُلْفَتِنَـا وأبِيـتُ بـالْعُتْبَـى أُشَـاعِبُـهُ(3)
إنَّ الْمُحِـبَّ تلِيـنُ شوْكَتُـهُ
يوْماً إذا مـا عـزَّ صـاحِبُـهُ(4)
فلَـهُ علـيَّ وإنْ تَجنَّبنِـي
مـا عِشْتُ أنِّـي لا أجـانِبُـهُ
رِيـمٌ أغَـنُّ مُطَـوَّقـاً ذهبـاً
صِفْرُ الْحشـا بِيـضٌ تَـرَائِبُـهُ(5)

---

*) وقال أيضا في النسيب بعبدة.
والقصيدة من بحر السريع وعروضها وضربها مخبول مكشوف: مستفعلن مستفعلن فعلن.

1) رواه في بهجة المجالس «فيما هويت».

2) كتب في الديوان «ذللا» بذال معجمة ولامين ولا معنى له، فالصواب «دلا» بالدال المهملة المفتوحة وبلام واحدة.

3) «فيبيت» تفريع على «أعاتبه» وكتب «فأبيت» في المصراع الثاني بالفاء، والوجه أن يكون بالواو، ويشعب: يصلح، والصدع: الشق، وأشاعبه: أشاركه في شعب الصدع.

4) عقد في هذا البيت قول المثل: إذا عز أخوك فهن.

5) الريم (بكسر الراء وبهمزة ساكنة وربما خففوها ياء) هو الظبي الخالص اللون حتى يصير الى البياض والجمع أرءام وربما قلبوه قلبا مكانيا فقالوا: آرام توصلا لتسهيل إحدى الهمزتين ألفا فيصير آرام، وقد روي بالوجهين قول امرىء القيس:

ترى بعر الأرآم في عرصاتهـا

والأغن: الذي يخرج صوته من خيشومه وهو صوت الظبي، والصفر (بالصاد المهملة المضمومة وقد تفتح وتكسر، وسكون الفاء) اسم بمعنى الخالي، وقولهم «صفر» خلا، وأراد فراغ البطن من السمن، وهو من محاسن النساء، ولذلك شبهن بالظباء صفر البطون.
والترائب: أعالي الصدر.

آليْــتُ لا أَسْلَـــي مــودَّتـــــهُ (لــو) ما تسلَّى الْمــاءَ شارِبُــهُ(1)
أُخْفِــــي لهُ ـ الــرَّحْمانُ يعْلمهُ ـ حُبًّـا يُؤرِّقُنـــي غــــواوِبُـــــهُ(2)
مِنْ كُــلِّ شاعِفَــةٍ إذا طَرَقَــتْ طَرَقَ الْمُحِبَّ لها طبــائِبُــــهُ(3)
نَقْضِــي ســواد اللَّيْلِ مُرْتفقــاً مـــا تنقضِـــي مِنْهــا عجــائِبُـهُ(4)
يـــا أيُّهــا الآســي كُلُــومَ هَــوًى بِالنَّــأْيِ إذْ دلفــتْ كتائِبُـــهُ(5)
أنَّــى نَــوَالُكَ مِنْ تــذكُّــرهــا والْحُبُّ قدْ نشبــتْ مخالِبُــــهُ(6)
أَلِمــمْ «بعبْدة» قبْل حــادثةٍ فــهِيَ الشِّفــاءُ وأنْتَ طــالِبُـــــهُ
تَمْشِــي الْهُــوَيْنــى بيْن نِسْوتِهــــا
مشْيَ النَّزِيفِ صَفَــتْ مشــارِبُــهُ(7)

---

1) «أسلى» مضارع سلي كرضي مرادف سلا كما في القاموس.
ووقع في أول المصراع الثاني بياض، لعله كلمة «لو» على أنها «لو» الوصلية بدون واو قبلها، أي لو فرض أن شارب الماء يسلى عن شربه لما سليت وتكون ما زائدة.

2) قوله «الرحمان يعلمه» الجملة حال، أصلها صفة لقوله «حبا» فلما قدمت عليها صارت حالا، مثل قول ذي الرمة:

لميــة موحشــا طلــل

ويجوز أن تكون الجملة معترضة للقسم، كقولهم: «علم الله». والضمير المنصوب صادق على الخبر المقسم عليه، والغوارب: جمع غارب، وهو الكاهل، أراد شدته كقول امرىء القيس: وناء بكلكل.

3) الشاعفة: النظرة التي تقع في شعاف القلب (بالعين المهملة) لغة في الشغاف، وقد قرىء بهما قوله تعالى: «قد شغفها حبا»، ومر في البيت 11 من الورقة 32.

4) «مرتفقا» حال من ضمير «نقضي» اراد نفسه. والمرتفق المتكىء على مرفق يده، أي يقضي الليل غير مضطجع.

5و6) يخاطب نفسه، والآسي: المداوي، كلوم: جمع كلم، وهو الجرح. وقوله «بالنأي» يجوز أن يكون متعلقا بالآسي، أي يا من تظن البعد يشفيك من ألم الحب لقد أخطأت، فقوله «أنى نوالك» استفهام إنكاري، أي أين نوالك، وقوله «من تذكرها» متعلق بمعنى استفهام كقول الحريري في المقامة الثانية: «أين أنت من البيت الندر». والمعنى أين يقع نوالك من كثرة تذكري إياها، أي لا يقع نوالك مع كثرة تذكري، وجملة «والحب قد نشبت» حال من التذكر.

7) النزيف: السكران، وإذا كانت مشاربه صافية رغب في زيادة الشراب فازاد سكرا.

حَـارَبْتَ صبرًا إنَّ رُؤْيَتَهـــا عَلَــقٌ بِقَلْبِـكَ لا تُحـارِبُــه(1)
جَلَبَـتْ عليْك وأنْـتَ مُعْتَرَكٌ والحَيْـنُ تجْلُبُــهُ جـوالِبُـــهُ(2)
فَكَـأنَّ لَيْلَكَ مِــنْ تـذَكُّـرِهـا ليْلُ السَّلِيـم سَـرَتْ عقـارِبُـه(3)
فَتَرَكْنَهُ يُغْشَى أخـا جَـــدثٍ تبْكِـي لِفُـرْقَتِيه قَـرائِبُـــهُ(4)
رجُــلٌ تُصــاحِبُـهُ صبابَتُـــهُ وأرى الْجَـــلادَةَ لا تُصـاحِبُـــهُ
أ«عُبَيْــد» قدْ أثْبَتَّــه بِهَـــوىً فِي مُضْمَـرِ الأَحْشاء لاهِبُـــهُ(5)
والبُخْلُ فِي اللُّقْيـانِ قاتِـلُــهُ والشَّـوْقُ فِي الهِجْرانِ كارِبُــهُ(6)
مِيلِـي إليْهِ فقَـدْ صَغَـا لَكُـمُ يا «عبْــد» شـاهِـدُهُ وغـائِبُــهُ(7)

* * *

وقال أيضـاً(*):

أنْتِ يــا نَفْسُ أنِيبِـي آبـتِ الشَّمْــسُ فـأُوبِـي(8)

---

1) العلق (بفتح العين المهملة وفتح اللام) مصدر علق الشيء بالشيء إذا نشب به ولزمه، فهو من الوصف بالمصدر .

2) حذف مفعول «جلبت» لظهوره بقرينة قوله «لا تحاربه» أي جلبت جيشا. والمعترك: محل الحرب، شبه نفسه به .

3) السليم : اللـــديغ .

4) قوله «فتركنه» أي العقارب، وفي الديوان فتركته بالمثناة الفوقية، وهو خطأ. وقولـه «يغشى، أخا جدث» حالان من الضمير المنصوب بتركنه أي يغشى عليه، والجدث القبر فقوله «أخا جدث» تشبيـه بليغ .

5) «أثبته» أي قيدته في الثبات بوزن كتاب، وهو سير من الجلد يشد به الأسير والمسجون، وقال تعالى : وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك» .

6) اللقيان (بضم اللام وبكسرها) : اللقـــاء .

7) صغا : مـــال .

*) وقال أيضاً في سلمى، وسيذكر خبرها في القصيدة بعد هذه، والقصيدة من بحر الرمل وعروضه كضربه مجزوءة .

8) «أنت» ابتدأ بضمير منفصل مع كونه في غنى عنه بالضمير المستتر في «أنيبي» لقصد توكيد التوجه إلى نفسه بالأمر، كما في الشعر المنسوب إلى هارون الرشيد :

أيا ربة الخال التي سلبت نسكي على كل حال أنت لا بد لي منك

مَا لِمُؤْسَى عِنْدَ صَبٍّ حَاجَةٌ فاغْلِي وذُوبِي(1)

واقْبَلِي مَا طَابَ مِنْهَا وإذا تَابَتْ فتُوبِي

بَعَثَتْ «سلمى» علينا فِتْنَةً عِنْدَ المَشِيبِ

وبَرَانِي الحُبُّ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهَا نُحُوبِي(2)

أنَا مَشْغُوفٌ (بِسَلْمَى) كَالنَّصَارَى بِالصَّلِيبِ

لَيْسَ مَا قَرَّبَ مِنِّي صَاحِبِي لِي بِالقَرِيبِ

مِنْ هَوَى «سلمى» سبتني وَاحِدٌ مِثْلُ الغَرِيبِ

لا أُرَجِّي لِرَوْحٍ إلَّا عِنْدَ غَيْبَاتِ الرَّقِيبِ

لَقِيَ القَلْبُ «بِسَلْمَى» عَجَباً فَوْقَ العَجِيبِ

أخْصَبَتْ عِنْدِي وإنِّي عِنْدَها غَيْرُ خَصِيبِ

مِنْ هَوَانٍ غَيْرِ فَانٍ أنْزَلَتْنِي فِي الجُدُوبِ

قَلَبَتْ لِي الرِّيحَ «سَلْمَى» شَمَالاً بَعْدَ الجَنُوبِ(3)

وكَذَاكَ الدَّهْرُ صَعْبٌ بَيْنَ خَفْضٍ ورُكُوبِ

لَوْ بِهَا مَا بِي إلَيْهَا مِنْ حَنِينٍ ونحيبِ

---

1) «لمؤسى» بفتحة على السين وجعلت علامة على الواو كأنها همزة فهو اسم مفعول من أساه بهمزة واحدة في أوله. ولعله تصحيف، ولعل صوابه «موس» بدون ألف في آخره، اسم فاعل، أي ما للطبيب عند الصب حاجة، والمقصود نفي أن ينفع فيه دواء، وقوله «فاغلي وذوبي» الأمر فيهما للاباحة أي إن شئت. وهذا كقولهم: تنزو وتلين.

2) النحوب: جمع نحب بمعنى الموت، أي مات موتات كثيرة.

3) المعنى: غيرت هجرها الأليم الى الوصل اللذيذ، فإن ريح الجنوب مذمومة عندهم لحرها، والشمال محبوبة برودتها في بلاد العرب، وهذا مثل لتغير الحال، كما يقال «قلب له ظهر المجن» والعرب تستعير الريح لسهولة الحال، وقال تعالى «لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»،

وقال سليك:

هل تنظـران قليلا ريث غفلتهـم أو تعدوان فإن الريـح للعـادي

وقال آخر:

إذا هبت رياحك فاغتنمهـا فإن الخافقات لها سكـون

أَقْبَلَتْ إِقْبَالَ صَادٍ   رَاعَهُ صَوْتُ الْمُهِيبِ(1)
اسْلَمِي يَا «سَلْمَ» يَوْماً   وَاكْشِفِي بَعْضَ كُرُوبِي(2)
لاَ تَعُدِّي الْحُبَّ ذَنْباً   لَيْسَ حُبِّي مِنْ ذُنُوبِي
إِنَّمَا الْحُبُّ بَلاَءٌ   وَشَكَاةٌ فِي الْقُلُوبِ
فَإِذَا غُمٌّ تَنَفَّسْتُ   فَأَوْهَيْنَ جُنُوبِي(3)
إِنْ مَنْ لاَمَ مُحِبّاً   فِي الْهَوَى غَيْرُ مُصِيبِ
وَلَقَدْ قُلْتُ «لِسَلْمَى»   إِذْ تَعَيَّانِي طَبِيبِي(4) [45]
لَيْسَ وَادٍ مِنْ «سُلَيْمَى»   لِمُحِبٍّ بِعَشِيبِ(5)
لَيْتَ لِي قَلْباً بِقَلْبِي   وَحَبِيباً بِحَبِيبِي(6)
فَلَعَلَّ الْقَلْبَ   وَيُوَاتِينِي لَعِيبِي(7)

---

1) الصادي: الظمآن، والمهيب: الذي يزجر الابل بصوت: هاب هاب، يعني أنها أقبلت مسرعة كالبعير الظمآن له رغبة في الماء وقد راعه صوت سائقه، فله باعثان على السرعة.

2) ضبط «اسلمي» بفتحة على اللام، والظاهر أنه بهمزة قطع ولام مكسورة، أي: أطيعي وانقادي ولو يوما.

3) كتب «فأوهين» ولم يظهر معاد ضمير الجمع المؤنث، ولا اتصال معناه بما قبله، فلعل صوابه «فأهويت» أي أدخلت الهوى الى جنوبي وهو المناسب لقوله «تنفست»، وجنوب جمع بمعنى المثنى.

4) «تعياني» من باب الحذف والإيصال، ولعل «تعياني» محرفة عن «تعيابي» بالباء، يقال: تعيّا بالأمر: عجز عنه. أي لم يهتد طبيبي لأمري وعجز عن علاجه.

5) العشيب: هو ذو العشب، وهذا يشبه استعماله «الخصيب» و «الجديب».

6) الباء في قوله «بقلبي» وقوله «بحبيبي» للبدل، أي: ليت لي قلبا سليما بدل قلبي المصاب وحبيبا مرضيا بدل حبيبي المضنى.

7) قوله «فلعل القلب. . . .» سقطت من المصراع الأول هنا كلمة ولم يبيض لها الناسخ. ولعلها «يصحو»، والمناسب أن يكون عوض واو العطف «أو» العاطفة، أي يكون أحد الأمرين. واللعيب: الملاعب، وبشار قاسه على مجيء فعيل بمعنى مفعل في قولهم «حكيم». وقول عمرو بن معد يكرب:

أمن ريحانة الداعي السميع

وأراد به هنا شخصا، فلذلك جرده من علامة التأنيث. وقياس بشار «اللعيب» بمعنى الملاعب على ما ورد من الألفاظ كذلك، مثل: الشريك والتبيع والأكيل والشريب، بمعنى المشارك والمتابع والمؤاكل والمشارب.

فَلَقَدْ هَيَّجَ شَوْقِي رِيحُ رَيْحَانٍ وَطِيبِ
بتُّ مِنْ نَفْحَةِ عُودٍ شُبِّبَتْ لِي بِشَقُوبِ(1)
لَاهِياً عَنْ كُلِّ سَاقٍ وَأَكِيلٍ وَشَرِيبِ(2)
أَبْتَغِي «سَلْمَى» وأَخْشَى نَظَرَ الرَّائِي الْمُرِيبِ
أَشْتَهِي لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي

* * *

وقال أيضاً(*):

عفَا بَعْدَ «سَلْمَى» حَاجِرٌ فَذُنَابُ فَأَحْمَادُ حَوْضَى نُؤْيُهُنَّ يَبَابُ(3)
دِيَارٌ خَلَتْ من آبدَاتٍ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا الْوَحْشُ إِلَّا جَامِلٌ وقِبَابُ(4)
كَأَنَّ بَقَايَا عَهْدِهِنَّ بِحَاجِرٍ فَبُرْقَةِ حَوْضَى قَدْ دَرَسْنَ كِتَابُ(5)

---

1) الثقوب: ما توقد به النار، وهو بفتح الثاء. ومعنى «شبيت» أوقدت.

2) «الأكيل» بمعنى المؤاكل، وقد سمع في قول حاتم الطائي:

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي لـه أكيلا فإني لست آكله وحـدي

و«الشريب» مثله، وقد سمع في قول عامان بن كعب:

إذا الشريب أخذتـه ا لأكـه فخله حتى يبك بكـه

*) وقال أيضا في حبيبته سلمى (تقدم ذكرها في ورقة 32).
وهذه القصيدة من بحر الطويل.

3) أسماء أماكن، والأحماد (بفتح الهمزة) جمع حمد (بفتح الحاء وسكون الميم) ووصف للمكان، أي المكان المحمود لخصبه، وحوضى: موضع.وضبط في الديوان «إحماد» بكسر الهمزة: مكان مرتفع واسم ماء يضيفون اليه الهضب، والنؤي: الحفير حول الخيمة لئلا يدخلها ماء، واليباب: الخراب لا أحد عنده.

4) الآبدات: الوحوش، أراد بها الظباء، شبه بهن النساء الحسان فلذلك قال «خلت منهن»، وكتب في الديوان «حامل» بحاء مهملة، والصواب أنه بالجيم، والاستثناء هنا منقطع، و «إلا» بمعنى «لكن»، وقباب: خيام السكان.

5) كتب في الديوان «محاجن» ولا معنى لهذا التشبيه، فهو تحريف، صوابه «بحاجر» وكتب «بيرقة» وهو تحريف، والصواب: فبرقة، وخبر «كأن» هو قوله «كتاب» وقوله «قد درسن» حال من «بقايا» وهذا التشبيه كقول لبيد:

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

صادفت الفطرة وعليها أمتك » .

(22) البخاري . صحيح . ج7 : كتاب الأطعمة والترميذى في باب الزهد .

(23) س 2 – آ – 219.

(24) س 7 – آ – 32.

(25) ابن خلدون: المقدمة خصوصا الباب 5 فصل 1 فقرة 1.

(26) ابو داود : سنن باب البيوع 60.

(27) محمد أبو زهرة: في المجتمع الاسلامي، استنادا على كتاب الخراج لأبي يوسف ـ هذا مع أن اهتمامات المرحوم محمد أبو زهرة كانت تكافلية ولم تكن اشتراكية .

(28) نشاهد في القرى الجبلية الموجودة بالمغرب العربي، وخصوصا منها القرى التي بقيت محافظة على بعض الأنظمة القديمة السابقة لعهد الاستعمار، أنها تخضع نظام الرى، لقوانين عتيقة ترمي كلها الى المحافظة على توازن بين الفريقين الزراعيين «الفوقيين» و «التحتيين» كلاهما يكون جماعة موحدة، لكنها رغم وحدتها الزراعية والقبلية في بعض الأحيان لا تخلو من نزاعات وصراعات تتجدد في كل سنة .

(29) تحتوي جل كتب الفقه في مختلف المذاهب على أبواب متعلقة باحياء الموات من الأراضي مع تقنين دقيق لهذه العملية التي تهم حتما الفرد والجماعة في نفس الوقت.

وقد اعتنى أبو زهرة في تأليفه المذكور سابقا: «في المجتمع الاسلامي» باظهار اتفاق المذاهب واختلافها في هذا الميدان .

(30) المقدمة من ص486 الى 500 ـ نشر لجنة البيان العربي، تقديم وشرح علي عبد الواحد وافي . 1965 : القاهرة .

(31) نشير هنا بالخصوص الى نظرية ليفي برول عن الذهنية البدائية

Levy Bruhl: La mentalité primitive

وهذا بالطبع قبل مراجعته لها في «كنانيش ما بعد الوفاة» .

«Les carnets posthumes»

أَطَالَتْ عِنَانِي يومَ قالتْ لأُخْتِها (1)

وَمَا حُبُّ مَشْغُوفَيْنِ بُثَّ هَوَاهُمَا إذا لَمْ يكُنْ فيه نَثاً وعِتَابُ(2)

ولَمْ تَرَ عَيْنِي مثْلَ «سُعْدى» مُباعدًا ولا مِثْلَ ما يَلْقَى أَخُوكَ يُعَابُ(3)

بَدَا طَمَعٌ منْها لنا فَتَبِعْتُهُ وللطَّمَعِ البَادِي تَذِلُّ رِقَابُ

* * *

وقال أيضاً(*):

لله «سَلْمَى» حُبُّها ناصِبُ وأنا لا زَوْجٌ ولا خَاطِبُ(4)

لَوْ كُنْتُ ذا أَوْ ذاكَ يوْمَ اللّوى أدّى إلَيَّ الْحَلَبَ الْحَالِبُ(5)

أَقُولُ والْعَيْنُ بها عَبْرَةٌ وباللِّسَانِ الْعَجَبُ الْعَاجِبُ:

يا وَيْلَتَى أَحْرَزَها «وَاهِبٌ» لا نَالَ خَيْرًا بَعْدَها وَاهِبُ(6)

---

1) «أطالت عناني» أي وسعت لي المجال في اللهو أو في العتاب، كالفرس الذي يطال به العنان، أي يرخى، ويجوز أن يكون تحريف «عنائي». وموضع المصراع الثاني بياض.

2) «ما» للاستفهام الإنكاري، أي ليس هذا الحب حبا، وكتب في الديوان «ثنا» بتقديم الثاء، ولعله مصدر ثنا الحديث إذا حدث به، بتقديم النون على الثاء. والمعنى أن حلاوة الحب الحديث واللوم ليحصل عقبها الرضى، قالت علية بنت المهدي:

بني الحب على الجور فلو انصف المحبوب فيه لسمج

وقال الآخر:

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتب

3) قوله «مثل سعدى» صوابه «مثل سلمى».

*) وقال أيضا في التشوق إلى سلمى، وقد تقدم خبرها في ورقة 32، وأشار في هذه القصيدة إلى بعض العظماء من أهل الدولة حبس عنه معروفه، ولعله يعني يعقوب بن داود الوزير كما سيجيء في البيت 23.

والقصيدة من السريع، وعروضها مطوية مكشوفة، و ضربها كذلك.

4) ناصب: تاعب. والاخبار عن وصف الهم بذلك من باب المجاز العقلي والمعنى تاعب صاحبه، كقول النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب

5) قوله «يوم اللوى» كذا في الأصل بلام ولعله بالنون أي يوم الفراق، كما يدل عليه ما يأتي.

6) «أحرزها» كتب بزايين، والصواب أنه براء فزاي، و«واهب» الأول علم الرجل الذي أعطيت إليه سلمى كما تقدم في ورقة 32، و«واهب» الثاني اسم فاعل من وهب وهو سيدها الذي وهبها.

سِيقتْ إِلَى «الشّام» وما سَاقَها ... إلاَّ الشَّقا والقَدَرُ الْجَالِبُ
أَصْبحتُ قدْ رَاحَ الْعِدى دُونَها ... ورُحتُ فَرْدًا لَيْس لِي صاحِبُ
لا أرْفَعُ الطرْفَ إِلَى زائرٍ ... كأنَّني غضبان أوْ عاتبُ
يا كَاهِنَ الْمِصْرِ لَنَا حاجةٌ ... فانْظُرْ لنا: هَلْ سَكَنِي آيِبُ(1)
قَدْ شفَّنِي الشوْقُ إِلَى وَجْهِهَا ... وشَاقَنِي الْمِزْهَرُ والْقَاصِبُ(2)
بَلْ ذَكَّرتْني رِيحُ رَيْحَانَةٍ ... ومُدْهُنٍ جَاءَ بِه عَاقِبُ
مَجْلِسَ لَهْوٍ غَابَ حُسَّادُهُ ... تَرْنُو إِلَيْه الْغَادَةُ الْكَاعِبُ
إِذْ نَحْنُ بالرَّوْحَاء نُسْقَى الْهَوَى ... صِرْفاً وإِذْ يَغْبِطُنَا اللاَّعِبُ
وَقَدْ أرَى «سَلْمَى» لَنَا غَايَةً ... أَيَّامَ يَجْرِي بَيْنَنَا الآدِبُ
يَأَيُّهَا اللاَّئِمُ في حُبِّهَا ... أَمَا تَرَى أَنِّي بِهَا نَاصِبُ(3)
«سَلْمَى» ثَقَالُ الرِّدْفِ مَهْضُومَةٌ ... يَأْبَى سِوَاهَا قَلْبِيَ الْخَالِبُ(4)
غَنِّي بِهَا الرَّاكِبُ فِي حُسْنِهَا ... وَمِثْلُهَا غَنَّى بِه الرَّاكِبُ
لَيْسَتْ مِنَ الإِنْسِ وإِنْ قُلْتُهَا ... جِنِّيَّةً قِيلَ: الْفَتَى كَاذِبُ(5)
لاَ بلْ هيَ الشَّمْسُ أُتيحَتْ لَنَا، ... وَسْوَاسُ هَمٍّ، زَعَمَ النَّاسِبُ
لَوْ خَرَجَتْ لِلنَّاسِ فِي عِيدِهِم ... صَلَّى لَهَا الأَمْرَدُ والشَّائِبُ

---

1) الكاهن: العالم بالحدثان، والمصر: البصرة، انظر تفصيله في البيت 9 من ورقة 102. «سكني» من أسكن إليه.

2) «والعاصب» كتب بعين مهملة، ولعله يقاف عوض العين، أي النافخ بالقصبة. وتقدم في البيت العاشر من ورقة 25.

3) «ناصب» من نصب كتعب.

4) «ثقال» بفتح الثاء أي ثقيلة، كقولهم: حصان رزان، أي حصينة رزينة، وهم يصوغون وزن فعال لصفات الإناث، كقولهم: امرأة صناع اليدين.

5) قوله «وإن قلتها» أي ظننتها، فاستعمل القول بمعنى الظن في غير سياق الاستفهام على لغة سليم، وفي معنى البيت قول أبي تمام في جارية:

إنسية إن حصلت أنسابها ... جنية الأبوين ما لم تنسب

تِلْكَ الْمُنَى لَوْ سَاعَفَتْ دَارُهَا كَانَتْ «لِعَمْرٍو» هَمُّهُ عَازِبُ(1)
أَرَاجِعٌ لِي بَعْضَ مَا قَدْ مَضَى بِالْمَيْثِ أَمْ هِجْرَانُهَا وَاجِبُ(2)
قَدْ كُنْتُ لاَ أَلْوِي عَلَى خُلَّةٍ ضَنَّتْ وَلاَ يَحْزُنُنِي الذَّاهِبُ(3)
ثُمَّ تَبَدَّلْتُ عَلَى حُبِّهَا يَا عَجَبًا يَنْقَلِبُ الذَّاهِبُ(4)
وَصَاحِبٍ لَيْسَ يُصَافِي النَّدَى يَسُوسُ مُلْكاً وَلَهُ حَاجِبُ(5)

---

1) الظاهر أن «عمرا» اسم سيد «سلمى» أي ليتها بقيت دارها قريبة فكانت لعمرو الذي عزمه أنه عازب، أي راحل.

2) الميث (بميم مفتوحة وياء ساكنة وثاء مثلثة) موضع ببلاد الشام حيث ذهبت المحبوبة.

3) لوى: رجع وعطف، والخلة (بالضم): الخليلة وهي مؤنثة «الخل» بضم الخاء، وهو الصديق المختص، وأما الخلة بكسر الخاء فهي الصداقة والمودة، لأنها اسم الهيئة، ويجوز فيها الضم، وبعض الخاصة يغلطون فيعكسون، قال كعب:

أكرم بها خلة لو أنها صدقت..... الخ

ومعنى البيت أنه عزيز النفس لا يرضى الهوان ولو من محبوبه، وفي هذ المعنى قول أبي فراس:

ولكنني والحمد الله حازم أعز إذا ذلت لهن رقاب

4) الظاهر أنه أراد بالذاهب هنا اسم فاعل من ذهب (بكسر الهاء، كفرح) بمعنى الذي ذهب عقله إذا أصاب ذهبا كثيرا، ومعنى التعجب أن العقل قد ينقلب إذا أبصر أمرا عظيما مبهتا، يريد أن عادته تحولت لأنه ذهب عقله وبذلك يندفع الإيطاء عن البيتين لاختلاف معنى «الذاهب».

وقوله «ياعجبا» يا للاستغاثة، وصيغة الاستغاثة تأتي للتعجب مع لام داخلة على المنادى ومع ألف معوضة عن اللام، ويكثر ذلك مع لفظ العجب «يا عجبا»، ومنه قول العرب: ياماءا ويا عشبا ويا ماء ويا عشب.

5) قوله «وصاحب» تخلص من ذكر أنه لا يلوي على خلة ضنت ولا يحزنه الذاهب الدال على أنه عزيز النفس، إلى ذكر مقابلته للأصحاب بمثل ما قابل به الحبائب ولم يعرف من الذي يعنيه بهذا، فلعله يعقوب بن داود وزير المهدي الذي تقدم هجاؤه في ورقة 23. وقوله «ليس يصافي الندى» كتب بمثناة تحتية في أوله فيكون هجاء، أي لا يخالط الكرم، ولعله تصحيف صوابه «بصافي» بالموحدة في أوله، أي كرمه يصفو مرة ويكدر أخرى، أي يعطي ويمنع، وقوله «وله حاجب» تنكير حاجب للتكبير، أي اتخذ حاجبا لمنع الناس من العطاء، وذلك مذموم، قال مروان بن أبي حفصة:

له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

كَالْمَأْجَنِ الْمَسْتُورِ إِذْ زُرْتَهُ ... فِي دَارِ مُلْكٍ لَبْطُهَا رَاعِبُ (1)
ظَلَّ يُنَاصِي بُخْلُهُ جُودَهُ ... فِي حَاجَتِي أَيُّهُمَا الْغَالِبُ (2)
حَتَّى إِذَا طَالَ تَنَاصِيهِمَا ... وَانْهَزَمَ الْجُودُ لَهُ ثَائِبُ (3)
أَصْبَحَ عَبَّاساً لِزُوَّارِهِ ... يَبْكِي بِوَجْهٍ حُزْنُهُ دَائِبُ (4)
لَمَّا رَأَيْتُ الْبُخْلَ رَيْحَانَهُ ... وَالْجُودُ مِنْ مَجْلِسِهِ غَائِبُ (5)
وَدَّعْتُهُ إِنِّي امْرُؤٌ حَازِمٌ ... عَنْهُ وَعَنْ أَمْثَالِهِ نَاكِبُ
أُصْفِي خَلِيلِي مَا دَحَا ظِلَّهُ ... وَدَامَ لِي مِنْ وُدِّهِ جَانِبُ (6)
لَا أَعْبُدُ الْمَالَ إِذَا جَاءَنِي ... حَقُّ أَخٍ أَوْ جَاءَنِي رَاغِبُ
وَلَسْتُ بِالْحَاسِبِ بَذْلَ النَّدَى ... إِنَّ الْبَخِيلَ الْكَاتِبُ الْحَاسِبُ (7)

---

1) «كالمأجن المستور» المأجن (بميم ثم همزة): مختزن الماء، وهو مفعل من أجن الماء (كضرب ونصر وفرح) إذا تغير طعمه من طول مكثه، فهو اسم مكان الأجن، ولم يسمع المأجن من العرب، واستعمله المولدون لأن مثل هذا لا يحتاج إلى سماع، لأنه من الاشتقاق التصريفي، وأما ما يذكره المؤلفون في المولد من لفظ «الماجل» باللام كما ذكره الخفاجي في شفاء الغليل ووقع في شعر المولدين فهو غلط، ولو قالوه بالنون كما فعل بشار لكان له وجه. ووجه الشبه أن خيره مخزون لا يصل إليه أحد، واللبط (بالباء الموحدة): الضرب باليد، أراد به دفع الحجاب للعتاة، وراعب (بالعين المهملة) أي موجب للرعب.
وقوله «المستور» أي المغطى، أي لا يعرف حال مائه إلا بعد كشفه.

2) تمثيل لحالة وهمية وهي حالة المغالبة، يقال: ناصى الرجل الرجل، إذا أخذ كل منهما بناصية خصمه، والمراد هنا أن بخله يجاذب جوده وهو من تمثيل المعقول بالمحسوس.

3) ثائب: ما يخلف بعد النزع، وقوم لهم ثائب: إذا وفدوا جماعة إثر جماعة.

4) «يبكي» تمثيل لشدة الحزن.

5) جعل «البخل ريحانه» كناية عن ملازمته لمجلسه، لأن مجالس الكرماء توضع فيها الرياحين مبالغة في إكرام الوافدين، فقال: إن ريحان هذا هو البخل كقولهم: أسود غابهم (أو غابها) الرماح، وقوله «والجود» مبتدأ، والجملة حالية.

6) كتب «دجا» بجيم، والظاهر أنه تحريف وأن صوابه «دحا» بالحاء المهملة، أي بسط، و«ظله» مفعول «دحا».

7) قوله: «ولست بالحاسب» وصف نفسه بأنه لا يحسب ما يجود به، وجعل الحساب أمارة البخل كما قال النابغة:

شجاها أن صاحبها بخيل ... يحاسب نفسه بكم اشتراها

كَـــذَاكَ يَلقَـــانِـي وَرُبَّ امْـــــــرِىءٍ
لَيْسَ لَــهُ فَضْـــلٌ ولاَ طَـــالِــبُ

* * *

وقال أيضاً يمدح سُلَيمان بنَ داوُدَ الهاشِمي(*):

تَأَبَّــدَتْ بُرْقَــةُ الــرَّوْحَـاء فَاللَّبَـــبُ
فالمُحْدَثَـاتُ بِحَوْضَى أَهْلُهـــا ذَهَبُـــوا(1)
فَأَصْبَحَتْ رَوْضَــةُ المَكَّـــاء خَالِيَـــةً
فَمَاخِــرُ الفَــرْعِ فالغَـــرَّافُ فالكُثُـــبُ
فَأَجْــرَعُ الضَّـــوعِ لاَ تُــرْعَى مَسَـــارِحُـهُ
كُل المَنَـــازِلِ مَبْثُـــوثٌ بِهَـــا الكَــأَبُ(2)
كَأَنَّهَـــا بَعْــدَ مَــا جَــرَّ العَفَــاءُ بِهَـــــا
ذَيْــلاً من الصَّيفِ لَــمْ يُمْــدَدْ لَــهُ طُنُــبُ(3)

---

*) وقـال أيضا يمـدح سليمـان بن داود الهـاشمـي :
هو سليمـان بن داود بن علي بن عبـد الله بن العباس، ذكره ابن حزم في كتاب جمهرة الأنساب في عداد أبناء داود بن علي بن عبد الله بن عباس، ولم أقف له على ترجمـة، ويظهر من هذه القصيدة أنه كانت له إمارة، ويؤخذ من البيت 9 من الورقة 49 أنه يكنى أبا أيوب، أبوه داود بن علي، فهـو عم السفـاح والمنصور، أولاه السفاح على الكوفة سنة 131، وأولاه بعـد ذلك على الحجاز واليمـن واليمـامة سنة 132 وتوفي سنة 133 .
والقصيدة من بحـر البسيط .

1) تأبد المكان: أقفر، و «برقة الروحاء» وما بعدها: أسماء مواضع ومياه، والبرقة: الأرض ذات الحجـارة المختلفـة الألوان، وقد أضاف العرب «برقة» في مواضع كثيرة .
2) الكـأب: مصدر قياسي لكئب (كفرح) إذا حزن واغتم .
3) الطنب (بضمتين): حبل الخباء والسرادق. وجملة «لم يمدد له طنب» خبر كأن، أي كأنها لم تكـن بهـا خيام. وكتب «له» ولعـل صوابه «لها» .

كَانَتْ مَعَايَا مِنَ الأَحْبَابِ فَانْقَلَبَتْ عَنْ عَهْدِهَا بِهِمُ الأَيَّامُ فَانْقَلَبُوا(1)
أَقُولُ إِذْ وَدَّعُوا نَجْداً وَسَاكِنَهُ وَحَالَفُوا غُرْبَةً بِالدَّارِ فَاغْتَرَبُوا
لاَ غَرْوَ إِلاَّ حَمَامٌ فِي مَسَاكِنِهِمْ تَدْعُو هَدِيلاً فَيَسْتَغْرِي بِهِ الطَّرَبُ(2)
سَقْياً لِمَنْ ضَمَّ بَطْنُ الْخَيْفِ إِنَّهُمْ بَانُوا «بِأَسْمَاءَ» تِلْكَ الْهَمُّ وَالأَرَبُ(3)
أَئِنُّ مِنْهَا إِلَى الأَدْنَى إِذَا ذُكِرَتْ كَمَا يَئِنُّ إِلَى عُوَّادِهِ الْوَصِبُ
بِجَارَةِ الْبَيْتِ هَمُّ النَّفْسِ مُخْتَضَرٌ إِذَا خَلَوْتُ وَمَاءُ الْعَيْنِ يَنْسَكِبُ

---

1) كتب في الديوان «معايا» بتحتية فهو جمع معية ، وهو من العياء ، وهو التعب ، وفعله أعيا ، أي كلّ ، والعرب تقول : إبل معايا ، كأنهم اعتبروه جمع معيا ، بمعنى تاعب أو كليل، ونزلوا ميم « معيا » منزلة الأصل ، فجمعوه على معايا بوزن فعالى ، كما يقال في جمع مدرى : مدارى ، قال سيبويه : سألت الخليل عن معايا ، فقال : الوجه معاي وهو المطرد، وكذلك قال يونس أهـ.

قلت: يريد أن الوجه أن يجمع على مفاعل، فتكون الميم زائدة والياء الأولى مكسورة. ثم تحذف الياء الثانية في حالة الرفع والجر ويعوض عنها التنوين ، فيصير معاي ، ولكنه في النصب يقال معايا إفتفتح الياء الثانية وتنقلب الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها. ووصف الأماكن بالأعياء لانها من كثرة السكان كأنها كليلة تاعبة ، وهي استعارة حسنة لا نعرفها لغيره تدل على تمكن بشار من التصرف في اللغة ، ولعله أخذ ذلك من قول النبيء صلى الله عليه وسلم « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها من موضع قدم الا وملك راكع أو ساجد » فإن الأطيط هو أنين البعير من التعب .

ولعل «معايا» محرفة عن « معانا » (بالنون) ، والمعان: المنزل ، ويؤتي بعده بلفظ « من » : « يقال : الكوفة معان منا ، أي منزل ، وقال المعري :

معانٌ من أحبتنا معانُ

2) الغرو : العجب . يقول: لا عجب في تلك الديار إلا بقاء الحمام بها، وكان حقه أن يلحق أهلها ، فوجود الحمام يدل على أنها كانت قريبا آهلة بالسكان ، فإن الحمام يتبع مواقع الناس ليلتقط الحب ، ألا ترى قول طفيل يصف الرواحل في الأسفار :

عوازب لم تسمع بنوح حمامة ولم تر نارا منذ حول محرم
سوى نار بيض أو غزال بقفرة أغن من الخنس المناخر توأم

« فيستغري » كتب بالعين المهملة ، ولا معنى له ، فلعله بغين معجمة ، أي يغريه الطرب على زيادة الهديل ، فالسين والتاء للتوكيد ، والياء لتوكيد لصوق الفعل به ، مثل « وامسحوا برؤوسكم ».

3) الخيف : ما انبسط من الوادي .

أَنْسَى عَزَائِي ولا أَنْسَى تَذَكُّـرَهَا ... كأَنَّنِي مِنْ فُؤَادِي بَعْدَها حَـرِبُ(1)

لا تَسْقِنِي الْكَأْسُ إِنْ لَمْ أَبْغِ رُؤْيتها ... بـالذَّاعِـرِيَّـةِ أُثْنِيهـا وتَنْسلِبُ(2)

تَطْوِي الْفَلَاةَ بِتَبْغِيلٍ إذا جَعَلَتْ ... رُؤُوسُ أَعْلَامِها بـالآلِ تَعْتَصِبُ(3)

كَمْ دُونَ «أَسْمَاءَ» مِنْ تِيهٍ مُلَمَّعَـةٍ ... ومِنْ صَفَاصِفَ مِنْها الْقَهْبُ والْخَرِبُ(4)

يَمْشِي النَّعامُ بِها مَثْنَى ومُجْتمِعاً ... كَأَنَّها عُصَبٌ تَحْدُو بِها عُصَبُ(5)

لا يَغْفُلُ الْقَلْبُ عن «لَيْلَى» وقد غَفَلَتْ ... عَمّـا يُـلَاقِي شَجٍ بالْحُبِّ مُغْتَـرِبُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ لهُ هَمٌّ يُطَـالِبُـهُ ... عِنْدَ الْمُلُوكِ فَـلَا يُزْرَى بِهِ الطَّلَـبُ

يا «سَعْدُ» إِنِّي عَدَانِي عَنْ زِيَارَتِكُمْ ... تَقَاذُفُ الْهَمِّ والْمَهْرِيَّةُ النُّجُـبُ(6)

---

1) الحرب : (بفتح الحاء وكسر الراء) : المحروب ، وهو الذي سلب ماله . شبه انعدام عقله بسلب مالـه .

2) قوله « لا تسقني الكأس » دعاء أو نذر ، فالكأس فاعل وضبط في الديوان بفتحة على السين ، ولعله سهو، ولا : ناهية ، والذاعرية : نسبة للذاعر ، وهو المخيف . تصرف بشار في اشتقاق هذا الوصف لأنه رأى أن النسب كاشتقاق الأفعال والأوصاف لا يحتاج إلى سماع من العرب ، فالعرب قالت : ناقة مذعورة ومذعرة، أي مجنونة، فاشتق هنا صيغة نسب مرادًا بها اسم المفعول ، أي منسوبة لما يذعرها ، أراد شدة عدوها. ويحتمل أن « الذاعرية » محرفة عن « الداعرية » (بالدال المهملة) نسبة إلى « داعر » : اسم فحل منجب ، تنسب إليه الداعرية من الابل .

3) التبغيل : ضرب من مشي الابل بين الهملجة والعنق ، لأنه يشبه مشي البغال ، قال كعب :

لهـا على الأين إرقـال وتبغيـل

وضمير « أعلامها » يعود الى الفلاة ، أي جبالها ، وجعل الآل، أي السراب الذي يبدو على رؤوس الجبـال كالعصائب التي تعتصب بهـا السادة ، وهذا كقول امرىء القيس :

كـأن ثبيرا في عرانين وبلـه ... كبير أناس في بجاد مزمـل

4) التيه (بكسر التاء) : المفازة ، والملمّعة : التي تلمع بالسراب ، أي يشتد فيها لمع السراب ؛ «ملمّعة» مبالغة في لامعة، والصفاصف : جمع صفصف لاتساعها، والقهب (بفتح القاف) : الجبـل العظيم ، والخرب (بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء) : المنخفض من الارض . وهـو يقـابل الجبل .

5) العصب (بضم ففتح) : جمع عصبة ، وهي الجماعة من النـاس .

6) الإدل المهرية منسوبة إلى قبيلة مَهـرة ، والنُّجب : جمع النجيب ، وهـو من الابل : السريع .

في كُلِّ هنّاقةِ الأضواء مُوحِشَةٍ يسْتَرْكِضُ الآلَ في مجهُولِها الحَدَبُ(1)

كأنَّ في جانبَيْهــا من تَغَوّلِهــا بيْضَاءُ تَحْسِرُ أحيانــا وتَنْتَقِـبُ(2)

جــرْداءُ حنــوَّاءُ مخْشِيٌّ متالِفُهــا جشّمتُها العِيسَ والحِرْباءُ مُنْتَصِـبُ

عشْرًا وعشْرًا إلَى عشْرِينَ يرقُبُهــا ظُهْرٌ ويخْفِضُها في بطْنِهِ صَبَبُ(3)

ثُم يبْقَ منْها علَى التّأوِيبِ ضائِعَةً ورِحْلَةِ اللّيْلِ إلاّ الآلُ والعَصَـبُ(4)

ورَادةٌ كُلَّ طامِي الجمِّ عَـرمَضُــهُ في ظِلّ عِقْبانِهِ مُسْتَأسِدٌ نشـبُ(5)

وسبْعةٍ مِنْ «بنِي البطّالِ» قيِّمهُمْ رِداؤُه اليوْمَ فوْقَ الرَّجْـلِ يضْطَرِبُ(6)

جلَّيْتُ عنْ عيْنِهِ بالشِّعْـرِ أنْشِدُهُ حتّى استجاب بها والصُّبحُ مُقْتَرِبُ(7)

---

1) الهنـاقة: مشتقـة من الهنق (محركة) وهو شبه الضجر يعتري الانسان ، واستعملـه هنا مجـازا عن التضاؤل، و« الحدب » بفتح الحاء والدال، بمعنى المرتفـع من الارض .

2) التغـول : التلون ، أراد به اختلاف مرأى الآل والسراب في هاته المفازة ، فكأنه امرأة بيضاء تحسر اللثـام مرة وتنتقب أخرى ، وهذا تشبيه بديع جدا لمنظر خفقان الآل والسراب ، ونظير تشبيهـه السراب هنـا تشبيهـه البرق في قوله الآتي في الملحقـات :

وغيث إذا ما لاح أومـض بـرقــه كما أومضت تحت الرداء خريع

3) « يرقبهـا » أراد يعليهـا على مرقبـة أو مرتقب ، وقد ذكر أهل اللغـة ارتقب بمعنى ارتفـع وأشرف، ومنه اشتق المرتقب للمكـان ، ولم يذكروا الفعل الماضي الذي جاء منه ارتقب الذي أصله مطاوعـة ، فلعلـه لم يحفظ ، والأظهر أنـه مفتوح العين في الماضي ، وقد ذكر بشار هنا مضارعا له، فالظاهر أنه يجوز فيه ضم العين وكسرها، لقول أبي زيد: إذا جاوزت المشـاهير من الأفعـال التي ماضيهـا على وزن فعـل فأنت في المستقبـل بالخيار إن شئت قلت يفعـل بضم العين ، وان شئت قلت يفعل بكسرها ، وقد ضبطه في الديوان بضم القاف. والصبـب : ما انحدر من الأرض .

4) التأويب : سير النهـار ، وقـولـه « ضائعـة »: ضامرة، وهو حال من ضمير العيس، والآل: الخشب ، أراد به العظام . شبـه عظام العيس بالخشـــب .

5) الطامي: الممتلىء، والجم بالجيم: معظم الماء أي كل جم طام ، «وكل» هنا مراد بها الكثرة ، والعرمض (كجعفـر) : الطحلب ، وهو مرفوع مبتدأ ، والعقبـان (بالكسر) جمع عقاب (بالضم) مسيل الماء إلى الحوض، ومعنى « مستأسد » هنا : طويل ، ومعنى « نشب »: متعلق.

6) أراد ببني البطال أهل البطالة الذين وجدهم على الماء ، وذلك أن مواقع الماء هي منازل أحياء العرب فلما ذكر أن ناقتـه وردت ماء ذكر أهل الماء . وقوله «رداؤه اليوم» الخ أراد بيان اختـــلال انضباطه ، ولفظ اليوم استعانة محضة .

7) أي أسهـرتــه .

قال «النُّعَيْميُّ» لمَّا زَاحَ باطِلُهُ وافْتَضَّ خاتَمَ ما يَجْنِي بِهِ التَّعَبُ:(1)

ماأنت إنْلَمْ تكُنْ أيْماً فقدْ عجِبَتْ مِنْك الرِّفاقُ ولِي في فعْلِك العجَبُ(2)

تَهْفُو إلى الصَّيْد إنْ مرَّتْ سوانِحُه بِساقِطِ الرِّيشِ لَمْ يُخْلَفْ له الزَّغَبُ(3)

إنْ كُنْتَ أصْبحْتَ صقْرًا لاجناحَ لهُ فقدْ تُهانُ بِك الْكَرَوَانُ والْخَرَبُ(4)

لله دَرُّكَ لـمْ تَسْمُـو بِقـادِمة أوْ يَنْصِفُ الدَّهْرُ منْ يلْوِي فَيَعْتَقِبُ(5)

إلَى «سُلَيْمانَ» راحتْ تَغْتَدِي حِزَقاً والْخَيْـرُ مُتَّبَـعٌ والشَّـرُّ مُجتَنَبُ(6)

تزُورُهُ منْ ذَوِي الأحْسَـابِ آونَةً وخَيْرُ مَنْ زُرْتَ سُلْطَـانٌ لهُ حَسَـبُ

أغَـرُّ أبْلَجُ تَكْفِينَـا مَشاهِـدُهُ في الْقاعِدِينَ وَفِي الْهَيْجَا إذَا رَكِبُـوا

أمْسَى «سُلَيْمَانُ» مَرْؤُوماً نُطِيفُ بِهِ كما تُطِيفُ بِبَيْتِ الْقِبْلَةِ الْعَـرَبُ(7)

تَرَى عَلَيْهِ جَـلالاً مِنْ أبُـوَّتِهِ وَنُصْـرَةً مِنْ يَـدٍ تَنْدَى وتُنْتَهَبُ(8)

---

1) النعيمي من بني نعيم بن مضر من بني عدي من قبائل حمير، فالظاهر أنه مر بهذا الحي حين أشرف على اليمن فإن سليمان كان أبوه داود أميرا على اليمن. و«زاح باطله» أي أفاق من سكره وقد افتض خاتم جرة الخمر. وعبر عن الخمر بما يجني به التعب، أي ما يدعو إلى شربه التعب، وهذا كما عبر المتنبي عن الخمر بقوله:

سقى الله أيام الصبا ما يسرهـــا ويفعل فعل البابلـي المعتـق

2) الأيم (بفتح الهمزة وتخفيف الياء الساكنة): الحية اللطيفة. وصفه بذلك لخطر أمره. والمعنى إن لم تكن أيما فما أنت، استفهام يفيد معنى القصر كأنه قال: ما أنت إلا أيم.

3) يقال أخلف الطائر: خرج له ريش بعد ريشه الاول، وأخلفه: جعله خلفه.. وهذا البيت وما بعده من مدح «النعيمي» لبشار، فهو يقول له: إنك ليتأتى لك الصيد وتذلل لك المغانم بلا ريش ولا جناح، حتى أنك لتسطو على ذي الريش والجناح.

4) الصقر: من سباع الطير، والكروان بفتح الكاف وهو الحجل، والخرب (بفتح الخاء المعجمة وفتح الراء): ذكر الحبارى.

5) قوله «لم تسمو» لم يجزم الفعل للضرورة كما قال قيس بن زهير العبسي:

ألم يأتيك والأنباء تنمـي بما لاقت لبون بني زياد

وقوله «أو ينصف الدهر من يلوي فيعتقب» لم تتضح معناه.

6) الحزق: الجماعة، وقد كتبه في الديوان منصوبا، ولعله مرفوع، وهو فاعل «راحت» بدليل قوله بعده «تزوره من ذوي الأحساب» الخ.

7) مرؤوما: أي محبوبا محبة شديدة، يقال: رئمت الناقة ولدها إذا أحبته وعطفت عليه.

8) كتب «ونصرة» ولعله «ونضرة».

يَبْدُو لَكَ الْخَيْرُ فيهِ حِينَ تُبْصِرُهُ　　　كما بَدَا في ثَنَايَا الْكَاعِبِ الشَّنَبُ(1)
في هَامَةٍ مِنْ «قُرَيْشٍ» يَحْدِقُونَ بِهَا　　　تُجْبَى ويُجْبَى إِلَيْهَا الْمِسْكُ والذَّهَبُ
عَالَى «سُلَيْمَانُ» في عَلْيَاءَ مُشْرِفَةٍ　　　سَيْفٌ وَرُمْحٌ وآبَاءٌ لَهُ نُجُبُ(2)
يَا نُعْمَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ في مَحَلَّتِهِ　　　وكَانَ يَشْرَبُ بِالْمَاءِ الَّذِي شَرِبُوا(3)
كَانُوا ـ ولادِينَ إِلاَّ السَّيْفُ ـ مُلْكُهُمُ　　　راسٍ وأَيَّامُهُمْ عَادِيَةٌ غُلُبُ(4)
تَطُولُ أَعْمَارُ قَوْمٍ في أَكُفِّهِمُ　　　حِيناً وتَقْصُرُ أَحْيَاناً إِذَا غَضِبُوا
الْعَاقِدِينَ الْمَنَايَا في مُسَوَّمَةٍ　　　تُزْجَى أَوَائِلُهَا الإِيجَافُ والْخَبَبُ(5)
بِيضٌ حِدَادٌ وأَشْرَافٌ زَبَانِيَةٌ　　　يَغْدُو عَلَى مَنْ يُعَادِي الْوَيْلُ والْحَرَبُ(6)
أَقُولُ لِلْمُشْتَكِي دَهْرًا أَضَرَّ بِهِ　　　فيهِ ابْتِذَالٌ وفي أَنْيَابِهِ شُعَبُ:(7)
لاَ جَارَ إِلاَّ «سُلَيْمَانٌ» وأُسْرَتُهُ　　　مِنَ الْعَدُوِّ وَمِنْ دَهْرٍ بِهِ نَكَبُ

---

1) كتب «تنصره» بنون بعد التاء، والصواب «تبصره» بباء موحدة، والشنب: بياض الأسنان وحسنها.

2) «عالى» مبالغة في علا، وقوله «سيف ورمح» استئناف لبيان العلياء المشرفة.

3) قوله «يا نعم» نداء مقصود منه التعجب، وضبط في الديوان بضم النون، والوجه كسر النون، وهي خفض العيش وبضم النون أيضا، وهي في اللغة: المسرة.

4) قوله «ولا دين إلا السيف» جملة معترضة، وقوله «ملكهم رأس» جملة هي خبر «كان». «عادية» أي قوية. أراد أيام انتصارهم في الحرب.

5) المسومة: الخيل المعلمة بسمة بريش أو صوف لشهرتها في الفرسان، كانوا يعلمون شجعانهم بعلامة فيقال: فارس معلم، قال طريف بن تميم العنبري:

فتوسموني إنني أنا ذاكم　　　شاك سلاحي في الحوادث معلم

وقال دوهم بن زيد فيما أنشده الجاحظ في البيان والتبيين:

فأبد سيماك يعرفوك كما　　　يبدون سيماهم فتعترف

وكان حمزة بن عبد المطلب معلما يوم بدر بريشة نعامة حمراء، وقوله «أوائلها الإيجاف» أي أول سيرها السير السريع.

6) زبانية: جمع زبنية، بكسر الزاي وسكون الموحدة وهو الشديد الصعب، وقوله «على من يعادي» أي يعادي سليمان، فحذف عائد الموصول لأنه منصوب بفعل.

7) لم يضبط في الديوان حروف «شعب» والظاهر أنه بضم الشين وفتح العين، جمع شعبة، وهي الفضاء بين شيئين، أي وفي أنيابه تفرق، وذلك من صفات أنياب الأسد، ففي البيت استعارة مكنية.

إِذَا لَقِيتَ «أَبَا أَيُّوبَ» فِي قَعَدٍ   أَوْ غَازِياً فَوْقَهُ الرَّايَاتُ تَضْطَرِبُ(1)

لاَقَيْتَ دُفَّاعَ بَحْرٍ لاَ يُضَعْضِعُهُ   لِلْمُشْرِعِينَ عَلَى أَرْجَائِهِ شُرُبُ(2)

فَاشْرَبْ هَنِيئاً وَذَيِّلْ فِي صَنَائِعِهِ   وَانْعَمْ فَإِنَّ قُعُودَ النَّاعِمِ اللَّعِبُ(3)

الْهَاشِمِيُّ «ابْنُ دَاوُدٍ» تَدَارَكَنَا   وَمَا لَنَا عِنْدَهُ نُعْمَى وَلاَ نَسَبُ

أَحْيَا لَنَا الْعَيْشَ حَتَّى اهْتَزَّ نَاضِرُهُ   وَجَارَنَا فَانْجَلَتْ عَنَّا بِهِ الْكُرَبُ(4)

لَيْثٌ لَدَى الْحَرْبِ يُذْكِيهَا وَيُخْمِدُهَا   وَلاَ تَرَى مِثْلَ مَا يُعْطِي وَمَا يَهَبُ

صَعْباً مِرَاراً وَتَارَاتٍ نُوَافِقُهُ   سَهْلاً عَلَيْهِ رِوَاقُ الْمُلْكِ وَاللَّجِبُ(5)

رَكَّابُ هَوْلٍ وَأَعْوَادٍ لِمَمْلَكَةٍ   ضَرَّابُ أَسْبَابِ هَمٍّ حِينَ يَلْتَهِبُ(6)

سَاقِي الْحَجِيجِ أَبُوهُ الْخَيْرُ قَدْ عَلِمَتْ   عُلْيَا «قُرَيْشٍ» لَهُ الْغَايَاتُ وَالْقَصَبُ(7)

---

1) «قعد» بفتحتين: جمع قاعد، مثل حرس وخدم، والقاعد هنا وفي مثله اسم فاعل من قعد عن الحرب: إذا لم يخرج إليها، قال تعالى «فاقعدوا مع القاعدين» وقال «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله» ومنه اشتق اسم شهر ذي القعدة، لأنه أول الأشهر الحرم، فكانوا اذا استهل يقعدون عن الغزو والقتال، ومنه سمي قوم من الخوارج «القعدة» لأنهم لايرون قتال أيمة الجور. ومراد بشار: إذا لاقيته في وقت السلم وفي وقت الحرب لقيت بحرا.

2) الدفاع (بضم الدال وتشديد الفاء): الموج المندفع بقوة من البحر أو السيل، استعاره هنا لكثرة الكرم، والشرب بضم الشين وضم الراء لاتباع حركة الشين للضرورة، وأصله بسكون الرء.

3) «ذيِّل» بمعنى طول وزد.

4) قوله «وجارنا» كذا كتب ولم يظهر فعله، ولعله «وجاءنا».

5) «مرارا» براءين، بدليل مقابلته بقوله «وتارات»، وكتب في الديوان بزاي بعد الميم وبفتح الميم ولا يستقيم مع المدح، الرواق (بكسر الراء وضمها): الفسطاط المحيط بالبيت، وهو مبتدأ، وقوله «عليه» خبره مقدم، واللجب (بفتح اللام وكسر الجيم) صفة لموصوف محذوف وهو الجيش الكثير، مشتق من اللجب (بفتحتين) وهو الجلبة والصياح.

6) الأعواد: المنبر، انظر البيت 18 من الورقة 173، وقد جمع في لفظ «ركاب هول وأعواد» معنيين مجازيين، وهو جائز عند أهل العربية تبعا لجواز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه.

7) «أبوه» اي أبوه الأعلى، وهو جده، وهو العباس بن عبد المطلب، واسم الأب يطلق على الجد، قال قصي: «أمهتي خندف وإلياس أبي» كما يطلق الابن على الحفيد، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن عبد المطلب». والقصب: جمع القصبة التي تجعل علامة لأهل سباق الخيل، يجعلون على القصبة راية يأخذها السابق بيده حين يصل إليها لتكون شهادة له بأنه السابق.

وَافَى «حُنَيْناً» بِأَسْيَافٍ وَمَقْرَبَةٍ   شُعْثِ النَّوَاصِي بَرَاهَا القَوْدُ وَالخَبَبُ(1)
يُعْطِي العِدَى عَنْ رَسُولِ اللهِ مُهْجَتَهُ   حَتَّى ارْتَدَى زَيْنَهَا وَالسَّيْفُ مُخْتَضِبُ(2)
وَكَانَ «دَاوُدُ» طَوْداً يُسْتَظَلُّ بِهِ   وَفِي «عَلِيٍّ» لِأَعْدَاءِ الهُدَى هَرَبُ
وَالفَضْلُ عِنْدَ «ابْنِ عَبَّاسٍ» تُعَدُّ لَهُ   فِي دَعْوَةِ الدِّينِ آثَارٌ وَمُحْتَسَبُ
قُلْ لِلْمُبَاهِي «سُلَيْمَاناً» وَأُسْرَتَهُ   هَيْهَاتَ لَيْسَ كَعُودِ النَّبْعَةِ الغَرَبُ(3)
رَشِّحْ أَبَاكَ لِأُخْرَى مِنْ صَنَائِعِهِ   وَاعْرِفْ لِقَوْمٍ بِرَأْسٍ دُونَهُ أَشَبُ(4)
أَبْنَاءُ أَمْلاَكِ مَنْ صَلَّى لِقِبْلَتِنَا   فَكُلُّهُمْ مَلِكٌ بِالتَّاجِ مُعْتَصِبُ(5)
دَمُ النَّبِيِّ مَشُوبٌ فِي دِمَائِهِمُ   كَمَا يُخَالِطُ مَاءَ المُزْنَةِ الضَّرَبُ
لَوْ مُلِّكَ الشَّمْسَ قَوْمٌ قَبْلَهُمْ مَلَكُوا   شَمْسَ النَّهَارِ وَبَدْرَ اللَّيْلِ لاَ كَذِبُ(6)
أَعْطَاهُمُ اللهُ مَا لَمْ يُعْطِ غَيْرَهُمُ   فَهُمْ مُلُوكٌ لِأَعْدَاءِ النُّهَى رُكُبُ(7)

---

1) المقربة (بفتح الراء): الأفراس التي تقترب من بيت صاحبها وتكرم، و« براها » اي أهزلها، والقود: مصدر قاد الخيل، والخبب: ضرب من سرعة السير .

2) أشار الى خروج العباس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين انهزم جيش المسلمين ، وكان العباس آخذا بحكمة بغلة الرسول عليه السلام ينادي المسلمين بالثبات والتجمع ، وتلك ساعة خوف وفـرار.

3) النبعة : قصبة صلبة من قصب النبع تتخذ منها الرماح والقسي، والغرب (بفتح الغين المعجمة وبفتح الراء): شجر تتخذ من أغصانه القداح .

4) «رشّح» أي هيّىء وأعد. والمراد بأخرى الأخيرة أي في الاعتبار. أراد رشحه لأقل من صنائع سليمـان ، وعرف بكذا: أقر ،وقوله «برأس» كتب في الديوان بعلامة صغيرة على الألف يشبه أنها همزة فلعلـه أراد رأس القوم أي سيدهم، واذا كان ما بعد الراء ألفا كان راسٍ اسم فاعل من رسا، أي بجبـل راس يريد بمجد ثابت، كمـا في قول السموأل أو الحارثي:

رسـا أصلهفوق الثرى وسمـا بـه   الى النجـم فـرع لاينـال طويـل

والأشب: كثـرة الشجر حتى لا يستطاع اجتيازه، وانظر البيت التاسع من ورقة 51 .

5) أي أبناء أملاك المسلمين، وأراد بالأملاك الخلفاء والأمراء، فقد كان عبد الله بن عباس أميرا، وكان داود بن علي أميرا، ومن أعمام الممدوح خلفـاء.

6) قوله: « لاكذب » اي لاكذب في ذلك، فحذف الخبر لظهوره ، كقوله صلى الله عليه وسلم « أنا النبـيء لاكذب » .

7) عريت كاف « ركب » في الديوان من الضبط والظاهر أنها مضمومة، فتكون « ركب » جمع « ركوب » بفتح الراء أي كثير الركوب.

لاَ يَحْدَبُونَ عَلَى مَالٍ بِمَبْخَلَةٍ ... إِذَا اللِّئَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ حَدِبُوا(1)

لَوْلاَ فُضُولُ «سُلَيْمَانَ» وَنَائِلُهُ ... لَمْ يَدْرِ طَالِبُ عُرْفٍ أَيْنَ يَنْشَعِبُ(2)

يَنْتَابُهُ الأَقْرَبُ السَّاعِي بِذِمَّتِهِ ... إِذَا الزَّمَانُ كَبَا، وَالْخَابِطُ الْجُنُبُ(3)

كَمْ مِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الطَّرْفِ لَيْسَ لَهُ ... إِلاَّ تَنَاوُلَ كَفَّيْ ذِي الْغِنَى أَشَبُ(4)

آخَى لَهُ عَرْوُهُ الأَثْرَى فَنَالَ بِهِ ... رَوَاحَ آخَرَ مَعْقُودٍ لَهُ سَبَبُ(5)

بِنَائِلٍ سَبِطٍ لا مَنَّ يُرْدِفُهُ ... إِذَا مَعَاشِرُ مَنُّوا الْفَضْلَ وَاحْتَسَبُوا(6)

يَا ابْنَ الأَكَارِمِ آبَاءً وَمَأْثُرَةً ... مِنْكَ الْوَفَاءُ وَمِنْكَ النَّائِلُ الرَّغَبُ(7)

---

1) مبخلة (بفتح الميم ثم الباء الموحدة ساكنة ثم خاء معجمة مفتوحة): ما يحمل المرء على البخل، وفي الحديث «الولد مبخلة مجبنة». وحدب عليه: حفظه.

2) الفضول هنا: جمع فضل، وهو الإحسان أو الابتداء به بلا علة له، والنائل: العطية، والعرف: المعروف. وينشعب مطاوع شعب القدح إذا أصلح ما فيه من شق.

3) الخابط: طالب المعروف، ويقال: المختبط، وأصله تمثيلية من خبط الشجر بالعصا ليتساقط ورقه، قال عبدة بن الطبيب:

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب

والجنب: البعيد في النسب.

4) «ضعيف الطرف» أي ضعيف في نظره الى الناس لأنه ينظر عن استحياء من حاجته اليهم، وهذا كقول جرير:

كم بالمواسم من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

وقوله، «أشب» اسم ليس، والأشب: الكسب، وهو بفتح الشين، وقوله «إلا تناول ...» الخ استثناء مقدم على المستثنى منه، فهو منصوب على الأفصح، و«أشب» هو المستثنى منه.

5) كتب هذا المصراع في الديوان بتحريفات فأصلحته بما يأتي:
«آخى له» بهمزة ثم ألف ثم خاء معجمة اي جعل له أخا، و«عروه» بفتح العين المهملة: مصدر عراه، إذا أنزل به، وكتب «الاثرى» في الديوان بإمالة، وهو خطأ وضبط همزة الأثرى بفتحة وهو خطأ، والصواب كسر الهمزة وبألف في آخره، أي الإثراء بالمد وقصره للضرورة، وقوله «رواح آخر» المراد بـ(آخر) نفس اليتيم المتحدث عنه، أي تغير حاله من فقر الى إثراء فلما تغير حاله صار كأنه شخص آخر، وهذا كما يقال خرج بغير الوجه الذي دخل به، أي بغير حالة وجهه التي دخل بها، «ومعقود» نعت لآخر.

6) «يردفه» أي يتبعه، وهو من بابي: سمع ونصر، ويقال «أردفه» أيضا، ففي ضبطه ثلاثة وجوه. واحتسبوا مبالغة في حسبوا أي عدوه وكرروه.

7) المأثرة (بفتح الثاء وبضمها) المكرمة الموروثة، والرغب: مصدر رغب، وهو هنا بمعنى المفعول، أي المرغوب فيه النفيس، كالخلق بمعنى المخلوق.

في الحيِّ لي دَرْدَقٌ شُعْثٌ شَقِيتُ بِهِمْ   لا يَكْسِبُون وما عِنْدِي لَهُمْ نَشَبُ(1)
عزَّ الْمَضَاعُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ وَجْبَتِهِمْ   فَمَا تَرَى فِي أُنَاسٍ عَيْشُهُمْ وجبُ(2)

* * *

وقال أيضـاً(*) :

عامتْ «سُلَيْمى» ومسَّها سغبُ   بلْ مالها لا تـزالُ تـكْتئبُ(3)
تذكَّـرتْ عيشـةً «بِـذِي سَلَمٍ»   عِشْنـا بِهـا نجتنِـي ونحـتلبُ
وأكبرتْ بذرةً شـريْتُ بهـا   عِرْضِي مِن الذَّمِّ، والشِّرا حَسَبُ(4)
يا «سَلْمَ» عِرْضِي حِمًى سأمنعـه   والْعِرضُ يُحْمَى، ويُوهبُ الذهـبُ

---

1) الدردق: أطفال الإبل، ثم أطلق على أطفال الناس، قال الأعشى:
ترى القوم فيها شارعين ودونهم   من القوم ولدان من النسل دردق
والنشب: المال.

2) كتب في الديوان «المضاع» بعين مهملة في آخره، وضبط بفتح الميم، فهو مصدر ميمي من الضياع، وهو الهلاك، ويجوز أن يكون محرفا عن «المضاء» بهمزة في آخره، وهو الاستمرار، يقال: مضى على الأمر مضاء: استمر، أي صعب عليهم الاستمرار على هذه الخصاصة. الوجبة (بفتح الواو وسكون الجيم): الأكلة الواحدة في اليوم والليلة الى مثلها من الغد، وأراد بقوله «فما ترى» الاستفهام المكنى به عن الاستجداء. وقوله «وجب» أراد به الاسم من الوجبة، أي أن تكون عيشتهم بالوجبة، ولم أقف على هذا المصدر.
ويجوز أن يكون «المضاع» محرفة عن «المضاغ» بفتح الميم والضاد وبغين معجمة في آخره، وهو ما يمضغ من الطعام، ومنه قولهم: «ما ذقت مضاغا». و«عز»: قل.

*) وقال أيضا في الفخر على أعدائه، والاستخفاف بهم، وفي الغزل، وابتدأها بذكر «سليمى» التي هي زوجه أو تخيلها زوجه على عادة العرب في مثل هذا المقام، ثم ذكر حبيبة له وهي في قوله «وغادة كالحباب ....» الخ.
وهذه القصيدة غير تامة في الديوان وقد ترك الناسخ صفحة بياضا في آخرها.
وهي من بحر السريع وعروضها مخبولة مكشوفة وضربها كذلك، وفي أبياتها زحافات.

3) كتب في الديوان «غامت» بغين معجمة، والصواب أنه بعين مهملة «عامت» أصابتها العيمة، وهي شهوة اللبن لبعد العهد بشربه، يقال: سقاهم من العيمة، ولذلك قال في البيت بعده «ونحتلب».

4) استعمل «شرى» هنا بمعنى اشترى، وهو وارد في اللغة بقلة، قيل: منه قوله تعالى «وشروه بثمن بخس» وليس كذلك، وقوله «والشرا حسب» بكسر الشين المعجمة مصدر بمعنى الاشتراء وهو ممدود، وقصره هنا للضرورة، والتعريف فيه للعهد، أي وهذا الشراء، وكتب في الديوان بالإمالة، وهو خطأ.

لا تذْكُرِي مَا مَضَى وشأنَكِ بِي الْـ ... ـيَوْمَ فإنَّ الزّمانَ ينْقلِبُ(1)
حُلْوًا ومُرًّا وَطَعْمَ ثالِثَةٍ ... فِي كُلِّ وجْهٍ مِنْ صَرْفِهِ عَجَبُ
دِينِي لِدهْرٍ أصمَّ مُنْدلِثٍ ... يُهْرَبُ مِنْ رَيْبِهِ ولا هَرَبُ(2)
أودى بأهْلِ الْغديرِ فانْقَرَضُوا ... لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رأسٌ ولا ذَنَبُ (3)
وارْضَيْ بِما راعَكِ الزّمانُ بِهِ ... ما كُلَّ يومٍ يَصْفُو لَكِ الحلَبُ
جرّبْتِ ما جرّبَ الْحليمُ فهلْ ... لاقيْتِ عَيْشاً لمْ يعْرُهُ نَصَبُ
لا ينْفعُ الْمرْءَ مالُ والِدِهِ ... غَدا عيِيًّا، وينْفعُ الأدبُ
وغادةٍ كالْحُبابِ مُشْرِقَةٍ ... رَودٍ عليْها السُّمُوطُ والْقُضُبُ(4)
كأنَّ ياقُوتَها وعُصْفُرَها ... فِي الشّمْسِ إذْ لهّبتْهُما لَهَبُ
قالتْ: تَرَكْتَ الصِّبَا، فقُلْتُ لَهَا ... لاَ بَلْ تجالَلْتُ والصِّبا لعِبُ(5)
وقدْ نَهانِي الإمامُ فانصرَفَتْ ... نَفْسِي لَهُ والإمامُ يرْتقِبُ
آلَيْتُ يأبى الصِّبا وأتبعَهُ ... هيْهاتَ بيْنِي وبيْنَهُ نَجَبُ(6)

---

1) « شأنك بي » يجوز فيه الرفع على الأبتداء والنصب على الإغراء وهو أحسن.
2) المندلث: الذي لا ينفك في الحرب عن القتال لا ينهنهه شيء، وقوله « دبني » أمر من دان يدين: إذا أطاع وامتثل، وقوله « ديني » بمعنى سلّمي واخضعي.
3) انظر من أراد بأهل الغدير.
4) كتب في الديوان « كالجناب » بجيم ثم نون، ولا معنى له، والصواب « كالحباب » بحاء مهملة ثم موحدة، والحباب (بضم الحاء): الحية، ووجه الشبه حسن المشية، وقد تقدم في البيت 25 من الورقة 42. وضبط «رود» بضم الراء، والصواب أنه بفتح الراء مصدر رادت المرأة إذا أكثرت الاختلاف الى بيوت جاراتها كما في اللسان. وصفت هنا بالمصدر للمبالغة. وضبطت في الديوان كلمة « القضب » بضاد معجمة مضمومة. ولم يظهر لها معنى، فلعل الكلمة محرفة عن « القصب » بصاد مهملة مفتوحة، والقصب: الجوهر، و« السموط » وهي قلائد اللؤلؤ.
5) «تجاللت» أي اتصفت بجلال، وهو العظمة والوقار، وصيغة التفاعل مستعملة في قوة الفعل، كقولنا: تبارك الله وتعالى.
6) « يأبى » أي الإمام، وضمير « أتبعه » للصبا، أي لا تجتمع إباءته الصبا واتباعي الصبا، فأتبعه منصوب بواو المعية بعد النفي المقدر. «ونجب» بنون مفتوحة فجيم مفتوحة: واد عظيم في ديار محارب، أراد بيني وبين الصبا واد، أي حائل عظيم، وكلمة « هيهات » معترضة.

فَاسْتَبْدِلِي أَوْ قِرِي، شَرَعْتُ إِلَى الْـــحقِّ ، وبِئْسَ الْمَطِيَّــةُ النُّغَبُ(1)
يا «سَلْمَ» إِنِّي امْرُؤٌ يُــوَقِّرُنِي حِلْمِي إِذا الْقَوْمُ فِـي الْخَنَا وثَبُـوا
وَقَدْ أَتَـانِي وَعِيـدُ شِـرْذِمَـةٍ فِيهِمْ طِمَاحٌ ومَا بِهِـمْ صَلَـبُ(2)
مَهْلاً بِغَيْرِي اعرِكُوا شَـذَاتَكُـمْ لِلْحَرْبِ مِمَّنْ يَحُشُّهَـا حَـطَـبُ(3)
قَدْ أَذْعَـرُ الْجِـنَّ فِي مَسَارِحِهَا قَلْبِـي مُضِـيءٌ ومِقْـوَلِي ذَرِبُ
خَصَيْتُ عَدْوَانَ بَعْدَ شَيْلَتِــه وَاللَّيْثُ يَخْصِي وَيَخْدَعُ الشَّبَبُ(4)
لاَ غَرْوَ إِلاَّ فَتَى الْعَشِيـرَةِ عَـا فَتْـهُ الْمَـنَايَـا وَدُونَـه أَشَـبُ(5)
بَــاتَ يُغَنِّــي والْمَوْتُ يَطْلُبُــهُ والْمَـرْءُ يَلْهُـو وحَيْنُـهُ كَثَـبُ

---

1) كتب في الديوان «التعب» بمثناة فوقية ثم عين مهملة، ولا معنى له، والصواب «النغب» بنون ثم غين معجمة ، وهو بضم النون وفتح الغين، جمع نغبة، بضم فسكون وهي الفعلة القبيحة .

2) الشرذمة : الجماعة القليلة من الناس، الطماح بكسر الطاء: النفور والجماح، و«الصلب» ضبط بفتحتين، والصلب يطلق على الارض الصلبة التي يعسر السير فيها، وأراد به هنا مطلق الشدة على سبيل الاستعارة.

3) «اعركوا» حكّوا، قال زهير:

فتعرككم عرك الرحى بثفالهـــا

وكتب «بغربي» والصواب «بغيري» وهو متعلق بـ(اعركوا)، و«الشذاة» بقية القوة .

وقوله «ممن» بيان لغير، أي اجمعوا من يعينكم على حربي.

يقال: حش الحرب، أي أوقدها مجازا، ومنه قولهم: فلان محش حرب (بكسر الميم وفتح الحاء) أي يتسبب فيها كثيرا، وأصله من حش النار إذا زاد فيها الحطب، قال أبو كزام زاهر التميمي من شعراء الحماسة:

لـــه تيم أي رمح طــــــراد لاقى العلو وأي مصل جـــلاد
و محش حرب مقدم متعـــرض للموت غير معـــرّد حيّـــاد

4) عدوان (بفتح العين وفتح الدال) من أوصاف الذئب، فإذا كان هو المراد هنا فقد سكن الدال للضرورة ، وانظرما أراد بشيلته ، وقوله : «والليث» صوابه والذئب ليناسب ما قبله ، وهذا كناية عن تدبره وتحيله وشجاعته ، بدليل قوله قبله «قلبي مضيء»، والشبب (بالتحريك) : الشاب: ثور الوحش ، والمعنى أخصيه وأجدعه.

5) «لاغرو» انظر البيت 15 من الورقة 18. و«دونه أشب» انظر البيت 23 من الورقة 49.

فالآن أَسْمَحْتُ للخُطُوبِ فلَا تَلْقَى فُؤادِي مِنْ حادثٍ يجِبُ(1)
قَلَّبَنِي الدَّهْرُ فِي قَوالِبِهِ وكُلُّ شَيْءٍ لِكَوْنِهِ سَبَبُ(2)

* * *

1) «أسمحت» بمعنى سمحت، أي لا أمنعهما من تطرق قلبي، وقوله «يجب» مضارع وجب بمعنى سقط، وأراد به كثرة الاضطراب.

2) بعد هذا البيت موضع صفحة تركت بياضا في الأصل.

. . . .

فَيَا حَزَنَا هَلاَّ بِنَا كَانَ مَا بِهِ ... مِنَ الْوُدِّ إذْ تَبْكِي عَلَيْهِ قَرَائِبُهْ(1)

وَمَمْسُوكَةٍ عَذْرَاءَ يَحْمِلُهَا فَتًى ... وَلَمْ تَعْيَ كَفَّاهُ وَلَمْ يَدْمَ غَارِبُهْ(2)

أَتَتْنِي بِهَا رَوَّاقَةٌ فِي نِفَاقِهَا ... لِتُخْبِرَنِي عَنْ شَاهِدٍ لاَ أُقَارِبُهْ(3)

خَلَوْتُ بِهَا يَوْماً فَلَمَّا افْتَضَضْتُهَا ... تَبَيَّنَ مَا فِيهَا وَصَرَّحَ عَائِبُهْ(4)

وَقَالَ بِمَا قَالَ الْمُحِبُّ نَصَاحَةً ... وَهَلْ يَكْذِبُ الصَّبُّ الْمُحِبَّ حَبَائِبُهْ

أُعِيذُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ دَخْسِ حَاسِدٍ ... تَنَامُ وَمَا نَامَتْ بِلَيْلٍ عَقَارِبُهْ(5)

عَلَيْكَ سَمَاءٌ دُونَنَا تُمْطِرُ الرَّدَى ... وَسَوْرَةُ طَبٍّ لم تُقَلَّمْ مَخَالِبُهْ(6)

فَلَا يَأْتِنَا مِنْكَ الْحَدِيثُ لَذَاذَةً ... لأُصْوِلَةٍ ، لاَ يَأْمَنُ الْهَوْلَ رَاكِبُهْ(7)

---

1) هذا البيت وما بعده بقية من قصيدة ذهب أولها ، ولها بيض الناسخ .
وهذه القصيدة من الطويل وعروضها مقبوضة وضربها مقبوض.

2) « ممسوكة » اي مطية بالمسك ، والأبيات الأربعة سلك فيها طريقة الإلغاز.

3) الرواقة : الجارية التي تحضر الخمر للشرب ، منسوبة الي الراووق، وهو باطية الخمر ، وقد تكون وصفا من قولهم ،« جارية رواقة » وبذلك يأتي الإلغاز .

4) كتب « عائبه » بعين مهملة ، ولعله بغين معجمة.

5) جملة «أعيذك» وما بعدها بدل من جملة «قال المحب» . الدحس : الإفساد، وبين «دحس» و« حاسد » جناس ، وبشار يشير الى شخص حاسد للممدوح ، والممدوح في غفلة عنه.

6) المعنى : أنك كالسماء تمطر الغيث النافع وتمطر مطر السوء، فأمطر على غيرنا الردى، وهذا إغراء بحاسده . والسورة : الشدة ، وقوله « طب » كتب بطاء مهملة وباء موحدة ، ولم يظهر له معنى ، فهو تحريف ، لعله« ليث » بقرينة قوله « لم تقلم مخالبه » أي أنت كالليث في السورة.

7) « أصولة » صفة للمبالغة مشتقة من صؤل البعير (بالهمزة بعد الصاد المهملة). وقد انفرد بشار باشتقاق هذه الصفة، وكأنه اعتبر قولهم: جمل صؤول ، ثم نزل صؤول منزلة الاسم فجمعه على أصولة ، ثم أطلقه على الواحد للمبالغة ، ، ومعنى البيت : نهى المخاطب عن غفلته عن حاسده وانبساطه له بالحديث ، فشبه انبساطه بحاسده بحداء وراء جمل صؤول ، فتأمل .

فَلِلَّـهِ مَحْزُونٌ يَـرُوضُ هُمُومَـهُ عَلَى فَتْكَةٍ، والْفَتْكُ صَعْبٌ مَرَاكِبُهْ (1)
إِذَا هَمَّ لَمْ يَرْضَ الْهُوَيْنَى ولَمْ يَكُنْ كَلِيلاً كَسَيْفِ السَّـوْءِ تَنْبُو مَضَارِبُهْ

* * *

وقـال أيضـاً(•):

خَلِيلَيَّ قُـومَـا فَاعْذِرَا أَوْ تَعَتَّبَـا وَلاَ تَعْـذُلاَنِي أَنْ أَلَذَّ وَأَطْـرَبَـا
إِذَا ذُكِرَتْ صَفْرَاءُ أَذْرَيْتُ عَبْرَةً وَأَمْسَكْتُ نَفْسِي رَهْبَـةً أَنْ تَصَبَّبَـا
وَمَا اسْتَفْرَغَ اللَّـذَّاتِ إِلاَّ مُشَيَّعٌ إِذَا هَمَّ لَمْ يَذْكُرْ رِضَى مَنْ تَغَضَّبَا(2)
تغنّي رفِيقِي باسْمِهـا فكأنَّمـا أصاب بِقلْبِي طـائـرًا فتضرّبـا
ومِنْ عجبِ الأَيّامِ أَنَّ اجْتِنابنـا رَشَادٌ ولكِنْ لا نُطيقُ التَّجَنُّبَـا(3)
إذا حنَّ مُشْتاقٌ حَنَنْـتُ عِراضةً كما عارض الْعُودُ الْيَـرَاعَ الْمُثقَّبا(4)
وحاجاتِ نفْسٍ كُنَّ مِـنْ دَرَكِ الْهـوى
لقِيتُ بِهـا ضيفـاً ولمْ ألْقَ مرْحبـا
أُقلِّبُ فـي صفْـراءَ كُـلَّ عَشِيَّـةٍ
هَـوَايَ ويَأبَـى الْقَلْبُ إِلاَّ تَقَلُّبَـا

---

1) أي لله محزون يترقب فتكة بأعدائه.

•) وقال أيضا يشبب بصفراء، ويتخلص الى أخلاقه، ويلوم يحيى بن زيد على قطع خلته. ويحيى بن زيد هذا من أنصار حماد عجرد، وقد هجاه في جملة من هجا من أنصار حماد في القصيدة التي أولها: «الله أكبر والصغير صغير». وانظر هل هو من بني زيد الذين قال فيهم القصيدة :

شهدت على الزيدي أن نساءه... الخ

المذكورة في ترجمته من الأغاني ص 51 ج 3. والقصيدة من بحر الطويـل.

2) هذا البيت سبق كله انظر البيت 23 من الورقة 40 .

3) قوله «ولكن لا نطيق التجنبا» أي هذا خلق جميع الناس، فلذلك أتى بنون الجماعة ، ورواه في المختار : أن اجتنابها رشاد وأني لا أطيق الخ . . .

4) العراضة بكسر العين: المعارضة، أي المقابلة، يعني قابلت حنينه بحنيني، وكتب في الديوان «حللت» بلامين ، والصواب أنه بنونين ، والعود : عود الأوتار ، واليراع المثقب : المزمار .

أَمَرَّ عَلَيَّ الْعَيْشَ يَوْمٌ عَدِمْتُهُ ولاَ أَشْتَهِي لَيلِي إِذَا مَا تَأَوَّبَا(1)
فَقُلْ فِي فَتًى سُدَّتْ عَلَيْهِ سَبِيلُهُ فَضَاعَ وَقَدْ كَانَ الطَّلُوبَ الْمُطَلَّبَا(2)
خطبْتُ عَلَى حَبْلِ الزَّمَانِ لَعَلَّهُ يُسَاعِفُنِي يَوْماً وَقَدْ كَانَ أَنْكَبَا(3)
خُلِقْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا(4)
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى، وَأُعْطَى فَلَمْ أُرِدْ
وَقَصَّرَ عِلْمِي أَنْ أَنَالَ الْمُغَيَّبَا(5)

---

1) أي أن يومي جعل عيشي مرا ، فقوله «عدمته» دعاء على اليوم بالذهاب وهو كناية عن الكراهية لأن الشخص المكروه يدعو كارهه بفقده ، ومثله بيت الحماسة:

يا أيها العام الذي قد رابني أنت الفداء لذكر عام أولا
أنت الفداء لذكر عام لم يكن نحسا ولا بين الأحبة زيّلا

وقوله «ولا أشتهي ليلي» أي لا أحب مجيء الليل، وهذا كناية عن ضيق حياته كقول امرىء القيس:

الا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل

وقع في الديوان خطأ في ضبط هذا البيت، وكتب لفظ القافية في الديوان «تلوتا» سهوا ، وضبط في الديوان « يوم » بفتح الميم.

2) حذف مقول القول لظهوره في مثل هذا المقام، أي فقل قولك أي رأيك، فالكلام أمر والمقصود منه الاستفهام.

3) خطبت بخاء معجمة في أوله كما يلوح في الديوان كما جاء في المختار ص 118 . المعنى كأنه يريد تشبيه الزمان براحلة هو راكبها، وأنه تمكن منها حتى أنه يخطب على حبل الزمان، أي زمامه، إذ قد ذلله وطمع من ذلك ان يصير الزمان مساعفا له مع علمه بأن الزمان بعير أنكب، أي في مشيته ميل فلا يساعف راكبه تمام المساعفة. وروي في المختار (ص 118) بلفظ «على ظهر الزمان» ولفظ «وإن كان» وهو أوضح.

4) قال في الأغاني عن أحمد بن خالد قال: حدثني أبي قال: كنت أكلم بشارا وأرد عليه سوء مذهبه، فكان يقول: «لا أعرف الا ما عاينته» وطال الكلام بيننا، فقال لي: ما أظن يا أبا خالد إلا كما تقول وأن الذي نحن فيه خذلان ولذلك أقول:

طبعت على ما في غير مخيرّ. . . الأبيات الثلاثة .

5) رواه في المختار بلفظ «ولم أرد» وبلفظ «ويقصر علمي» أي يقصر عن أن أنال، ولأن قوله «وقصر علمي» لا يعطي معنى إلا بتكلف .

وأُصْرَفُ عنْ قَصْدي وحِلْميَ مُبْلِغِي   وأُضْحي وما أَعْقَبْتُ إلاَّ التَّعجُّبا(1)
وما البِرُّ إلاَّ خُزْمَةٌ إنْ رعيْتَها   رَشَدْتَ وإنْ لم تَرْعَها كُنْتَ أَخْيَبا(2)
أ«يَحْيى بْن زيْد» فِيمَ تَقْطعُ خُلَّتِي   لقدْ خُنْتَ وُدّاً بلْ تجشَّمْتَ مُعْجَبا
أحِينَ أشارتْ بِي الأَكُفُّ مُعيدةً   وحفَّتْ بيَ الْحمْراءُ خرْقاً مُعصَّبا(3)
وقامتْ «عُقَيْلٌ» منْ ورائيَ بالْقَنَا   حفَاظاً وعاقَدْتُ الْهُمَامَ الْمُحجَّبا(4)
تَنحَّ أَبا فِعْلٍ لأُمِّكَ حاجةٌ   إلَيْنا ولا تَشْغَبْ فما كُنْت مشْغَبا(5)
أَبُوك يهُودِيٌّ وأُمُّك عِلْجةٌ   وأشْبهْتَ خنْزيرَ السَّوَادِ الْمُسيَّبا
وكُنْتَ ترى حَرْبِي كحرْبِ خرائدٍ   فُوَاقاً فلمَّا رُحْنَ رَاجعْنَ مَلْعَبا(6).
وهيْهات ظَنُّ الْجاهلينَ من امْرِىءٍ   بَعيدِ الرِّضى سُقْمٍ علَى منْ تحزَّبا

---

1) رواه في الأغاني :
وأصرف عن قصدي وعلمي مقصر   وأمسي... ... ...الخ
ورواه في المختار بلفظ :
... ... وعلمي ثاقب   فأرجع ما أعقبت ... ...الخ

2) « رشد » من بابي نصر وفرح.

3) الاستفهام إنكار والجملة بدل من جملة «فيم تقطع خلتي» أي ليس هذا حين قطعك خلتي، وقوله: «أشارت بي» عدى فعل «أشار» بالباء. وحقه أن يعدى بالى. كأنه قصد قرب لصوق الأكف بذاته من كثرة الإشارة اليه. وقوله «معيدة» اي مكررة الإشارة، وذلك كناية عن شهرته في الناس، وقوله « وحفت بي الحمراء » كذا في الديوان، والظاهر أنه أراد بالحمراء العجم، وهم قومه، وقد أظهر الفخر بهم في الدولة العباسية لأنهم أنصارها، وقوله « خرقا » لعله تحريف « حزبا »، و « معصبا » أي يعصب بعضه بعضا، أي يشد.

4) « عقيل » مواليه، وإليهم ينسب، وهم بنو عقيل (بضم العين) ابن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وهم من قيس عيلان من المضرية، والهمام (بضم الهاء) : السيد والملك وجمعه همام بكسر الهاء، والمحجب كناية عن الملك، أراد به المهدي.

5) كناه بـ« أبي فعل » إقذاعا في الشتم. تشغب (بفتح الغين) مضارع شغب، من بابي منع وفرح، إذا هيج الشر، ومشغب: كثير المشاغبة .

6) الفواق (بضم الفاء): أصله ما بين الحلبتين من الوقت، يقال: سقاه فواقا، أي غبا وأراد به هنا أن يجعل حربه مناوشة مرة يحاربه ومرة يسالمه، كحرب الخرائد، أي اللعب معهن في صورة المضاربة .

أَبَى اللهُ وُدِّي لِلْخَلِيلِ وقُرْبَـهُ   إذا كَانَ خَوَّانَ الأَمَانَةِ نَيْـرَبـا(1)

* * *

وقال أيضـاً(*):

غدا سلفٌ فأَصْعَدَ «بـالـرَّبَاب»   وحنٌ وما يَحِـنُ إلَى صِحَـاب(2)
دَعَـا عبـراتـهِ شَجَنٌ تـولَّى   وشاماتٌ عَلَى طَلَـلٍ يَبَـابِ(3)
وأَظْهَرَ صفحةً سُتِرَتْ وأخْـرى   من الْعَبَرَاتِ تَشْهَـدُ بـالتَّبـابِ
كـأنَّ الـدَّار حين خلتْ رُسُـومٌ   كهذا الْعصْبِ أوْ بعْضِ الْكِتاب(4)
إذا ذُكِر الْحِبابُ بهـا أضرَّتْ   بها عينٌ تَضَرُّ عَلَى الْحِبـاب(5)
ديارُ الْحيِّ بالـرُّكْـحِ اليماني   خَرابٌ ، والدِّيـارُ إلَى خـراب(6)

---

1) «وقربه» من إضافة المصدر الى مفعوله، أي وقربي منه، والنيرب (بفتح النون): الشرير الساعي بالنميمة.

*) وقال أيضا في النسيب بالرباب المكناة بأم بكر وفي الفخر، والقصيدة من الوافر.

2) السلف: من تقدمك، يريد به الذين غدوا أي سافروا قبله، أي فهو ينوي الالتحاق بهم، و«أصعد»: ذهب في الصعداء بالمد، وهي العقبة الشاقة، أي سافر، ومنه قول جعفر بن عُلْبة الحارثي اليمني حين سجن بمكة:

هواي مع الركب اليمانين مصعد   جنيب وجثماني بمكة موثـق

3) كتب «وسامات» بالسين المهملة، ولا معنى له هنا، والصواب أنه بالشين المعجمة، جمع شامة، وهي العلامـة.

4) كتب «كهذا العصب» والعصب: ضرب من البرود، فتكون الإشارة الى ما يعرفه كل أحد من أجناس العصب، ويحتمل أن «هذا» تحريف «هذ» وهو القطع، اي كالعصب المخرق. وهو المناسب لقوله «أو بعض الكتاب»، وكتب في الديوان «بعض» بموحدة ثم عين، والأظهر أنه «نقض» بنون ثم قاف.

5) الحباب: جمع أحباب الذي هو جمع حابّ الذي هو اسم فاعل من حب (بدون همزة) فهو كالصحاب، وانظر البيت العاشر من ورقة 17. و«أضرت» بمعنى دنت، أي نظرت متوسمة، وهذا كقول زهير: تبصر خليلي ـ الخ وقوله تضر (بفتح الضاد) أي تعمي، وقوله «تضر» لم أقف في الأساس واللسان والقاموس والنهاية ومفردات الراغب على ذكر فعل الضرارة الذي اشتق منه الضرير بمعنى الأعمى، غير أن مجيء مصدره على فعل في قوله تعالى «أولى الضرر» وهم أهل الزمانة والعميان، يدل على أن فعله من باب فرح، وهو الذي يقتضيه كونه من أفعال العاهات، مثل مرض وعمي وعرج، مضارعه بفتح العين.

6) الركح (بضم فسكون وبالحاء المهملة): ركن الجبل.

رجعْن صَبَابَةً ويَعُنّ شَوْقاً … عِلَى مُتَحلِّب الشَّأْنَيْن صَاب(1)

وما يَبْقَى عِلَى زَمَنٍ مُغيّرٍ … عدا حدثانُهُ عِدْوَ الذِّئاب(2)

ودَهْرُ المرءِ مُنْقلبٌ عليه … فُنُوناً، والنَّعيمُ إِلَى انقلاب

وكُلُّ أخٍ سَيَذْهَبُ عنْ أخيه … وباقي ما تُحبُّ إِلَى ذَهَاب

ولمّا فَارقَتْنا «أمُّ بكْرٍ» … وشطَّتْ غُرْبَةً بعْد اكْتِئاب

وبِتُّ بِحاجةٍ في الصَّدْرِ منْها … تَحَرَّقُ نارُها بيْنَ الْحِجَاب(3)

خَطَطْتُ مِثالَها وجلسْتُ أشْكُو … إِليْها ما لَقِيتُ عِلَى انْتِحَاب(4)

أُكلِّمُ لَمْحَةً في التُّرْبِ منْها … كَلَامَ الْمُسْتَجِير مِن الْعَذاب

كأنّي عِنْدَها أشْكُو إِليْها … هُمُومِي والشَّكَاةُ إِلَى التُّراب

سَقَى اللهُ الْقِبَابَ بِتلِّ «عَبْدَى» … وبالشَّرَقَيْن أيَّام الْقِبَاب(5)

وأيَّاماً لنا قَصُرَتْ وطابتْ … عَلَى «فُرْعَانَ» نَائِمَةَ الْكِلَاب(6)

---

1) الشأنان: هما العرقان اللذان يخرج منهما الدمع، وقوله: «رجعن» أي أعدن. و «صاب» اسم فاعل من صبا يصبو، أي أحب.

2) «ما» استفهامية للإنكار، أي لا يبقى شيء.

3) ضبط في الديوان «تحرق» براء مشددة مضمومة، و «نارها» بكسر الراء، والاولى أن تكون الراء مفتوحة وتكون التاء «نارها» مضمومة أي تتحرق فحذفت إحدى التاءين للتخفيف، وهو كثير، وحذف المعطوف على الحجاب لظهوره. والتقدير: وبين القلب.

4) «خططت مثالها» هو جواب «لمّا». وهذا المعنى من مبتكراته، كما ذكرناه في المقدمة، يريد أنه خط صورتها في الارض وجلس يشكو إليها ما لقي من تباريح الحب.

5) التل «بفتح التاء» الجبل الصغير من الرمل، و «تل عبدة» قرية من قرى حران، وبشار جعله بألف التأنيث عوض التاء، ولعلها لغة فيه، وقد ذكرنا في المقدمة أن بشارا سكن حران مدة، ومعنى «سقى» أغاثها بالمطر، فهو فعل متعد الى مفعولين ينزله العرب منزلة المتعدي الى مفعول واحد، إذا دعوا به لسقيا الديار لظهور المراد، وقوله «أيام القباب» أي سقاها الله حين كانت بها قباب الأحبة، والدعاء هنا مسوق مساق التعجب والتذكر، فلذلك قال: ايام القباب.

6) أراد بالأيام مدة الاقامة بهذا الوادي أي سقى الله هذه المدة. و «فُرعان» بضم الفاء وسكون الراء كما ضبط في الديوان: اسم جبل من ذي خُشُب (بضمتين) وذو خشب واد من أودية العالية باليمامة، وهي المسماة اليوم «الحائل» من بلاد نجد. وفرعان يتبدى اليه الناس أي يربعون فيه أي للتنزه قال كثير:

ومنها بأجزاع المقاريب دمنة … وبالسفح من فرعان آل مصرع

لَقَـدْ شَـطَّ الْمَـزارُ فَبِتُّ صبًّا   يُطالِعُنِـي الْهَوَى مِنْ كـلِّ بـاب
وعهْـدِي بِالْفُـراعِ وأُمُّ بكْـر   ثَقَالُ الرِّدْفِ طَيِّبَـةُ الـرُّضـاب(1)
من الْمُتَصيِّـدات بِكُـلِّ نَبْـلٍ   تسيلُ إذا مشتْ سَيْلَ الْحُبـاب(2)
مُصوَّرةٌ يحارُ الطَّـرْفُ فيهــا   كأنَّ حديثهـا سُكْـرُ الشَّـراب(3)
ليـالِيَ لا أُعَـوِجُ عَـلَى الْمُنَـادِي
وَلاَ الْعُـذَّالِ مِـنْ صَعَـمِ الشَّبَـاب
وَقَـائِلَـةٍ رَأَتْنِـي لاَ أُبَـالِي
جُنُـوحَ الْعَـاذِلاَتِ إِلَى عِتَـاب:

ـ الآل: عمد الخيمة.

وقوله «نائمة الكلاب» حال من «أيام». ونوم الكلاب استعارة لغفلة الرقباء فالكلاب مستعار للرقباء وانما يعني الوقت الذي تنبح الكلاب فيه الطارق وإلا لم تكن لقوله «نائمة الكلاب» فائدة. ومعنى قوله «قصرت» أنها أوقات سرور لأن أوقات السرور تمضي من غير ترقب لمجيء غيرهـا فيخالها المسرور قصيرة. وهذا المعنى كثير في كلام المولدين. ووقع هذا البيت في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري بلفظ «وطالت» باللام وهو أقرب أي عدت طويلة بما حصل فيها من المسرات الكثيرة، وبذلك يكون قوله «وطالت» كالاحتراس ويكون في الجمع بين «قصرت» و«طالت» محسن الطباق وهذا المعنى من الاستدراك وقع في شعر صاحبنا الشيخ عبد العزيز المسعودي رحمه الله في موشح له:

لكنْ وان كانت ليالي قصار.. فهي كبار

1) قوله «وعهدي» عطف على قوله «أياما لنا» المعطوف على قوله «القباب» والفراع هو فُرعان فلعل فيه لغتين أو رخمه ترخيم تحبيب. وأم بكر هي الرباب نزيلة فرعان. «وثقال» كثيرة اللحم وتقدم في البيت 14 من الورقة 46 والرضاب (بضم الراء): الريق وهو من ألفاظ الغزل إذ لا يطلق الا على ريق الحبائب. و«ثقال» و«طيبة» بكسر آخريهما.

2) وقوله «بكل نبل» يعني بنبال كثيرة والعرب تستعمل كلمة «كل» في الكثرة قال تعالى «إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية» وقال النابغة:

بها كل ذيال وخنساء ترعوي   الى كل رجاف من الرمل فـارد

و«الحباب» الحية وتقدم في البيت 25 من الورقة 42 وروي في عيون الاخبار ص 52 جزء 4: من المتصديات لغير سوء.

3) «مصورة» يراد به كاملة الصورة في المحاسن، ورواه في في عيون الاخبار ص 82 ج 4 «منعمة» و«يحار» مضارع حار، إذا نظر فتعب بصره، ولا يقال: يحير، فهو لحن:

مَلِلْتَ عِتَابَ أَغْيَدَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَشَرٌّ مَا دَعَاكَ إِلَى الْعِتَابِ(1)
إِذَا بَعَثَ الْجَوَابُ عَلَيْكَ حَرْباً ... فَمَا لَكَ لَا تَكُفُّ عَنِ الْجَوَابِ
أَصُونُ عَنِ اللِّئَامِ لُبَابَ وُدِّي ... وَأَخْتَصُّ الأَكَارِمَ بِاللُّبَابِ(2)
وَأَيُّ فَتًى مِنَ الْبَوْغَاءِ يُغْنِي ... مَقَامِي فِي الْمَخَاطِبِ وَالْخِطَابِ(3)
وَتَجْمَعُ دَعْوَتِي آثَارَ قَوْمِي ... هُمُ الأُسْدُ الْخَوَادِرُ تَحْتَ غَابِ(4)
وُلَاةُ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ الْمُعَلَّى ... يَرُدُّونَ الْفُضُولَ عَلَى الْمُصَابِ
وَقَوْمٌ يُنْكِرُونَ سَحَابَ قَوْمِي ... رَفَعْنَا فَوْقَهُمْ غُرَّ السَّحَابِ(5)
وَأَبْرَاراً نَعُودُ إِذَا غَضِبْنَا ... بِأَحْلَامٍ رَوَاجِحَ كَالْهِضَابِ(6)
وَإِنْ نُسْرِعْ بِمَرْحَمَةٍ لِقَوْمٍ ... فَلَسْنَا بِالسِّرَاعِ إِلَى الْعِقَابِ(7)
نُرَشِّحُ ظَالِماً وَنَلُمُّ شَعْثاً ... وَنَرْضَى بِالثَّنَاءِ مِنَ الثَّوَابِ(8)

---

1) «مللت عتاب أغيد» الخ ... مقول القائلة.
قوله «وشر ما دعاك الى العتاب» أراد: شر عظيم، فالتنوين فيه للتعظيم، (وما) دالة على النوعية نحو قوله تعالى «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما» وقالت العرب: بعين ما أرينك. وفي الاتيان بالمبتدإ نكرة مع كون الخبر فعلا – والفعل يتطلب أن يكون المبتدأ المذكور قبله فاعلا – إشارة الى أن تقديم ما حقه أن يكون فاعلا هو لقصد الحصر، كأنه قال: ما دعاك الى العتاب إلا شر عظيم، فالتنكير أفاد التعظيم، والتقديم أفاد الحصر، وهو مثل قول العرب «شر أهر ذا ناب» كما فسره الامام عبد القاهر في دلائل الإعجاز.

2) «أصون عن اللئام» الخ هذا جواب لكلام القائلة.

3) البوغاء: بفتح الباء، الحمقى والطائشة من الناس.

4) الخوادر: جمع خادر، أي مختف وهو وصف كاشف، قال كعب:

من خادر من ليوث الأسد مسكنه ... من بطن عثر غيل دونه غيل

5) عطف جملة على الجمل التي قبلها، وأراد بالسحاب الكرم على وجه الاستعارة.

6) «وأبرار يعود» كذا كتب، والصواب «وأبرارا نعود» أي نصير، يريد أن الغضب لا يصيرهم أشرارا، ويؤيد هذا الإصلاح البيت بعده.

7) يريد إذا كنت ترانا سريعين في المرحمة فلسنا مسرعين إلى العقاب، فالشرط للمبالغة لا للتعليق، أي ليست السرعة طيشا فينا ولكننا نضع كل شيء في موضعه.

8) الترشيح تقدم تفسيره في البيت 23 من الورقة 49. والظالم أراد به أبي الضيم يبادر الى استئصال عدوه. قال زهير: ومن لايظلم الناس يظلم. ومعنى المصراع الثاني أنهم لا يحبون المال وإنما يحبون المحمدة.

تَـرَانَا حِينَ تَخْتَلِفُ الْعَوَالِي   وَقَدْ لاَذَ الأَذِلَّـةُ بِـالصِّعَابِ(1)
نَقُـودُ كَتَائِبـاً وَنَسُـوقُ أُخْرَى   كَأَنَّ زُهَاءَهُنَّ سَـوَادُ لاَبِ(2)
إِذَا فَزِعَتْ بِلاَدُ بَنِـي مَعَـدٍّ   حَمَيْنَاهَـا بِأَغْلِمَـةٍ غِضَـابِ
وَكُـلِّ مُتَـوَّجٍ بِـالشَّيْبِ يَغْدُو   طَوِيلَ الْبَاعِ مُنْتَجَـعَ الْجَنَـابِ(3)
مِنَ الْمُتَضَمِّنِيـنَ شَبَـا الْمَنَـايَـا   يَكُـونُ مَقِيلُـهُ ظِـلَّ الْعُقَـابِ(4)

* * *

وقال أيضـاً(*) :

كُـلُّ امْرِىءٍ نَصْبٌ لِحَاجَتِـهِ   وَعَلَيْهِ يُحْمَـلُ أَوْ لَـهُ نَصَبُـهْ(5)
فَارْبَـعْ عَلَى خُلُـقٍ لَـهُ خَطَـرٌ   فِي الصَّـالِحِينَ يَفُـوزُ مُحْتَسِبُـهْ(6)
عِيُّ الشَّـرِيفِ يَشِينُ مَنْصِبَـهُ   وَتَرَى الْـوَضِيـعَ يَـزِينُهُ أَدَبُـهْ

---

1) «تختلف» أي تتجه كل طائفة منها الى جهة، وذلك عند الطعان بين الفريقين، يقال: اختلفا ضربتين بالسيف، وهذا كقولهم: تناوحت الرياح، أي هبت من نواح مختلفة، والصعاب: جمع صعب أو صعبة، وهي العقبة المرتفعة، أي حين يستعصم الخائفون بالمرتفعات خشية العدو.

2) اللاب: جمع لابة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء، وتجمع على لوب، ويقال لها: الحرة، بفتح الحاء وراء مشددة، ومنه لابتا المدينة حرتاها. شبه كثرة الجيش من بعيد بسواد الحرة، لأن وجه الارض يسود بالأشباح.

3) «وكل متوج بالشيب» عطف على «بأغلمة»، وهو كقول المتنبي:

سأطلب حقي بالقنى ومشـائـخ   كأنهم من طول ما التحوا مرد

«منتجع» بفتح الجيم، أي تنتجعه الناس لكرمه، والجناب: الجهة، و«طويل الباع» أي طويل اليد، وطول اليد كناية عن الكرم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لأزواجه «أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا» فظننها على ظاهرها فأخذن يقايسن أيديهن فكانت زينب أول أمهات المؤمنين وفاة بعد رسول الله لأنها كانت أكثرهن صدقات كما قالت عائشة رضي الله عنهن.

4) «المتضمنين» من قولهم: تضمن الشيء: اشتمل عليه، والشبا جمع شباة وهي الحد؛ والعقاب — هنا — الراية.

*) وقال أيضا، هذه الأبيات تضمنت وصايا وحكما.
وهي من السريع وعروضها وضربها مخبول مكشوف: مستفعلن مستفعلن فعلن مرتين.

5) النصب (بفتح النون وسكون الصاد): الشيء المنصوب، «ونصبه» بفتح الصاد: تعبه، أراد به سعيه وهو فاعل «يحمل».

6) «اربع» أمر من ربع بالمكان إذا أقام، والخطر: بفتح الخاء وسكون الطاء وتحرك: الشرف.

وَحِرَاثَةُ التَّقْوَى لِمُحْتَرِثٍ   كَرَمُ الْمَعَادِ وَمَا لَهُ حَسَبُهْ(1)
وَتَنَقُّصُ الْمَوْلَى مُوَالِيَهُ   عَارٌ يَكُونُ بِوَجْهِهِ نَدَبُهْ(2)
وَإِذَا نَسِيبُكَ غُلَّ سَاعِدُهُ   وَنَأَى فَلَيْسَ بِنَافِعٍ نَسَبُهْ(3)
وَمِنَ الْبَلَاءِ أَخٌ جِنَايَتُهُ   عَلَقٌ بِنَا وَلِغَيْرِنَا نَشَبُهْ(4)
خُذْ مِنْ صَدِيقِكَ غَيْرَ مُتْعِبِهِ   إِنَّ الْجَوَادَ يَؤُودُهُ تَعَبُهْ
وَاسْتَغْنِ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ   لَمْ يَبْقَ قَبْلَكَ لِامْرِئٍ ذَهَبُهْ(5)
يَرِدُ الْحَرِيصُ عَلَى مَتَالِفِهِ   وَاللَّيْثُ يَبْعَثُ حَتْفَهُ كَلَبُهْ

* * *

وقال أيضا (*) :

أَلَا مَا لِقَلْبِي لَا يَزُولُ عَنِ الْهَوَى   وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْقُلُوبَ تُقَلَّبُ
أَ«صَفْرَاءُ» مَا لِي فِي الْمَدَامَةِ سَلْوَةٌ   فَأَسْلُو وَلَا فِي الْغَانِيَاتِ مُعَقَّبُ
إِذَا لَمْ تَسَرَ الذُّهْلِيَّ أَنْوَكَ فَالْتَمِسْ   لَهُ نَسَبًا غَيْرَ الَّذِي يَتَنَسَّبُ
وَأَمَّا بَنُو قَيْسٍ فَإِنَّ نَبِيذَهُمْ   كَثِيرٌ وَلَكِنْ دِرْهَمُ الْقَوْمِ كَوْكَبُ
وَسَيِّدُ تَيْمِ اللَّاتِ تَحْتَ غِذَائِهِ   هِزَبْرٌ وَأَمَّا فِي اللِّقَاءِ فَثَعْلَبُ

---

1) الحراثة هنا بمعنى السعي ، قال تعالى «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه». وقوله «وما له حسبه» ، أي ولا ينفعه هنالك حسب ، وفي الحديث: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» رواه مسلم .

2) الندب (بفتحتين) : جمع ندبة (بفتحتين) وهي أثر الجرح على الجسد .

3) «غل ساعده» أي لم يدافع عنك فليس بنافع لك نسبه منك .

4) «علق» ضبط في الديوان بكسرة تحت اللام ولا وجه لذلك ، ولعله بفتح اللام ، وهو الطين الذي يعلق باليد ، أي يلصق ، و «نشبه» : ماله .

5) «الوجبات» جمع «الوجبة» بمعنى الأكلة الواحدة في اليوم .

*) وقال أيضا يهجو بعض قبائل العرب ، ويمدح بعضها ، ثم مدح روح بن حاتم . وهذه الأبيات مذكورة في أثناء وآخر قصيدة طويلة مدح بها روح بن حاتم أولها :

أصفراء ما في العيش بعدك مرغب

وهي موزعة بين الورقتين 81 ــ 82. وبين بعض الأبيات هنا وهناك بعض اختلاف. وسنذكر تعليقها هنالك .

وَقَدْ كَانَ فِي «شَيْبَانَ» عِزٌّ فَحَلَّقَتْ ... بِهِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ
وَحَيَّا «لُجَيْمٍ» قَسْوَرَانِ تَنَزَّعَتْ ... شَبَاتَهُمَا لَمْ يَبْقَ نَابٌ وَمِخْلَبُ
وَأَنْذَلُ مَنْ يَمْشِي «ضُبَيْعَةُ» إِنَّهُمْ ... زَعَانِفُ لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ
وَ«يَشْكُرُ» خِصْيَانٌ عَلَيْهِمْ غَضَارَةٌ ... وَهَلْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْخَصِيُّ الْمُجَبَّبُ
لَقَدْ زَادَ أَشْرَافَ الْعِرَاقِ «ابْنُ حَاتِمٍ» ... كَمَا سَادَ أَهْلَ الْمَشْرِقَيْنِ «الْمُهَلَّبُ»(1)
صَفَتْ لِي يَدُ الْفَيَّاضِ «رَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ» ... بِمُلْكِ يَدٍ كَالْمَاءِ يَصْفُو وَيَعْذُبُ
طَلُوبٌ وَمِطْلَابٌ إِلَيْهِ إِذَا غَدَا ... وَخَيْرُ خَلِيلَيْكَ الطَّلُوبُ الْمُطَلَّبُ

* * *

وقال أيضاً (*) :

لاَ فَجْعَ إِلاَّ كَمَا فُجِعْتُ بِهِ ... مِنْ فَارِسٍ كَانَ دُونَنَا حَدِبَا(2)
يَا صَفْحَهُ عَنْ جَوَابِ جَاهِلِنَا ... حِلْماً وَيَا عِزَّهُ إِذَا غَلَبَا(3)

---

1) كتب في الديوان « لقد زاد » وهو خطأ ، والصواب « لقد ساد » .

*) وقال أيضا ، هذه الأبيات من قصيدة في الرثاء .
وهي من بحر المنسرح وعروضها وضربها مطوي : مستفعلن مفعولات مفتعلن

2) الحدب (بفتح الحاء وكسر الدال) مبالغة في الحادب ، من حدب كفرح إذا عطف عليه والتف حوله .

3) النداء في المواضع الستة للتعجب ، أي ما أعجب صفحه وما أعجب عزه الخ، وذلك أن التعجب يجيء بصيغة الاستغاثة بياء وألف في آخر الاسم المتعجب منه ، نحو قولهم : يا عجبا ويا ماءا ويا عشبا ؛ وقد تحذف الألف فيبقى كالمنادى .

وَيَا قِرَاهُ الْعَدُوَّ مُرْهَفَةً بِيضاً وَيَا لِبْنَهُ إذَا صَحِبَا(1)
وَيَا جِدَاهُ لِمَنْ أَلَمَّ بِهِ يَوْماً وَيَا وَصْلَهُ لِمَنْ قَرُبَا
لَوْ نَالَ خُلْداً مِنْ قَبْلِهِ أَحَدٌ مَدَّتْ إلَى الْخُلْدِ كَفُّهُ سَبَبَا

* * *

وقال أيضاً يَرْثِي ابناً له أُصِيبَ به(*):

أَجَارَتَنَا لاَ تَجْزَعِي وَأَنِيبِي أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمُطِلِّ نَصِيبِي
بُنَيٌّ عَلَى قَلْبِي وعَيْنِي كَأَنَّهُ ثَوَى رَهْنَ أَحْجَارٍ وجَارَ قَلِيبِ(2)

---

1) القرى (بكسر القاف): طعام الضيف وما يتبعه من الإكرام، جعل الضرب بالسيف قرى على وجه الاستعارة التهكمية، لأن العدو ينزل بالقوم، وعادة العرب قرى النزيل، فسموا ملاقاتهم العدو بالسيوف قرى، وأصل هذه الاستعارة لعمرو بن كلثوم إذ قال خطابا للأعداء:

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا
قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح، مرداة طحونا

وقال القطامي:

نقريهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد

ونظيره في التهكم قوله تعالى «قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله» الآية، فجعل العقوبة مثوبة، وقال عمرو بن معد يكرب:

تحية بينهم ضرب وجيع

وانظر بيت 8 من ورقة 76.

*) وقال أيضا يرثي ابنا له أصيب به، واسمه محمد.
قال أبو الفرج: توفي ابن لبشار فجزع عليه، فقيل له: أجر قدمته، وفرط افترطته، وذخر أحرزته، فقال: ولد دفنته، وثكل تعجلته، وغيب وعدته فانتظرته، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة، وقال يرثيه: أجارتنا لاتجزعي... الخ. والأبيات من بحر الطويل.

2) في الكلام تقديم وتأخير، وأصل نظم الكلام: بنيّ كأنه ثوى على قلبي وعيني وقوله «رهن أحجار» ينبغي أن تكون بضم النون من «رهن» فيكون خبرا ثانيا عن «بنيّ».
وفي رواية الأغاني بدل المصراع الاول «بنيّ على رغمي وسخطي رزئته»، أو يجعل التشبيه من التحير في المصيبة، حتى يخال الدفين غير دفين، كقول بعض العرب (غير معروف) في رثاء هشام بن المغيرة المخزومي:

فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

وفي الأغاني بدل المصراع الثاني هكذا:

وبدل أحجارا وجال قليب

والجال: جانب البئر والقبر، والقليب: القبر العميق.

كَأَنِّي غَرِيبٌ بَعْدَ مَوْتِ «مُحَمَّدٍ» وَمَا الْمَوْتُ فِينَا بَعْدَهُ بِغَرِيبِ
صَبَرْتُ عَلَى خَيْرِ الْفُتُوِّ رُزِئْتُهُ وَلَوْلاَ اتِّقَاءُ اللهِ طَالَ نَحِيبِي(1)
لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ «مُحَمَّدٍ» لَوَ أَنَّ الْمَنَايَا تَرْعَوِي لِطَبِيبِ
وَمَا جَزَعِي مِنْ زَائِلٍ عَمَّ فَجْعُهُ وَمِنْ وِرْدِ آبَارِي وَقَصْدِ شَعِيبِي(2)
فَأَصْبَحْتُ أُبْدِي لِلْعُيُونِ تَجَلُّدًا وَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ عَلَيْهِ كَئِيبِ
يُذَكِّرُنِي نَوْحُ الْحَمَامِ فِرَاقَهُ وَإِرْنَانُ أَبْكَارِ النِّسَاءِ وَثَيِّبِ(3)
وَلِي كُلَّ يَوْمٍ عَبْرَةٌ لاَ أُفِيضُهَا لِأَحْظَى بِصَبْرٍ أَوْ بِحَطِّ ذُنُوبِ
إِلَى اللهِ أَشْكُو حَاجَةً قَدْ تَقَادَمَتْ عَلَى حَدَثٍ فِي الْقَلْبِ غَيْرِ مُرِيبِ
دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِصَوْتِهَا فَلِلَّهِ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمُجِيبِ
أَظَلُّ لِأَحْدَاثِ الْمَنُونِ مُرَوَّعاً كَأَنَّ فُؤَادِي فِي جَنَاحِ طَلُوبِ
عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مُلِّيتُهُ بِعَجِيبِ(4)
رُزِئْتُ بُنَيِّي حِينَ أَوْرَقَ عُودُهُ وَأَلْقَى عَلَيَّ الْهَمَّ كُلُّ قَرِيبِ(5)
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ «مُحَمَّدٌ» لَنَا كَافِياً مِنْ فَارِسٍ وَخَطِيبِ(6)
وَكَانَ كَرَيْحَانِ الْعَرُوسِ بَقَاؤُهُ ذَوَى بَعْدَ إِشْرَاقِ الْغُصُونِ وَطِيبِ(7)

---

1) الفتـو : جمع الفتـى .
2) «مـا» استفهام إنكاري ، أي كيف أجزع من الموت ، وهو غايتي ولا يجزع أحد من ورد آباره ومن قصد شعيبه ، والشعيب : مزادة المـاء .
3) الإرنان : الصيـاح .
4) قوله «مليته» بضم الميم وبياء بعد اللام ، يقـال : ملاك الله حبيبك تملية : متعك به .
5) في الأغاني :
أصيب بنيي حين أورق غصنه . . . . الخ .
6) قوله «من فارس وخطيب» تمييز مجرور بمن الزائدة ، ميز «كافيا» ، ولك أن تجعل «من» متعلقة بـ«كافيا» ، أي كافيا من كل فارس وخطيب ، أي يقابل الفرسان ويجيب الخطباء الذين يتطاولون علينا .
7) رواه الأغاني :
وكـان كريحـان العروس تخالـه ذوى بعد إشراق يسرّ وطيـب
وقوله هنا «بعد إشراق الغصون» اي ارتفاعها.

أغَرُّ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ سَمَيْذَعٌ ... كَسَيْفِ الْمُحَامِي هَزَّ غَيْرَ كَذُوبِ(1)
غَدَا سَلَفٌ مِنَّا وَهجَّرَ رَائِحٌ ... عَلَى أَثَرِ الْغَادِينَ قَوْدَ جَنِيبِ(2)
ومَا نَحْنُ إلاَّ كَالْخَلِيطِ الَّذِي مَضَى ... فَرَائِسُ دَهْرٍ مُخْطِيءٍ وَمُصِيبِ(3)
نُؤَمِّلُ عَيْشاً فِي حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ ... أَضَرَّتْ بِأَبْدَانٍ لَنَا وَقُلُوبِ
ومَا خَيْرُ عَيْشٍ لاَ يَزَالُ مُفَجِّعاً ... بِمَوْتِ نَعِيمٍ أَوْ فِرَاقِ حَبِيبِ
إِذَا شِئْتُ رَاعَتْنِي مُقِيماً وَظَاعِناً ... مَصَارِعُ شُبَّانٍ لَدَيَّ وَشِيبِ

* * *

وقال أيضاً(*):

أَلاَ تَتَّقِينَ اللهَ فِي وَصْلِ عَاشِقٍ ... لَهُ حِينَ يُمْسِي زَفْرَةٌ وَنَحِيبُ
تَقَطَّعَ مِنْ أَهْلِ الْقَرَابَةِ وُدُّهُ ... فَلَيْسَ لَهُ إِلاَّ هَوَاكِ نَسِيبُ

* * *

وقال يمدح أمير المؤمنين المهدي(*):

لله «سَلْمَى» إذْ لاَ تُطِيعُ بِنَا الْـ ... ـوَاشِي وإِذْ لاَ تُطِيعُ مَنْ عَتَبَا
تَدْنُو مَعَ الذِّكْرِ كُلَّمَا نَزَحَتْ ... حَتَّى أَرَى شَخْصَهَا وَمَا اقْتَرَبَا

---

1) السميذع (بسين وميم مفتوحتين وياء مثناة ثم ذال معجمة مفتوحة) : السيد الشريف، وقوله «غير كذوب» حال من سيف المحامي، ومعنى كذب السيف عدم قطعه ما ضرب به كما يقال: كذب البرق، أي لم يمطر.

2) الغدو: السير صباحا، والتهجير: السير في نصف النهار وقت الهاجرة، والرائح: الخارج في المساء، أي: وبكر رائح على آثار السلف، يعني أن الناس متلاحقون في غمار الموت، وقوله: «قود جنيب» مصدر منصوب على المفعول المطلق المقصود منه التشبيه، والتقدير: يقادون متقاربين كما يقاد الفرس الجنيب، وهو الذي يسير بجنب فرس آخر ويكون متأخرا عنه بقليل.

3) الفرائس: جمع فريسة وهي فعيلة بمعنى مفعولة، التي يفترسها السبع. ومخطيء ومصيب صفة لدهر، أي إذا أخطأنا مرة فأصاب غيرنا فسوف يصيبنا:

*) هذان البيتان قد تقدما في قصيدة طويلة انظر الورقة 29.

*) وقال يمدح أمير المؤمنين المهدي.
هذه الأبيات الثمانية ستأتي في جملة قصيدة طويلة في مدح المهدي في الورقة 76 مفرقة على القصيدة ويأتي تفسيرها هنالك.

دَعْ عَنْكَ «سَلْمَى» شَجاً لِطَالِبِهَا   لاَ يَسْبِقُ الرَّأْيُ دُونَ مَا كُتِبَا
إِن ابنَ سَاقِي الحَجِيجِ يَكْفِيكَ مَا   حَلَّ مُقِيماً وَأَيَّةً ذَهَبَا
فَتَى قُرَيْشٍ دِيناً وَمَكْرُمَةً   وَهَبْتُ وُدِّي لَهُ بِمَا وَهَبَا
أَعْطَى مِنَ الصَّمْتِ وَالْوَلاَئِدِ وَالْعُبْدَانِ حَتَّى حَسِبْتُهُ لَعِبَا
يُزَيِّنُ المِنْبَرَ الأَشَمَّ بِعِطْفَيْهِ وَأَقْوَالِهِ إِذَا خَطَبَا
وَتُشْرِقُ الأَرْضُ مِنْ مَحَاسِنِهِ   كَأَنَّ نُورًا فِي الشَّمْسِ مُجْتَلَبَا

* * *

وقال أيضا(*):

دَعَاكَ الحُبُّ بِالشِّعْبِ   مِنَ الذَّلْفَاءِ بِالقَلْبِ(1)
نَأَتْهُ وَنَأَى عَنْهَا   وَأَبْدَتْ قَالَةَ العُجْبِ(2)
فَقَدْ وَقَّفَنِي الهَجْرُ   مِنَ المَوْتِ عَلَى جَنْبِ(3)

---

*) وقال أيضا في عبدة ، والقصيد من الهزج .

1) الذلفاء (بالذال المعجمة): وصف المرأة ذات الذلف (بالتحريك) وهو صغر الأنف مع استواء الأرنبة، أي أن يكون صغيرا في دقة واستواء، ويسمون النساء بالذلفاء، والظاهر أنه أراد هنا الوصف لا الاسم ، لقوله بعد:

أما حسبك يا اسما   ء أني منك في حسب

ولعل لهذه المرأة اسما ولقبا ، ويجوز أن يكون وقوع أسماء سهوا ، وأنه يا ذلفاء على أنه سماها في آخر القصيدة « عبادة » فالقصيدة في عبدة .

وضبط في الديوان «الشعب» بفتح الشين: التفرق والصدع ، ولعل الصواب أن يضبط بكسر الشين وهو ما بين الجبلين. أي مكان مسكن عبدة .

2) كتب « ونأت عنها » وهو سهو صوابه « ونأى »، والقالة: اسم بمعنى القول ، وفي الحديث «ففشت القالة» وهي مؤنث القال. وفي الحديث: « وينهاكم عن قيل وقال »، وقد ذكروا أن القيل والقال والقالة تختص بالشر ، وأطلق في بعض الأحاديث لفظ القالة على النميمة ، والظاهر أنها مصوغة على حكاية « قال وقيل » بمعنى الحديث والإخبار، فصيغ منهما اسمان، مثل ما صيغ « اللو » للتمني من حكاية قول المتمني: لو كان كذا ، وصيغ « الليت » بمعنى التمني من قول المتمني: ليت لي كذا، فقالوا : « كثرة القيل والقال » ثم نكروهما فقالوا : قيل وقال، كما نكر النابغة « الليت » في قوله :

وما يغني من الحدثان ليت

3) قوله «من الموت» متعلق بـ « جنب » .

وَقِدْمًا ذاكَ مَـــــا زال   مَحَلَّ اللَّهْوِ فـي الْقُـرْبِ
رَهِيناً بالَّذِي لاقَيْـــــــ   ـتُ بَيْنَ الرَّغْبِ وَالرَّهْبِ
فرَهْبِي مِنْـــك في شَغَفِـي   وَمِنْ مَوْتِ الْهَوَى رَغْبِي(1)
لقَدْ حارَبَنِي صَبْـــــري   وَمَا سَالَمَنِي حُبِّـــــي
فلا يَقْرَبُنِي هَـــــذا   وَلَا هَاذاكَ مِنْ حِزْبِـــي
وَمَا أَذْنَبْتُ مِـــنْ ذَنْــب   سِوَى حُبِّي، فمَا ذَنْبِـي
وَنَوْمُ العَيْنِ مَمْنُـــوعٌ   وَمَـــاءُ العَيْنِ في سَكْبِ [58]
أَلَا لَا لَا أَرَى مِـثْـلِـي   ومِثْـلَ الشَّـوْقِ فِـي قَلْبِي
أَدنِّـيهـا مِـــن الْجدْوَى   وتُـدْنِينِـي مِـن الْـكَرْبِ
وقَـدْ قُلْـتُ لـهـا سِـرًّا   وإعْـلَانـاً لدى صَحْبِـي:
أمـا حسْبُـكِ يـا أَسْـمَـا   ءُ أَنِّي منْكِ فِـي حسْـبِ
كَفَتْـكَ الْغَـايـةُ الـدُّنْيا   مع الْقُصْوى التـي تُكْبِي
وفِـي أَسْهـلِ مـا يأتِـي   بِـه كـاف مِـنْ الصَّعْبِ
فلمَّـا لـمْ أنَـلْ حَظًّـا   بِمَـا كَـدَّرْتِ مِـن شرْبِي
شَكَـوْتُ الْقَلْـبَ والـذُّلْفَا   ءَ مَعْ وَجْـدِي إِلَى رَبِّـي
فَـأَصْـبَحْـتُ بِمَـا حُلِّيتُ   مِـنْ مَشْـرَبِـيَ الْعَـذْبِ(2)
كَـذِي الطِّـبِّ تَعَـنَّـاهُ   وَمَـا بِالْقَلْـبِ مِنْ طِبِّ(3)

1) يريد أنه يرهبها لحبه إياها وأنه يحب أن يموت في محبتها .

2) كتب في الديوان «حليت» بالمهملة، وجعلت على الحاء ضمة وجعلت كسرة تحت اللام فيتعين أن الياء التي بعد اللام موضع همزة من قولهم: حلأَه عن الماء، إذا منعه من الاستقاء منه و«من» للابتداء أي صرفت صرفا يبتدىء من المشرب العذب، وانظر البيت 19 من ورقة 31 .

3) الطب (مثلث الطاء) : علاج الجسم ، وقد حكي بالثلاثة قول الشاعر (من شواهد النحو) :

خليلي هل طب فإني وأنتمـــا   وإنْ لم تبوحا بالهوى دنفـان

والأشهر الكسر فيه ، وأما بالفتح فالأشهر أنه السحر ، والظاهر أنه أراد هنا علاج البدن. انظر البيت 10 ورقة 32 والبيت 15 ورقة 34 .

وَسَاهِـي النَّفْسِ مَحْزُوناً يُزَجِّـي النَّفْـسَ بِالْغَلَـبِ
وَلَـوْ يَسْطِيعُ إِذْ شَطَّـتْ عَلَى مَـا كَانَ مِنْ عَتَـبِ
حَـذَاهَـا وَجْهَـهُ نَعْـلاً فَلَـمْ تَمْشِ عَلَى التُّـرْبِ
«أَعَبَّـادَةُ» مِـنْ حُبِّــكِ فِـي الْأَحْشَاءِ كَاللَّهَـبِ
إِذَا اسْتَغْفَيْـتُ أَضْنَـانِي ضَنَا الْمَحْمُـولِ فِي الْخُشُبِ
فَإِنْ حُـدِّثْـتِ يَـوْماً عَنْ فَتًى مَـاتَ مِـنَ الْحُبِّ
فَقُـولِي تَصْدُقِـي: ذَا كُمْ صَفِيٌّ مِـنْ بَنِـي كَعْبِ
لَيَـالِ مِنْـكِ أَهْـوَاهَـا هَوًى فِي الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
فَمِنْهَـا لَيْلَـةٌ بِـالتَّـا جِ أَسْهَـتْ لِلْهَوَى لُبِّي(1)

* * *

وقال أيضا (*):

يَا صَاحِ لَا تَجْرِ فِي لَوْمِي وَتَأْنِيبِي مَا كُلُّ مَنْ لَمْ يُجِبْ قَوْماً بِمَغْلُوبِ(2)
هَبْ لِي انْتِقَاصَكَ عِرْضاً غَيْرَ مُنْتَقَصٍ فَمَا مَتَاعُكَ فِي الدُّنْيَا بِمَرْهُوبِ(3)

---

1) التاج : اسم موضع .

*) وقال بشار أيضا .
أشكلت معاني معظم هذه القصيدة ، وغالب ظني أنه قصد بها هجاء مقذعا ، ووصف في خلاله تهتكه وفحشه الذي يمس بعرض المهجو في نسائه ، وأنه سلك فيها طريق الإلغاز والتورية والتوجيه والكناية تسترا ، فلعله أنشأها بعد نهي المهدي إياه عن الفحش بذكر النساء .
وهي من بحر البسيط وعروضها مخبونة وضربها مقطوع .

2) قوله «لا تجر» أي لا تكثر ، فجعل الإكثار في اللوم كالجري ، وهو يخاطب من أظهر له أنه عاجز عن جواب هجائه ، فقوله «يا صاح» ترخيم صاحب ، وهو هنا بمعنى المقارع ، كما تقدم في البيت 5 من الورقة 29 .

3) «هب لي» بمعنى تفضل علي واسمح ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت تأمله في العهد بالخليفة بعده «هبوني صمتا». والمعنى اترك انتقاصك عرضي الموصوف بأنه لا ينتقصه أحد ، فقوله «هب لي» تهكم .

إنّي وَإنْ كَانَ حلْمِي وَاسِعاً لَهُـمُ   لَا أسْتَهِلُّ عَلَى جَـارٍ بِشُؤْبُـوبِ(1)

طَلَّابُ أمْرٍ لِهَوْلِ النَّاسِ حظْوَتُهُ   عَلَى الْقُلُوبِ رَكُوبٌ غَيْرُ مسْلُوبِ(2)

كَمْ مِنْ بَدِيعَةِ شَرٍّ قَدْ فَتَكْتُ بِهَا   فِي لَيْلَةٍ مِثْلِ لُجِّ الْبَحْرِ يَعْبُـوبِ(3)

مِنْهُـنَّ لَيْلَةَ بَـاتَتْ غَيْـرَ نَـائِمَـةٍ   حَرَّى وَحَرْبِ أخِي الْحَنَّانِ عُـرْقُـوبِ(4)

بَـاتَ الْقُلَيْفِعُ فِيمَـا يَبْتَغِـي أجلـي   وَلَيْسَ مَا ضَافَ مِـنْ هَجْرِي بِتَعْيِيبِ(5)

---

1) قوله «لهم» يعود إلى «قوم» في البيت السابق، ويدخل فيهم المخاطب، وقوله «لا أستهل....» الخ. جملة معطوفة على خبر كان أو مبينة لجملة «كان حلمي واسعا»، وأما خبر إن ففي البيت بعده، والشؤبوب: المطر الشديد، والمراد هنا شديد الهجاء، يعني وإن استحلوا عرضي لا أهجوهم. فمعنى كون حلمه واسعا لهم أنهم يسوغونه لأنفسهم، فاللام في قوله «لهـم» بمعنى «عنـد» ليصح وقوع «إن» الوصلية هنا، لأن شأن «إن» الوصلية أن يكون أولى بالحكم من ضده، ولو كان حلمه سائغا لهم لم يكن أولى بحكم إمساكه عن هجومهم، فجملة «وإن كان حلمي واسعا لهم» في موضع الحال، وجملة «لا أستهل» الخ خبر إن، ولك أن تجعلها بيانا لجملة «كان حلمي واسعا لهم» وتجعل خبر إن قوله في البيت بعده «طلاب أمر».

2) قوله «طلاب أمر» هو خبر قوله «إني». وكتب في الديوان «لهول الناس حظوته»، ولعل صوابه «طلاب أمر يهول الناس خطرته....» أي يهول الناس تذكره في القلوب وأنا ركوب لا أسلب، أي أهجم على الشعراء بالهجاء فلا يغلبني أحد.

3) كتب في الديوان «شر» بالشين المعجمة، ولعلها بالسين المهملة، ولعل الكلام تورية بامرأة، واليعبوب الكثير الماء الشديد الجرية، شبه به الليلة في ظلمته وطوله.

4) «باتت» يعود إلى «بديعة». والحنان: اسم لفحل من خيول العرب مشهور، كذا في اللسان، و«عرقوب» اسم فرس زيد الفوارس الضبي. ولعل هذين الفرسين كانا أخوين، ولعل مراد بشار البناء على قوله «ركوب» في البيت قبله. والكلمة الأولى من المصراع الثاني كتبت «جري» بجيم وراء بعدها تحتية، ولعلها حربي لتناسب قوله «وحرب أخي الحنان». وضبط «وحرب» بكسر الباء ولم يتضح المعنى فأثبتناه كما كتب، ولعله أراد الكناية.

5) «القليفع» تصغير قلفع كدرهم وهو ما يتشقق من الطين، وقوله «فيما» كتب في الديوان بميم، ولعل الصواب «فيها» أي في الليلة، و«يبتغي أجلي» أي يبتغي قتلي، وضاف: نزل، ويقال: ضفته أي نزلت عليه ضيفا، و«الهجر» وقع بالراء وبفتح الهاء ولعله بالواو أو بضم الهـاء.

جَاءَتْ وَجَاءَ السَّجُوجِيِّ مِنْ بَنِي وَآلٍ وَالزِّقُّ يَحْدُو وِكَاهَا سَاكِنُ اللُّوبِ(1)

يَهْفُونَ دُونَ أُكَيْـرَاحٍ وَمِثْلُهُـمْ طِفْلُ الْحُسَامِ بِبَابِ الْمُلْكِ مَعْصُوبِ(2)

لَمَّا الْتَقَيْنَا عَلَى مَلْكٍ نُسَـاوِرُهُ صَعْبِ الْمَرَامِ كَحَرِّ النَّارِ مَشْبُـوبِ

قَالَتْ هَلَكْتَ وَلَمْ أَهْلِكْ، فَقُلْتُ لَهَا فِي مِثْلِهَا كُنْتُ صَفَّاحَ الْأَعَاجِيـبِ

حَاوَلْتُمُ الْعَرْشَ عِنْدِي فِي سَلَاسِلِهِ هَيْهَاتَ رُمْتُمْ قَرِيباً غَيْـرَ مَقْـرُوبِ

ضَمَّتْ قَنَاتِي عَلَى الْمِيرَاثِ فَيْئَكُمْ وَالسِّيلَانُ ذُو الْوَجْهَيْنِ يَعْسُـوبُ(3)

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ مَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا رَيَّا الْمَفَاصِلِ مَلْسَـاءَ الْأَنَـابِيبِ(4)

كَأَنَّمَا دُهِنَتْ دُهْناً وَقَدْ عُرِكَـتْ لَيْلَ التَّمَـامِ بِتَعْضِيضٍ وَتَقْلِيـبِ

كَأَنَّنِي مِنْ رِقَاهُمْ لَيْلَةَ احْتُضِرُوا مُذَبْـذَبٌ بَيْنَ إِصْعَادٍ وَتَصْوِيبِ (5)

---

1) « السجوجي » وقع بجيمين، ولعله اسم نسب إليه من جاءه بالبديعة ، وبنو وأل لم أجدهـم في أسماء قصائل العرب ، فلعلهم فصيلة حدثت ، والزق: زق الخمر ، و « وكاها » أصله « وكاءها » بالمد ، وهو ما يشد على فم الزق ، والظاهر أنه أراد «بيحدو» أن يفتحه المرة بعد المرة ، كما يحدو السائق البعير ليسرع بالمشي ، و« ساكن اللوب » ساكن الارض المنبسطة ، والظاهر ، أن الكلام توريـات .

2) « يهفون » يسرعون ، و« أكيراح » بضم الهمزة ، موضع ذو بيوت تخرج إليها النصارى في أعيادهم ، وهو تصغير أكراح على غير قياس ، وأكراح جمع كرح بكسر الكاف بيت الراهب ، يريد أنهم يسرعون إلى الخمارات. و«طفل الحسام» لم يتضح المراد منه ، ولا شك أنه تحريف ، ولعله طول الحسام ، والمعصوب: السيف الطويل ، والكلام كله كنـايات .

3) الظاهر أن الميراث موضع ، والظاهر أن «السيلان» تحريف الشبلان بكسر الشين من قرى البصرة منسوب لشبلة بن عميرة الضبي ذكره ياقوت ، قال : وكان من اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في اسم الرجل الذي تنسب إليه القرية ألفا ونونا فيصير ذلك اسم القرية ، وقد سموا قرى كثيرة بهذه الزيادة . وقوله «ذو الوجهين» لعل صوابه : « وذي الوجهين » وهو السيف الذي له حدان ، واليعسوب: القوي ، وأصله ذكر النحل .

4) «الثقاف» بكسر الثاء : حديدة مستديرة تقطع بها كعوب قناة الرمح ، و«ريا المفاصل» أراد غليظة.

5) «احتضروا» مبني للنائب عن الفاعل ، أي احتضرتهم ، أي نزلت بهم ، فهو من صيغ الافتعال التي لم يقصد منها معنى المطاوعة ، ولذلك صح بناء المجهول منها مثل اضطر إلى كذا ، ولولا ذلك لكان معنى المطاوعة ينافي البناء للنائب . و«مذبذب» كتب بدالين وهو المضطرب ، ولعل صوابه «مذبب» بذال واحدة بصيغة اسم الفاعل وهو الراكب العجل في السير .

يرمون قلبي بأسحار وأمحقها … عني بحرف من القرآن مكتوب(1)
حتى إذا أشرفت نفسي على طمع … فاستعجل الصبح أمثال الأهابيب(2)
سحرت ريقا لبفزول فدامجه … إذ ألفت فيه بين الشاة والذيب(3)
وقد عطفت مكيحا بعد حيصته … على الوديق فما وتر بمطلوب(4)
وقد خنقت مليحا في منازله … حتى استمر طريدا غير مصحوب(5)
وقد قرعت القرينا إذ قرعت له … بالعنكبوت وكان الحوب بالحوب (6)
وقد تركت أبا اللصين معترضا … وما اعتراض ذباب طن مذبوب
يروح الغي يعبوبا له شرف … وفي الرشاد بليدا غير يعبوب (7)
وقد عرفت عريفا ذاك خالته … وقد تلفع شيبا غير مخضوب
يصب في فاسها من ماء فيشته … صب الوليدة في المصحاة بأكوب
والعبد زوج الزواني قد نفخت له … مني بسجل ذنوبا غير مشروب
يمشي بأير مهيب في عشيرته … وما الفتى بمهيب في المقانيب
ممن يروعك مطلوبا برؤيته … وقد تراه مصيخا غير مطلوب

* * *

1) لعله قصد أنهم يسحرونه ليبقى على محبة نسائهم .
2) الأهابيب جمع أهيوبة مثل أغلوطة وأعجوبة، وكأنه أراد بالأهبوبة الهبة من الريح، ولم أعثر عليه في كتب اللغة ، شبه الصبح في سرعة انتشار ضيائه بالريح .
3) لعله أراد بالشاة المرأة. وبالذيب نفسه .
4) لعل ما في هذا البيت والابيات الثلاثة التي بعدهأسماء يستخدمها السحرة .
5) كتب « مليحا » بلام بعد الميم ، ولعله مكيحا مثل الذي قبله .
6) « الحوب »: الإثم . و« القرينا » بضم القاف ممدودا اللوبياء، وقصره ضرورة .
7) اليعبوب الفرس الجواد، وكتب « يروح » بحاء، ولعل صوابه بجيم، فقوله « يعبوبا » انتصب على الحال المراد منها التشبيه ، والمعنى أنه يحسن ترويج الباطل ، ويناظر فيه بفطنته وهو في الرشاد بليد .

وقال أيضاً(*):

يَا صَاحِبَيَّ أعِينَانِي عَلَى طَرَبِ … قَدْ آبَ لَيْلِي وَلَبْتَ اللَّيْلَ لَمْ يَـؤُبِ
نَصِبْتُ وَالشَّوْقُ عَنَّانِي وَنَصَّبَنِي … إِلَى «سُلَيْمَى» وَرَاعِيهِنَّ فِي نَصَبِ(1)
فِي القَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ البِيضِ جَارِيَةٌ … رَيَّا التَّرَائِـبِ وَالأَرْدَافِ وَالقَصَـبِ
اللهُ أَصْفَـى لَهَـا وُدِّي وَصَوَّرَهَا … فَضْلاً عَلَى الشَّمْسِ إِذْ لَاحَتْ مِنَ الحُجُبِ
أُحِبُّ فَاهَا وَعَيْنَيْهَا وَمَا عَهِدَتْ … إِلَيَّ مِنْ عَجَبٍ، وَيْلِي مِنَ العَجَـبِ
دَاءُ المُحِبِّ، وَلَوْ يُشْفَى بِرِيقَتِهَا … كَانَتْ لِأَدْوَائِـهِ كَالنَّـارِ لِلْحَطَـبِ
وَنَاكِثٍ بَعْدَ عَهْدٍ كَـانَ قَدَّمَـهُ … وَكَيْفَ يَنْكُثُ بَيْنَ الدِّينِ وَالحَسَـبِ
وَاللهِ أَنْفَـكُّ أَدْعُوهَـا وَأَطْلُبُهَـا … حَتَّى أَمُوتَ وَقَدْ أَعْذَرْتُ فِي الطَّلَبِ(2)
قَدْ قُلْتُ لَمَّا ثَنَتْ عَنِّي بِبَهْجَتِهَـا … وَاعْتَادَنِي الشَّوْقُ بِالْوَسْوَاسِ وَالْوَصَبِ:
يَا أَطْيَبَ النَّاسِ أَرْدَاناً وَمُلْتَزَمـاً … مُنِّي عَلَيَّ بِيَـوْمٍ مِنْـكِ وَاحْتَسِبِـي
إِنَّ المُحِبِّينَ لَا يَشْفِي سَقَامَهُمَـا … إِلَّا التَّلَاقِي فَدَاوِي القَلْبَ وَاقْتَـرِبِي
كَمْ قُلْتِ لِي عَجَباً ثُمَّ التَوَيْتِ بِهِ … وَلَا لِمَا قُلْتِ مِنْ رَاسٍ وَلَا ذَنَبِ(3)
لَا تُتْعِبِينِي فَإِنِّي مِنْ حَدِيثِكُـمْ … بَعْدَ الصُّدُودِ الَّذِي حُدِّثْتُ فِي تَعَـبِ
يَدْعُو إِلَى المَوْتِ طَيْفٌ لَا يُؤَرِّقُنِي … وَعَارِضٌ مِنْكِ فِي جِدِّي وَفِي لَعِـبِي
فَـأَلْقَى مُحِبّاً حَمَاهُ النَّومَ ذِكْرُكُمْ … كَأَنَّهُ يَوْمَ لَا يَلْقَـاكِ فِي لَهَـبِ
قَالَتْ: أَكُلَّ فَتَاةٍ أَنْتَ خَادِعُهَـا … بِشِعْرِكَ السَّاحِرِ الخَلَّابِ لِلْعُـرُبِ(4)

---

*) وقـال أيضا في التشبيب بسليمى . والقصيدة من بحر البسيط .

1) الضمير في قوله «وراعيهن» يعود إلى النساء المفهوم من المقام ، والجملة تذييل أي وراعي النساء في نصب ، وأراد بالراعي هنا الملازم على طريقة الاستعارة .

2) «والله أنفك» أي: والله لا أنفك ، وحذف «لا» في جواب القسم شائع قال امرؤ القيس :
فقلت يمين الله أبرح قـاعـــدا

3) قوله «ولا لما قلت من رأس ولا ذنب» كناية عن الباطل والكذب ، أي لا حقيقة لأوله ولا لآخره ، والمقصود التعميم .

4) ضبط في الديوان «العرب» بفتح العين وفتح الراء ، والأظهر أنه بضمهما جمع عروب.

كَمْ قَدْ نَشِبْتَ بِغَيْرِي ثم زِغْتَ بِهَا فَاسْتَحْيِ مِنْ كَذِبٍ لَاخَيْرَ فِي الْكَـذِبِ
هَبْنِي لَقِيتُ كما تَلْقَى وَخَامَرَنِي دَاءٌ كَدَائِكَ مِنْ جِنٍّ وِمِـنْ كَلَبِ
أَنَّى لَنَا بِكَ أَوْ أَنَّى بِنَا لَكُـمُ وَنَحْنُ فِي قَيِّمٍ غَيْرَانَ فِي نَشَبِ(1)
لَا نَسْتَطِيعُ وَلَا نُسْطَاعُ مِنْ سَرَفٍ فَالصَّفْحُ أَمْثَلُ مِنْ وَصْلٍ عَلَى رُقَبِ(2)
أَنْتَ الْمُشَهَّرُ فِي أَهْلِي وَفِي نَفَرِي وَدُونَكَ الْعَيْنُ مِنْ جَـارٍ وَمُغْتَرِبِ
وَلَوْ أُطِيعُكَ فِي نَفْسِي مُعَـالَجَـةً أَنْهَبْتُ عِرْضِي وَمَـا عِرْضِي بِمُنْتَهَبِ
فَاخْلُبْ لَبُونَكَ إِبْسَاساً وَتَمْرِيَـةً لَا يَقْطَعُ الدَّرَّ إِلَّا عِيُّ مُحْتَلِـبِ(3)
إِنَّـا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَّـا مُسَاعَفَةٌ بِمَا هَوِيتَ وَكُنَّا عَنْكَ فِي أَشَبِ(4)
نَهْوَى الْحَدِيثَ وَنَسْتَبْقِي مَنَاصِبَنَا إِنَّ الصَّحِيحَةَ لَاتَبْقَى مَـعَ الْجَرَبِ
خَافَتْ عُيُوناً فَخَفَّتْ قَبْلَ حَاجَتِنَا وَرَوَّعَتْنَا بِإِعْرَاضٍ وَلَمْ تُصِبِ(5)

---

1) جملة «أنى لنا بك» الخ مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عن جملة «هبني لقيت» الخ في البيت الذي قبله.

وقوله «أنى لنا بك» معناه من أين يكون لنا التلبس معك فاللام للأجل والباء للملابسة والتركيب إيجاز يجري مجرى المثل، وكذلك قوله «أو أنى بنا لكم» وجملة «ونحن في قيم» حالية، وقوله «في نشب» بدل من قوله «في قيم» بدل اشتمال بإعادة العامل في المبدل منه. والتقدير: ونحن في نشب قيم أي في اعتلاق رقيب قيم علي.

2) الرقب: جمع رقبة، وهي جماعة الرقباء.

3) الإبساس: قول «بس بس» وهو صوت زجر للابل عند نفورها وقت الحلب يتلطفون لها به ويسكنونها، والتمرية: مصدر مرّى مضاعف مرى الناقة يمريها، بمعنى مسح ضرعها لتدر، والمعنى مثل للتلطف في محاولة اللقاء على غفلة من القيم والعين والرقيب، وقوله: «لا يقطع الدر إلا عي محتلب» العي: العجز عن الشيء، ومنه عيّ الكلام، والعي يكون في اللسان وفي الجوارح، كما في كتاب البيان للجاحظ، ومنه قول بشار:

وعي الفعال كعي المقـال وفي الصمت عي كعي الكلم

وروي في المختار «شر» عوض «عي».

4) «الأشب» تقدم في البيت 4 من ورقة 33، والمعنى: كنا محجوزين عنك في موضع كثير الناس لا تمكن فيه الخلوة.

5) أي قالت ذلك ثم خافت عيون الرقباء فخفت في المشي راجعة قبل أن تقضي الحاجة، ولم تصب فيما قالته.

وضبط في الديوان «تصب» بفتح التاء وضم الصاد.

فلَيْسَ لي عِنْدها حبْلٌ أمُتُّ بِهِ   إلّا الْمودَّة مِنْ نُعْمَى ولَا نَشَبِ(1)
فقدْ نَسيتُ وقلْبِي فِي صَبَابَتِه   كأنّهُ عِنْدهـا جيْـرانُ فِي سَبَـبِ
قدْ غِبْتُ عنْها فمَا رَقَّتْ لِغَيْبتِنا   وقدْ شهِدْتُ فلمْ تشْهدْ ولمْ تَغِبِ(2)
أُمْسِي حزِيناً وتُمْسِي فِي مَجاسِدِها   لَاتشْتكِي الْحُبَّ في عظْمٍ ولاعَصَبِ(3)
كأنَّهـا حَجَرٌ مِنْ بعْدِ نائِلِهـا   شَطَّتْ عليَّ وإنْ ناديْتُ لمْ تُجِـبِ

* * *

وقـال أيضاً(*):

آبَ ليْلِي بعْد السُّلُوِّ بِعتْـبِ   مِنْ حبِيـبٍ أصاب عيْنِي بِسكْـبِ
لقِيَتْنِـي يوْم الثّلَاثاء تمْشِـي   بِالتَّصابِـي وبِالْعناء لِقلْبِــــي
كان لي «بابُ مِقْسَمٍ» بـاب غيٍّ   وافقتْ صحْبهُ وما ثاب صحْبِـي(4)
ساقطَـتْ مَنْطقـاً إلَيَّ رَخِيمـاً   فَسَبَتْنِـي بِهِ وقَـدْ كُنْـت أسْبِي
لَمْ يُوهَّنْ مِنَ الْمَقَـالِ لِسَـانِي   لِجَوابٍ مُجِيبِـهُ غيْرُ حَـرْبِ(5)
قُلْتُ: هلْ بَعْدَ ذا تلَاقٍ فَقالتْ   كيْف تُلْقَى صَحِيحَـةٌ بيْن جُـرْبِ
ما تولَّتْ حتّى اسْتدار بِيَ الْحُـــــبُّ كما دارتْ الرَّحا فوْق قُطْـبِ
عَادَ حُبّي بِتلْك غَضًّا جـدِيدًا   ربَّ مـا قدْ لَقيتُ منْهُـنّ حسْبِـي
صُورةُ الشّمْسِ في قِناعِ فتـاةٍ   عَرَضَـتْ لِي فليْسَ لُبِّـي بِلُـبِّ

---

1) قوله «من نعمى» صفة لـ«حبل»، وقوله «ولا نشب» عطف على «نعمى»، والنعمى (بضم النون وبالقصر) بمعنى النعمة، والنشب: المال.

2) قوله: «فلم تشهد ولم تغب» يريد أنها بخلت بشهودها مع قربها.

3) المجاسد تقدم في البيت 10 من الورقة 25.

*) وقال أيضا في إحدى حبائبه التي كناها بأم وهب كنية مرادا منها التعمية كما نطق به في البيت 9 من الورقة 62.
والقصيدة من بحر الخفيـف.

4) «باب مقسم» يظهر أنه بكسر الميم وفتح السين: اسم رجل نسب إليه الباب، ولعله من أبواب البصرة، ولم أعثر عليـه.

5) «غير حرب» أي غير محارب، فهو من الوصف بالمصدر، يقولون: أحرب أنت أم سلم؟

لَا تكُنْ لِي الْحياةُ إنْ لمْ تكُنْ لي ... شَرْبةٌ منْ رُضَابِهَا غيرَ غَصْب
خُلقَتْ وَحْدَهَا فَلَسْتَ بَرَاءٍ ... مثْلَهَا صَاحِ لا تَصَابَى ونُصْبِي
أيُّهَا النَّاصحُ الرَّسُولُ إلَيْهَا ... قُلْ لها عَنْ متيَّم الْقَلْب صَبٍّ:(1)
حَدِّثيني فأنتِ: قُرَّةُ عَيْنِي ... هَلْ تُحبِّينَني فَهَلْ نلْت حُبِّي(2)
أبْهمتْ دُونَك الْفجَاجُ فَلَا أُلْـ ... ـقَى سَبِيلًا إلَيْك فِي غَيْر تُرْب(3)
مَا عَلَى النَّوْم لَوْ تَعَرَّضْت فيه ... فَبَلَوْنَاكِ فِي سخَابٍ وإتْب(4)
أنا منْ حُبِّك الضَّعيفُ الذي لَا ... أسْتَطِيعُ السُّلُوَّ عَنْك بِطِبّ
وَلَو أن الْهَوَى تَزَحْزَحَ عَنِّي ... شَيَّعَتْنِي فيَا فِدَاً كُلُّ حَنْب(5)
فاذْكُرِيني ـ ذُكِرْتِ فِي ظُلَّة الْعَرْ ... ش بخيرٍ ـ تُفَرِّجِي بَعْضَ كَرْبِي
مَا دَعَانِي هَوَاكِ مُنْذُ افْتَرَقْنَا ... باشْتِيَاقٍ إلَّا نَهَضْتُ أُلَبِّي
أشْتَهِي قُرْبَك الْمُؤَمَّلَ وَاللَّـ ... ـه قَريباً فَهَلْ تَشَهَّيْتِ قُرْبِي
سَوْفَ أُصْفِي لَكِ الْمَوَدَّةَ مِنِّي ... ثُمَّ أُعْفِيكِ أنْ تُرَاعِي بِذَنْب
فَصِلِينِي وِصَالَ مِثْلِي وَدُومِي ... لَا تَكُونِي ذَوَّاقَةً كلَّ ضَرْب(6)
لَيْتَ شِعْري جَدَدْتِ يوْمَ الْتَقَيْنَا ... أمْ تَصُدِّينَ مَنْ لَقِيتِ بِلِعْب(7)
قدْ شَكَكْنَا فيمَا عَهِدْتِ إلَيْنَا ... وظَمِئْنَا فَوَجِّهِينَا لِشُرْب

---

1) كتب في الديوان « أيها الفاضح » بفاء وضاد معجمة، والصواب « الناصح » بنون وصاد مهملة.
2) كتب « فهل » ولعله «فقد».
3) قوله « في غير ترب » أي في غير أن يصورها في التراب كما تقدم البيت 1 من الورقة 54.
4) السِخاب (ككتاب): قلادة من قطع طيب كالمسك (وهو مجموعة الطيب) والقرنفل والمحلب وعند الخاصة من العنبر، و «الإتب» تقدم في البيت5 من الورقة 42.
5) انظر معنى النصف الثاني من البيت.
6) قوله « وصال مثلي » أي وصال من يصافي المودة ويتجنب الإساءة. الضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء: العسل، ويقال ضرب (بالتحريك) والضرب (بالسكون أيضا): النوع وكلاهما يصح أن يكون مرادا هنا.
7) جددت «بفتح الدال الأولى» أي فعلت الجد، وهو ضد اللعب، يقال: جد يجد ويجد، واللعب (بكسر اللام وفتحها وسكون العين فيهما) مصدر لعب. ويقال: لعب (بفتح اللام وكسر العين وهو مصدر بوزن فعله، وهو قليل، ونظيره: ضحك.

لَيْتَنِي قَدْ حَيِيتُ حَتَّى أَرَاهُ فِي مُحِبٍّ لَكُمْ وَفَوْقَ الْمُحِبِّ(1)
يَتَغَنَّى إِذَا خَلَا بِاسْمِكَ الْحَقِّ وَيَكْنِيكَ فِي الْعِدَى «أُمَّ وَهْبِ»(2)
وَيُفَدِّي سِوَاكِ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ وَيَعْنِيكِ بِالتَّفَدِّي وَرُبِّي

* * *

وقال أيضاً(*):

حَنَّ قَلْبِي إِلَى غَزَالٍ رَبِيبِ فَاعْتَرَانِي لِذَاكَ كَالتَّصْوِيبِ(3)
كَيْفَ صَبْرِي عَنِ الْغَزَالِ وَلَمْ أَلْقَ شِفَاءً مِنَ الْغَزَالِ الرَّبِيبِ
مَنَعَ النَّوْمَ ذِكْرُهُ فَتَأَرَّقْتُ لِذِكْرَى مِنْ شَادِنٍ مَخْضُوبِ
لَا تَعَزَّى الْفُؤَادُ عَنْهُ وَلَا يَقْصُرُ خَطْوِي إِلَى مُنَاخِ الْمَشِيبِ(4)
وَلَقَدْ أَسْأَلُ «الْمُغِيرَةَ» لَمَّا دَوِيَ الْقَلْبُ عَنْ دَوَاءِ الْقُلُوبِ(5)
فَأَشَارَتْ بِهَا قَرِيباً وَمَا الْمَمْنُوعُ عِنْدِي نَوَالُهُ بِقَرِيبِ(6)
فَصَبَرْتُ الْفُؤَادَ حَتَّى إِذَا طَالَ بِيَ الْمُشْتَكَى وَأَعْيَا طَبِيبِي(7)
وَجَفَانِي الصَّدِيقُ مِنْ يَأْسِ أَنْ أَبْرَأَ وَاعْتَلَّ عَائِدِي مِنْ نَسِيبِي(8)

---

1) الضمير في قوله «أراه» يعود الى «ما عهدت».

2) يقال: كناه وأكناه وكناه، ويتعدى بنفسه وبالباء.

*) وقال أيضا في الغزل بـ «حبى» وهي من الخفيف.

3) الربيب: الذي يربى في البيت، أي غزال أنيس. والتصويب: مصدر صوب وتصوب، إذا انحدر. يريد أنه اعتراه دوار يخيل اليه أنه تصويب.

4) كتب «ولا تعزى» بفوقية ولعله بتحتية، وقوله «الى مناخ المشيب» متعلق بـ«تعزى ويقصر» المنفيين، أي الى حلول المشيب، وأراد بالمناخ الاستقرار التام، أي الى أن يعم رأسي الشيب.

5) «المغيرة» هنا اسم امرأة، لقوله بعده: فأشارت، وكتب «من دواء» والصواب «عن دواء» يتعلق بـ«أسأل».

6) ضمير «بها» يعود الى «دواء القلوب» لتأويله بالحبيبة.

7) «صبرت الفؤاد» أوثقته. أراد بالفؤاد النفس، ومنه قيل: قتل فلان صبرا، أي موثقا، وقد نهي عن قتل المصبورة، واستعاره هنا لحمله على الصبر.

8) قوله «من يأس أن أبرأ» «من» تعليلية تتعلق «بجفاني». وقوله «من نسيبي» (من) فيه تبعيضية، أي جفاني العائدون من أقاربي فبالأحرى الأباعد.

جِئْتُ مُسْتَشْفِياً إِلَيْهَا لِمَا بِي ... وَشِفَاءُ الْمُحِبِّ عِنْدَ الْحَبِيبِ
فَاتَّقِي اللهَ يَا حُبَيِّبُ وَجُودِي ... بِشِفَاءٍ لِعَاشِقٍ مَكْرُوبِ
نَامَ أَصْحَابُهُ وَبَاتَ مُكِبّاً ... فِي أَعَاجِيبَ مِنْ هَوَاكِ الْعَجِيبِ
لَيْسَ بِالْمُبْتَغِي سِوَاكِ وَلاَ الْبَا ... ئِعِ مِنْكُمْ نَصِيبَهُ بِنَصِيبِ
يَقْطَعُ الدَّهْرَ مَا يَغِيبُ عَنْهُ ... مِنْ هَوَاكُمْ بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبِ(1)
لَمْ تَنَمْ عَيْنُهُ وَلَمْ يَزَلِ الدَّمْ ... عُ نِظَاماً يَسْتَنُّ فَوْقَ التَّرِيبِ(2)
مُسْتَهَاماً إِذَا الْجُلُوسُ أَفَاضُوا ... فِي حَدِيثٍ أَكَبَّ مِثْلَ الْغَرِيبِ
لَيْسَ بِالنَّاظِرِ الْجَوَابَ فَيَرْعَى ... قَوْلَ حُدَّاثِهِ وَلاَ بِالْمُجِيبِ(3)
يَنْتَحِي النَّفْسَ فِي هَوَاهَا فَيَرْضَى ... مِنْ حَدِيثِ الْجُلُوسِ بِالْمَحْبُوبِ
نَوِّلِيهِ وَاتْقِي إِلٰهَكِ فِيهِ ... لَيْسَ مَا قَدْ فَعَلْتِ بِالتَّعْتِيبِ(4)
قَدْ أَبَتْ نَفْسُهُ سِوَاكِ وَتَأْبَيْـ ... نَ سِوَاهُ بِالصَّرْمِ وَالتَّعْذِيبِ
لَوْ قَدَرْنَا عَلَى رُقَى سِحْرِ «هَارُو ... تَ» طَلَبْنَا الْوِصَالَ بِالتَّخْبِيبِ

* * *

وقال أيضاً(*):

طَالَ فِي هِنْدٍ عِتَابِي ... وَاشْتِيَاقِي وَطِلاَبِي
وَاخْتِلاَفِي كُلَّ يَوْمٍ ... بِمَوَاعِيدَ كِذَابِ

---

1) قوله «ما يغيب» (ما) نافية وضمير «يغيب» عائد على الزمان المفهوم من الدهر. والجملة معترضة بين الفعل ومتعلقه، أي ما يغيب عنه وقت من الدهر، وقوله من «هواكم» «من» فيه تعليلية متعلق بـ «يقطع». وقوله «بعبرة» متعلق بـ «يقطع».
2) يستن: ينصب، انظر البيت 16 من ورقة 32. والتريب: التراب.
3) الناظر: بمعنى المنتظر، قال ذو الرمة:

وشعث ينظرون الى بلال ... كما نظر العطاش حيا الغمام

فذكر النظر مرتين بمعنى الانتظار، و«الى» في بيت ذي الرمة مفرد الآلاء، وهي النعمة.
4) «اتقي» بسكون التاء: أمر من قولهم «تقاه» الثلاثي بدون همزة في أوله، وهو بمعنى اتقاه، والتعتيب: العتب.
*) وقال أيضا في هند.
والقصيدة من الرمل، وعروضه مجزوءة صحيحة وضربها معرّى.

كُلَّمَا جِئْتُ لِوَعْدٍ ... كَانَ مُمْسَى فِي تَبَابٍ(1)
أَخْلَفَتْ حِينَ أُرِيدَتْ ... مِثْلَ إِخْلَافِ السَّرَابِ
لَامَنِي فِيهَا يَزِيدٌ ... وَجَفَانِي دُونَ صِحَابِي
قُلْتُ لِلَّائِمِ فِيهَا: ... غُضَّ مِنْهَا بِالشَّرَابِ!(2)
لَا تُطَاعُ الدَّهْرَ فِيمَا ... قَدْ عَنَانِي بِقُرَابٍ(3)
لَيْتَ مَنْ لَامَ مُحِبًّا ... وَرَمَاهُ بِاغْتِيَابِ
أَزْهَقَتْ هِنْدٌ حَيَاتِي ... مَا لِهِنْدٍ مِنْ مَتَابِ(4)
نَالَهُ اللهُ بِسُقْمٍ ... شَاغِلٍ أَوْ بِعَذَابِ
حَبَلَتْنِي يُمْنَاهَا ... وَرُقَاهَا فَالْخِلَابِ(5)
كَيْفَ لَا يَأْوِي لِشَخْصٍ ... هَائِمِ الْقَلْبِ مُصَابِ(6)
دَنِفٍ فِي حُبِّ هِنْدٍ ... ذِي شَكَاةٍ وَانْتِحَابِ(7)
دَخَلَ الْحُبُّ لِهِنْدٍ ... قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ بَابِ

---

1) كتب في الديوان «ممسى» بسين مهملة وضبط بضمة على الميم الاولى، ولعله تحريف. وصوابه بالشين المعجمة وبفتحة على الميم الاولى كما وقع في البيت 13 من ورقة 3. واسم «كان» ضمير عائد الى المجيء المفهوم من «جئت».

2) «غض»: أمر، وهو بفتح الغين لأن مضارع غص يغص بفتح الغين لاغير مع جواز الكسر والفتح في ماضيه، والكلام دعاء.

3) القراب (بكسر القاف وضمها) قدر الشيء، لما حذف هنا ما يضاف اليه أطلقه على القدر ولو قليلا.

4) وقع هذا البيت في الديوان إثر البيت «ليت ...» وبيض الناسخ بينهما مقدار بيت، ثم وضع البيت «ناله ...» بعده فلم يكن الكلام مرتبطا، والصواب أن البيت «ناله ...» هو الموالي للبيت «ليت ...» ويصير البيت «أزهقت ...» بعدهما.

5) «حبلتني» بحاء مهملة ثم موحدة أي صادتني بالحبالة، ومنه قول الأعشى «ومحبول ومحتبل» وقوله «فالخلاب» معطوف على «مناها ورقاها»، والتعريف فيه عوض عن الإضافة، أي فخلابها.

6) كتب «يأوي» بمثناة تحتية في أوله، والصواب «تأوي» بمثناة فوقية.

7) الشكاة بفتح الشين: المرض، وأصله اسم للتشكي، ولما كان المريض يكثر منه تشكي المرض أطلقت الشكاة على المرض.

لَيْتَ لي قَوْساً ونَبْلًا   حينَ تَرْبا حُبَابي(1)
فأُصيبُ القَلْبَ منْها   بمُحَدَّاتٍ صِيَابِ(2)
مِنْ سِهَامِ الحُبِّ إنِّي   أشْتَهيها للْحِبَابِ
وَلَقَدْ تَامَتْ فُؤادي   بصُدُودٍ واجْتِنَابِ
يَوْمَ قَامَتْ تَتَهادَى   بَيْنَ إتْبٍ وَسِخَابِ(3) [64]
أمْلَحُ النَّاسِ جَميعاً   سَافِرًا أوْ في نِقَابِ(4)
كَمُلَتْ في العَيْنِ حُسْناً   وَجَمالاً في الثِّيَابِ
اذْكُري لَيْلَةَ نَلْهُو   في رُعُودٍ وسَحَابِ
وَحَديثاً نَصْطَفيهِ   في عَفَافٍ وَتَصَابي
وَرَسُولاً بَاتَ يَسْري   في هَوَاكُمْ . بالكِتَابِ
يُنْذِرُ العَاشِقَ حَتَّى   نَصَبُوا حَدَّ الحِرَابِ
مِنْ عَدُوٍّ نَتَّقيهِ   وَبَني عَمٍّ غِضَابِ
طَرَقَتْ حُبِّي بِهَمٍّ   كَادَ يُنْسيني مَآبي(5)
وَاسْتَزادَتْني عَلَى الهَوَ   لِ بطَاعُونِ الشَّبَابِ

---

1) كتبت الكلمة الثانية من المصراع الثاني بفوقية في أولها وراء بعدها. وحرف ناتيء لم ينقط، ولعل صواب ذلك الحرف أنه ميم وأن الالف بعده ممدودة. وناسخ الديوان كثيرا ما يترك علامة المد على الألف، وعليه يكون صواب الكلمة ترماء، والترماء بفتح التاء من مصادر رمى عن القوس، وإضافته الى «حبابي» من إضافة المصدر الى فاعله، أي حين يرميني حبابي. و«حبابى» بضم الحاء الحبيب.

2) «محدات» صفة لموصوف محذوف، أي سهام محداة، يقال: حدد السكين أو السهم إذا أشحذها ومسحها بحجر حتى ترهف شفرتها، وكان القياس أن يقول «محددة»، ولكنه عدل عنه الى تعويض أحد الدالات بألف للتخفيف كراهية اجتماع ثلاثة أمثال، كما قالوا: تقضى البازي بمعنى تقضض، وتمطى بمعنى تمطط، قيل ومنه قوله تعالى «وقد خاب من دساها»، و«صياب» جمع صائب، مثل: قيام وصحاب، والوجه أن تكون بهاء التأنيث عوضا عن التاء.

3) «الإتب» و«السخاب» تقدما من في البيت 21 من الورقة 61

4) «سافر» وصف للمرأة، فلا يقترن بهاء التأنيث.

5) أراد بالمآب يوم القيامة، لأنه يوم الرجوع الى الله.

يَوْمَ قَالَتْ تَحْذَرُ الْعَيْـ   ـنَ عَلَى ذَاتِ الْحِجَابِ(1)
كُنْ غُرَاباً حِينَ تَأْتِي   بَيْنَنَا أَوْ كَغُرَابِ(2)
حَذَرَ الْعَيْنِ فَإِنَّا   لَمْ نَكُنْ أَهْلَ مَعَابِ
فَتَحَضَّرْتُ بِنَفْسِي   نَحْوَهَا دُونَ الْقِرَابِ
فَالْتَقَيْنَا بِحَدِيثٍ   مِنْ شَكَاةٍ وَعِتَابِ
مَنْطِقٌ مِنْهَا وَمِنِّي   غَيْرِ تَحْقِيقِ سِبَابِ(3)
قُلْتُ لَمَّا بَرَّحَتْ بِي   لَمْ يَكُنْ هَذَا احْتِسَابِي
حَيْثُ أَرْجُوكُمْ فَسِمْتُمْ   زَوْرَكُمْ سَوْطَ عَذَابِ(4)
لَيْتَنِي قَبْلَ هَوَاكُمْ   كُنْتُ فِي بَطْنِ التُّرَابِ
فَبَكَتْ «هِنْدٌ» وَقَالَتْ   حِبِّ لَا تُنْكِرْ خِطَابِي(5)
غِلْظَةٌ بَعْدَ التَّلَاقِي   بَعْدَهَا لِينُ جَوَابِ

* * *

وقال أيضاً(*):

نُورَ عَيْنِي أَصْبَتَ عَيْنِي بِسَكْبِ   يَوْمَ فَارَقْتَنِي عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ
كَيْفَ لَمْ تَذْكُرِي الْمَوَاثِيقَ وَالْعَهْـ   ـدَ وَمَا قُلْتِ لِي وَقُلْتُ لِصَحْبِي
مَا تَصَبَّرْتُ عَنْ لِقَائِكِ إِلَّا   قَلَّ صَبْرِي وَبَاشَرَ الْمَوْتُ قَلْبِي

---

1) «العين»: الرقيب، وقوله «على ذات الحجاب» متعلق بـ«العين»، لما فيه من معنى الوصفية كقوله:
أسد عليَّ وفي الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافـر
2) تقول العرب: أحذرُ من غراب، يضربونه مثلا في شدة الحذر، وقوله «أو كغراب» حشو في الكلام.
3) الظاهر أنه أراد بقوله «غير تحقيق سباب» الإعراض عن شتم الرقيب.
4) كتب في الديوان «قسمتم» بقاف، والصواب أنه بالفاء.
5) «حب» بكسر الحاء: المحبوب كذبيح بمعنى مذبوح، وهو هنا منادى مضاف الى ياء المتكلم، حذف حرف النداء، وحذفت الياء من آخره وبقيت الكسرة. ومعنى «لا تنكر خطابي» أي لا تخاطبني بنكر حيث تمنى أن يكون قد مات.
*) وقال أيضا في الغزل من بحر الخفيف.

لَيْتَنِي مِتُّ قبلَ حُبُّكِ يا قُرَّ ةَ عيْنِي أوْ عِشْتُ فِي غَيْرِ حُبِّ
لِيس شيْءٌ أجلَّ مِنْ فُرْقَةِ النَّفْسِ فحسبِي فُجِعْتُ بِالنَّفْسِ حسْبِي
كَيْفَ عَيْشِي وما نَعُودُ كما كُنَّا إِلَى اللهِ أشْتَكِي جَهْدَ كَرْبِي
فَرَغَ النَّاسُ مِنْ مُعالجةِ النَّا سِ جميعاً وأنْتِ همِّي وربِّي

* * *

وقال أيضاً يمدح الإمام المهدي رحمة الله عليه(*):

أفنيتُ عُمْرِي وتقضَّى الشَّبابْ بيْنَ الْحُمَيَّا والْجواري الْأَوَابْ(1)
فالآنَ شفَّعْتُ إِمامَ الْهُدَى وربَّما طِبْتُ لِحُبٍّ وطابْ
صحوْتُ إِلَّا أنَّ ذِكْرَ الْهوى يَدْعُو إِلَى الشَّوْقِ فَأنْسَى مَآبْ(2)
لله دَرِّي لَا أرَى عَاشِقًا إِلَّا جَرَى دَمْعِي وَطَالَ انْتِحَابْ
كَأَنَّ قَلْبِي بِبَقَايَا الْهَوَى مُعلَّقٌ بيْنَ خَوَافِي عُقَابْ(3)
يَا حبَّذا الْكَأسُ وحُورُ الدُّمى
أزْمانَ الْهُو والْهوى لَا يُعَابْ

---

*) وقال أيضا يمدح الإمام المهدي رحمة الله عليه.
الإمام المهدي هو محمد بن عبدالله المنصور بن علي بن عبد الله بن عباس، ولد سنة 127، الخليفة العباسي الثالث، بويع سنة 158، وتوفي سنة 167، انظر كثيرا من أخباره في مقدمة الشرح.
القصيدة من بحر السريع، عروضها مطوية مكشوفة وضربها مطوى موقوف.

1) «الأواب» جمع آبية بوزن فواعل، حذفت الياء من آخره تخفيفا، وحقها أن تثبت مع التعريف، إذ ليس هنا تنوين يوجب حذف الياء، الا أن العرب يتوسعون في مثل هذا تخفيفا استغناء بالكسر، كقوله تعالى «مهطعين الى الداع» وفي حديث أم زرع من كلام المرأة التاسعة: «قريب البيت من الناد» تعني النادي.

2) «مآب» أصله مآبي، حذف ياء المتكلم تخفيفا، وهو حذف في مثلها شائع، قال تعالى «اليه أدعو واليه متاب»، وكذلك قول بشار في البيت بعده «انتحاب»، وجعل ناسخ الديوان للياء فيهما انثناء دقيقا يشبه انثناء الياء. وأراد بالمآب يوم القيامة، لأنه يوم الرجوع الى الله.

3) الخوافي: الريشات التي تخفى إذا ضم الطائر جناحه، وخصها بالذكر لأنها أشد اضطرابا حين الطيران لقربها من عظم الجناح، وخص العقاب لأنه أعلى الطير ارتفاعا في طيرانه، فاضطرابه يكون أكثر.

يــا صَاح بَــلَّانِي طِلَابُ الْهَوَى وصَرْفُ إبْرِيقٍ عليْهِ النِّقَــابْ(1)
يــومًا نعِيــم أخْلقَــا جِــدَّتِــي ولِمَّــةً مِثْل جنَاحِ الْغُــرابْ(2)
والله مــا لَاقَيْــتُ مِثْلَيْهِمَــا فــي عامِــرِ الْأَرْضِ ولا فِي الْخَــرابْ
لَهْفِي علَى يوْمٍ بِــذِي بَاسِــمٍ ومجْلِــسٍ بيْــنَ خلِيــجٍ وغـــابْ
يا مجلِســاً أكْــرِمْ بِــه مَجْلِســاً حُــفَّ بِرَيْحَــانٍ وعيْشٍ عُجَـــابْ
بِــتُّ بِهِ أُسْقَــى رُهــاوِيَّــةً لعِيــبَ ستٌّ خُلِقَــتْ لِلُّعَــابْ(3)
ثُــمَّ غَــدَوْنَــا وغدا ذاهِبــاً وكُــلُّ عيْشٍ مُــؤْذِنٌ بِــالــذَّهَــابْ
لَهَــوْتُ حَتَّــى رَاعَنِــي غَــادِيــاً صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيــنَ الْمُجَــابْ(4)

---

1) «النقاب» بكسر النون: أصله ما تتنقب به المرأة، أي تغطي رأسها به ووجهها، وهو هنا استعارة للفدام، وهو غطاء من شاش يجعل على فم الإبريق لتصفى به الخمر. والصرف بفتح الصاد: الرد، أي رد إبريق الخمر إليّ مرة بعد مرة. والمعنى حينئذ: شرب خمر إبريق.

2) أي هما يوما نعيم، يعني يوم طلب الحب ويوم شرب الخمر.

3) «الرهاوية» بفتح الراء: الخمر التي تأتي من الرهاء (بفتح الراء وبالمد)، وهم حي من مذحج من اليمن، واليمن بلد أعناب، وقيل: هو بضم الراء كما ضبطه الجوهري والجمهور وهو الصحيح، واللعيب (بفتح اللام) مبالغة في لاعب، وهو حال من ضمير «أسقى» أي ألاعب، والست: المرأة الشريفة، كلمة مولدة، أصله سيدتي، فخففوه بحذف الياء والدال، فقالوا ستي، ثم قالوا: ست بمعنى سيدة، والجمهور على أنه لحن، واعتذر عنه البهاء زهير (من أهل أواخر القرن السادس والاول من القرن السابع) فقال:

بروحي من أسميها بستـــي فينظرني النحاة بعين مقــت
يرون بأنني قد قلت لحنــا وكيف وإنني لزهيـر وقتــي
ولكن غادة ملكت جهاتــي فلا لحن اذا مــا قلت: ستــي

ومن العجب أن صاحب القاموس اعتمد هذا الاعتذار الشعري فجعله أصلا لغويا، وتأوله بذلك فقال: (وقولهم: ستي للمرأة، أي ياست جهاتي) وقيل إن صاحب القاموس تبع ابن الأنباري إذ تأوله بمثل ما تأوله البهاء زهير، قلت: وإنما أراد زهير حسن الاعتذار، فحسن، فلما توهموه سبب الاشتقاق قبح، ونظير هذا قول أبي الطيب:

ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامــل

فهل يقول أحد: إن الجفن سمي جفنا لأن العين تجرح القلب، فهي سيف، فأغطيتها جفون كجفون السيوف.

4) هذا على عادته عندما يذكر المهدي أن يذكر أنه نهاه عن الغواية والباطل، كما ذكرناه في المقدمة

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ هَجَرْتُ الصِّبَا   وَنَامَ عُذَّالِي وَمَاتَ الْعِتَابْ
لَا نَاكِثًا عَهْدًا وَلَا طَالِبًا   سُخْطَكَ مَا غَنَّى الْحَمَامُ الطِّرَابْ
أَبْصَرْتُ رُشْدِي وَهَجَرْتُ الْمُنَى   وَرُبَّمَا ذَلَّتْ لَهُنَّ الرِّقَابْ
يَا حَامِدَ الْقَوْلِ وَلَمْ يَبْلُهُ   سَبَقْتَ بِالسَّيْلِ انْهِلَالَ السَّحَابْ
الْفِعْلُ أَوْلَى بِثَنَاءِ الْفَتَى   مَا جَاءَهُ مِنْ خَطَلٍ أَوْ صَوَابْ
دَعْ قَوْلَ وَاءٍ وَانْتَظِرْ فِعْلَهُ   يُثْنِي عَلَى اللِّقْحَةِ مَا فِي الْعِلَابْ(1)
إِذَا غَدَا الْمَهْدِيُّ فِي جُنْدِهِ   أَوْ رَاحَ فِي آلِ الرَّسُولِ الْغِضَابْ
بَدَا لَكَ الْمَعْرُوفُ فِي وَجْهِهِ   كَالظَّلْمِ يَجْرِي فِي ثَنَايَا الْكِعَابْ(2)
لَا كَالْفَتَى الْمَهْدِيِّ فِي رَهْطِهِ   ذُو شَيْبَةٍ كَهْلٍ وَلَا ذُو شَبَابْ(3)
لَا يُحْسِنُ الْفُحْشَ وَيَنْكِي الْعِدَى   وَيَعْتَرِيهِ الْجُودُ مِنْ كُلِّ بَابْ(4)
ضَرَّابُ أَعْنَاقٍ وَفَكَّاكُهَا   فِي مَجْلِسِ الْمُلْكِ وَظِلِّ الْعُقَابْ(5)
فِي صَدْرِهِ حِلْمٌ وَفِي دِرْعِهِ   مُظَفَّرُ الْحَزْمِ كَرِيمُ الْمَآبْ
تَرَى حِجَابًا دُونَهُ هَائِلًا   وَالرَّوْحُ وَالْأَمْنُ وَرَاءَ الْحِجَابْ

---

1) «واء»: واعد، من وأى بمعنى وعد، وقد رسم في الديوان (وأي) بالياء، وهو خطأ لأنه يصير مصدرا، وقوله «يثني على اللقحة ما في العلاب» أرسله مثلا، واللقحة (بكسر اللام وفتحها) أي يثنى على الناقة المتخذة للحلب حسن لبنها الذي في العلاب «بكسر العين» جمع علبة «بضم العين» وهي الإناء المتخذ من الجلد. والمعنى أنه لا فائدة في الثناء على اللقحة بالقول فإن الفعل أدل.

2) «الظلم» بفتح الظاء المعجمة: لمعان الثغر وبريقه. والمقصود من التشبيه تحسين المشبه.

3) «لا كالفتى» خبر مقدم، «ذو شيبة» مبتدأ، والكاف بمعنى مثل، كقولهم: ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان.

4) «ينكي» مضارع نكى «بالقصر» أي يصيب بيأسه من قتل وجرح.

5) «ظل العقاب» ظل الراية، أراد راية الحرب.

جَـرَى اللَّهَـامِيـمُ عَلَى إِثْـرِهِ   جَرْيَ الْبَرَاذِينِ خِلَافَ الْعِـرَابْ(1)

* * *

وقال أيضاً يمدح داود بن حاتم(*):

مَـا رَدَّ سَلْـوَتَـهُ إِلَى إِطْـرَابِـهِ
حَتَّـى ارْعَـوَى وَحَـدَا الصِّبَـا بِرِكَابِـهِ(2)

---

1) «اللهاميم» جمع لهميم، وهو السابق الجواد، والبراذين: جمع برذون، وهو من الخيل ما ليس بعربي، والعراب: الخيل العربية، وهي أفره الخيل، وخلاف: بمعنى وراء، لغة في «خلف». والمعنى: أن الأشراف والملوك لا يدانونـه في صفاته كما لا تداني البراذين العراب إذا جرت خلفهـا، أخذه من قول النابغة:

سبقت الرجال الباهشين الى العـلا   كسبق الجواد اصطاد قبل الطوارد

*) وقال أيضا يمدح داود بن حاتم.
يحتمل أنه داود بن يزيد بن حاتم، وقد مرت ترجمته في الورقة 13، وهذا هو الأرجح، ويحتمل أنه داود بن روح بن حاتم، وستأتي ترجمة أبيه في الورقة 79، وهو ابن عم الأول، كان من أشراف بغداد، واتهم بالزندقة مع جماعة منهم إسماعيل بن مجالد. كما في المقدمة، وقد مدح بشار داود هذا في بعض مدائح أبيه، كما في الأبيات 13، 16، 17، 18، من الورقـة 81.
والقصيدة من بحر الكامل. وهذه القصيدة من غرر قصائده وأكثرها تفننـا.

2) الضمائر الغائبةعائدة الى المتكلم على طريقة التجريد، ووقع في الديوان «حين ارعوى»، والصواب «حتى ارعوى»، إذ لا يستقيم «حين» مع بقية البيت والبيت بعده، والمعنى: أنه سلط السلو على ما كان يجده من الإطراب، أي ألم المحبة، ثم لم يلبث أن ارعوى عن ذلك السلو وصار يسوق ركاب الصبا (مفعول حدا) أي ساق ركاب الصبا، أي اتبع الصبا وشؤونه وجعل للصبا ركابا، كقول زهير:

وعُرِّيَ أفراس الصبـا ورواحلـه

والمقصود من النفي والغاية تقصير مدة السلو، كقولهم: ما سلّم حتى ودّع، تمثيل. شبه تهييج المشوق الى محبوبه وتطلب نفسه قرب حبيبه بركب يسير الى مقصود يحدوه الصبا ليزيده إسراعا الى المقصود، وهذا تمثيل بديع، والباء زائدة للتأكيد، يقال: حداه وحدا به، والحداء (بضم الحاء وكسرها) هو شيء من الرجز يترنم به سائق الرواحل، لأن الابل تسرع السير إذا سمعت الصوت الحسن، يقال: حدا يحدو حدوا وحداء.

إنْ كَانَ لَيْس به الْجُنُونُ فإنَّما ... لَعِبَ الرُّقاةُ بقلْبِه أوْ ما بِه(1)
إلَى «عُبَيْدَةَ» شوْقُهُ ونزاعُهُ ... إنَّ الْمُحبَّ مُعذَّبٌ بِحِبَابِه(2)
ما زَالَ مُذْ زَالَ الْغَزالُ مُنقَّباً ... بطريقَةٍ من عيْنِه ونِقَابِه(3)
رِيمٌ تَعَرَّضَ كالْبُرُودِ لِرأيِه ... قَصَبَاً وَوَكَّلَهُ الصِّبا بِطِلَابِه(4)
عَرَضَتْ لهُ بِجَمالِها ودَلَالِها ... عنْدَ الْمَثَاب فَحِيلَ دُون مَثَابِه(5)
تغْدُو لهُ الْعَبَراتُ عنْد غُدُوِّه ... وتؤوبُهُ الزَّفراتُ عنْد إيابِه(6)

---

1) الرقاة: جمع راق، وهو الذي يقول كلمات الرقية، والرقية: كل كلام يقصد منه تسخير النفس الى أمر، والمراد هنا السحرة، وقد يسمى السحر رقية. قال جرير في مدح عمر ابن عبد العزيز رحمه الله:

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقوله «أو ما به» أي أو ما في قلبه، إذ غيروا خواطر سلوانه الى خواطر الغرام.

2) الحباب (بكسر الحاء هنا): الحب. قال أبو عطاء السندي:

أداء عراني من حبابك أم سحر

3) «منقبا» بفتح القاف حال من الغزال أي جاعلا لنفسه نقابا وهو ما يغطي الوجه لأنها خارجة للسفر. والطريفة: الشيء المستطرف، أي المستحسن، ومنه طريفة المال. والنقاب: ما تنتقب به المرأة، أي تستر به وجهها، فزال الاولى ناقصة التي مضارعها يزال، والثانية فعل بمعنى انتقل الذي مضارعه يزول، والباء في قوله «بطريقة» بمعنى (عن)، وقوله «من عينه ونقابه» بيان لطريقة.

4) شبهها بريم، وقد مضى في البيت 12 من الورقة 43، وكتب «كالبرود» ولعله في البرود. جعله تجريدا من استعارة كقول طرفة:

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن ... مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

والرأي: النظر، والضمير الذي أضيف اليه عائد على ما عادت عليه ضمائر (سلوته) و(إطرابه) وما بعدهما، وكذلك ضمائر «صبا» و «وكله»، وأما ضمير «طلابه» فعائد الى الريم، ولم يعبأ بشار بتشابه الضمائر لظهور عود كل الى ما يصلح له، كقوله تعالى «وعمروها أكثر مما عمروها».

5) «المثاب» المحل الذي يثوب اليه، أي يرجع، والدلال (بفتح الدال): جراءة من المرأة على محبها تعاكسه وتخالفه وتفعل ما ينهاها عنه لشدة ثقتها بحبه إياها، وقوله «فحيل» كتب بالدال وهو لا يصح لأن حاد لا تتعلق «دون» بمعناه، والصواب أنه باللام، أي حال حائل دون رجوعه.

6) «تغدو له العبرات» جملة هي خبر مازال.

إنْ قيلَ: مَنْ حَلَبَ الصِّبا لفُؤادهِ ... فاذْكُرْ عُبَيْدةَ ليْس مِنْ جُـلَّابِهِ(1)

شخْصٌ بِـرُؤْيَتِـهِ مُناهُ وهَمُّـهُ ... وحديثُـــهُ فــي جِـدِّهِ ولِعَـابِـه

أنِّــي أرُومُ به السُّلُــوَّ ولـمْ أزَلْ ... بِخَيَالِه أُرْقَـى وطِيبِ ثِيابِــهِ(2)

لوْ مِـتُّ ثُـمَّ سَقَيْتَنِي بِرُضابِهِ ... رَجَعَتْ حياةُ جَنَازَتِي بِرُضابِــهِ(3)

إنْ خُطَّ قَبْرِي نَائياً عنْ بيْتِـــهِ ... فاجْعلْ حُنُوطِي منْ دُقاقِ تُـرابِه(4)

سَقْيـاً لهُ ولِمُدْخَـلٍ أُدْخِلْتُــهُ ... يوْمَ الْخميسِ عليْــهِ فــي أتْـرابِه

ولقدْ عجِبْتُ من الْجرِيِّ يقُولُ لي ... لمَّا بدا فــي حَلْيِــهِ وخِضـابِه :

أهُــو الْحبيبُ بَدَا لعيْنِك أمْ دَنَتْ ... شمْسُ النَّهـارِ إليْك في جِلْبـابِه

فُــزْنا بـمجْلسنا فيا لكَ مجْلساً ... قَصُرَ النَّهــارَ وصاحِبِي أزْرى بِه(5)

نصِلُ الْحديثَ إذا أمِنَّــا عيْنَهُ ... عُجْباً به ونَــرُوحُ منْ عِيَّـابِــهِ(6)

و«رَبابُ» ترْمُقُ منْ ألَـمِّ بعيْنِهـا ... سَلِمَتْ من الأَقْذاءِ عيْنُ رَبَـابِـهِ(7)

---

1) كتبت «ليس من جلابه» أي فاذكر نفي ذلك عنها تعمية على الرقباء وعلى أهلها، فقوله «فاذكر عبيدة» أي فتحدث عنها بمضمون هذه الجملة. كقوله تعالى «قالوا سمعنا فتى يذكرهم». ويحتمل أن يكون عبيدة مرفوعا على الابتداء، أي اذكر هذه الجملة. ويحتمل أن «ليس» تحريف وأن الصواب « فهي ».
وكتب في الديوان «حلب» بالحاء ولعله بالجيم ليناسب قوله «من جلابه».

2) كتبت في الديوان « أرقا » بالألف. ويكثر في خط ناسخ الديوان أن يجعل الألف موضع الإمالة والعكس .

3) الجنازة (بفتح الجيم): الميت. وبكسرها: السرير الذي يكون عليه ميت، وقيل: هما مترادفان.

4) الدقاق (بضم الدال): الفتات من كل شيء والمكسر من الأعواد، وضمير «ترابه» عائد الى «بيته».

5) كتب «أزرى» ولعله «أدرى».

6) «عينه» أي رقيبه، أي كنا في خلوة. وقوله «عجبا به» أي تحدثنا بمحاسنه، وقوله «ونروح من عيابه» أي من عياب الرقيب، ففيه تشابه الضمائر على قصد توزيعها كما تقدم .

7) «رباب» بفتح الراء: علم منقول من اسم جمع ربابة، وهي السحابة البيضاء وأراد بها هنا إحدى صواحب عبيدة . وقوله «بعينها» متعلق بـ«ترمق»، وقوله «ربابة» أضاف اسمها الى ضميره إضافة تحبيب، كقول توبة:

ليلاي منكن أم ليلى من البشر

حتّى إذا انخرق الصَّفاءُ بِمَنْطِقٍ   بلغ الْعتابَ وكان دُون عتابه(1)
قالتْ : «كُتامةُ» داخلٌ وكأنّما   بعثتْ لهُ ابنُ مُقدَّم بعذابه(2)
قدْ كان يُشفقُ منْ تقاصُرِ يومه   في بيتِه وكُتامةَ الْمُنْتابه(3)
شُحًّا عليْه ورهْبَةً منْ يومه   فالآن أصْبح مُوقناً بذهابه(4)

ولقدْ أقُولُ لشامتٍ بفراقه
مَلِقِ الْحديثِ إذا غدا كَذَّابه:(5)
سامحْ أخاك إذا غدوْت لحاجة
واتْرُكْ مساخِطَهُ إلى إعْتابه(6)
فلقدْ أسوّي للضَّغائن مثْلها
وأصِي الْبغيضَ ولسْتُ بالْهيّابه(7)

---

1) «انخرق» انقطع كالثوب المخرق. والمنطق: الكلام، أي كان الكلام سبب انقطاع صفاء المجلس. وجملة «بلغ العتاب» صفة «لمنطق» أي انتهى الى عتاب، وكان قبل ذلك أقل من العتاب.

2) «كتامة» بضم الكاف: اسم الرقيب الذي دخل عليهن، وابن مقدم اسم صاحب البيت الذي وقعت به الزيارة، وضمير «عذابه» راجع الى ما رجع اليه ضمير «ربابه»، ولعل هذا الشخص خرج قبل دخول كتامة، فجعله كالمبعوث لجلب كتامة، وابن مقدم اشتقه من الفدام، وهو شيء يوضع على فم السقاء ليصفيه، والمناسبة ظاهرة إذ قد قطع عنهما الحديث.

3) ضميرا «يشفق ويومه» يعودان الى ما عاد اليه ضمير «ربابه»، وضمير «بيته» يعود الى ابن مقدم، أي يشفق من هذين، والمنتابه: وصف لكتامة، والمنتاب: الوافد، والضمير يعود على البيت، وهو منصوب على المفعولية لاسم الفاعل الواقع صلة لأل.

4) المراد بـ«يومه» في البيت: يوم فراقه.

5) الملق (بكسر اللام) مثال مبالغة من الملق (بفتحتين)، وهو شدة التودد والتلطف. انظر البيت 22 من الورقة 2.

6) المساخط: جمع مسخط وهو السخط. والإعتاب (بكسر الهمزة): إبطال العتب بالرضى، فالظاهر أن الهمزة فيه للإزالة، كالإعذار والإعجام، قال تعالى «وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين» وقال في القاموس: هو إعطاء العتبى، والعتبى (بضم العين مقصورا): الرضى.

7) «أسوي»: أجمل وأتخذ، و«أصي» مضارع وصى، بمعنى وصل، أي لقد أصل من يبغضني ولست بالذي أهابه وأخافه ولكن لحاجة أقضيها بصلته، والضغائن بالضاد الساقطة وكتب في الديوان بمثالة سهوا.

وأحدٌ منْ ولد الْجديل أعارهُ طرفُ النُّسُوعِ أخذْن في أقْرابه(1)
عرْدٌ إذا خَرِسَ الْمطيُّ كأنَّما يغْدُو يُجَرْجِرُ دارسٌ في نَابِه(2)
وإذا سرى كحَلَ الزَّميلَ بأرْقة
منْ قرْع بازله ومنْ قَيْقابه(3)
وكأنَّ مُنْفضِجَ الْحميم بِلِيتِه
دُهْنٌ شبَبْتَ سوادَهُ بِمَلَابه(4)

---

1) هذا انتقال الى ذكر سفره قاصدا الممدوح، و«أحدٌ» مجرور بواو رب، وخبره قوله بعد أبيات «هجر المقامة أن تكون مناخه» وما بينهما صفات وأحوال ومستطردات، و«أحدٌ» كتب (بالدال المهملة) فيكون من الحدة، وهي مضاء العزم، ويظهر أنه بالذال المعجمة وهو وصف من الحذذ، وهو خفة وبر الذنب، والمراد به السرعة في السير، ويقال: ناقة حذاء أيضا، وعلى الاحتمالين فالمراد به جمل، و«الجديل» صفة أبيه، والجديل: الرقيق القوائم كأنها مجدولة اللحم، وذلك أمارة سرعة سيره، وبه سمي فحل للنعمان بن المنذر، وهو المراد هنا. ومعنى «أعاره» أنحله، من قولهم «فرس معار» أي مضمّر لأنه إذا نحل صارت طريقة متنه بارزة من ظهره، فيكون لها عير، والعير: العظم الناتىء. والنسوع: جمع نسع (بكسر النون وسكون السين) وهو سير يضفر من جلد عريضا على صفة أعنة البغال تشد به الرحال على الإبل. والأقراب: جمع قرب بضم القاف وسكون الراء، وبضمهما: الخاصرة أو من الشاكلة الى مراق البطن، أي ما بين الرفغ الى الإبط، ومعنى «أخذن في أقرابه» أزلن عنها اللحم.

2) العرد (بفتح العين وسكون الراء): الصلب الشديد، ويجرجر: يصوت، والجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته اذا تألم أو غضب، والدارس: البعير الأجرب يحك أنيابه فيكون لها صوت شديد، وهو فاعل «يغدو»، و«في نابه» يتعلق بـ «يغدو»، شبهه بجرجرة البعير الأجرب، فجملة «كأنما يغدو» الى آخر البيت خبر عن قوله «عرد»، و«يغدو» اعتراض وتوكؤ في الكلام، كفعل ذهب في قول الحماسي النبهاني:

وإن كنت للخال فاذهب فخل

وتقول العرب: قام يفعل كذا، قال ابن جني في شرح الحماسة: وهذه استراحات من العرب وتطريحات.

3) الزميل: المصاحب للراكب على متن بعير واحد، والأرقة: المرة من الأرق، وهو السهر. والقيقاب (بفتح القاف الاول وسكون الياء): خرزة تصقل بها الثياب، شبه بها ناب البعير.

4) المنفضج (بجيم في آخره): السائل من العرق، والحميم: عرق الشحم، والليت: صفحة العنق، والملاب: الزعفران، ومعنى «شببت» حسنت، ومنه قولهم: شب لون المرأة خمار أسود لبسته.

غُولُ الْبِـلَادِ إذا الْمقيـلُ تحرَّقتْ آرامُـهُ وجـرتْ بمـاءِ سَـرَابِـه(1)
يَثِبُ الإِكامَ إذا عرضْن لوجْهِه مِنْ عَرَبٍ أغْلَبَ ليْس منْ إِنْعابِه(2)
بنجاءِ مُنْسرِحِ الْيدَيْنِ تخالُـهُ عنْد الْكلَالِ يُـزادُ في إلْهـابِـه(3)
دَامِي الأظلِّ علَى الْحِدابِ كأنَّما خُضِبتْ بعُصْفُرِه رُؤوسُ حِدابِـه(4)
وكَـأنَّـهُ منْ وحْشِ وجْرَةَ ناشِطٌ يقْرُو الْعَقَنْقَلَ آلِفـاً بعـذابِـه(5)
جِـذْلُ الْمَهَـا وصِوارُ كُلِّ خميلةٍ لَا عنْ تجفُّلِـه نَجـاءُ خِبـابِـه(6)

---

1) الغول: الداهية العظيمة تشبيها، وأصله السعلاة المعروفة في خرافات العرب، وصفه بالنهاية في الإقدام في الأوقات التي تكل فيها أمثاله، «وتحرفت» كتب بفاء، وهو تحريف صوابه بالقاف، وهو من التحرق، وهو الاشتعال، أراد به شدة الحرارة، والآرام، بوزن أفعال، جمع إرم (بكسر الهمزة وفتح الراء كعنب وبالعكس ككتف): أعلام من حجارة كانوا ينصبونها لتدل السائر في الرمل، ولذلك قال «وجرت بماء سرابه» أي يخال أن الآرام تجري في ماء السراب، وقد جاء بمحسن شبه الطباق بين التحريق والجريان بالمياه، وكتب في الديوان «بها أسرابه» وهو تحريف.

2) العرب (بفتح العين المهملة وسكون الراء): النشاط والإنعاب: أن يسير البعير النعب وهو أن يحرك رأسه عند سيره، وإنما نفاه بشار لأنه يدل على العياء. وإثبات بشار هذا المصدر يدل على أن ما وقع في القاموس من قوله: (وناقة منعب كمنبر) ليس بصحيح، والصواب أنه كمحسن كما ضبطه به العلامة مرتضى الزبيدي نقلا عن شيخه محمد بن الطيب الفاسي.

3) النجاء (بفتح النون بالمد): الإسراع، وأصله مأخوذ من الهروب، قال طرفة: «نجاء الخفيدد». و«منسرح اليدين» سريعهما، أي جمل منسرح اليدين.

4) «دامي الأظل» نعت «لمنسرح اليدين» والأظل: باطن منسم البعير.

5) يقرو (بالقاف): يقصد، قال النابغة:

يقرو الأماعز من نيان والأكما

وكتب في الديوان بالفاء وهو تحريف، والعقنقل: الكثيب من الرمل. ووجرة: موضع بين مكة والبصرة مساحته 40 ميلا وهو مسكن لبقر الوحش.

أخذ في تشبيه جمله بالثور الوحشي فانتقل الى ذكر أحوال ثور الوحش على عادة شعراء العرب مثل لبيد والنابغة، أي متعودا بشدة التعب.

6) الجذل (بكسر الجيم): الأصل، وأراد به الفحل، والمها: بقر الوحش، والصوار (بكسر الصاد) قطيع البقر، و«جذل» خبر ثان عن «كأنه». «وصوار» وضع ناسخ الديوان على رائه ضمة ولعل الصواب أن تكون كسرة عطفا على المها، والخميلة: ملتف الأشجار، وقوله «تحفله نجاء خفا به» كذا كتب في الديوان، ولعل صوابه (تجفله) بالجيم و (خبابه) بخاء معجمة ثم باء موحدة، أي ليس سرعة خببه في السير عن تجفل وخوف، بل عن شدة نشاط، والنجاء: السرعة. وجملة «لا عن تجفله» الى آخره مستأنفة.

أَرِجُ الْقِنَانِ إذا ترجَّلت الضُّحى   صَخَبُ الْقنابر تحت ظلٍّ سحابه(1)
لِلشَّمس يسْجُدُ طائعاً ريْحانُهُ   ويبيتُ يـأرَقُ ضيفُهُ بـذُبابـه
حتّـى إذا طلع الزَّمـانُ بِعيشـةٍ   فيها وسَالَ عليْه بعْضُ شعـابـه(2)
حَنَفَ الْمبيتَ لَهُ بأوْجس ليْلـةٍ   منْ صوْت راعده ومنْ تَسْكـابه(3)
فـأقام يشْخصُهُ الثَّرى ويُسيـرهُ   قُرْبُ السَّفـا ليَسيحَ في مُنْجابـه(4)
صَرِرُ الأَديم إذا أَرَبَّ به النَّـدى   غشِيَ الأَلاءَ يلُـوذُ مـنْ إرْبـابه(5)
حتّى إذا غَـدتِ الْورى وغدا بها   مثْل الْمريض أفاق منْ أوْصـابه(6)

---

1) أرِج (بكسر الراء): وصف من الأرج (بفتح الراء) وهو الرائحة الطيبة، خبر عن العقنقل. «ترجلت الضحى» أي ارتفعت شمس الضحى، يقولون: ترجل النهار، أي ارتفع، والقنان (بكسر القاف): جمع قنة (بضمها) وهي أعلى الجبل. والضمائر في قوله (سحابه) و (ريحانه) و(ذبابه) للعقنقل، والصخب: الصياح، والقنابر: جمع قنبراء، وهي طائر، قيل: لا يقال قنبرة، وقيل يجوز على لغة ضعيفة، وفي شعر منسوب لكليب:

يـالك من قنبـرة بمعمر

2و3) «طلع الزمان بعيشة» أي جاءها الدهر بعيشة، وهي حالة الخصب والنعم، لأن العيش هو الحياة. وضمير «فيها» عائد الى خميلة، «وسال عليه» أي على الثور «بعض شعابه» أي بعض شعاب العقنقل أي سال الماء من بعض شعابه، و«أوجس» من الوجس هو الفزع في القلب. «حنف» معناه مال به، هنا تغير الحال، أي أنه بعد أن كان في نهاره في أرغد عيش انقلبت حال مبيته إذ أوجعه الرعد والمطر والريح، فضمير «له» للثور، وضمير «راعده وتسكابه» للعقنقل.

4) «يسيره» يجوز فيه فتح الياء وضمها، يقال: ساره وأساره بمعنى، والسفا: شوك البهمى، والمنجاب بضم الميم: المكان الوطيء من الارض لأنه ينجاب عنه الريح، أي يبتعد، والضمائر للثور.

5) (صرر) صفة من الصر وهو البرد، وفك إدغامه للضرورة، كما قال أبو النجم: الحمد لله العلي الأجلل، والألاء (بوزن سحاب) جمع الاءة: وهي شجر دائم الورق لا يتحات. وكتب في الديوان «إذا أردت» والصواب «أرب» أي نزل عليه الندى، أي القطر، أي يلوذ بالشجر من نزول القطر.

6) الورى: الناس، أي حتى تخرج الناس بالغداة إذ انقطع المطر، وغدا الثور بتلك الغداة، أي فيها. وجملة «أفاق» صفة للمريض.

وتجوّبتْ مِزَقُ الدُّجَى عن واضحٍ   كالْفرْق وانْكشفتْ سماءُ ضَبابه(1)
سَبَقَ الشروقَ إليْـه أشْعثُ شاحبٌ   مثْل السَّبِيَّة مُسْمـرًا بـكلَابـه(2)
وَرِثَ الأبُـوَّةَ كابـرًا عنْ كابرٍ   تلِـدُ الضِّراءَ فهُـنَّ منْ أكْسابه(3)
فانْصاع منْ حَذَرٍ علَى حُـوبـائه   وتَبِعْنـهُ يَنْسَبْـنَ فـي مُنْسـابه(4)

1) التجوب : مطاوع جوب الثوب، إذا قطع وسطه ليجعل له جيبا. شبه زوال الظلمة بتجوب الجيب ، والمزق (كعنب) جمع مزقة ، وهي القطعة من الثوب الممزق ، قال الليث : لا يكادون ينطقون به مفردا. وشبه بشار الليل بالثوب. وشبه بقايا الظلام بمزق الثوب، كما شبهها القرآن في قوله «كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما» وقوله (كالفرق) أي كفرق الشعر في الرأس. وشبه الضباب في كثافته بالسماء، أي السحاب لأن السماء من أسماء السحاب.

2) أي أتاه قبل شروق الشمس صائد أشعث شاحب، والسبية (كغنية): الدرة حين يخرجها الغواص من صدفتها، أراد أنه عار عن اللباس، و«مسمرا» بمعنى بات يسامر كلابه، أي يحادثها تأنسا ينتظر الصباح للصيد.
وكانوا يقصدون الصيد في صبيحة الليلة الممطرة لأن الوحش لا تقدر على الجري في الوحل.

3) الأبوة: ما به يكون الأب أبا، ويرد اسم جمع الأب أيضا، وهو المراد هنا، وكابرا عن كابر، أي كبيرا عن كبير. أراد عريقا في نسبه من كلاب شهرت بأحسن خصال الكلاب. وهو منصوب على الحال من الأبوة، أي هذا الصائد ورث كلاب الصيد أبا عظيما بعد أب عظيم ، فاللام في الأبوة عوض عن الضمير العائد الى الكلاب، أي ورث هذا الصائد آباء كلابه التي ولدت هذه الكلاب، وأراد الأباء والأمهات، ولذلك قال «تلد» أي هذه الآباء والأمهات. والضراء (بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء): جمع الضري وهو الكلب الجريء على جرح الصيد، وفي الحديث «إن قيسا ضراء الله» ثناء عليهم بالشجاعة والإبلاء في الجهاد، وأصل هذه المادة كلها من (ضري) إذا اعتاد، ثم غلبت في الاعتياد على كل آكل اللحوم والدماء، قال النابغة في سباع الطير:

يصانعهم حتى يغرن مغارهم   من الضاريات بالدماء الدوارب

ثم جاءت منه الضراوة بمعنى الشجاعة، ثم استعملت الضراوة بمعنى شدة الحرص، قاله شراح قول زهير :

ونضرّ إذا ضريتموها فتضرم

وعندي أن بيت زهير استعارة ، أي كما تعلم كلاب الصيد الضراوة. وقوله «فهن من أكسابه» ، أي فتلك الضراء من أكسابه أي مرباة عنده لم يستعرها من عند آخر .

4) انصاع : انفتل مسرعا ، والضمير راجع إلى الثور ، والحوباء : الروح ، و«تبعنه» أي الكلاب ، والانسياب : السير السريع ، ومنه انسياب الحية .

حتّى إذا سمع الضُّباحَ خلاَفَهُ   وعَرَضْنَهُ طلْقا علَى أعْطابه(1)
كرَّ الشبُّوبُ علَى الضَّراءِ برَوْقه   فاختلَّ لبَّة زانجٍ وزَنَابِه(2)
ومضى يــزِلُّ علَى الْمِتَان كأنَّهُ
نجْمٌ لمُسْترقٍ هوى بشهابه(3)
فكذاك ذلك إذْ رفعتُ قُيُودَه
أُصُلًا وميثَرتي علَى أصْلاَبه(4)
هَجَرَ الْمَقَامَةَ أنْ تكُونَ مُنَاخَهُ
بـأغرَّ تَزْدحِمُ الْوُفُودُ ببَابِه
مُتحاسدينَ علَى لِقَاءِ مُسَوَّدٍ
رَحْبِ الفِنَاءِ جِدٍ علَى أصْحَابه(5)

---

1) الضباح (بالضم) صوت الكلاب والسباع ، وهو صوت غير النبح ، بل هو كالحمحمة يكون عند ابتداء الغضب، و«عرضنه» تلقينه ، و«طلقا» أى شوطا ، وظاهر القاموس أنه بسكون اللام ، ووقع في الصحاح والنهاية أنه بالتحريك، وعليه فيكون سكونه في البيت هنا تخفيفا. والأعطاب : جمع عطب، وهو اسم العطب الذي هو مصدر عطب اذا انكسر وجرح، أى جرين طلقا ليعطبه ، «وعلى» للتعليل، كقوله تعالى «ولتكبروا الله على ما هداكم» .

2) الشبوب : (بفتح الشين) : الثور الذى كمل شبابه، والزانج الذى أصابه الزنج (بالتحريك) وهو ضمور البطن من العطش ، وهو هنا اسم كلب لا محالة ، و (زناب) وقع في الديوان بفتح الزاي، وهو هنا اسم كلبة لا محالة ، ولذلك أضافها الى ضمير زانج ، لأنها أنثاه ، وهذان الاسمان من أسماء الكلاب في زمن بشار.

3) أي انصرف تزل أرجله، والمتان: جمع متن وهو ما صلب من الارض .

4) أي فكذاك الثور ذلك الجمل المذكور في قوله «وأحذ من ولد الجديل» الخ . والميثرة : وطاء من جلد محشو بالصوف والقطن يجعل على رجل البعير تحت الراكب ليقيه ألم الأعواد ، أصلها : موثرة ، من الوثر ، وهو للتليين ، قلبت الواو ياء ، ولقد أجاد الرجوع إلى الغرض والتخلص إلى المديح كتخلص لبيد إلى مقصده بقوله :

فبتلك إذ رقص اللوامع في الضحى . . . الخ.

وأصلا : جمع أصيل، يعني أنه كان يسير عليه في وقت الابتراد .

5) كتب في الديوان «متحاسدين» أي يحسد بعضهم بعضا . والمسود : السيد الذي سوده قومه .

رَجُلٌ إذا زَأَرتْ أسودُ قبيلةٍ ... زَأَرَ المهلَّبُ وابنُه في غابِه(1)
داوُدُ إنَّك قدْ بلَغتَ بحاتمٍ ... شَرَفَ العُلَى وذهبْتَ في أسْبابِه
وبَنَى قَبيصةُ والْمُهلَّبُ مَعْقِلًا ... وَبَنيْتَ بَيْتَك في ذُرَى صُلَّابِه
هذا وذاكَ وذا وأنْتَ، ولمْ تزلْ ... تزْدادُ في شرفِ الْبِنَى ورِحَابِه(2)
هلْ تجفُونَّ فتًى يقُولُ لِمُجْدِبٍ ... وَسْقُ الْمطيِّ يفرُّ منْ أجْدابِه(3)
دَاوُدُ غيثُك إنْ بَسَطْتَ بِلَادَه ... فانْزِلْ ضَمِنْتُ لكَ الْحِبا بِجَنابِه(4)
وأبلُّ يلْتَهِمُ الْخُصُومَ مُرَغَّمٍ ... بصوابِ مَنْطِقِه وغيْرِ صَوابِه(5)

---

1) «رجل» هنا أريد به المنتهى في كمال صفات الرجال، كقوله تعالى «فيه رجال يحبون أن يتطهروا»، وقول أبي الطيب:

رجال كأن الموت في فمها شهد

المهلب وابنه قبيصة كلاهما من أجداد الممدوح، وقوله «إذا زأرت أسود قبيلة» استعارة الأسود للأبطال مطروقة، وجعل نطقها في قبائلها زئيرا ترشيحا للاستعارة، وهذا كقول عنترة:

حلت بأرض الزائرين . . . . البيت.

وأتبع هاته الاستعارة باستعارة الغاب لمواطن القبيلة، كقول العرب: رأيت أسودا غابها الرماح، والمعنى زأر المهلب وابنه في قبيلة الممدوح، واستعمل «إذا» في الزمان الماضي كقوله تعالى «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم. . .» الآية. لأن المهلب وابنه قد هلكا في حين قول القصيدة.

2) كتب (البنا) بألف في آخره وضبط باءه بالضم، فتكون كتابته بألف في آخره خطأ على عادة ناسخ الديوان، والصواب أن يكون «البنى» بإمالة على أنه جمع بنية، ويجوز فيه ضم الباء وكسرها لأن مفرده بنية بضم الباء وكسرها. وضمير «رحابه» عائد إلى «شرف» ويجوز بقاؤه بالألف على أنه مقصور للضرورة، ويكون مكسور الباء على أنه مصدر، وعليه فضمير (رحابه) عائد إلى البناء.

3) أراد بالفتى نفسه، وقوله «يقول» أي يخاطب جمله المجدب الذي يفر من إجدابه جماعات الابل، والمجدب بكسر الدال: السائر في الأرض الجدب، وهي الصلبة، والأجداب: جمع جدب. والوسق (بفتح فسكون): الرفقة من الابل.

4) هذا مقول القول، والخطاب موجه الى الجمل.

5) الأبل: الشديد الجدل، وفعله: بل بللا، والواو واو (رب). و «يلتهم» أصله: يبتلع، واستعاره للغلبة وقوة الحجة. و «مرغم» ضبط في الديوان بفتحة وشدة على الغين. والصواب أنه بكسرة وشدة، أي مكره للخصوم.

وجَّهْـتَ عنْ بِنْتِ السَّبيلِ سبيلَهُ بِمَحَـالَـةٍ ورَدَعْتَـهُ بجـوابِـه(1)
وإذا الْخُطُوبُ تقنَّعتْ عنْ لاَقحٍ تدعُ الذَّليْـلَ لِنَسْـره وغُـرابِـه(2)

---

1) جملة «وَجَّهتَ» هي خبر المجرور بواو رب، والتوجيه صرف الوجه إلى جهة. فهو مشتق من اسم الوجه. و«سبيله» مفعول «وجهت» المجرور بعن، ومعنى وجهته عن كذا: صرفته عن جهة، أي إلى جهة أخرى إذ لا يخلو أحد من الاتجاه إلى جهة. وكتب في الديوان «بيت السبيل» ولا معنى له، فهو تحريف، والصواب «بنت»، وبنت السبيل هي الطريق الضيقة المتشعبة عن الطريق الجادة. وقد اشتهر أن يقولوا بُنَيَّاتُ الطريق وبناتُ الطريق ويكنوا بها عن الأكاذيب والأباطيل، وأن يمثلوا بها المراوغة وترويج الباطل فيقولوا: فلان يسلك بنيات الطريق، ومن أمثالهم «دع عنك بنيات الطريق» أي عليك بمحكم الأمر ودع المراوغة، تشبيهاً لحالة المراوغ المغالط بحال من يمشي في بنات الطريق ويترك الجادة. قال محمود الوراق:

تَنَكَّبْ بنيات الطريق وجورهـا فإنك في الدنيا غريب مسافر

وقد تصرف بشار في هذا المثل بألفاظ ترادفه إذ سماها بنت السبيل، وسبيل الشخص طريقته وخُلقه، قال تعالى «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة». «وبمحالة» يتعلق «بوجهت»، والمحالة بفتح الميم: الحذق وجودة النظر. والردع: الكف والإفحام، وضمير «جوابه» عائد إلى أبلّ وهو من إضافة اسم المصدر إلى مفعوله، أي بإجابتك إياه. والمعنى أنك قوي الحجة ذو مقال فصل لا تُغْلَبُ في الاستدلال. وفي هذا المعنى قول مكي بن سوادة في خالد بن صفوان الأهتمي:

عليمٌ بتنزيل الكلام ملقَّـن ذَكُـور لمـا سدّاه أولَ أوّلا
يبُـذ قريع القوم في كل محفـل وإن كان سحبانَ الخطيب ودغفلا
ترى خطباء القوم يوم ارتجاله كأنهم الكَرَوانُ عاينَ أجدلا

2) الخطوب: جمع خطب وهو الحادث العظيم. والتقنع: لبس القناع وهو ما يغطى به الرأس. ويطلق على وضع لأمة الحرب على الرأس وهو المراد هنا. و«لاقح» صفة لمحذوف، أي عن حرب لاقح لأنه شاع تشبيه الحرب المتزايدة في الشدة بالناقة التي تلقح، أي تحمل فتنتج. قال الحارث بن همام من رجال حرب البسوس:

قربا مربط النعامة منـي لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيال

وقال زهير في ذكر الحرب:

وتَلْقَحْ كشافا ثم تنتج فتتئم

وتعدية تقنعت بحرف (عن) لأنه ضمن «تقنعت» معنى نشأ تقنعها عن لاقح. وجملة «تدع الذليل» الخ في موضع الصفة «لالاقح» أي الحرب التي هذه صفتها، وهي الحرب الشديدة القتال التي لا يجد أهلها فرصة لدفن قتلاها فيتركوهم فرائس لكواسر الطير، والذليل: القتيل لأنه مغلوب، والمراد بالذليل الجنس: أي المغلوبين. أي تتركه فريسة النسور والأغربة. والغُراب من سباع الطير ولذلك كان من الفواسق التي يجوز قتلها في الحرم، وإضافة نسر وغراب إلى ضمير الذليل لأدنى ملابسة، أي الواقعين على لحمه. وجواب «إذا» البيت بعده.

أَلْقتْ بنُو يَمَـنٍ إليْك أمُـورَهـا وربيعـةَ بْـنِ نـزارٍ الرَّبابـه(1)
قعد الأغَرُّ لَدَى الْكَرِيهة والـذي . عنْد الْمـلاَحـم يُشْتفى بِضِرَابِـه(2)
سهْمُ اللِّقاء إذا غـدا في درْعـه رَأبَتْ مشاهـدُهُ الثَّـأى بِـرِئابِه(3)
ويكـادُ يُظْلَــمُ حيـن يغْشَى بيْتَــهُ
مــنْ لِين جَانِبـه ولَيْــن حِجَابِـه(4)

1) « ربيعة » بالفتح عطف على « يمَن » ولا يجوز رفعه عطفا على « بنو » على أن يكون مرادا بربيعة نفس القبيلة ، لأن هذا يمنع منه وصفُه بقوله « ابن نزار » بل لو أراد ذلك لقال : ابنة نزار ، كقولهم : تَغْلبُ ابنةُ وائل ، وكلمة القافية رسمت في الديوان هكذا ولم يظهر المراد منها. ولعل تحريفا دخلها فالتبس معناها على ناسخ الديوان ولم يكن الأصل الذي نقل منه منقوطا ولا واضح الكتابة فكتبها الناسخ بصورة ما يبدو منها وجعل بعد الراء صورة تصلح للباء وأشباهها. ونرى أن صوابه «الوهابه» بواو في موضع الراء وهاء في موضع الحرف المعرّى عن النقط والضمير المجرور بالباء عائد إلى ربيعة، والوهاب صفة لنزار، أي نزار الذي وهب ابنهُ ربيعةَ هبةً عظيمة، وحذف المفعول الثاني للوهاب لتعظيم الصفة. يشير إلى ما روى أيمة الأدب من أن نزار بن معد لما حضرته الوفاة جمع أبناءه مضرا وربيعة وأنمارا وإيادا فقال: هذه القبة الحمراء لمضر، والفرس لربيعة، والخادم لإياد ، والمجلس لأنمار، وفي رواية: والحمار لأنمار، وائتوا الأفعى الجُرهُميَّ يقسم لكم التركة، إلى آخر القصة، فلقب ربيعةُ منذ ذاك ربيعةَ الفرس بالإضافة. وأراد بشار ببني يمن الأزْد ومن معهم من القطحانيين، والمعنى اجتمعت اليمنية وربيعة على إسناد قيادة جيوشهم إليك ؛ وكانت اليمنية وربيعة أحلافا وكانوا في نصرة بني العباس فاعتمدوا عليهم في دعوتهم وفي حروبهم لأن المضرية كانوا مع الأمويين ، ثم كان معظمهم مع العلويين وكان اليمنيون أخوال المنصور العباسي جدّ العباسيين .

2) كتب «قعد» بقاف في أوله ، ولعل الصواب يعدو الأغر ، والضراب : المضاربة بالسيوف بعد الطعان بالرماح .

3) رأب : أصلح صدع القدح ونحوه من آنية ، والثأى (بالقصر) : الإفساد ، وهذا المصراع مثل قول الحماسي :

ولقد رأبت ثأى العشيرة بينها وكفيت جانبها اللتيا والتي

والرئاب (بكسر الراء ثم بهمزة) جمع رؤبة ، وهي القطعة من الخشب التي يرأب بها الإناء مثل الرقعة ، استعارها هنا لمواقع ، وكتب في الديوان «برِبابه» خطأ .

4) اللين (بكسر اللام بعدها ياء): مصدر لان الشيء فهو لين (بفتح اللام وسكون الياء) موصوف باللين ، والاحسن أن يكون الأول في البيت مكسور اللام والثاني مفتوحه .

وإذا اكتَحَلْتَ به رأيتَ مُبَتَّلا
لَبِسَ النَّعيمَ علَى أديم شَبابِه(1)
يَنْفِي مواهِبَهُ النَّوافِذَ كُلَّها
مِنْ سَيْبِ مُشْتَرِكِ النَّدى وهَّابِه(2)
يُعْطِي الْبُدُورَ مع الْبُدُورِ ولَوْ عَسَراً
حَقٌّ لأَعْطى ما لَهُ بِرِقَابِه(3)
وإذا تنزَّلُ فِي الْبِطاح قِبابُهُ
فِي الْمُحْرِمِينَ عَرفْتَهُ بِقِبابِه(4)
وقِيانُهُ الْغُرُّ النَّواصِفُ أَهْلُها
وقيامُ غَاشِيهِ علَى أبْوَابِه(5)
مِنْ رَاغِبٍ يَعِدُ الْعِيالَ نَوالَهُ
بعْدَ الرُّجُوعِ وراهِبٍ لِعِقابِه

* * *

1) «اكتحلت به» أي رأيته. جعل انطباع صورته في العين اكتحالا لأن رؤيته تسر المناظر فيرتاح لها كما يرتاح المكتحل بالكحل وهذا كقوله الآتي (ورقة 71) :
إذا قذيت عين الزمان فداوها   بقرب سليمان فإنك معتب

2) ينفي أي يفرق إلى جهات بعيدة ، كقول الفرزدق في راحلته :
تنفي يداها الحصى في كل هاجرة   نفي الدراهيم تنقاد الصياريف
ولم يتضح معنى « مشترك الندى ».

3) البدور الاول: جمع بدرة، والثاني: جمع بدر ، مستعار للحسن، أي يعطي الأموال والجواري الحسان. «ورقابه» المراد به نفائسه لأن الرقبة أشرف ما في الإنسان ، إذ ببقائها حياته، وقد وقع هذا اللفظ في قول كثير :
غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا   غلقت لضحكته رقاب المال

4) قوله «في المحرمين» أي في الحج ، فالمراد بالبطاح بطاح مكة .

5) النواصف: جمع ناصف، وهي المرأة بين الحداثة والكهولة، وضمير «أهلها» يعود إلى القباب، وقوله «وقيام» عطف على «قيان» أي وأهلها أيضا غاشية قيام، والقيام هنا: جمع قائم، وقوله «على أبوابه» متعلق «بغاشيه» .

وقال أيضاً يمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك رحمه الله(*):

نَأتك على طُول التَّجاوُرِ «زينبُ» ... وما شَعَرَتْ أنَّ النَّوى سوف تَصْقَبُ(1)

كأنَّ الَّذي غالَ الرَّحيلُ رُقادَها ... بما عَضَبَتْ من قُرْبِنا النَّفْسَ تَعْضَبُ(2)

تَداعى إلَى ما فَاتَنا منْ وَداعِنا ... علَى بُعْدِها بِالْوَأْيِ إذْ تَتَقرَّبُ

---

*) وقال أيضا يمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك: هو سليمان بن الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي، وكان سليمان قد ولي الحج في خلافة أبيه سنة 113 وما بعدها، وغزا غزوة الصائفة سنة 114 في الجزيرة وأرض الروم، وغزا سنة 120 الصائفة وافتتح سندرة، وقاتل أليون ملك الروم سنة 124، ويؤخذ من هذه القصيدة أنه ولي على حران. وولاه الخليفة يزيد بن الوليد قيادة بعض الجيوش في سنة 126، ولما بويع مروان بن محمد بالخلافة خلع سليمان بن هشام بيعته سنة 127، وكان من أهل قنسرين وأهل الشام، واعتز بالدخول في بيعة الضحاك الشيباني الخارجي، واتصل به وصلى خلفه، وذلك منتهى حمق سليمان، وفي ذلك قال بعض شعراء الخوارج:

ألم تر أن الله أظهر دينه ... وصلت قريش خلف بكر بن وائل

وبقي سليمان في جند الضحاك وجند خليفته الخيبري وشيبان الحروري، ولما انهزم شيبان سنة 130 ركب سليمان البحر إلى السند بأهله، حتى ولى السفاح الخلافة، فحضر سليمان إليه وبايعه (انظر البيت 17 من الورقة 200). وفي سنة 132 قتله السفاح غدرا، وذلك أنه أدناه إليه وأكرمه، ثم دبرت له مكيدة لا شك في أنها من تدبير السفاح، وهي أن دخل سديف الشاعر مولى السفاح على السفاح وعنده سليمان وقد أكرمه فقال سديف للسفاح:

لا يغرنك ما ترى من وجوه ... إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال سليمان: قتلتني يا شيخ، وقام السفاح فدخل، وأخذ سليمان فقتل.

قال في الأغاني: مدح بشار سليمان بهاته القصيدة، وسليمان يومئذ مقيم في حران، فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم، وكان يبخل فلم يرضها بشار، وانصرف عنه مغضبا، وقال فيه بشار أبياتا أولها:

إن أمس منقبض اليدين عن الندى .....

وسنذكرها في الملحقات في حرف النون.

وهذه القصيدة من بحر الطويل.

1) تصقب (كتفرح): تبعد، ويطلق على القرب بالضد، ورواه في الأغاني: تشعب، أي تفرق.

2) كتب «كأن الذي»، والظاهر أنه «كأن التي» وهي زينب، وعضب: قطع (من باب ضرب) كأنها بقطع قربها تقطع نفوسنا.

فإنْ تَنْصَبي يوماً إلَى لَمَّةِ الْهـوى ... فإنِّي بما أَلْقَى إلَى تلْكَ أنْصَـب
سَلِي تُخْبَـرِي أنَّ الْمعَنَّى بذكْرِكُمْ ... عَلَى سُنَّـة فيمنْ يَحِيبُ ويَـدْأبُ
إذا ذَادَ عنـهُ عقْرَباً من هَوَاكُـم ... بِرقْيَتِـه دبَّتْ لهُ منْـكِ عقْـربُ
فَبَـاتَ يُدنِّي قَلْبَهُ مـنْ جَلاَدَةٍ ... لِيقْلبَـهُ عنْكُـمْ فـلاَ يتقلَّـبُ
أبى منْكِ ما يَلْقَي، ويأبَى فُؤادُهُ ... سِوَاكِ، فيلْمي هجرهُ ثُـمَّ يُغْلَبُ(1)
لذي نُصْحه عنكُمْ به أجْنبيَّـةٌ ... وعَنْ نُصح دُنْياه به الْقَلْبُ أجْنُبُ(2)
فُؤادٌ علَى نهْيِ النَّصيح كـأنَّمـا ... يُحَثُّ بمـا يُنْهى إليْـه ويتْعَـبُ
فَمَـاتَ بما يُرْخي لهُ مـنْ خناقه ... ويحْيا عُلُوقاً في الْحِبال فينْشَـبُ(3)
كشاكيـةٍ منْ عينِهـا غَرْبَ قُرْحةٍ ... تَدَاوَى بما تَدْوَى عليْه وتَـذْرَبُ(4)
يغَصُّ إذا نالَ الطَّعـامَ لذكْرِكُـمْ ... ويَشْرَقُ منْ وجْد بكُـمْ حين يَشْـربُ
فَلاَ مذْهبٌ عنْكُمْ لهُ شطَّ أوْ دَنـا ... سِوالكِ، وفي الأَرْضِ الْعريضـة مَذْهبُ
علَى النَّأيِ محْزونٌ وفي الْقُرْبِ مُغْرَمٌ ... فيا كَبِدا أيَّ الطَّـريقَيْـن أرْكَـبُ
إذا خَدِرَتْ رِجْلي شفَيْتُ بذكْرِها ... أذَاها فأهْفُو باسْمِها حِينَ تُنْكَبُ(5)
لقَـدْ عُنِّيتْ عمَّا أقاسي بذِكْرِها ... وعمَّـا يقُولُ الشَّاهِدي حين أطْـرَبُ

---

1) «يلمي» يحاول الأخذ خفية، وهو مخفف ألمأ (بهمز آخره) على الشيء إذا ذهب به خفية، فحقه أن يكتب بألف في آخره، يعني ثم يغلب فيرده، أي فلا يستطيع الفؤاد هجركم .

2) كتب في الديوان «لذا» ولعل صوابه «لذي» أي لصاحب نصحه، وأجنبية: مصدر جاء على صيغة النسب، كقولهم الرجولية، وهي نسبة للأجنب أي البعيد أي لصاحب نصحه، وضمير «به» عائد إلى «المعنّى بذكركم» وهو الذي عاد عليه ضمير «نصحه». «ودنياه» ضد «أجنبية» والباء في «به» في الموضعين للملابسة .

3) الخناق (بكسر الخاء): الحبل الذي يخنق به. وكتب في الديوان «فبات» والصواب «فمات» بدليل قوله «ويحيا» وقد أراد محسن الطباق. والاغراب بأن كان موته بإرخاء الخناق وحياته بضد ذلك وهو العلوق في الحبال .

4) «الغرب»: ورم في المآقي. وكتب في الديوان «فما» بدلا من «بما» . «وتداوى» أصله: تتداوى ، و«تدوى»: تمرض، و «تذرب»: تفسد .

5) يقال : إن الرجل إذا خدرت فذكر صاحبها اسم من يحبه زال التخدر عنه .

يرى النّاس مانُبْدي بزينب إذْ نأتْ ... عجيباً، وما يَخْفَى من الْحُبِّ أعْجبُ
يرُوحُ ويغْدُو واجدًا ينتحي الْهَوَى ... علَى رجُل مَضْبُورٍ علَى الورْد أجْربُ(1)
إذا مَرَضَ الْقوْمُ الحديثَ بذكْرها ... أئِنُّ كمــا أنَّ الْمــريضُ الْمُوَصَّبُ
إذا مَــا نأتْ فالْعيْش ناء لنَأْيهــا ... وإنْ قرُبتْ فالْمــوْتُ بالْقُــرْب يقْرُبُ
كفاكِ من الدَّلْفاء لوْ كُنْتَ تكْتفي ... مواعدُ لمْ تذْهبْ بها حيْثُ تذْهبُ(2)
وقائلةٍ حيــن اسْتُحِــقَّ رحيلُنــا ... وأجْفانُ عيْنيْهــا تجُودُ وتسْكُبُ:(3)
أغــادٍ إلى «حــرَّان» فِي غيــر شِيعــةٍ ... وذلكَ شــأْوٌ عــنْ هَــوَانَــا مُغــرِّبُ(4)
فقُلْــتُ لهــا: كلَّفْتــنِي طلــب النَّــدى ... وليْس وراءَ ابْنِ الْخليفــة مطْلَــبُ
سيكْفِي فــتًى منْ شِيعَــةٍ حــدُّ سيْفــه ... وكُــورٌ عِــلافِيٌّ ووجْنــاءُ ذِعْلِــبُ(5)

---

1) المصبور: المشدود الممنوع، شبه نفسه في عنائه بعناء الجمل المصبور الممنوع من الشرب، وقوله «أجرب» نعت لمصبور، ورفعه على القطع، وهو وإن كان نعت نكرة وهي قوله «مصبور» وهذه النكرة غير موصوفة، وقد شرطوا لقطع نعت النكرة أن تكون موصوفة تبعت آخر غير مقطوع، إلا أن «مصبور» لما كان في المعنى وصفا وكان موصوفه محذوفا مقدرا تقديره: جمل، ساغ القطع لذلك، على أنه يجوز القطع في ضرورة الشعر بدون شرط.

2) الدلفاء: الصغيرة الأنف في استواء، وهو الدلف (بالتحريك).

3) القائلة هي زوجته. «استحق رحيلنا» أي حسب أنه حق، فالسين والتاء للحسبان. ورواه في الأغاني «حين جد رحيلنا» ولا يبعد أن يكون ما في الديوان تحريفا، وأن صوابه «استخفت رحالنا»، أي حملت على الرواحل.

4) «حران» (بفتح الحاء وتشديد الراء): مدينة بجزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم، والشيعة: الجماعة الموافقون، أي أغاد وحدك.

5) الكور (بالضمة): الرحل، والعلافي (بكسر العين): نسبة إلى علاف جد حي من قضاعة، اشتهروا بصنع الرحال، والوجناء: الناقة الناتئة الوجنتين، والذعلب (بكسر الذال المعجمة وبكسر اللام): الناقة السريعة، و(من) بمعنى (عن)، والضمير في قوله «سيفه» عائد إلى «فتى»، أي سيفي يغنيني عن الشيعة.

إذا اسْتَوْعرتْ دارٌ عليه رَمَى بها   بناتِ الصُّوى منها رَكُوبٌ ومُصْعِبُ(1)
فعُدِّي إلَى يومَ ارتحلْتُ وَسَائلي   نوافلَكِ الْفعَّالَ مَن جاءَ يضْرِبُ(2)

---

1) الضمير في قوله «بها» عائد إلى «وجناء»، والصوى «بضم الصاد» جمع صوة، وهي الحجارة تنصب في المفازة دلالة على مسلك الطريق التي بين تلك الصوى.
وإطلاق البنات على فروع الاشياء إطلاق عربي شائع، فيكنون بها عن أفراد الأشياء، قال معن بن أوس المزني:
إذا الحسب الرفيع تواكلته   بنات السوء أوشك أن يضيعا
أراد فعال السوء، ويقال «بنات القلوب» و «بنات الصدور» وسيأتي لبشار في البيت 4 من الورقة 246، وقال الشاعر:
فأصاب الردى بنات فؤادي   بسهام من المنايا صياب
فانقضت شرتي واقصر جهلي   واستراحت عواذلي من عتابي
ومنه «بنات الدهر» أي حوادثه، قال عمرو بن قميئة (عصري امرىء القيس):
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى   فما بال من يرمي وليس برام
أراد حوادث الدهر وأيامه. وقال رجل من حمير مما أنشده في حماسة البحتري:
رأيت بنات الدهر أهلكن تبعا   وجزن إلى الرواد في مشرف صم
وقال الجارود العبدي (واسمه بشر بن عمرو) لما وفد مع عبد القيس مسلما:
شهدت بأن الله حق وسامحت   بنات فؤادي بالشهادة والنهض
وقال الصمة بن عبد الله القشيري في (الحماسة):
ولما رأيت البشر أعرض دوننا   وجالت بنات الشوق يحنن نزعا
قال الخطيب التبريزي: أراد أسباب الشوق الكثيرة، وقال الأعلم الشنتمري في شرحه على الحماسة: بنات الشوق الأحشاء لأنها محله، وسيأتي مثله في البيت 3 من الورقة 133، والبيت 3 من الورقة 171. ويقولون: بنيات الطريق، وقد بنى بشار على ذلك، فجعل للبنات بهذا المعنى أما، بمعنى أصل الشيء وحقيقته، وذلك في قوله الآتي:
أحلت به أم المنايا بناتها   بأسيافنا إنا ردى من نحاربه
انظر البيت 26 من الورقة 74. وأما بنات بمعنى ملازمات فسيأتي في البيت 21 من الورقة 139.

2) كذا ضبطه في الديوان بضم العين، أي احسبي الأيام، وفيه بعد، ولعل ضبطه بفتح العين أحسن، أي أعرضي عن مدة الخصاصة إلى يوم ارتحالي فستأتيك العطايا، وقوله «وسائلي» أمر من السؤال، أي انتظري النوافل ممن يجيء يضرب أكباد الابل، وأراد بذلك نفسه حين يرجع، أو أراد أنه يرسل لها العطايا العاجلة مع المسافرين، ويدل لذلك رواية الاغاني:
«... ... ... وسائلي   بزورك والرحال من جاء يضرب»
أي سائلي من يزورك ومن يرحل بخبروك عني، ولم يظهر معنى للفظ «الفعال».

لعلَّكِ أنْ تَستَيْقنــي أنَّ زورتي «سُليْمان» منْ سَيْرِ الْهواجرِ يُعْقِبُ(1)
ومَــاءٍ عَفَــاءٍ لَا أنيسَ بِجَوِّهِ حَليفاهُ منْ شتّى عِفاءٌ وطُحْلُبُ(2)
وردْتُ إذا الْتَاثَ الْهِجانُ وقدْ خَوَى عليْهِ من الظَّلْمــاءِ بيْتٌ مُطنَّبُ(3)
نَعُوجٌ علَى التَّأْويبِ صُعْرٌ من الْبَرَى نواشطُ في لُجٍّ من اللَّيْلِ تَنْعَبُ(4)
إذا مــا أنَخْناها لِغَيْــرِ تَثِيَّــةٍ علَى غَرَضِ الْحاجاتِ والْقومُ لُغَّبُ(5)

---

1) في موضع الكلمة الاولى من المصراع الثاني بياض في نسخة الديوان . وفي الأغاني في هذا الموضع (سليمان) «ويعقب»، أي يأتي بالعواقب المحسنة ، قال الشاعر :

وللخير أيام فمن يصطبر لهــا ويعرف لها أيامها الخير تعقب

وقد شاع إطلاق العاقبة بدون قيد المحسنة مع إرادته ، كما جاء في حديث أبي سفيان في ترجمة كلام هرقل «وكذلك الأنبياء تبتلى ثم تكون لهم العاقبة» أي عاقبة الخير ، ولذلك أطلق بشار «يعقب» هنا .

2) العفاء (بفتح العين) مصدر عفا الماء ، إذا لم يكدره وارد ، يكون ذلك لانقطاعه عن العمران ، وصفه بالمصدر. (والعفاء) الثاني (بكسر العين) : ريش النعام الذي يرد ذلك الماء فهو يشرب من أطرافه ولا يدخل فيه لشدة حذره . والطحلب (بضم الطاء واللام) : خضرة تعلو الماء المزمن ، وقوله «من شتى» أي من جهات شتى ، كقول عبد بني الحسحاس :

تجمعن من شتى ثلاثا وأربعــا وواحدة حتى بلغن ثمـانيـــا

3) «التاث» : أبطأ وعجز . والهجان : جمع هجين ، وهو الكريم من الإبل ، وخوى : خلا من السكان . وجملة « عليه من الظلماء .... » مستأنفة .

4) كتب في الديوان «ثعوج» بمثلثة مضمومة ، فهو جمع ثعج (بفتحتين) وهو الجماعة في السفر ، ولا معنى له هنا . لا سيما مع العلاوة في قوله « على التأويب » فتعين أنه تحريف (نعوج) بنون مفتوحة ، أي سريعة ، من قولهم : نعج (بالميم وبالنون) إذا أسرع ، وقد قال بشار (في البيت 11 من الورقة 82) :

مَعُوج إذا أمسى طروب إذا غــدا مجدا كما غنى على الأيك أخطب

وهو وصف للهجان في البيت قبله ، وصفها بوصف الواحدة ، وذلك جائز في جمع ما لا يعقل . وقوله «على التأويب» أي مع التأويب ، وهو سير الصباح بعد سير الليل ، أي تصبح سريعة بعد أن سارت ليلتها فلم تسترح ، والصعر : جمع أصعر ، وهو البعير الذي أصابه الصعر . وهو داء يعوج به في عنقه ، والبرى : الهزال ، وتنعب : تسرع ، يقال : ناقة نعوب . وهذا سهو من بشار لأنه ذكر قبله أنه خرج مفردا ليس معه رفيق ، أو أراد أنه لقي رفقة على هذا المــاء .

5) (التثية) تفعلة من أبي بالمكان إذا تلبث به . ويقال : تأيى .

وقعْنَ فَريصَاتِ السَّديس كما دَعَا عَلى فَنَنٍ منْ ضَالَةِ الأَيْك أخْطبُ(1)
قَلاَئِصُ إنْ حرَّكْتَ كفًّا تكمَّشتْ كأنَّ علَى أكْسائهـا الْجنَّ تجْلِبُ(2)
سُقِيـــنَ بحَـــذَّاء النَّجَـــاء شِملَّـــة
إذا قـــالَ يعْفُـــورُ الْفـــلاَة تـــأوّبُـــوا(3)

---

1) الفريصات : جمع فريصة ، وهي التي تفارص غيرها في الشرب ، أي تشاركه في نوبة الشرب ، مشتقا من القرصة (بضم الفاء) وهي النوبة ، والسديس : اليوم السادس من أيام أظماء الابل ، كالسدس ، وهو آخر أيام أظماء الابل ، يريد أنهن عطشن أشد العطش ، والمعنى : وقعن مستعجلات كما غني حمام أيكة ، شبه هيئة تسابقهن مع ارتفاع أصواتهن بوقوع الحمام مغنيات ، وقد أخذ هذا المعنى المعري في قوله :

أشبهن في الشوق الحمام وإنما طيرانهن ترقص وذميـل

والضالة : شجرة من الضـال .

2) كتب «حركت» بضم التاء و«كفي» بياء المتكلم ، وهو تحريف ، لأن الكلام على رواحل عديدة وهو لا يحرك كفه إلا لواحدة ، فالصواب «حركت» بفتح التاء على الخطاب لمخاطب غير معين فيصلح للجماعة ، و«كفا» بدون إضافة ، و«تكمشت» أي تقبضت للجري ، وقوله «على أكسابهـا» وقع في الديوان بالباء الموحدة ولا معنى له ، والصواب أنه بالهمزة جمع كسى (بضم الكاف) وهو مؤخر العجز ، والمعنى : أنك ترى أعجازها تضطرب من الجري كأن عليها الجن ، وتجلب (بفتح التاء وكسر اللام أو ضمها) بمعنى تصوت بها، مشتق من الجلبة وهي اختلاط الصوت، أي تحدو بها الجن .

3) ضبط في الديوان «سقين» بفتح السين والقاف ، ولا وجه له لأنه إنما ذكر ماء مفردا ولم يذكر مياها. والظاهر أنه بضم السين وكسر القاف يعود إلى الإبل المرادة في قوله : نعوج وصعر ونواشط ووقعن وفريصات. والباء في قوله «بحذاء النجاء» للمصاحبة، أي شربن مع حذاء النجاء، وأراد بذلك راحلته، الحذاء (بذال معجمة): السريعة، والنجاء (بفتح النون) أصله السلامة ، وأطلق على السبق لأنها تنجو بصاحبها. ولذلك قيل للراحلة: ناجية ، والشملة (بكسرتين) : الناقة السريعة،واليعفور : حمار الوحش ، أي هي سريعة في وقت وعورة الفلاة التي يرجع فيها حمار الوحش عن زيادة السير فيتبعه أتنه ، وأطلق بشار ضمير جماعة العقلاء في خطاب حمار الوحش لأنه يعد جماعته عقلاء أو أراد أن حمار الوحش حين يلقيه المسافرون راجعا يعلمون أن الطريق وعر، وكأنه قال لهم: تأوبوا ، وأطلق «القول» على دلالة حال حمار الوحش كقول الراجز :

امتلأ الحوض وقال قطني

والتأويب : الرجوع.

مُفَــرَّجةُ الضَّبْعينِ ممهُورةُ القَرَى　　تَحُــدُ عليْهــا راكبٌ مُتنقِّــبُ(1)
سُرَى الليلِ والتَّهجيرَ في كلِّ سبْسَبٍ　　يُعارِضُهُ منْ عَــارِضِ النَّصِّ سَبْسَبُ
دَياميمُ تَرْمي بالْمَطِيِّ إليْكُـــمُ　　تظلُّ بناتُ الأَزْلِ فيهنَّ تَلْعَــبُ(2)
وكمْ جــاوزتْ مِــنْ ظَهْــرِ أرْعَــنَ شَــاخِـصٍ
ومِــنْ بَطْــنِ وَادٍ جــوْفُـــهُ مُتَصَـــوِّبُ
لهــا هــاتفٌ يحْكي غِنـــاءً عَشَنَّقـــاً
سميعــاً بمــا أدَّى لهُ الصَّــوْتُ مُعْــربُ(3)

1) كتب في الديوان «ممهورة القُرى» ، ولعله أراد الكناية عن كونهـا من الإبل المهرية (بفتح الميم) منسوبة إلى بني مهرة بن حيدان حي مشهورون بكرم إبلهـم ، فلذلك أسند المهورة إلى القـرى وهو الظهر ، إذ هو المقصود من الراحلة ، وهذا كما يقـال: هو عربي اللسان، كناية عن كونه عربيا ، ويحتمل أنه تحريف «مضبورة» أي متماسكة لحم الظهر ملسـاؤه ، وقد روي بذلك قول النـابغـة :

موثرة الأنساء مضبورة القرى　　نعوب إذا ذل العتاق المراسل

وسيأتي في البيت 13 من الورقة 122 أنه كتب نظيره بدال عوض الراء .

وكتب في الديوان «تحد» بحاء مهملة ودال مهملة وهو خطأ ، والصواب إمـا «تجــذ» بالذال المعجمـة وكسر الحاء المهملة ، أي تسرع ، وإما «تخب» بخاء وباء موحدة .

2) أي هذه السباسب دياميم ، جمع ديمومة أو ديموم ، وهي الفلاة الشاسعة، لأنها يدوم السير فيهـا ، أي يطول ، وقد اختلف في اشتقاقهـا ، فقيل : إنهـا فيعولة من دممت القدر إذ طليتهـا بالدمام ، وهو الرماد ، وإليه مال صاحب القاموس وذهب أبو علي الفارسي إلى أن أصلهـا من الدوام، فيكون وزنها فعلول أو فعلولة وقلبت واوها ياء اعتباطا. وذهب الجوهري إلى أنهـا من الديمـة فوزنهـا فعلول أو فعلولة . والأزل (بفتح الهمزة وسكون الزاي) : الشـدة والضيق ، والبنات هنا بمعنى الملازمات للشيء ، كقولهـم : ابن سبيل ، وتقدم آنفـا في البيت السـابع من هذه الورقة ، أي تظل الرواحل المعتادة بالشدائد تتعب إعياء .

3) كتب في الديوان «لهاء بضمير مؤنث، فيعود الى الدياميم، والأظهر أن الضمير مذكر فيعود الى «واد». والهاتف هو الصدى يحكي غناء الحداة، والعشنق: الطويل فإما أن يكون وصفا للغناء، وإما أن يكون حالا من هاتف وهو نكرة لأنها وصفت بقوله : «يحكي غناء» ورفع «معرب» على الصفة ، ولو رفع عشنق وسميع لكان أوضح ، ووصف الهاتف بذلك بناء على اعتقاد العرب أن الهاتف جني في الفلاة يحاكي صوت المنادي فتتخيله طويلا سميعا معربا. وكتب في الديوان «مغرب» بغين معجمة، أي يأتي بالغريب ولعلهـا «معرب» بالمهملة.

فغنَّتْ غِناءً عينُهُ ولسانُهُ قريبُ مَصارِ الصَّوْتِ ليس يُثقَّبُ(1)

هُو الْخَنْفُ لَا إنْسٌ ولَا نَجْلُ جِنَّةٍ يعيشُ ولا يغْذُوهُ أمٌّ ولا أبُ(2)

إليْكَ أبا أيُّوبَ أسْمعَتْ صاحبي أغانيَهُ والنَّاعجاتُ تَسَرَّبُ(3)

إذا خَرَجتْ منْ عينِهِ قُلْتُ ليْتني يجُوبُ الدُّجى منْها حرارٌ وتنْعبُ(4)

شربْتُ برنْقٍ منْ مُدامٍ ولوْ دنَتْ حياضُ «سُليْمانٍ» صَفًا لي مَشْرَبُ(5)

إذا جئْتِ «حرَّانًا» وزُرْتِ أميرَها فَرَبُّكِ مضْمونٌ وواديكِ مُعشِبُ(6)

هُناكَ امْرُؤٌ إنَّ النَّوالَ لمنْ دنا لهُ عَطَنٌ سهْلٌ وكفٌّ تحلَّبُ

دَرُورٌ لقوْمٍ بالْحياة علَى الرِّضى علَى أنَّ فِيها مَوْتَهُمْ حينَ يغْضَبُ

ألا أيُّها الْمُسْتَعْتِبُ الدَّهْرَ مَسَّهُ منَ الضِّيقِ والتَّأنيبِ نابٌ ومخْلبُ

إذا قَذِيتْ عينُ الزَّمانِ فَداوِها بقُرْبِ «سُليْمانٍ» فإنَّكَ مُعْتَبُ

---

1) انظر ماذا أراد من قوله «عينه» ولعلهم كانوا يتخيلون أن الهاتف ينطق من عينه في خرافاتهم. وكتب في الديوان «لايثقب» بتشديد وفيه إصلاح وكسر القاف، وهو لا يتزن، فلعل أصله «لا يتثقب» أو أن الذي أصلحه أراد أن يكتب «ليس يثقب» فنسي، وقد كتبته أنا في الطرة: ليس جعل عينه كثقب قصبة المزمار لكنها لم تثقب. وقوله «ولسانه قريب مصار الصوت» أي لسان الهاتف، والمصار (بفتح الميم): مصدر ميمي من صار يصور إذا حاكى الصوت، يقال: عصفور صوّار، إذا كان يجيب الداعي إذا دعا.

2) أراد أن هاتف هذه الفلاة ليس من الإنس ولا من الجن، وهو حي ولا يغذوه أم ولا أب. وأراد بهذا المحاجاة. وقوله «هو الخنف» كتب بخاء معجمة ونون، ولعله اسم اشتقه له بشار من «الخنف» وهو ميل الفرس أو البعير الى أحد الشقين إذا جرى من شدة النشاط.

3) الناعجات: النوق الفائقة في السرعة بحيث يصاد عليها نعاج الوحش، الواحدة ناعجة، مشتقة من الاسم الجامد، وهو النعجة، يعني نعجة الوحش، وهي أنثى الغزال، والمراد بصاحبه رفيقه في السفر، وإنما أسند الإسماع الى نفسه لأنه المتسبب في سير صاحبه في تلك المهمة، إذ رفيق المسافر ليس له وطر في السفر الا مؤانسة المسافر صاحب الحاجة، ولذلك لقب عمرو ابن قميئة رفيق امرىء القيس في سفره الى قيصر بلقب «الضائع» لأنه اقتحم سفرا صعبا لغير حاجة.

4) كتب في الديوان: «عينه» بعين مهملة وتحتية ونون، ولعله «غيبه» بغين معجمة وتحتية موحدة، والغيب: ما غاب من الارض واطمأن منها، وتنعب (بفتح العين المهملة): تسير النعب (بفتح النون وسكون العين) وهو سير سريع، أي لنشاطها.

5) الرنق: المكدر، والمدام: الماء الذي طال مكثه في حوضه فلم يتجدد بماء جديد.

6) الخطاب في هذا البيت لراحلته.

عَدَاكَ الْعِدَى مَـا سَارَ تَحْتَ لِوَائِه بَطَارِيقُ فِي الْمَاذِيِّ كَهْلٌ وَأَشْيَبُ(1)
هُوَ الْمَرْءُ يَسْتَعْلِي «قُرَيْشاً» بِنَفْعِه وَدَفْعِ عَدُوٍّ فَاحِشٍ حِينَ يَكْلَـبُ(2)
رَزِينُ حَصَاةِ الْعِلْـمِ لَا يَسْتَخِفُّـهُ أَحَادِيثُ يَسْتَوْعِي عَلَيْهَـا الْمُعَيَّبُ
شَبِيـهُ أَمِيـرِ الْمُـؤْمِنِيـنَ وَسَيْفُهُ بِهِ يُتَّقَى فِي النَّائِبَـاتِ وَيُعْصَـبُ
يَهَشُّ لِمِيقَاتِ الْجِهَـادِ فُؤَادُهُ فَلَا يَتَطَـرَّقْهُ الْبَنَـانُ الْمُخَضَّبُ(3)
إِذَا الْحَرْبُ قَامَتْ قَامَ حَتَّى يُفِيدَهَا قُعُودًا وَحُشْحُوثُ الْكَتِيبَةِ مُطْنَبُ(4)
لَـهُ كُلَّ عَامٍ غَـزْوَةٌ بِمُسَـوَّمٍ يَقُودُ الْمَنَايَا رَايُهُ حِينَ يَـذْهَبُ(5)
لُهَامٌ كَأَنَّ الْبِيضَ فِي حَجَرَاتِـهِ نُجُومُ سَمَاءٍ «نُورُهَـا» مُتَجَـوِّبُ(6)
كَرَادِيسُ خَيْلٍ لَا تَزَالُ مُغِيـرَةً بِهَا الْمَلِكُ الرُّومِيُّ عَـانٍ مُعَذَّبُ(7)

---

1) البطاريق: جمع بطريق (بكسر الباء) وهو القائد لجيش فيه عشرة آلاف، ودونه الطرخان على خمسة آلاف ودونه القومس. والماذي: السلاح.

2) كلب يكلب (من باب فرح) إذا أصابه داء الكلب وهو جنون بضراوة يعتري الكلاب، فإذا عضت حيوانا أصابه ما أصابها، وأراد به هنا الحرص على إلحاق الضرر وشدة الخبث، ومنه قولهم (كلب الشتاء) لشدة برده وقلة الأقوات فيه.

3) قوله «يهش» بكسر الهاء وفتحها، «يتطرقه» ثبت مجزوما للضرورة وليس الكلام على معنى النهي والدعاء.

4) «حشحوث» (بالضم): الكثير، وقال ابن سيده: الحشحوث الكتيبة. ولا يلاقي إضافة بشار الحشحوث الى الكتيبة، و«مطنب» بفتح النون: مشدود بالطنب بضمتين، وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت، يقال: أطنبه كما يقال طنّبه. والمعنى أن كتيبته قويـة.

5) المسوم: الجيش المسومة فرسانه، أي المجعول عليهم سمات وعلامات يجعلها الشجعان المشاهير، قال تعالى «يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين» وأراد بالغزوة الصائفة، ورايه: جمع راية، والضمير عائد الى «مسوم».

6) «لهام» (بضم اللام): الجيش العظيم، والبيض: السيوف، والحجرات (بفتحتين). النواحي: ووقع في المصراع الثاني تبييض بقدر كلمة، ولعلها: ضوؤها أو نورها. وكتب في الديوان «متجوب» بجيم، وضبط بعلامة شد على الواو ولم تضبط الحركات، ولم نر في كتب اللغة التي بأيدينا ما يؤيد هذه الكلمة هنا، ولعلها محرفة عن (متحوب) بالحاء.

7) أشار بقوله «بها الملك الرومي عان معذب» الى غزوه لبلاد الروم المتاخمة للحدود الشامية في جهات قيسارية، وكانت غزوة سليمان بن هشام الممدوح في أرض الروم مما يلي الجزيرة سنة 117، وفتح سندرة سنة 120، ويعني بالملك الرومي الملك إليون الذي غزاه سليمان ابن هشام سنة 124، وغنم وسبى، وقد صرح باسمه في البيت الموالي.

كأنَّ بَنَاتِ الْيُونَ بَعْدَ إيَـابِـهِ مُوَزَّعَةً بَيْنَ الصَّحَائِـبِ رَبْـرَبُ(1)
مَوَاهِبُ مَغْبُـوطٌ بِهَا مَنْ يَنَالُهَـا صَفَايَا سَبَايَـا الرُّومِ بِكْرٌ وَثَيِّـبُ
وَمَا قَصَدَتْ قَوْماً مُحِلِّينَ خَيْلُـهُ فَتَصْرِفَ إلاَّ عَنْ دِمَـاءٍ تَصَبَّـبُ
جَدِيرٌ بِتَرْكِ النَّائِحَاتِ إذَا غَدَا لَهُنَّ عَلَى الْقَتْلَى عَوِيلٌ وَمَنْـدَبُ(2)
أغَرُّ هِشَامِيُّ الْقَنَـاةِ إذَا انْتَمَـى نَمَتْهُ بُدُورٌ لَيْسَ فِيهِنَّ كَـوْكَبُ(3)
جَمِيلُ الْمُحَيَّـا حِينَ رَاحَ كَأنَّمَـا تُخُيِّرَ فِي دِيبَاجَةِ الْوَصْفِ مُـذْهَبُ
يَزِينُ سَرِيرَ الْمُلْكِ زَيْناً وَيَنْتَهِي بِهِ الْمِنْبَرُ الْمَنْصُوبُ فِي يَوْمِ يَخْطُـبُ

* * *

وقال يمـدح أخاً له(*):

وَأخٍ ذِي ثِقَـةٍ آخَيْتُـهُ مَاجِدِ الأعْـرَاقِ مَأْمُـونِ الأدَبْ(4)
أمْحَـضَ اللهُ لَـهُ أخْـلاَقَـهُ فَهْـيَ كَالإبْرِيـزِ مِنْ سِـرِّ الذَّهَـبْ

---

1) «بنات البون» كتبت في النسخة بالموحدة بعد اللام، والصواب «اليون» بالمثناة لما قلناه في شرح البيت قبله، أراد أن بنات إليون صرن سبايا وقسمن بعد إياب الجيش كأنهن ربرب من بقر الوحش، و«الصحائب»: جمع صحابة، وهي الجماعة من الأصحاب، أي أصحاب الجيش. وضبط «موزعة» بضم هاء التأنيث. والصواب أنه بفتحها حال من «بنات إليون».

2) المندب: مصدر بوزن المفعل، من ندب الميت (بفتح الدال) يندبه (بضم الدال).

3) ليس فيهن كوكب، أي ليس في تلك البدور من هو ضعيف الضياء، أراد خامل السؤدد، فهذا وجه النفي هنا، لأجل أنه شبه جدوده بالبدور، وإن كان الكواكب قد شبه بها في الشرف والضياء في غير هذا المقام، كقول أبي الطمحان القيني:

نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

وإنما حسن تشبيه أبي الطمحان أنه قصد أنهم كثيرون في المجد، وأن بعضهم يخلف بعضا، وأراد بشار أن أجداد الممدوح متساوون في المجد والسؤدد.

*) وقال أيضا يمدح أخا له.
والقصيدة من الرمـل.

4) ضبط في الديوان «وأخ» بكسر الخاء وأتبع بكلمة (ذي) فاقتضى أن الواو واو (رب) أي واو العطف التي تقدر (رب) بعدها. وتقدير رب يقتضي أن يكون مجرورها نكرة فيقتضي أنه أراد أخا في الصداقة أو أراد واحدا من إخوة له في النسب.

عَزَّني المَعْرُوفُ حتّى عَلِقَتْ كُلُّ كَفٍّ لِيَ مِنْهُ بِسَبَبْ(1)
فَهُوَ يُعْطِيني وَأُعْطِي فَضْلَهُ سَبَلَ الغَيْثِ تَدَلَّى فَسَكَبْ(2)
فَإِذَا أَبْصَرَ وَجْهِي مُقْبِلاً ضَحِكَتْ عَيْنَاهُ مِنْ غَيْرِ عَجَبْ(3)
وَإِذَا كَلَّمْتُهُ وَاحِدَةً هَيَّجَتْ مِنْهُ عُلاَلاَتِ الطَّرَبْ(4)
وَإِذَا مَا غِبْتُ عَنْهُ سَاعَةً أَنَّ لِلْغَيْبَةِ مِنْ غَيْرِ وَصَبْ
فَهُوَ لِي - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - غِنًى وَعَفَافٌ مِنْ دَنِيِّ الْمُكْتَسَبْ
مِنْ تِجَارَاتٍ أَشَابَتْ مَفْرِقِي وَكَسَتْنِي ثَوْبَ ذُلٍّ وَنَصَبْ(5)
وَمُلُوكٍ إِنْ تَعَرَّضْتُ لَهُمْ عَرَّضُوا دِينِي وَشِيكاً لِلْعَطَبْ(6)

* * *

وقال أيضاً يمدح يعقوب بن داود(*):

نَغَّصَ طِيبَ العَيْشِ تَنْصِيبُ وَفِي الْمُلِمَّاتِ الأَعَاجِيبُ(7)
وَالدَّهْرُ طَلاَّعٌ بِأَحْكَامِهِ وَالْمَرْءُ مَخْدُوعٌ وَمَكْذُوبُ

---

1) «عزني» أي غلبني ، قال تعالى «وعزني في الخطاب» أي غلبني المعروف ، أي لم أحصل عليه من أحد حتى نالني معروفه الجم.
2) «سبل الغيث» منصوب على الحال المراد بها التشبيه البليغ.
3) أسند الضحك الى العينين مجازا ، أي ينظر لي نظر السرور فكأن عينيه تضحكان، وهذا كقول الأعشى :

وأقدم اذا ما أعين الناس تفرق

أي اذا ظهرت علامات الخوف في عيونهم، وقال تعالى «سحروا أعين الناس واسترهبوهم» وقال: «رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت» فهذا استعمال فصيح عزيز.
4) العلالات : جمع علالة وهي بالضم ما يتعلل به، أي يتلهى به من الأشياء الملائمة؛ والضمير في «هيجت» يعود الى الواحدة.
5) « من تجارات » بدل من « دني المكتسب » . وأراد بالتجارات هنا الأسفار لطلب المعروف والجوائز ، كما أفاده قوله «وكستني ثوب ذل».
6) يعني أن صحبته للسلطان لا تخلو من مجاراته على بعض الجور والمنكر ، وهذا جار على طريقة زمانه في كراهية قرب السلطان.
*) وقال أيضا يمدح يعقوب بن داود.
القصيدة من بحر السريع وعروضها مطوية مكشوفة: فاعلن وضربها أصلم فعلن .
7) التنصيب : مصدر نصّبه إذا أدخل عليه النصب ، وهو التعب.

والنَّـاسُ منْ غـادٍ ومنْ رائحٍ   يُحْصَى عليْـه الْبِـرُّ والْحُـوبُ(1)
لَا يشْتهِـي الْمَـوْتَ ويمْنَى بـه   كرْهاً ، وطِيبُ الْعَيْـشِ تعْـذِيـبُ
قُـلْ لابْنِ داوُد إِذا جِئْتَـهُ   سِيبُـك مـوْجُـودٌ ومـطْلُـوبُ
أَنْجِـزْ حُـرٌّ وأْيَـهُ طـائـعـاً   والْعَبْـدُ مكْـدُودٌ ومضْـرُوبُ(2)
لِلْمـرْءِ مِـنْ أفْعـالـه مُشْبِـهٌ   فافْعـلْ شبيـهـاً بـك يَعْقُـوبُ
حلبْـتَ لِلْقـوْمِ فلا تنْسنـي   وأنْـتَ عَرْفُ الْجُـودِ محْلُـوبُ(3)
يُبْقِـي لِذِي الْمعْـرُوفِ معْرُوفُهُ   حمْـدًا وتنْـزاحُ الْأكـاذِيـبُ

* * *

وقال أيضاً يمدح مروان بن محمد بن مروان ، ويمدح قَيْس عيْلَا ن(*) :

---

1) الحوب : الإثم .

2) وأيه : وعده ، وكتب في الديوان بالراء عوض الواو ، وهو غلط ، وقد نظم المثل «أنجز حر ما وعد». والمصراع الثاني تتميم لا علاقة له بالغرض.

3) كتب في الديوان «عرف» بفاء في آخره ، وضبط بفتحة على العين وفتحة على الفاء ، فالمعنى أن الممدوح طيب الجود ، أي أفضل الجود أي أفضل أهل الجود ، وهو منادى بحذف حرف النداء. «ومحلوب» خبر عن «أنت».

*) وقال أيضا «يمدح مروان بن محمد بن مروان ويمدح قيس عيلان» هكذا وقع في الديوان . ووقع في الأغاني عند ذكر بعض أبيات هذه القصيدة أنه مدح بها ابن هبيرة ، يعني : يزيد ابن عمر بن هبيرة ، فإنه كان قائد جيش قيس ، لكنه لم يذكره باسمه في هذه القصيدة ، وذكر مروان باسمه في البيتين 49 ، 51 من هذه القصيدة ، وذكره أيضا بوصف الخليفة في البيت 81 من هذه القصيدة .

ومروان هذا هو آخر خلفاء بني أمية وهو الملقب بالحمار (بكسر الحاء وتخفيف الميم) وكان ذا رأي ومكيدة وبسالة في الحروب ، وأخذ الخلافة الأموية غصبا ورام ضبط الدولة حين رآها أشرفت على الانحلال فغلبته الأحوال و آل أمره الى الاضمحلال. قيل: لقب بالحمار لأنه يحرن في الحرب فلا يتزحزح.

ومدح بشار قيس عيلان في هذه القصيدة ، وافتخر بهم ، وأسند فعالهم في الحروب الى ضمير المتكلم ومعه غيره ، لأنه مولى قيس عيلان.

و« قيس عيلان » بإضافة (قيس) الى (عيلان) ،وهو اسم جد قبيلة عظيمة من قبائل العرب المضرية ، وقيل : إن قيسا هو ابن عيلان ، وعيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان ، و (عيلان) بعين مهملة ، ويكثر تحريفه في كتب الأدب العربي بغين

معجمة ، وأشار بشار في قصيدته هذه الى وقائع يتعين الإلمام بذكرها ، ذلك أنه لما اضطرب أمر بني أمية بعد بيعة يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الملقب (الناقص) سنة 126، ثار أهل حمص على الذين قتلوا الوليد بن يزيد، وأرادوا المسير الى دمشق ، ووثب أهل فلسطين على عاملهم، وتداعوا الى قتال يزيد بن الوليد، وانتقضت اليمامة وخراسان وجهات كثيرة ، وتوفي يزيد في تلك السنة ، وولي بعده أخوه إبراهيم، وكان مروان بن محمد (الممدوح) واليا على الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان من قبل يزيد بن الوليد، فلما رأى مروان اختلال الأمور خرج من الجزيرة يريد الشام ، وانظم اليه في (قنسرين) يزيد ابن عمر ابن هبيرة وقيس عيلان ثم بلغ حمص فانضم اليه أهلها ، وخرج اليه جند إبراهيم بقيادة سليمان ابن هشام بن عبد الملك وتلاحموا في عين الجر ، وانهزم جند الشام وفيهم بنو كلب وانتصر جند مروان وهم قيس عيلان، وهرب الخليفة إبراهيم ، وبويع مروان بالخلافة في دمشق ، ثم انتقض عليه أهل حمص ومن في (تدمر) من الكلبيين ، دعاهم الى ذلك ثابت بن نعيم الجزامي ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك وأخوه سعيد بن هشام وعثمان ومروان ابنا سعد بن هشام والسكاسك ، فهزمهم مروان ، وهدم سور حمص ، وصلب ثابت وأبناؤه على باب دمشق . ثم انتقض أهل فلسطين من أتباع ثابت بن نعيم ، ثم سار سليمان ابن هشام ومعه أهل الشام وحمص وتدمر ، وكان من أنصاره أخوه سعيد بن هشام وابن أخيه عثمان بن سعيد، فحاربهم مروان ، وانتقض أهل الغوطة من دمشق وهم اليمنية، فأحرق مروان قرى اليمنية من الغوطة ، ثم خرج أهل الكوفة سنة 128 ، وكان رأس أهل الكوفة الضحاك ابن قيس الشيباني ، واستفحل أمره، فحاربهم مروان وقتل الضحاك وانهزموا سنة 129 ، وكان الأمر في حروب واضطرابات الى أن قتل مروان في ذي الحجة سنة 132 بمصر ، هزمه شيعة بني العباس فأشار بشار الى الملاحم التي انتصر فيها مروان ، وقد أشار بشار الى هذه الوقائع في الابيات الآتية، بورقة 75 وورقة 76. والقصيدة من بحر الطويل.

وقد نسب بعض أهل اللغة أبياتا كثيرة من هذه القصيدة الى المتلمس الضبعي ، قال في الأغاني : أخبرني يحيى بن علي ، قال حدثني أبي ، قال : كان إسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ، فقلنا : أتقول هذا لمن يقول :

إذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

(الأبيات الثلاثة) . فهذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر فقال إسحاق: أخبرني أبو عبيدة أن شبيلا الضبعي أنشده هذه الأبيات للمتلمس ، وكان عالما بشعره لأنهما جميعا من ضبيعة ، فقلت : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشار : إن شبيلا أخبره أنها للمتلمس ، فقال : كذب والله شبيل هذا شعري ، ولقد مدحت به ابن هبيرة ، فأعطاني عليه أربعين ألفا. وقد صدق بشار. ثم قلت لإسحاق : أخبرني عن قوله في هذه القصيدة :

فلما تولى الحر واعتصر الثرى لظى الصيف من نجم توقد لاهبه

(الأبيات الثلاثة) أفهذا للمتلمس أيضا؟ قال: لا، قلت: أفما هو في غاية الجودة وشبيه بسائر الشعر فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصة، وكيف خص المتلمس بالسرقة منه من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل وقد روى الرواة شعره وعلم بشار أن ذلك لا يخفى قال: فلم يرد ذلك بشيء.

جفـا وِدُّهُ فـازْورَّ أوْ مـلَّ صـاحبُـهْ
وأزرى بـه أنْ لَا يَـزالَ يُعـاتبُـهْ(1)

خَليـليَّ لَا تسْتنكِـرا لَـوْعَـةَ الْهـوى
ولَا سلْـوةَ المحْـزُون شطَّـتْ حبائبُـهْ

شَفَى النَّفسَ مـا يَلْـقَى بعَبْـدةَ عينُـهُ
ومـا كان يلْـقى قلْبُـهُ وطبـائبُـهْ(2)

فأقْصَـرَ عِـزْزَامُ الْفُـؤاد وإنَّـمـا
يميـلُ به مسُّ الْهـوى فيُطـالبُـهْ(3)

إذا كان ذوَّاقـاً أخُـوكَ مـنَ الْهَـوَى
مُـوَجَّهَـةً فـي كـلِّ أوْب رَكَـائبُـهْ

فَخَـلِّ لَـهُ وَجْـهَ الْفِـرَاق وَلَا تكُـنْ
مَطِيَّـةَ رَحَّـالٍ كَثيـرٍ مَـذاهبُـهْ

---

1) جفا : بعد ، والود (مثلث الواو) أصله مصدر ودّه، وأطلق على الودود ، وهو في حالة كسر الواو يكون إطلاقه على الودود من باب فعل (بكسر فسكون) بمعنى مفعول كذبح . وازورّ : انحرف وتباعد، والضمير المضاف اليه «وده» يعود على غير مذكور ، وكذلك أكثر الضمائر البارزة ، والصاحب هو الود ، أظهره في مقام الإضمار.

2) الطبائب : جمع طبيبة، وهي الجبيبة المواصلة المواسية ، وسماهن طبائب لأنهن يشفين مما يدوين قال ذو الرمة :

هي البرء والأسقام والهم والمنـى ... وموت الهوى في القلب مني المبرح

والمعنى : أنه شفى نفسه من ألم حب حبائبه البعيدات ما تلقى عينه من رؤية عبدة وما يلقاه قلبه، وقوله «وطبائبه» عطف على «ما تلقى» الاول «وكان» في قوله «وما كان يلقى» زائدة بعدما النافية .

3) كتب في الديوان «عن رام» والصواب «عرزام» بعين مكنسورة فراء فزاي، وهو القوي الشديد من كل شيء ، أي أقصر الفؤاد الشديد ونفد عزمه ، وكتب في الديوان «يميل به أمس الهوى» والصواب «مس» . شبه العشق بمس الجنون.

أخــوك الذي إنْ رِبْتَهُ قــالَ إنَّمَا أرَبْتُ وإنْ عَاتَبْتَــهُ لاَنَ جَــانِبُــهُ(1)
إذَا كنتَ في كل الذُّنُــوبِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذي لاَ تُعَاتِبُــهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أوْ صِلْ أخَاكَ فَإنَّهُ مُفَارِقُ ذَنْبٍ مَــرَّةً وَمُجَــانِبُــهْ(2)
إذَا أنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرارًا عَلَى القَذى ظَمِئْتَ، وأيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُــهْ
ولَيْــلٍ دَجُــوجِيٍّ تنــامُ بنــاتُــــــهُ
وأبْنــاؤُه مــن هــولــه وربــائِبُــــهْ(3)

---

1) في القاموس «رابني الأمر وأرابني» فدل على أنهما بمعنى واحد ، وفي لسان العرب : اعلم ان أراب يـأتي متعديا وغير متعد ، فمن عداه جعله بمعنى راب ، وأما الذي لا يتعدى فمعناه أتى بريبة كما يقال: الام بمعنى أتى بما يلام عليه. قال أبو زيد: يقال: رابني من فلان أمر إذا كنت مستيقنا منه بالريب ، فأما إذا أسأت الظن ولم تستيقن فإنك تقول : أرابني من فلان أمر اهـ. احتمل أن يكون جاء به قاصرا أو حذف مفعوله . وقد روي البيت (أربت) بضم التاء للمتكلم وروي بفتحها للمخاطب على أنه فعل ماض فيهما من أراب كما نص عليه أهل اللغة، وروي (أراب) مسندا الى ضمير الغائب، فعلى كلام القاموس يتعين ضم التاء، والمعنى إذا ربته وشككته في ودك أعرض عن ذلك ; وقال: إذا اعتقدت الريبة في أخي فقد صرت أنا هو المريب: فيكون التعبير أولا بالسالم وثانيا بالمهموز مجرد تفنن في الكلام كراهية إعادة اللفظ، وفي هذا المعنى على هذا القول تكلف، والظاهر ما في لسان العرب، فعلى رواية ضم التاء فكذلك، وعلى رواية فتح التاء فالمعنى إنما أظهرت لي ما يوجب سوء الظن فقط وليست بريبة محققة، وعلى رواية (أراب) فالمعنى مثل معنى فتح التاء الا أنه على تاء الخطاب يكون القول موجها الى معاد الكاف في قوله «أخوك» وعلى رواية الغيبة يكون القول قولا نفسيا في نفس الاخ . وموقع (إنما) في الروايات كلها لقصر القلب، فعلى رواية المتكلم فهو قصر موصوف على صفة وعلى رواية الخطاب والغيبة قصر صفحة على موصوف.

2) يروى «مفارق» بتقديم الفاء على القاف، وكذلك ثبت في الديوان ، وعليه فقوله «ومجانبه» هو اسم فاعل جانبه إذا جلس بجنبه، وروي في الأغاني وغيرها «مقارف» بتقديم القاف على الفاء ، وهو من المقارفة بمعنى المخالطة، فقوله «ومجانبه» اسم فاعل من جانبه إذا كان منه بجانب. أي بهجة أخرى أي بعيدا عنه.

3) «الدجوجي» بفتح الدال منسوب الى «الدجج» بضم الدال وبجيمين شدة الظلمة، وهو نسب على غير قياس. وبنات الليل وأبناؤه: هم الذين اعتادوا مواظبة السهر في الليالي ، وزاد (وربائبه) وأراد بهم المجاز عن الذين هم أضعف سهرا في الليالي ، وكأنه زاده هنا لمجرد قصد التعميم وتصريحا بالمفهوم تأكيدا، كقوله «تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم». وكتب في الديوان « من هوله » وأحسب أنه تحريف وأن صوابه « من طوله » .

حَمَيْتُ به عَيْنِــي وعينَ مطيّتي لذيذَ الكرَى حتّى تجلّتْ عَصَائبُهْ(1)
وَمــاءٍ تَرَى ريشَ الْغَطَاط بجوّه خفيِّ الْحَيَا ما إنْ تَليــنُ نَصَائبُهْ(2)
قَريبٍ مِنْ التّغْرير نَاءٍ عَن الْقُرَى سَقَاني به مُسْتَعْمِلُ اللّيْــلِ دَائبُهْ(3)
حَلِيفُ السُّرَى لَا يَلْتَــوِي بمَفَازَةٍ نَسَاهُ وَلَا تَعْتَلُّ منْهَــا حَوَالبُــهْ(4)
أَمَقُّ غُــرَيْــرِيٌّ كَــأنَّ قُتُــودَهُ عَلَى مُثْلَثٍ يَدْمَى مِنَ الْحُقْبِ حَاجِبُهْ(5)

---

1) حميت: منعت، ولما كان حمى بمعنى «منع» تعدى الى مفعولين مثل منع، وضمير «عصائبه» يعود الى الليل، والعصائب: الجماعات أراد بها ظلماته، فهو بطوله كأنه مجتمع ليالي كثيرة.

2) الغطاط (بفتح الغين المعجمة): جمع غطاطة، وهي القطاة، وقيل القطاة: ضرب من القطا طوال الأرجل، بيض البطون، غبرالظهور، واسعة العيون، بخلاف قصارالأرجل: صفر الاعناق، سود القوادم، صهب الخوافي، وتسمى الكدرية والجونية. والحيا: الخصب. والنصائب لعله (بصاد مهملة) جمع نصيبة، وهي حجارة تنصب حول الحوض ويسد ما بينها من الفروج بالمدرة المعجونة. وكتب في الديوان بضاد معجمة غلطا.

3) «مستعمل الليل»، أي الجمل الذي يسير بالليل، فهو اسم فاعل، مضاف الى الزمن على تقدير (في) مثل «مكر الليل».

4) النسا (بفتح النون وبالقصر): عرق من الورك الى الكتف، والحوالب (بالحاء المهملة) عرقان يكتنفان السرة الى البطن.

5) الأمق: الطويل، يقال: فرس أمق وجمل أمق، والغريري (بضم الغين المعجمة وبراءين): منسوب الى غريــر، فحل من الابل مشهور، اسمه غرير، ذكره في اللسان. والقتود (بقاف ثم تــاء لا بالياء) كما في الديوان سهوا، وبضم القاف جمــع قتد بالتحريك خشب الرحل. و «مثلث» بضم الميم وفتح اللام الذى له ثلاث أتن أو الذى له أتانان فصار معهما ثلاثا فهما أثلثاه أي جعلتاه ثالثا وهو هنا صفة محذوف أي حمار: أي كأن قتود هذا البعير موضوعة على حمار وحش، أخذه من قول النابغة:

كأني شددت الرحل حين تشذرت على قارح مما تضمن عاقــل

(الأبيات الأربعة). ورأيت في مجموعة أدبية هذا البيت بلفظ (سلب) عوض (مثلث). فهو بفتح السين وكسر اللام: الحمار الذى في حافره سلب، وهو تحدد الحافر. و «يدمى» كتب في الديوان «يــرمي» بالراء وبياء عوض الالف الممالة والصواب بالدال وبألف ممالة، أي يسيل الــدم من حاجب هذا الحمــار، والحقب: جمع الأحقب، وهو حمار الوحش للحقب، أي البياض الذى في بطنه وحمر الوحش كلها حقباء، ولذلك إذا قالوا الحقب او الأحقب فمرادهم حمار الوحش، قال ذو الرمة:

كأنا على أولاد أحقب لاحهــا ورمي السفا أنفاسها بسهــام

وحرف (من) للتعليل ومن تقدير مضاف، أي عض الحقب، و«حاجبه» فاعل «يدمى».

غَيُــورٍ عَــلَى أَصْحَــابِــهِ لَا يَــرُومُـــــهُ
خَلِيــطٌ وَلَا يَــرْجُــو ســوَاهُ صَوَاحِبُـــهْ(1)
إِذَا مَــا رَعَى سَنَّــيْنِ حَــاوَلَ مِسْحَــــلًا
يَجِــدُّ بِــهِ تَعْــذَامُــهُ وَيُــلَاعِـبُـــهْ(2)
أَقَــبُّ نَفَى أَبْنَــاءَهُ عَــنْ بَنَــاتِـــــهِ
بِــذِي الرَّضْــمِ حَتَّى مَــا تُحَسُّ ثَوَالِبُــهْ(3)
رَعَى وَرَعَيْــنَ الرَّطْــبَ تِسْعِيــنَ لَيْلَـــةً
عَلَى أَبَــقٍ وَالرَّوْضُ تَجْــرِي مَذَانِــبُـــهْ(4)

---

1) «غيور» وصف لـ«مثلث»، و«على» بمعنى «من» كما هي في حديث عمر رضي الله عنه «أعليك أغار يا رسول الله» وذلك أن حمار الوحش معروف بالغيرة على إناثه، وهو يتخذ زوجة لا يفارقها ولا يتركها تمشي مع غيره، كما وصفه لبيد في معلقته والنابغة في لاميته.

2) السن (بفتح السين): حسن الرعي، قال النابغة:

سن المعيدى في رعي وتعزيب

أراد أنه رعى رعيا بعد رعي حتى شبع فصار يلاعب المساحل، والمسحل: حمار الوحش، قال النابغة: «قد كدمته المساحل»
والتعذام (بفتح التاء وبالذال المعجمة): العض، ومعنى «يجد به... ويلاعبه» أنه عضه مرة جدا عن غضب ومرة ملاعبة.

3) (أقب) صفة لحمار الوحش، أي ضامر البطن، ومعنى «نفى أبناءه عن بناته» أنه لما كبرت أبناؤه وبناته استصفى بناته زوجات له وطرد أبناءه غيرة على الأتن، وقوله «حتى ما تحس ثوالبه» اعتذار للعير في نفيه أبناءه عن بناته، أي إنما فعل ذلك لئلا يشعر أبناءه بأنه اتخذ بناته حلائل له، وذلك من المثالب (يعني عند البشر)، وهذا من أبدع معاني الشعر. و«تحس» مضارع «أحس» مبني للمجهول سقطت منه الهمزة، والثوالب: جمع ثالبة، وهي الخصلة التي تثلب صاحبها، وذو الرضم: موضع، والرضم: الحجارة.

4) «تسعين ليلة» مدة الربيع، والأبق (بالتحريك) نبت كالكتان يتخذ من ليفه الحبال، وله حب ترعاه حمر الوحش.

والمذانب: جمع المذنب (كالمنبر) وهو الجدول يسيل من الروضة إلى غيرها.

فَلَمَّـــا تَــوَلَّى الْحَــرُّ وَاعْتَصَــرَ الثَّــــرَى
لَظَى الصَّيْـفِ مِنْ نَجْـمٍ تَوَقَّـدَ لَاهِبُـــهْ(1)
وَطَــارَتْ عَصَــافِيــرُ الشَّقَــائِـقِ وَاكْتَـسَى
مِنَ الْآلِ أَمْثَــالَ الْمُــلَاءِ مَسَــارِبُـــــهْ(2)
وَصَــدَّ عَـنِ الشَّــوْلِ الْقَــرِيعُ وَأَقْفَـــــرَتْ
ذُرَى الصَّــمْــدِ مِمَّـــا اسْتَوْدَعَتْـهُ مَوَاهِبُـــهْ(3)

---

1) في الديوان «فلما تولى الحر» بالحاء والراء المهملتين، وكذلك في الأغاني، فتكون جملة «واعتصر الثرى» الخ في موضع الحال. ويحتمل أنه تحريف «الجزء» بالجيم والزاي وبهمزة في آخره، والجزء هو استغناء الوحش بالنبت الرطب عن شرب الماء، قال لبيد:

.... جزءا فطال صيامه وصيامها

فتكون الواو عاطفة جملة «اعتصر الثرى» الخ على جملة «تولى الجزء». والاعتصار هنا: زوال ثرى الأرض كأن الحر يعتصر الأرض ليأخذ ماءها، والثرى: التراب، واعتصاره: إزالة رطوبته. شبهه بعصر الشيء ذي الماء، وقوله «من نجم» يحتمل أن يكون أراد نجما واحدا، فهو كوكب الشعرى، لأنها إذا طلعت ابتدأ الحر، ويحتمل أن يريد جماعة النجوم، أي من طوالع نجوم الصيف، أي المنازل الصيفية وهي: النعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرغ الأعلى.

2) «عصافير الشقائق» كذا في الديوان وفي الأغاني، فيحتمل أنه أراد بها نوعا من العصافير تسمى الشقائق واحدتها شقيقة، ويمكن أنها كانت تطير فراخها في مبتدأ الصيف، ويحتمل أنه أراد أوراق شقائق النعمان، وهو ينبت في الربيع فييبس في الصيف، وتذروها الرياح، فشبهها بالعصافير. وروي في تاريخ بغداد «عصافير الشقاشق» ولا يظهر له معنى، والملاء (بضم الميم) جمع ملاءة (بالضم) فهي ثياب، وروي في الأغاني:

من الآل أمثال المجرة ناضبه

شبه الآل بالمجرة. والناضب الذي لا ماء فيه لأن الآل يشبه الماء ولا ماء فيه، كقوله تعالى «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا».

3) الشول: جمع شائل وشائلة على غير قياس، وهي الناقة التي تشول بذنبها، أي ترفعه للقاح، والقريع: الفحل الشديد، سمي بذلك لأنه يقرع بالعصا لشدته، أي ترك الفحل شوله فلم يطرقها، وذلك في الصيف، والصمد: موضع سيذكره بشار في طالع الرجز:

يا طلل الحي بذات الصمد

و «مواهبه»: جمع موهبة بفتح الهاء ماء المطر، وضمير «مواهبه» عائد إلى «ذرى الصمد» أي أقفرت ذراه من الكلأ الذي كانت استودعته الأمطار.

وَلَاذَ الْمَهَا بِالظِّلِّ وَاسْتَوْفَضَ السَّفَا   مِنَ الصَّيْفِ نَئَّاجٌ تَخُبُّ مَوَاكِبُهْ(1)
غَدَتْ عَانَةٌ تَشْكُو بِأَبْصَارِهَا الصَّدَى   إِلَى الْجَأْبِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُخَاطِبُهْ(2)
وظَـلَّ عَلَى علياءَ يَقْسِمُ أَمْـرَهُ   أَيَمْضِي لِوِرْدٍ بَاكِرًا أَمْ يُوا(تِ)بُهْ(3)
فلمَّـا بدا وجْهُ الزِّمَـاعِ وَرَاعَهُ   من اللَّيْل وجْهٌ يَمَّمَ الْماءَ قارِبُـهْ(4)

---

1) استوفض : طلب الوفض، وهو السرعة ، قال تعالى «كأنهم إلى نصب يوفضون» ، والنئاج : الريح السريعة ذات الصوت ، ونأجت نئيجا فهي نؤوج ، وتخب : تسير الخبب ، وهو بضم الخاء في المضارع من جملة الأفعال التي جاءت على خلاف القياس في مضارع فعل المضاعف اللازم، شبه سيرها بسير الخيل، والمواكب : جمع موكب (بكسر الكاف) وهوالجماعة المجتمعة مشاة أو ركبا، وأراد هنا الركب من الخيل ، وفي حديث بدر « هذا جبريل في موكب من الملائكة » والمعنى أن الريح أطارت السفا .

2) «غدت عانة» جواب «لما»، والعانة : جماعة حمر الوحش، اسم جمع لا مفرد له مثل الإبل والسرب (للظباء) والرجل (للجراد) . والجأب و(بالجيم والهمزة) الحمار الغليظ ، وهو فحلها وقائدها، ومعنى الشكاية الشكاية بلسان حالها من شدة عطشها ، قال عنترة في فرسه :

....   وشكا إلي بعبرة وتحمحـم
لـو كان يدري ما المحاورة اشتكـى   ولكـان لو علـم الكلام مكلمي

فذلك قال بشار «تشكو بأبصارها الصدى إلى الجأب» وأراد أن العطش أغار أحداقها وأذبلها فعرف منها. الجأب : شدة العطش .

3) أي كان واقفا على مكان مرتفع يقسم أمره ، أي لم يدر ما يصنع ، يقال : قسم أمره إذا تردد فيه وتدبر ، قال الأعشى :

ويقسم أمر النـاس يومـا وليلـة   (وهم ساكنون والمنية تنطـق)

أي يدبر، والقسم : الشك، وقيل الرأي ، وهما متقاربان هنا لتلازمهما ، يعنى أن هذا التردد للخوف من ابتداء ظلمة الليل فتردد في ترك الورد إلى أن يصبح كما دل عليه البيت بعده .
وكلمة الروي هنا وقع فيها خرق سوس فلم يبق منها سوى (يوا... به) ؛ ولعلها (يواتبه) بالتاء المثناة الفوقية، أي يلازم مكانه، يقال : وتب يتب وتبا : ثبت بمكانه. وصاغ له وزن المفاعلة للتأكيد ، ويحتمل أنها يواربه بالباء الموحدة ، أي يحتال ويخاتل المضي إلى الورد حينئذ ولو مع اقتراب الليل .

4) الزماع (بفتح الزاي وكسرها) : العزم على الفعل . وجعل للزماع على طريقة الاستعارة : أي لما ظهر له أن ينزل إلى الماء وخاف من هجوم الظلام وهو في طريق الماء أسرع المسير إلى الماء ؛ (والقارب) هنا اسم فاعل من قرب (من باب نصر) إذا طلب الماء ليلا ، والمصدر القرب (بفتحتين) «فقوله» قاربه مضاف إلى ضمير الماء ، والقارب هنا هو الحمار، فأظهر في مقام الإضمار تفننا وتورية بالقارب الذي هو ضرب من الفلك يقصد الماء، وحسن التورية أنه قصد الماء فقوله «يمم الماء» ترشيح للتورية .

فَبَاتَ وقدْ أخفى الظَّلَامُ شُخُوصَها   يُناهبُهـا أُمَّ الْهُـدى وتُنـاهبُـهْ(1)
إذا رقصتْ في مَهْمَهِ اللّيل ضَمَّها   إلَى نَهجٍ مِثْلَ الْمَجَـرَّةِ لَاحِبُـهْ(2)
إلَى أنْ أصـابتْ فـي الْغَطَـاطِ شريعـةً
مِـن الْماء بالأَهْوال حُفَّتْ جوانِبُـهْ(3)
بهـا صَخَبُ الْمُسْتَوفِضـات عـلَى الْـولَى
كمـا صخِبتْ فـي يوْمِ قَيْظ جنادبُهْ(4)
فأقْبلهـا عُـرْضَ السَّريِّ وعيْنُـهُ
ترُودُ وفي النَّامُوس مـنْ هُـو راقبُـهْ(5)

1) «أم الهدي» المحجة الواضحة ، وأم كل شيء : معظمه وأهمه ، ومنه أم القرآن وأم الرأس. ومعني النهب: سرعة السير كأنه ينهب الأرض ، أي يجمعها عنده ، والمناهبة مفاعلة لأن الأتن تغدو والحمار يسير وراءها ، فكان كل منهما ينهب ما ينهبه الآخر ، فصارت مفاعلة. وقوله «يناهبها» هو خبر «بات» وما بينهما اعتراض .

2) والرقص: الخبب . وإضافة المهمه إلى الليل من إضافة الشيء إلى زمانه مثل قوله تعالى « بل مكر الليل والنهار». و « ضمها » أي أرجعها إلى الطريق. و«نهج» بالتحريك لغة في نهج بسكون الهاء و«لاحبه» فاعل «مثل» لأن «مثل» معناه مماثل ، فهو اسم فاعل يرفع الفاعل، واللاحب: الطريق الـواضح .

3) الغطاط : القطا ، كما تقدم ، ومعنى «أصابت شريعة الغطاط» أنها رأت أسراب الغطاط فعرفت أن ثمة ماء، فأصابته بين تلك الأسراب الحائمة حوله ، لأنها اعتادت أن تهتدي إلى الماء بحومان القطا. والشريعة: الماء الكثير. وأراد بالأهوال ما يهول الدواب الشاربة من ذلك المـاء وهم الصائدون .

4) الصخب (بفتحتين): الصوت القوي، وضمير «بها» يعود الى الغطاط. « المستوفضات»: القطا، لأن كل شبح يستوفضها. أي يحملها على الإسراع بالفرار. و«الولى» كتب باللام وبياء بعدها فاذا اعتددنا باللام كان المعنى على المـوالاة فتعين كسر الواو وهو اسم مصدر والى بين أمرين أي تابع . وتعين أن يكون الحرف الأخير ألفا غير ممالة لأنها ألف مخففة من الممدودة، وإن اعتددنا بصورة الإمالة تعين أن تكون الكلمة بنون عوض اللام، و«الونى» الضعف، و(على) بمعنى (مع) ، أى هي مسرعات مع تعبها. والجنادب : جمع جندب: نوع من الجراد يصرصر في شدة الحر، وضمير «جنادبه» عائد الى «يوم قيظ»

5) أي فأقبل الحمار بالأتن على السريّ ، وهو جدول الماء . وعرضه: جانبه، والناموس: حفرة يحفرها الصائد ليختفي فيها فيرمي منها سهمه على الوحش، و «من هو راقبه»: الصائد.

أَخُو صيغةٍ زُرْقٍ وصفْــراءَ سمْحةٍ يُجاذِبُها مُسْتحْصِـــدٌ وتُجــاذِبُهْ(1)
إذا رزمتْ أنَّــتْ وأنَّ لها الصَّدى أنين الْمريض للْمريض يُجاوبُــهْ(2)
كــأنَّ الْغنَــي آلَى يميناً غليظــةً عليْه خلَا ما قرَّبتْ لَا يُقــاربُــهْ(3)
يؤُولُ إلَى أُمِّ ابنْتَيْــن يــؤُودُهُ إذا ما أتاهــا مُخْفقــاً أوْ تُصاخِبُهْ(4)
فلمَّــا تدلَّى في السَّريِّ وغرَّهُ غليلُ الْحشا منْ قانص لَا يُواثبُــهْ(5)
رمى فأمرَّ السَّهْم يمْسحُ بطْنَــهُ ولبَّاتــه فانْصاع والْمـوْتُ كاربُــهْ
(ووافق) أحْجارًا ردغْــن نضيَّهُ فأصْبح منْهــا عامراهُ وشاخبُــهْ(6)

---

1) الصيغة (بكسر الصائد المهملة): صفة لـ(سهام) محذوفا، والصيغة التي هي عامل واحد على قدر واحد، وكتبه في الديوان بغير نقط، أي صاحب سهام زرق من شدة صقلها، قال امرؤ القيس:

ومسنونـة زرق كأنيـاب أغـــوال

وصاحب قوس صفراء، قال الشنفرى:

وأبيـض إصليـت وصفـراء عيطـــل

والسمحة (بحاء مهملة): القوس المواتية للرمي، والمستحصد: المحكم الشديد القوي، أراد به الوتر، ومعنى يجاذبها أنها لقوة عودها تمتنع عن الوترحين يجذبها حتى كأنها تجذبه.

2) «رزمت» صوتت صوتا يشبه الرزمة (بالتحريك)، وهو صوت يخرج من الحلق بدون فتح الفم، وهو استعارة.

3) أي أن رزقه محصور فيما تقربه اليه قوسه من الصيد، فكأن الغنى حلف أن لا يقربه الا بمقدار ما يصيده.

4) «يؤول» بمعنى يأوي ويرجع، «ويؤوده» يثقل عليه أن يأتيها مخفقا، أي خاليا، وتصاخبه (بالخاء المعجمة) أي تخاصمه وتصيح له و(أو) هنا عاطفة على «يؤوده»، وكلاهما صفة لأم، أي من صفتها أن زوجها يكره أن يرجع اليها خائبا وأنها ذات صخب معه، و(إذا) ظرف يدل على فاعل «يؤوده» المحذوف، أي يؤوده الإخفاق، و(أو) للتقسيم أي يؤوده إخفاقه ويؤوده صخبها معه.

5) «من قانص» متعلق بـ «غره» كقول امرىء القيس:

أغـــرك مني أن حبـك قـاتـلـي

6) موضع الكلمة الاولى خرقه السوس فبقيت بقايا الحروف، والظاهر أنها «ووافق». «وردعن» رددن وأوقفن، والنضي (بفتح النون وكسر الضاد المعجمة) ما بين العاتق الى الأذن، أي صادف الجأب أحجارا سقط عليها ميتاً، وقوله (عامراه وشاحبه) كذا كتب في الديوان، ولعل صوابه (عامداه) بدال عوض الراء. (شاخبه) بخاء معجمة عوض المهملة، والعامدان: حجران اعتمد عليها حين غلبه الموت؛ وهو مأخوذ من عمدت المريض إذا جعلت بجانبيه وسادتين يعتمد عليهما لأنه لا يستطيع الجلوس، ولأجل ذلك يقال للمريض المثقل: عميد، والشاخب: الحجر الذي صادف عنقه فجرحه في وريده، يقال: شخب أوداجه، أي قطعها.

يخافُ الْمَنَايا إنْ تَرَحَّلَتْ صاحبي ... كأنَّ الْمَنَايا في الْمُقَامِ تُناسِبُهْ(1)

فقُلْتُ لهُ: إنَّ العِراقَ مُقامُهُ ... وَخِيمٌ إذا هبَّتْ عليكَ جنائِبُهْ(2)

لعلَّك تستدْني بسيْرِك في الدُّجى ... أخا ثقةٍ تُجْدي عليكَ مناقِبُهْ

من الْحيِّ قيسٍ قيسِ عيلانَ إنَّهمْ ... عيونُ النَّدى منهمْ تُروَّى سحائِبُهْ

إذا الْمجحِدُ الْمحرومُ ضمَّتْ حبالَهُ ... حبائلُهُمْ سِيقَتْ إليْهِ رغائِبُهْ(3)

ويومٍ عبُوريٍّ طغا أوْ طغا بِهِ ... لظاهُ فما يَرْوَى من الْماءِ شاربُهْ(4)

رفَعْتُ به رَحْلي على مُتَخَطْرِفٍ ... يَزِفُّ وقدْ أوْفَى على الْجَذْلِ راكبُهْ(5)

وأغْبَرَ رقَّاصِ الشخوصِ مَضَلَّةٍ ... مَوارِدُهُ مَجْهولَةٌ وسَباسِبُهْ(6)

لِأَلْقَى بني عيْلانَ، إنَّ فعالَهُمْ ... تزيدُ على كُلِّ الْفَعالِ مَراكِبُهْ(7)

أُلاكَ الأُلَى شَقُّوا الْعَمَى بسيوفِهمْ ... عَنِ الْغَيِّ حَتَّى أبْصَرَ الْحَقَّ طالبُهْ(8)

إذَا رَكِبُوا بالْمَشْرَفيَّةِ والْقَنا ... وأصْبحَ مَرْوانٌ تُعَدُّ مواكِبُهْ

فأيُّ امْرِئٍ عاصٍ وأيُّ قبيلةٍ ... وأرْعَنَ لَا تبكي عليْهِ قرائِبُهْ(9)

---

1) انتقال اقتضابي، و«تناسبه» تكون له ذات نسب فهي لا تضره.

2) الجنائب: جمع جنوب بمعنى ريح الجنوب، وأشار بذلك إلى ما شاع عند الناس من تهييج ريح الجنوب روائح الكنف بالبصرة، كما سيأتي في حرف الشين من شرح الملحقات.

3) المجحد: اسم فاعل من أجحد الرجل إذا ذهب ماله، وضم الحبال: كناية عن المخالطة.

4) لعله أراد بالعبوري: الطويل نسبة إلى العبور، وهو الرجل الذي لم يختن لأنه لم ينقص منه شيء.

5) المتخطرف: الواسع الخطوات يعني به الجمل، ويزف (بكسر الزاي) أي يسير سيرا كسير النعام في السرعة، لأن الزفيف جري النعام، والجذل: الجبل، أي أن راكبه كالجبل في ارتفاعه.

6) «أغبر» أي مكان كثير الغبار، و«رقاص الشخوص» بمعنى فيه السراب، لأن الناظر يتخيل أن الشخوص ترقص فيه، والمضلة: ما يضل فيه السائر.

7) الفعال (بفتح الفاء): الفعل الحسن خاصة، والمراكب: عظائم الأمور، يقال: يركب المراكب الصعاب، ورواه في الأغاني (مراتبه) وهو أولى.

8) (ألاك) لغة في (أولئك) لأن (أولى) مقصور وممدود، وهو إشارة، وقوله (الألى) موصول جمع الذي.

9) الأرعن: الجيش العظيم، أى تبكي على قتلاه، أي كل أولئك تبكي عليهم قرائبهم.

وَسَامٍ لمرْوانٍ ومِنْ دُونِهِ الشَّجَــا وهولٌ كلُجِّ الْبحْرِ جَاشتْ غواربُهْ(1)
أحلَّتْ بــه أمُّ الْمنايا بناتِهــا بأسْيافِنــا ، إنَّا رَدَى مَنْ نُحاربُــهْ(2)
وما زال منَّا مُمْسكٌ بمـدينـة يُراقِبُ أوْ ثَغْرٍ تُخافُ مَـرَازِبُـهْ(3)
إذا المَلِكُ الْجبَّـارُ صَعَّر خدَّهُ مَشَيْنــا إليْه بالسُّيـوف نُعاتبُــهْ
وكُنَّا إذا دَبَّ الْعدُوُّ لسُخْطِنَــا وراقَبْنـا في ظاهـرٍ لا نُـراقبُـهْ
ركِبْنــا لهُ جهْرًا بكُلِّ مُثقَّــفٍ وأبْيضَ تَسْتَسْقِي الدِّمـاءَ مضاربُـهْ
وجيْشٍ كجُنْحِ الليْلِ يرْجُفُ بالْحَصَى وبالشَّوْل والْخطِّيِّ حُمْرٌ ثعالبُــهْ(4)
غَدَوْنا لهُ والشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهـا تُطالِعُنا والطَّلُّ لمْ يجْرِ ذائبُــهْ(5)

---

1) السامي هنا : القاصد ، كأنه يرتفع لينال ما يطلبه من أمر صعب ، قال امرؤ القيس :
سموت اليها بعد ما نام أهلهــا
وأراد أنه قاصد للحرب .
والشجا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه ، شبه به ما يعترض من الصعاب لمعادي الممدوح . والغوارب : أعالي الموج .

2) جعل للمنايا أما ، وجعل لها بنات ، وهي الميتات المختلفة المتشعبة على نحو ما مر في شرح البيت 8 من الورقة 70 وكتب في الديوان «له أم المنايا بناتها» وهو تحريف، والصواب ما اثبتناه تبعا للأغاني .

3) المرازب : جمع مرزبان (بفتح الميم وضم الزاى) وهو الرئيس ، أصلها فارسية وعربت ودخلت في العربية من قديم ، قال أمية بن أبي الصلت يرثي من قتل ببدر من المشركين :
ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة جحاجح
وإنما خص المرازبة لأن أكثر الثغور البرية للسلطنة الاسلامية يومئذ في تخوم بلاد العجم من جهة الهند والصين . وكتب في الديوان «ممسكا» بالنصب ولا يصح .

4) كتب في الديوان «يرجف» براء وجيم، والرجيف : دوي الأصوات وصوت الرعد، أي له دوي كرجف الرعد. ورواه في الأغاني (يزحف) بزاي وحاء مهملة، أى يهجم، ومنه جاء لفظ «الزحف»، والحصى: العدد الكثير. والشول تقدم في 21 من الورقة 73 والخطي : الرمح ، والثعالب : جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في حديدة السنان .

5) قوله «والطل لم يجر ذائبه» ثبت في الديوان بالطاء المهملة ، فهو الندى ، لأن الطل يطلق على الندى. والمعنى أنهم غدوا بكرة عند ابتداء الشروق وقبل أن يسقط الندى الذي في الأشجار على الارض كأنه تذيبه الشمس .

بِضرْبٍ يذُوقُ الْموْتَ منْ ذاقَ طَعْمَهُ   وتُدْرِكُ منْ نَجّى الْفِرارُ مثالِبُـهْ(1)
كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوْقَ رُؤُوسِهِـمْ   وأسْيافَنا ليْلٌ تَهاوَى كَواكِبُـهْ(2)

---

1) «الفرار» فاعل «نجى» ومفعوله ضمير محذوف هو عائد الصلة، أي من نجاه الفرار، ومثالبه فاعل تدرك، و(مثالبه) جمع مثلبة وهي الفعلة التي يثلب صاحبها، أى يذم.

2) «النقع» غبار الحرب، أي النقع الذى أثارته الخيل والرجال في الزحف، وكتب في الديوان «فوق رؤوسهم» ورواية الأغاني وأكثر كتب العربية والأدب (رؤوسنا). والرواية التي في الديوان أرشق، لأن النقع وإن كان فوق رؤوس الفريقين الا أن الشاعر أراد أن يتوصل بجعل النقع فوق رؤوس الأعداء الى إفادة أن سيوف جيش قومه كانت واقعة على رؤوس الأعداء مع ذلك النقع، لأن أسيافنا مفعول معه أو معطوف عليه، ولو قال (فوق رؤوسنا) لما كان لذكر الرؤوس خصوصية، إذ يكفيه أن يقول: فوقنا. وهذا البيت هو الذى أكسب بشار شهرة في النبوغ في الشعر، وذلك أنه جمع فيه تشبيه مركب بمركب، فجمع تشبيهين في تشبيه، وبذلك فاق امرأ القيس في التشبيه في قوله:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسـا   لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقد نقل عن بشار أنه قال: مازلت منذ سمعت قول امرىء القيس مهتما بأن أشبه تشبيها مثله حتى قلت: كأن مثار النقع... الخ.

قال الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة ما حاصله: هذا التشبيه مركب يريك الهيأة التي ترى عليها النقع المظلم والسيوف في أثنائه تبرق وتعلو وتنخفض، وترى لها حركات من جهات مختلفة حين يحمى الجلاد، وليس القصد تشبيه النقع بالليل من جانب السيوف بالكواكب من جانب، ولذلك وجب أن يكون قوله «وأسيافنا» في حكم المفعول معه لـ«مثار»، لئلا يقع في التشبيه تفريق ويتوهم أنه كقولنا: كأن مثار النقع ليل وكأن السيوف كواكب.

وقال في موضوع آخر بعد أن ذكر التشبيه المفصل ما حاصله: والمثال في ذلك قول بشار: كأن مثار النقع... البيت مع قول المتنبي:

يزور الأعادى في سماء عجاجـة   أسنته فـي جانبيها الكواكـب

أو قول عمرو بن كلثوم:

تبني سنابكها من فوق أرؤسهـم   سقفا كواكبه البيض المآتيـر

إلا أنك تجد لبيت بشار من الفضل وكرم الموقع ولطف التأثير في النفس ما لا يقل مقداره ولا يمكن إنكاره. وذلك لأنه راعى ما لم يراعه غيره، وهو أن جعل الكواكب تهاوى، فأتم الشبه وعبر عن هياة السيوف وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب. ولم يقتصر على أن يريك لمعانها في أثناء العجاجة كما فعل الآخران، وهذه الزيادة إنما أتت في جملة لا تفصيل فيها، فإن حقيقة تلك الهيأة لا تحصل في النفس إلا بالنظر الى أكثر من جهة واحدة. وذلك أن تعلم أن لها في حالة احتدام الحرب واختلاف الأيدى بها اضطرابا شديدا وحركات سريعة، وأن لتلك الحركات جهات تختلف وأحوالا تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض. فقد نظر هذه الدقائق في نفسه ثم أحضرك صورها –

بَعَثْنا لهُمْ موْتَ الْفُجاءةِ إنَّنــا بنُو الْمُلْك خفَّاقٌ علينــا سَبائبُــهُ(1)
فراحُوا: فريقاً في الإسارِ ومثْلُــهُ قتيلٌ ومثْلٌ لاذَ بالْبحْرِ هارِبُــهُ(2)
وأرْعنَ يغْشي الشَّمْسَ لونُ حديدهِ وتخْلُس أبصارَ الْكُماةِ كتائبُــهُ(3)
تَغَصُّ بِهِ الأرْضُ الْفضاءُ إذا غدا تُزاحِمُ أرْكانَ الجِبالِ مَنــاكِبُــهُ(4)

— بلفظة واحدة، وهي قوله (تهاوى) لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها تواقع وتداخل.

وقال العباسي في معاهد التنصيص: وقد أخذ هذا المعنى منصور النميري فقال:

ليل من النقع لا شمس ولا قمــر إلا جبينك والمذروبة الشــرع

وأخذه مسلم بن الوليد في قولـه:

في عسكر تشرق الارض الفضاء به كالليل أنجمه القضبان والأســـل

وابن المعتز حيث قال:

وعم السماء النقع حتى كأنـــه دخان وأطراف الرماح شــرار

والمتنبي في قوله:

فكأنما كسي النهار بها دجــى ليل وأطلعت الرماح كواكبـــا

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد:

كأن دخان العود والند بيننـــا وأقداحنا ليل تهاوى كواكبـه

1) رواه في الأغاني (بنو الموت) والذي في الديوان أظهر، لأن المقام مقام افتخار بالنصر مع الخليفة يناسب أن يقول: إنهم ورثة ملك وشأنهم الانتصار، ويؤيده أيضا قوله: خفاق علينا سبائبه، وأما قولهم: (بنو الموت) فهو شائع في مقام الاستخفاف بالنفس في الشدائد، كما قال الأعرج الحماسي:

نحن بنو الموت إذا الموت نــزل لا عار بالموت إذا حم الاجــل
الموت أحلى عندنا من العســل

وقول المتنبي:

إذا شئت حفت بي على كل سابــح رجال كأن الموت في فمها شهد

والسبائب: جمع سبيبة، وهي الشقة من الثوب، أراد بها الرايات.

2) في هذا البيت من المحسنات حسن التقسيم، والمراد بالبحر: نهر الفرات، أي سبحوا في الماء هروبا من القتل، وهذا كقول قطري:

غــداة طفت عَ الماء بكر بن وائــل وعجنا صدور الخيل نحو تميــم

أراد «على الماء» فاختزل لام «على». ونصب «فريقا» على أنه حال مفردة. وفي رواية الأغاني: (فراحوا فريق في الإسار ....) فالجملة هي الحــال.

3) الأرعن: الجيش الكثير العدد، شبه بالجبل.

4) مناكب الجيش: نواحيه وجوانبه.

كأنَّ جنَابَاوَيْه مِنْ خمِس الْوَغَـى شَمامٌ وَسلْمَى أَوْ أجاً وكواكبُهْ(1)
تركْنا بهِ كلْبًا وَقحْطانَ تبْتغِـــي مُجيرًا من القتْل المُطلِّ مَقانبُهْ (2)
أبَاحَتْ دِمَشْقاً خيلُنا حين أُلْجمَـتْ وآبَتْ بِهَا مغْرُور حِمْصٍ نوَائبُه (3)
وَنـالـتْ فِلِسْطِـينًا فعَرَّدَ جَمْعُهَـــا عَنِ الْعارض المُسْتنِّ بِالْمَوتِ حَاصِبُه(4)
وقدْ نزلتْ مِنَّا بِتدْمُرَ نـوْبَـــــةٌ كذاكَ عُرُوضُ الشَّرّ تعْرُو نوائبه(5)

---

1) الجنــاباوان : تثنية جنــابى (بالقصر) وهي ناحية الوادي والطريق ، وأراد هنا ميمنة الجيش وميسرته، والمعروف أنها (المجنبتان) تثنية (مجنبة) بكسر الميم وفتح النون، وإنما سميتا مجنبتين لأنهما تأخذان ناحيتي الطريق اليمنى واليسرى، ولذلك تصرف بشار فسمى الميمنة والميسرة جناباوين ، وهو تصرف صحيح ، فلعل (جنابى) من أسماء جانب الجيش ، وإن أهمله القاموس وغيره، فإن بشار حجة في العربية . و «خمس» وقع في الديوان بفتح الخاء المعجمة وكسر الميـم ، وأراد به الجيش ، فإنه يقال له : الخميس ، لأنه خمس فرق: الميمنة والميسرة والقلب والساقة والمقدمة ، فإما أن يكون بشار خففه للضرورة بحذف يائه ، كما أشبعوا ما ليس بمشبع لذلك ، فمن حذف حرف المد قول الشاعر، أنشده ابن الأنبارى في كتاب الإنصاف :

فلو أن الأطبـاء كانُ حـولي وكان مع الأطبــاء الشفــاء

أراد «كانوا حولي» وقول الآخر ، أنشده ابن الانبارى :

ولكن ببدر سائلوا عن بلائنــا على الناد والأنباء بالغيب تبلـغ

أراد «النادى» ، ومن إشباع ما ليس بمشبع قول عنترة :

ينبـاع من ذفرى غضوب جسرة

أراد «ينبع» . و «شمام» (بفتح الشين والتخفيف) اسم جبل لباهلة ، وسلمى : أحد جبلي طيء ، وأجأ : جبلهم الثاني ، وكواكب: جمع كوكب وهو الجبل، فلعل أجأ كانت فيه عدة جبال لأنه أضاف إلى ضمير أجأ .

2) أشار الى انتصار مروان على الكلبيين واليمنيين، وسمى الأماكن التي وقع فيها القتال، والمقانب جماعات من الخيل تجتمع للغارة .

3) دمشق: (بكسر الدال وبفتح الميم وبكسرها أيضا) قاعدة بلاد الشام ومقر الخلافة الأموية. ومغرور حمص : هو ثابت بن نعيم الجذامي ، وهو الذي ثار بحمص كما تقدم ، وصلبه مروان على باب دمشق ، وحمص : قاعدة كورة من كور الشام سكانها يمنيون .

4) فلسطين (بكسر الفاء وفتح اللام) كورة من كور دمشق بها بيت المقدس، و«عرد» هرب ، والعارض : السحاب ، والمستن : المنصب ، والحاصب : الرامي بمثل الحصى أي بالبرد

5) تدمر (بفتح التاء وضم الميم) مدينة عظيمة أزلية بناها أذينة ملك النبط في حكم الرومان. والعرب تزعم أنها من بناء سليمان بنتها له الجن ، قال النابغة :

وسخر الجن إني قد أذنت لهـم يبنون تدمر بالصفاح والعمـد

تَعُـودُ بِنفْسٍ لا تزلُّ عنِ الْهُــدَى كمَا زَاغَ عَنْهُ ثابِتٌ وأقاربُه(1)
دَعَا ابْنَ سِمَاكٍ للْغَوايَةِ ثابِــــتٌ جِهَارًا ولمْ يُرْشِدْ بَنِيهِ تَجَاربُه(2)
ونادَى سَعِيدًا فاسْتصبَّ من الشّقَــا ذَنُوباً كمَا صُبَّتْ عَلَيْهِ ذنائبُه(3)
ومِن عَجَبٍ سَعْيُ ابْنِ أغنمَ فِيهِــمُ وَعُثْمَانَ، إنَّ الدَّهْرَ جمٌّ عَجَائبُه(4)
ومَـا مِنْهُمَــا إلاَّ وطـار بِشخْصِــــهِ
نجِيـــبٌ وطــارَتْ للكِــلابِ رَوَاجِبُــــه(5)
أمَرْنـــا بهِــمْ صَــدْرَ النَّهَــارِ فصُلِّبُــــوا
وأمْسَى حَمِيــدٌ يَنْحِتُ الْجِـذْعَ صــالبُــــه(6)
وَبَــاطَ ابْنُ رَوْحٍ لِلْجَمَـاعَــةِ إنَّـــــهُ
زَأَرْنــا إلَيْــهِ فاقْشعَــرَّتْ ذَوَائبُــــه(7)

---

1) ضمير «تعود» عائد الى خيلنا في البيت الذى سبق. ولعله أراد : «نفس» نفس الخليفة إذ كان مع جيوشه ، «وثابت» تقدم ذكره .

2) (ابن سماك) لم أقف على ترجمته ، وثابت : هو ابن نعيم الجذامى ، والضمير في (بنيه) يعود على ثابت ، وهم ثلاثة صلبوا معه على أبواب دمشق .

3) أي ونادى ثابت سعيدا ، وهو سعيد ابن هشام بن عبد الملك الذي كان خلفه أخوه سليمان ابن هشام على حمص حينما فر سليمان الى تدمر، وقوله «فاستصب من الشقاء ذنوبا» أي أخذ حظا عظيما من الشقاء، شبه ما أصابه من الشقاء بماء غزير يصب من ذنوب، والذنوب : (بفتح الذال المعجمة): الدلو ، أخذ هذا المعنى من قوله تعالى « فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم ».

4) «ابن أغنم» لم أقف عليه، وعثمانهو عثمان بن سعيد بن هشام بن الخيبري وقد أسره مروان ابن محمد مع أبيه سعيد ، وكان مع الضحاك بالكوفة كما سيأتي .

5) في المصراع الاول موضع كلمة بياض «إلا . . . طال» ولعله موضع واو زائدة بعد الاستثناء . وكتب في الديوان (طال) باللام والصواب أنه بالراء ، ، والرواجب : جمع راجبة ، وهي المفاصل .

6) أشار الى تصليب من صلب، وهم خمسمائة من قتلى حمص، و (حميد) لم أقف عليه، ومعنى «ينحت الجذع صالبه» أنه سيصلب قريبا.

7) (ابن روح) لعله عبد الله بن يزيد بن زنباع الجذامي ، والذوائب : شعر الرأس .

وبالكُوفةِ الحُبْلَى جَلَبْنا بخَيْلِنـــا عَلَيهمْ رَعِيلَ المَوْتِ إنَّا جَوَالبُـــه (1)
أقمْنا عَلى هَذا وَذاكَ نَسَـــــاءَهُ مَـــاتِمَ تدْعُـــو للبُكا فتُجَاوِبـــه (2)
أيَامَى وَزَوْجَـــاتٍ كأنَّ نِهاءهَـــا عَلى الحُزْنِ أرْءامُ المَلا وَرَبَاربُـــهْ (3)
بَكَيْنَ عَلى مِثْـلِ السِّنانِ أصَـــابَهُ حِمَامٌ بأيْدِينا فهُنَّ نَوادِبُـــــه
فلمَّا اشْتفيْنـــا بالْخَليفةِ مِنْهُـــمُو وَصَـــالَ بِنَا حَتَّى تقضَّتْ مآربُـــه
دَلَفْنَا إلَى الضَّحَّـــاكِ نَصْرِفُ بالرَّدَى ومَرْوَانُ تَدْمَى مِنْ جُذَامَ مَخَالِبُهْ (4)
مُعَدِّيـــنَ ضِرْغـــامًـــا وَأسْـودَ سَـالِخًـــــا
حُتُـــوفاً لِمَـــنْ دَبَّتْ إلَيْنَـــا عَقَـــارِبُـــــهْ (5)

---

1) الكوفة: مدينة العراق في عهد الدولة الاموية، اختطها عمر بن الخطاب، ووصف الكوفة بالحبلى، ولبعض المدن أوصاف مثل: المدينة المنورة، والقسطنطينية البحراء، ودمشق الفيحاء، ومراكش الحمراء، وتونس الخضراء، والكوفة العذراء، ولم أقف على وصف الكوفة بالحبلى، فالظاهر أن بشارا أراد التعريض لأنها تغيرت عن حالها فصارت حبلى يسكنها أهل الفتن، يشير الى انتقاض أهل الكوفة سنة 128، وقوله «حلبنا» كتب في الديوان بحاء مهملة. وكذلك كتب «حوالبه» والصواب أنهما بالجيم. وجمع جالب على جوالب للضرورة وقياس جمعه جُلاب.

2) المآتم: جمع مأتم، وهو مجمع النساء مطلقا في الخير والشر. قال أبو حية النميرى:

رمتـــه أناة من ربيعـــة عامـــر نؤوم الضحى في مأتـــم أي مأتـــم

ثم غلب على مجامعهن في الموت كما هنا، وقوله «مآتم» نصب على البدل من قوله «نساءه». وكتب «تدعو» ولعله «تدعى» أو «يدعوها البكاء».

3) النهاء (بكسر النون) جمع نهية، وأصلها: الناقة السمينة، وأراد بها هنا حسان النساء، لأن أحسن النوق سمانها. ولعله تحريف «نساءها» والضمير عائد على «مآتم». وأرءام (مثل آرام) جمع رئم، بمعنى الظبي الأبيض.
الملا: الرمل. ورباب: جمع ربرب، وهو قطيع من بقر الوحش.

4) «دلفنا» تقدمنا. والضحاك: هو الضحاك بن قيس الشيباني رأس أهل الكوفة. وقد قتل سنة 129. وأراد بمروان: الخليفة، وشبهه بالأسد على طريقة المكنية. و«تدمى» تخييل؛ فقال. «تدمى من جذام مخالبه» أي من دماء جذام. وجذام (بضم الجيم) قبيلة ثابت بن نعيم.

5) الضرغام: الاسد. والاسود: الثعبان. أراد أننا أعددنا للعدو عتادا أشد من عتادهم. «حتوفا» جمع حتف. وانتصب على الحال من ضرغام وأسود. وفي البيت محسن جمع النظائر.

وما أصبحَ الضَّحَّاكُ إلاَّ كتَابــــتٍ عَصَـــانَا فَأرْسلْنَـــا المنيَّةَ تَادبُهْ (1)

* * *

وقال ايضا يمدح المهدي بالله أمير المؤمنين رضي الله عنه(*):

يا صـاحبَـيَّ العشيَّـةَ احتسِبَـا جَدَّ الهـوى بالفَـتَى ومـا لَعِبـا
وَاللهِ وَاللهِ مَـــا أنَـــامُ وَلاَ أملِكُ عَيْنِي دُمُوعَهَـــــــا طَرَبا(2)
أبقَى لَنَا الدَّهرُ مِنْ تَذَكُّرِ مـــنْ قَدْ كَانَ جَارًا فَبَــانَ وَاغْتربَـا
للهِ دَمْعِي ألاَّ أُكَلِّمَـــــــــهُ يَوْمَ غَـدَا في السُّلاَفِ مُنْشَعِبَـا(3)
ما كَانَ ذَنْبي أنِّي شقيتُ بِـــهِ وَشُؤْمُ عَيْنٍ كَـانَتْ لَنَـا سَبَبَـا
أفْرَغْتُ دَمْعِي عَلَى الحَبِيبِ فَاعْـــ جَبْتُ رِجَـالاً ولَمْ أكُنْ عَجَبَـــا
قَبْلِي تَصَابَى الفَتَى وَمَـــالَ بِـهِ حُـبُّ المَعَاصِيرِ عَفَّ أوْ طَلَبَـــا(4)
مَا كَانَ حبِّي سَلْمَى وَرُؤْيَتَهـــا إلا قَذَى في مَـدَامِعِي نَشِبَـــا

---

1) تأدبه: أي تدعوه الى المأدبة، كما يرسل صاحب الوليمة رسولا يدعو اليها الناس، وهذه استعارة تهكمية، كقول عمرو بن كلثوم:

نزلتـم منـزلا الأضياف منـا فعجلنا القرى أن تشتمونـــا

ولكن بيت عمرو أبلغ من بيت بشار، لأن عمرا مهد لها بقوله: نزلتم الخ، وبشار قال «عصانا» والعصيان لا يناسب الدعوة الى المأدبة.

*) وقال أيضا يمدح الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين رضي الله عنه، وهذه القصيدة قالها في المهدي في السنة الثانية من خلافته، وأجازه المهدي عليها بخمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادة كل سنة، وقد ذكرت ذلك في الكلام على غرام بشار من المقدمة. وهي من بحر المنسرح، وعروضها صحيحة وضربها مطوي، وقد مرت أبيات منها في الورقة 57 وأعيدت هنا.

2) الطرب: التأثر من فرح أو حزن، والمراد هنا الثاني. و«دموعها» بدل من «عيني» بدل اشتمال.

3) «لله دمعي». دعـاء يستعمل فـي التعجب، و«ألاّ أكلمه» مجرور بحرف (على) محذوفا وضميرا «غدا ومنشعبا» عائدان الى «من قد كان جارا».

وضبط «السلاف» في الديوان بضم السين ولا وجه له، فلعله السِّلاف (بكسر السين): جمع السليف بمعنى الطريق، ومعنى «منشعب»: متباعد.

4) المعاصير: جمع معصر (بضم الميم وكسر الصاد) وهي البنت في أول ما تدرك.

أريد نِسْيَانَهَا فَيُذْكِرُنِـــــي   مَا بَاتَ فِي الْجَارَتَيْنِ مُكْتَسَبــا(1)
لله سَلْمَى إذْ لاَ تُطِيعُ بِنَـا الْـــ   وَاشِـي وإذْ لاَ نُطِيعُ مَنْ عَتَبــا(2)
تَدْنُو مَعَ الذِّكْرِ كُلَّمَـا نَزَحَتْ   حَتَّى أرَى شَخْصَهَـا ومَـا اقْتَرَبَا(3)
وَيَوْمَ أَشْكُو إلى أسَامَةَ مَـــكْـ   نُونَ الْهَوَى فَاسْتَطَارَ وَالْتَهَبــا(4)
قَالَتْ سُلَيْـمَى أعِنْدَنَـا شُغُـلٌ   عَنْـكَ ولكنْ لا تُحسِـنُ الحَلَبـا(5)
أكْرِمْ خَلِيطاً تَنَلْ كَرَامَتَـــــهُ   لَسْتَ بِجَانٍ مِنْ شَوْكِهِ عِنَبـا (6)
زَيْنَ الْجَوَارِي خُلِقْتِ مِنْ عَجَبِ   والْحِرْصُ عَجْلاَنُ يَفْضَحُ الأَدَبـا
وبـالنَّقَـى والْعُيُـونُ حـاضِرَةٌ   عَيَّنَنَـا كُـلَّ شَـارِقٍ عَقَبــا(7)
دَسَّتْ إِلَيَّ الْبَنَّـانَ تُخْبِـرُنِي   عَنْهَـا فَمَنَّى وَرُبَّمـا كَـذَبـا(8)

---

1) أراد بالجارتين عينيه .

2) كتب في الديوان « واش » وهو خطأ فالصواب « الواشي » وهذا وإن كان لا يسلم من مخالفة ترك ظهور الفتحة على الياء الا أن ذلك أقل أقبحاً من إزالة الياء بدون موجب .
وقوله « وإذ لا نطيع » ثبت هنا بنون، وثبت في الورقة 57 بتاء فوقية ، وكلاهما صحيح .

3) يريد بقوله «تدنو مع الذكر . . .» الخ أنه يتذكرها كلما بعدت فيدنيها الذكر الى نفسه حتى يتخيلها حاضرة قريبة وهي بعيدة .

4) « أسامة » اسم رجل .

5) « لا تحسن الحلب » أي لا تعرف تصاريف الأمور وحيلها، وهذا ينظر الى قولهم: حلب الدهر أشطره . وقوله « أعندنا » الاستفهام إنكاري ، أي : ما عندنا ، بقرينة قوله « ولكن » ، أي نحن لا نشغل عن زيارتك ولكننا نتركها توقيا .

6) المعنى أن الإحسان لا يجلب الإساءة ، فاذا أكرمت حبيبك أكرمك لا محالة، فقوله « لست بجان من شوكه عنبا » استدلال على ضد الأمر ، أي فإن لم تكرمه لم يكرمك إذ لا يجتنى العنب من الشوك ، أي لا يجتنى الحسن من السيء .

7) قوله « بالنقى » متعلق بـ « دست » في البيت بعده، والعيون : الرقباء ، والشارق : الشمس ، والمراد وقت طلوعها، ومعنى «عيننا» عين لنا ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل الى المجرور فصار مفعولا ، و « عقبا» مفعول عين، أي كانت الرقباء تتعاقب علينا كل صباح .

8) «البنان» وضع علامة شد على النون الاولى ولعله اسم رجل ، « تخبرني » كتب في الديوان بالتاء، أي تخبرني سلمى عن نفسها بواسطته .

كانتْ علَى ذاك ثمَّتَ انقلبتْ ... كما دعوتُ الـزَّماعَ فانْقلب

كم منْ نعيمٍ نلْنَا لَـذاذَتَـهُ ... ومجْلسٍ عاد ذِكْرُهُ نَصَبَـ

لـمْ يَبْقَ إلَّا الْخيالُ يُـذْكِـرُني ... مـا كـان منْهـا وكان مُطَّلَبـ

دعْ عنك سَلْمَـى شَجَى لِطالِبهـا ... لَا يسْبقُ الرَّأيُ دُون مـا كُتِبَـا

سـأتْـرُكُ الْغُـرَّ للْعُيُـونِ ولَا ... أتْرُكُ شُرْبَ الصَّهْبـاء والْغَـرَبَـا

ومِلْـكٌ تسْجُـدُ الْمُلُـوكُ لَـهُ ... مُوفٍ علَى النَّاس يـرْزُقُ الْعَـرَبَـا

راعٍ لأحْسابنـا وذِمّتنـا ... يُمْسِي دُوَارًا ويَغْتَـدِي نُصُبـا

---

1) الزماع تقدم في البيت 25 من الورقة 73 أنه : العزم على الفعل ، والمعنى أنها تغيرت حالة مواساتها له ، وضبط في الديوان تاء « دعوت » بضمة ، ويظهر أنها مفتوحة ، خطابا لغير معين، أي يدعو داع .

2) كتب « الرائدون » وهو تحريف ، صوابه « الرأي دون » كما هو مكتوب في الورقة 57 . وهذا البيت سبق مع الأبيات الثمانية الموزعة على هذه القصيدة كما نبهنا عليه في ورقة 57.

3) يريد أنه أعمى فلا يحاول التمتع بالغيد الحسان بل هو يقبل على شرب الصهباء والغرب ؛ و«الغرب» بفتح الغين المعجمة وبفتح الراء: الخمر، ونصبه على المفعول معه أي شرب الخليط من الصهباء والغرب .

4) و« ملك » مرفوع على الابتداء، والواو عاطفة للجملة . وليست واو رب، لأنه عنى ملكا معينا، وهو الممدوح ، ولم يعن عدة ملوك ، وخبر المبتدأ قوله « ساورت » في البيت الآتي بعد عشرة أبيات وما بينهما جمل معترضة.

5) الدوار بضم الدال وتشديد الواو، وخففه هنا للضرورة ، كما خففوا « ميت وهين » ، وقد خففه امرؤ القيس في قولـه:

عذارى دوار في ملاء مذيل

وهو الصنم الذي يطوفون حوله، ويطلق على الكدية من الرمل لأنها تدور حولها الوحوش، وقد فسر بالمعنيين قول النابغة :

كأنهن نعاج حول دوار

والنصب: الصنم أيضا، والجمع الأنصاب، وقيل: الصنم ما كان تمثالا وهو الذي يطاف به. والنصب ما كان حجارة غير ممثلة، وهو ظاهر القرآن إذ قال حكاية عن إبراهيم «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» مع ما حكاه عنه « أتعبدون ما تنحتون » فقد علمنا أن أصنامهم كانت صورا ، وقال في الأنصاب « وما ذبح على النصب » وقال « والأنصاب والأزلام » . وكانت أكثر أصنام العرب أنصابا غير تماثيل مثل العزى ، ولذلك قال النابغة :

وما هريق على الأنصاب من جسد

لَا يفتُرُ الْبُخْتُ والْبغالُ موا   قِيرًا خَرَاجاً يُجْبَى لهُ دَأْبَا(1)

ورُبَّما شبَّت الْعُيُونُ لَهُ   بَرْقاً فكانتْ رُؤُوسَ مَنْ شَغَبَا(2)

فتى قُرَيْشٍ ديناً ومكْرُمةً   وهبْتُ وُدِّي لهُ بما وَهَبَا(3)

لا يأثَرُ الْغِلَّ للْخليل ولَا   تغلِبُهُ طيْرةٌ إِذا غَضِبا(4)

يُعْطيكَ مَا هَبَّتِ الرِّياحُ وَلَا   يُطْمَعُ فِي دينه وَإِنْ قَرُبَا(5)

شَهْمٌ وَقُورٌ يَزِينُ غُرَّتَهُ   حِلْمٌ وَزَانَ الْوَقَارُ مَا اجْتَنَبَا

يَكْفيكَ مِنْ قَسْوَرٍ أَجَشَّ وَكَالْـ   ـمَاءِ زُلَالًا يَجْرِي لِمَنْ شَرِبَا(6)

بِجِلْدَةٍ طَابَتِ الثِّيَابُ وَبِالْـ   ـمَسِّ يُطِيبُ الْعِيَانَ وَالْحَسَبَا

تُشَمُّ نَعْلَاهُ فِي النَّدِيِّ كما   شَمَّ النَّدَامَى الرَّيْحَانَ مُعْتَقِبَا(7)

وأراد بشار أن الناس يفدون اليه مساء للضيافة والمبيت لأنه مأوى الناس ويصبح مقصودا لهم للعطايا. و «دوارا» و «نصبا» تشبيه بليغ.

1) الدأب (بفتح الدال وفتح الهمزة) كالدأب (بسكون الهمزة): ملازمة الفعل حتى يصير عادة، يقال: دأب في عمله (كمنع) والدأب أيضا: العادة.

2) كذا كتب هذا البيت ولم يتضح معناه.

3) كتب في الديوان «وهبت ديني» وتقدم هذا البيت في الورقة 57 بلفظ «وهبت ودي» وهو الصواب فلذلك أثبتناه هنا.

4) «لا يأثر» بفتح الثاء، يقال: أثر (بكسر الثاء) أن يفعل، وبأن يفعل، بمعنى: هم وعزم فالمعنى لا ينوي الغل لخليله.
«طيره» ضبطت الطاء بكسرة ولعل حقها الفتحة، أي: خفة وطيش، ومنه قولهم «استخفته طيرة الغضب».

5) «ما هبت الرياح» أي في كل ناحية وإن بعدت، وقوله «ولا يطمع في دينه» مبني للمجهول أي لا يطمع طامع، ولذلك قال «وإن قربا» أي فهو يعطي المال للبعيد ولا يعطي دينه للقريب.

6) القسور: الأسد، والقوي الشجاع من الناس، و «أجش» بمعنى شديد الصوت غليظه، وهو من صفات الأسد. فهذا ترشيح للتشبيه.

7) أسرع الأعضاء لإفراز الروائح الكريهة الرجلان، وأسرع الملبوس لذلك النعلان، وفي رواية الأغاني المصراع الأخير: «يشم ماء الريحان منتهبا». والكناية عن الشرف والرفاهية بجودة النعال وحسن رائحتها معنى قديم، وذلك أن عامة العرب كانوا ينتعلون بجلد بعض الحيوان بعد إزالة شعره أو مع بقاء الشعر، قال جساس بن قطيب:

يا ليت لي نعلين من جلد الضبع   وشركا من استها لا تنقطع

كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع

سَاوَرْتُ مِنْ دُونِهِ الْعَقَنْقَلَ وَالْـ ـجَوْفَ أُزجِي الْمَهْرِيَّةَ النُّجُبَا(1)
من الْمُعَدَّاتِ في اللَّجين وفي الـ ـعيص لِهَمْ اَلْـحّ أوْ غلبا(2)
إذا ذكرْتُ امْرأً يبيتُ علَى الْحمْـ ـد ركِبْنَا الْعَادِيَةَ الرُّكَبَا(3)
يَخْبطْنَ جمْرَ الْغَضى وَقَدْ خَفَقَ الآ لُ وَغَشَّى رَيْعَانُهُ الْحَدَبَا(4)

— وقال أعرابي يهجو معن بن زائدة :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

وكان سادة العرب ينتعلون نعال الجلد المدبوغ الذي لم يبق فيه أثر الشعر، وتسمى النعال السبتية. قال النابغة في مدح ملوك غسان :

رقاق النعال طيب حجزاتهم (يحيون بالريحان يوم السباسب)

وقال الأحنف بن قيس: استجيدوا النعال فإنها خلاخل الرجال ، فإذا كانت النعل غير مدبوغة كانت فيها رائحة الجلد كريهة ، فكانوا ينزعونها إذا دخلوا المجالس لكراهة ريحها ، أنشد ابن السيد في الاقتضاب عن أبي عمر المطرز عن ثعلب :

أثني علي بما علمتِ فإنني أثني عليكِ بمثل ريح الجورب

يريد أن يذمها فشبه الذم بريح الجورب، وربما شم الكلب النعل التي بقيت فيها رائحة الجلد فأكلها، قال قيس بن عمر الملقب بالنجاشي :

ولا يأكل الكلب السروق نعالنا ولا ننتقي المخ الذي في الجماجم

قالوا : عنى أنهم لا ينتعلون الا النعال السبتية، وقال كثير :

إذا نبذت لم تطلب الكلب ريحها وإن وضعت في مجلس القوم شُمَّتِ

لأن الجلد المصنوع تحسن رائحته .

1) ثبت في الديوان شاورت بالشين المعجمة والصواب أنه بالسين، أي غالبت . والعقنقل: الكثيب من الرمل، والجوف : المطمئن من الارض .

2) « المعدات » كتب بالعين وبالدال المهملتين: ولعل صوابه بالغين والذال المعجمتين ، وتكتب التاء هاء ، أي التي غذيت في اللجين والعيص : وقوله « لهم » متعلق بمحذوف حال ، وعلى ما في الديوان فهو بمعنى أعدت لهم فيكون « لهم » متعلقا بالمعدات ، فيكون قوله « في اللجين» حالا من المعدات: واللجين (بفتح اللام وكسر الجيم) ورق الشجر المخلوط بالشعير تعلفه الإبل ، والعيص (بكسر العين وبالصاد المهملة) الشجر الكثير الملتف تتناول منه الورق إذا سئمت اللجين وتكون في ظله .

3) العادية : القوية . لأن العرب تنسب الشيء القوي الى عاد : والركب : جمع ركبة ، وهو تمييز للإبهام الذي في النسب .

4) « يخبطن » يسرن سيرا شديدا. يقال: خبط البعير إذا ضرب الأرض . والحدب (بفتح الحاء والدال) الارض الغليظة . والآل : السراب في الهاجرة .

مُسْتَقْبِلَاتٍ مِنْ كُلِّ هَاجِرَةٍ   قَيْظاً وَقَيْضاً تَرَى لَهُ حَبَبَا(1)

عُوجٌ تَوَالَى عَلَى الذَّمِيلِ إِذَا الرَّ   اكِبُ مِنْ حَرِّ يَوْمِهِ انْتَقَبَا(2)

يَسْبَحْنَ فِي عَدْرَةِ السَّمَاءِ كَمَا   شَقَّ الْعَدَوْلِيُّ زَاخِراً صَخِبَا(3)

حَتَّى إِذَا خَيَّمَتْ بِعَاقِبَةٍ   جَارَاتِ وَالٍ يُفَرِّجُ الْكُرَبَا(4)

بَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ وَبَيْنَ أَبِي الْـ   ـعَبَّاسِ مِثْلَ الرِّئْبَالِ مُحْتَجِبَا(5)

لَا بَلْ هُوَ الْمُخْدِرُ الْهُمَامُ إِذَا   أَحَسَّ قَلْبُ امْرِئٍ بِهِ وَجَبَا(6)

صَبَّحْتُهُ فِي الذُّرُورِ تُمْطِرُ كَفَّـ   ـاهُ لِزُوَّارِ بَيْتِهِ ذَهَبَا(7)

لَمَّا رَآنِي بَدَتْ مَكَارِمُهُ   نُوراً عَلَى وَجْهِهِ وَمَا اكْتَأَبَا

كَأَنَّمَا جِئْتُهُ أُبَشِّرُهُ   وَلَمْ أَجِئْ رَاغِباً وَمُحْتَلِبَا

فَرَّجَ عَنِّي الْمَهْدِيُّ مِنْ كُرَبِ الضِّـ   ـيقِ خِنَاقاً قَاسَيْتُهُ حِقَبَا

---

1) قوله « قيظا » والقيظ : شدة الحر ، والقيض : الماء الكثير ، وضمير « له » عائد الى قيض ، والحبب (بفتحتين) الفقاقيع التي تلوح على وجه الماء .

2) « عوج » جمع عوجاء وهي الضامرة من الابل، والذميل : السير اللين للإبل .

3) العدرة (بعين مهملة مفتوحة ودال مهملة ساكنة): المطر الشديد . والعدولي: السفين المنسوب الى عدولى بالقصر قبيلة من أهل البحرين تجيد صنع السفن ، قال طرفة :

عَدَوْلِيَّة أو من سفين ابن يامنٍ

4) «خيمت» نزلت وانتهى بها السفر، و «جارات» جمع جارة ، منصوب على الحال من فاعل «خيمت»، والوالي: الملك، وحذف جواب « إذا » لتعظيم أمره ، كما في قوله تعالى : «وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها» الآية ، أي حصل من النعيم أمر عظيم .

5) «بين» صفة «وال»، وأراد بأبي جعفر أبا جعفر المنصور والد المهدي، وبأبي العباس أبا العباس السفاح عم المهدي ولم يظهر موقع الكلمة (بين) فلعلها محرفة عن (بعد) .

6) «المخدر» بفتح الدال وبكسرها : الأسد ، لأنه يخدره عرينه ويخدر هو فيه ، ولذلك يقال له : خادر أيضا، وكتب في الديوان « إذا ما حس » والصواب « اذا أحس » أي شعر به، إذ لا يقال « حس » إلا بمعنى قتل ، و«وجب» :رجف .

7) الذرور (بضم الذال المعجمة) وقت طلوع الشمس ، ويقال : ذرت الشمس ذرورا .

أعْطَى منَ الصُّتْمِ وَالْوَلَائِد وَالْـ ـعُبْدَان حَتَّى حَسِبْتُهُ لَعِبَا(1)

وبِـرْكَـة تَحْمِـلُ الْـوَفَـاءَ تَلَا فَاهَا منَ الْمَوْت بَعْدَ مَـا كَـرِبَا(2)

يَحْثِي لِهَـٰذَا وَذَا وَذَاكَ وَلَا يَحْسِبُ مَعْـرُوفَهُ كَمَـنْ حَسِبَا(3)

إِنَّ الـذِي أنْعَمَـتْ خِـلَافَتُـهُ بِالنَّـاس حَتَّى تَنَـازَعُـوا سَبَبَـا

شَقِيـقُ مَنْ قَامَتْ الصَّـلَاةُ بِـه لَمْ يَأْت بُخْلًا وَلَمْ يَقُلْ كَـذِبَـا(4)

شِيبَـتْ بِـأخْـلَاقِه خَـلَائِقُهُ وَحَـازَ مِيـرَاثَـهُ إِذَا انْتَسَبَـا

يَغْـدُو بِيُمْـنٍ منَ النُّبُـوَّة لَا يُخْلِفُ عَرَّاصُـهُ إِذَا اضْطَـرَبَـا(5)

وَبَشَّـرَتْ أَرْضُنَـا السَّمَـاءَ به وَسَـرَّ أهْـلَ الْقُبُـور مَـا عَقِبَـا

لِلّٰهِ أهْـلُ الْقُبُـور لَـوْ نُشِـرُوا لَاقَوْا نَعِيماً وَاسْتَجْلَمُـوا أَدَبَـا(6)

---

1) « الصتم » الأموال الوافرة ، ووقع في الورقة 57 « الصمت » وكذلك رواه في الأغاني ، وهي المال عدا الحيوان ، إذ لا صوت للمال المكسوب الا للحيوان .

2) البركة (بكسر الباء وسكون الراء) الصدر ، أراد صدر ناقته . أراد أنها تحمله إذ هو ذو وفاء بالعهـد .

3) أشار بقوله « يحثي لهذا وذا وذاك » إلى ما روي في بعض الأخبار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في أمتي المهدي فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله والمال يومئذ كـدوس » ، وفي رواية عن أبي هريرة قال رسول الله « يكون في أمتي المهدي والمال كدوس يقوم الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيقول خذ » وهي أحاديث ضعيفة ، وقد أعلمناك في المقدمة أن المهدي كان يلمح الى أنه المهدي المنتظر وكان ذلك شائعا بين أنصاره ومداحيه .

4) كتب في الديوان « شقيق » والشقيق الأخ ، ولا معنى لـه هنا ، فتعين أن في الكلام تحريفا ، ولعل صوابه « سمي » . ومن قامت الصلاة به هو النبي صلى الله عليه وسلم بدليل البيت الذي بعده .

5) العراص (بالصاد المهملة) السحاب ، واضطراب السحاب إرعاده ، يريد أنه إذا وعد بالعطاء لا يخلف .

6) « واستجلموا » هكذا كتب في الديوان ، وهو من قولهم : جلم الجزور واجتلمها إذا أخذ ما على عظامها من اللحم . أراد أنهم يلقون أدبا كثيرا . ويجوز أن يكون «واستجمموا» بميميـن ، أي استكثروا أو «استجلبوا» .

وَيُوسُفُ الْبَرْمُ قَدْ عَبَاتَ لَهُ حَتَّى هَوَى فِي الْجَحِيمِ مُنْقَلِبَا(1)
بُعْدًا وَسُحْقاً لِمَنْ تَوَلَّى عَنِ الْـ ـحَقِّ وَعَاصَى الْمَهْدِيَّ مُرْتَعِبَا(2)
إِنَّ ابْنَ سَاقِي الْحَجِيجِ يَكْفِيكَ مَا حَلَّ مُقِيماً وَأَيَّةً رَكِبَا(3)
مَهْدِيُّ آلِ الصَّلَاةِ يَقْرَؤُهُ الْـ ـقَسُّ كِتَاباً دَثْرًا جَلَا رِيَبَا(4)
كَأَنَّ طُلَّابَهُ لِحَاجَتِهِمْ حَجٌّ يَؤُمُّونَ مَشْعَرًا شُزُبَا (5)
يُزَيِّنُ الْمِنْبَرَ الْأَشَمَّ بِعِطْـ ـفَيْهِ وَأَقْوَالِهِ إِذَا خَطَبَا
وَتُشْرِقُ الْأَرْضُ مِنْ مَحَاسِنِهِ كَأَنَّ نُورًا فِي الشَّمْسِ مُجْتَلَبَا
أَغَرُّ مُسْتَمْطَرُ الْيَدَيْنِ إِذَا رَاحَ عَلَيْهِ زُوَّارُهُ عُصَبَا
وَمُنْتَهَى غَايَةِ الْوُفُودِ إِذَا سَارُوا يَرْجُونَ وَصْلَهُ رَغَبَا(6)

---

1) «يوسف البرم» هو يوسف بن إبراهيم المعروف بالبرم (بباء موحدة) كان من أهل خراسان، فثار بها على المهدي منكرا عليه سيرته التي يسير بها، وذلك سنة 160. وبعث المهدي إليه يزيد بن مزيد فلقيه، وتنازلا للقتال بأنفسهما حتى صارا الى المعانقة، فأسره يزيد بن مزيد وبعث به الى المهدي ومعه وجوه أصحابه فأدخلوه الى الرصافة راكبين على أبعرة ووجوههم الى أذناب الإبل فقطعت يدا يوسف ورجلاه، وقتل أصحابه وصلبوا على الجسر. ويقال: إنه كان حروريا. وكتب في الديوان بنون عوض الباء وهو تحريف.

2) انظر البيت 24 من ورقة 172 في عطف «بعدا و سحقا» بالواو.

3) «ساقي الحجيج» هو صاحب السقاية، أراد به العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقوله «وأية ركبا» كتب في البيت 9 من الورقة 57 «وأية ذهبا» وكلاهما صحيح. و«أية» منصوب على الظرفية المكانية لفعل «يكفيك»، وهذا كقول عمرو بن الأهتم التغلبي:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

4) «آل الصلاة» هم المسلمون، مثل قولهم: أهل القبلة، وقوله «يقرؤه القس» أنه يشير الى شيء كانوا يتحدثون به من أن ذكر المهدي موجود في التوراة، والدثر (بفتح الدال وسكون الثاء) يعني نفيسا. من قولهم: ماء دثر، وفي الحديث «ذهب الدثور بالأجور» الخ...

5) حج: اسم جمع جاج، كما قيل: صحب وركب. والشزب بضم الشين والزاي: جمع شازب وهو الضامر، أي من شدة التعب.

6) كتب «ساور يرجون صله» ولعل صوابه «ساروا يرجّون وَصْله» والرغب (محركة): الرغبة، ضد الرهب.

يَقُولُ سَارِيهِمُ وَقَدْ دَأَبُوا بَعْدَ الصَّبَاحِ اغْتِبَاطُ مَنْ دَأَبَا(1)
إِذَا أَتَيْتَ الْمَهْدِيَّ تَسْأَلُهُ لاَقَيْتَ جُوداً بِهِ وَمُحْتَسَبَا
تَرَى عَلَيْهِ سِيمَا النَّبِيِّ وَإِنْ حَارَبَ قَوْماً أَذْكَى لَهُمْ لَهَبَا
مُجْتَمِعُ الْقَلْبِ فِي اللِّقَاءِ إِذَا الْـأَمْرُ تَوَلَّى مِنْ قَلْبِهِ حَرَبَا
قَدْ سَطَعَ الأَمْنُ فِي وِلاَيَتِهِ وَقَالَ فِيهِ مَنْ يَقْرَأُ الْكُتُبَا(2)
مُحَمَّدٌ مُورِثٌ خِلاَفَتَهُ مُوسَى وَهَارُونَ يَتْبَعَانِ أَبَا

* * *

وقال أيضاً يمدح رَوْح بن حاتم(*):

طَرَقَتْنَا بِالزَّابِيَيْنِ الرَّبَابُ رُبَّ زَوْرٍ عَلَيْكَ مِنْهُ اكْتِئَابُ(3)

---

1) هو معنى المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » . والجملة معترضة ، ومقول القول في البيت الذي بعده .

2) المراد بالكتب كتب الحدثان والأجفار ، ومقول القول هو ما في البيت بعده .

*) وقال أيضا يمدح روح بن حاتم .
هو روح (بفتح الراء وسكون الواو) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، وكناه بشار «أبا خلف» في البيت 17 من ورقة 197 و في أبيات ذكرناها في الملحقات في حرف الميم؛ كان عاملا للدولة العباسية على السند، ثم على فلسطين ، وعمل لخمسة من الخلفاء : السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد، ولم يتفق هذا الا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فإنه ولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، ولما مات يزيد بن حاتم أخو روح أمير إفريقية بالقيروان وجه الرشيد روحا الى إمارة إفريقية سنة 171، فبقي بالقيروان الى أن توفي سنة 174 في رمضان ، ودفن في قبر أخيه يزيد في باب سلم من أبواب مدينة القيروان ، وشهرة روح بالمشرق أقوى منها بالمغرب . وبشار مدح روحا بهذه القصيدة في خلافة المهدي ، وكان روح أمير الكوفة ثم البصرة والسند في زمن المهدي .

والقصيدة من بحر الخفيف ، ومدح ايضا فيها داود بن روح بن حاتم .

3) « بالزابيين » (بباء موحدة ثم ياءين تحتيتين) تثنية زابى مقصورا، وهما واديان بين واسط وبغداد متقاربان، يقال لأحدهما الأعلى وللآخر الأسفل، وكتب في الديوان بمثناة فوقية بعد الموحدة وهو تحريف .

وقد ذكر بشار « الزابيين » في قصيدة سابقة ذكر فيها الرباب أيضا في البيت الثاني من ورقة 11 .

وَلَقَدْ قُلْتُ لابْنِ جُهْمَةَ إذْ بِتُّ مَشوقاً وَنَام عَنِّي الصِّحابُ:(1)

غَنِّني بالرَّبابِ إنْ كُنْتَ تَشْدُو غَارَ نومي وجَنَّ فِيَّ الشَّرابُ
أمْسكَتْ عنِّي الرُّقادَ فتاةٌ دارُها الْخَبْتُ والرُّبى والْقِبَابُ
مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ قَرِيبٌ بعيدٌ يَتَصَدَّى لنا وَفيه احْتِجابُ(2)
كَسَرَابِ المَوْمَاةِ تُبْصِرُهُ العَيْنُ وَإنْ جِئْتَهُ اضْمَحَلَّ السَّرَابُ
أوْ كَبَدْرِ السَّمَاءِ غَيْرَ قَرِيبٍ حِينَ أوْفَى وَالضَّوْءُ فيه اقْتِرَابُ(3)
وَطِلابُ الرَّبَابِ مِنْ دُونِهَا السَّيْفُ سفاهٌ، وَالطَّيْفُ مِنْهَا عَذابُ
لَوْ أقامَتْ نعمْتُ بَالاً وَلكِنْ ذَهَبَتْ وَالشَّقَا عَلَيَّ الذَّهَابُ
سَاقَهَا الأزْرَقُ الغَيُورُ إلى الشَّامِ فَذاتُ الأشْيَاءِ مِنْهَا خَرَابُ(4)
طابَ حُزْنٌ بَيْنَ الجَوَانِحِ مِنْهَا وَانْتِظارِي هَلْ للحَبِيبِ إيَابُ(5)
وَوُلُوعُ الخَيَالِ بِي مِنْ صَدِيقٍ لا أراهُ حَتَّى يَشِيبَ الغُرَابُ(6)
يابْنَ مُوسى اسْقِني وَدَعْ عَنْكَ بَكْراً إنْ بَكْرًا خِلْوٌ وإنِّي مُصَابُ(7)

---

1) «ابن جهمة» الجهمة (بضم الجيم): أولى مآخير الليل، فيحتمل أنه اسم عبد له، أو أنه أراد مخاطبة الليل بأن يغنيه كأنه عبد إذ لم يجد مغنيا، كقول بشار في الملحقات:

غنني للقريض يابن قنان

2) ذكر «مقبل مدبر» مع أنهما نعتان لفتاة كذلك «يتصدى» و«فيه» على التأويل بشخص، وأما «قريب وبعيد» فهما لا يطابقان موصوفهما، قال تعالى «وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا» وقال «وما قوم لوط منكم ببعيد».

3) رواه في أسرار البلاغة (ص 250 طبع المنار بمصر) «حين يوفي».

4) وقع خرق سوس في حرف من الكلمة الثانية، والظاهر أنه زاي، فيكون أراد به رجلا عدوا له، يقال: عدو أزرق. وفي المقامة الثالثة عشرة للحريري «حتى دلني لي العدو الأزرق».

5) كتب في الديوان «طاب حزن» وليس ذلك بظاهر فلعله تحريف (طال).

6) العرب يكنون عن المحال بشيب الغراب لأن الغراب لا يزال أسود، قال النابغة:

فإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغراب

7) ابن موسى: من ندمائه، وسيجيء في الملحقات أبيات أولها:

يابن موسى ماذا يقول الامام

لَا أرى آنسي مقام الْجواري ومسيرُ الربّاب فيه ارْتقاب
يوم حنّتْ إلَيَّ مُرفَضّةُ الدّمْع وحنّتْ إلَى سِوَايَ الربّاب
لا تلُمْني فِيهَا يزيْدُ بن زيْد وارْع وُدّي إلَيْك يُهْدَى الْجواب
في لقاء الرّباب شاف من الشوْ ق إلى وجْهها ، وأيْن الرّباب
رُحْتُ في حُبّها وراحتْ دُوَارًا بيْن أتْرابها عليْها الْحجاب(1)
في جنانٍ خُنْمرٍ وقصرٍ مشيد قَيْصريٍّ حفّتْ به الْأعْنابُ
فوْقها مَذْهبُ الْحمام ويستنّ خليجٌ من دُونها صَخّاب
وبعيدٌ ما لا يُنالُ ، وفي الْحُبّ عناءٌ ، وللنّوَى أحْقابُ(2)
ليْتَ شعْري عن الرّباب وقَدْ شَطّتْ بها الدّارُ هلْ لها إصْقاب(3)
أصْبحتْ في بني الشّموس فأصْبحْتُ غريباً تعْتادُني الأطْرابُ(4)
وسَقِيٍّ كالعَبْقَرِيّ إذَا غرّ دَ مُكّاؤُهُ تَغَنّى الذّبَاب(5)
عَازبٌ حُفّ بالبَرَاعيم تَغْذُو هُ نُجومُ السّما وهُنّ اعْتقَابُ(6)
مُتَنَاهي الرّيْحَان يَسْجُدُ للشّمْسِ مُبيناً وَمَا عَلَيْه اتّئَابُ(7)

---

1) «الدوار» تقدم في البيت الثامن من ورقة 77 .
2) «وأحقاب» جمع (حقب) بضم الحاء والقاف بمعنى الوقت الطويل .
3) الإصقاب : الجوار .
4) «الأطراب» (بفتح الهمزة) : جمع طرب ، وهو ما يعتري الانسان عند شدة الحزن والغم ، كما ذكر في البيت الاول من ورقة 60 .
5) السقي : البردي ، قال امرؤ القيس :

وساق كأنبوب السقي المذلل

أراد بشار مكانا مظللا به كأنه من أرض عبقر وهي أرض الجن .
6) البراعيم (بالعين المهملة) جمع (برعوم) ، ويقال : برعم (بضم الباء وضم العين) فيهما ، وهو كم ثمر الشجر وزهر الشجر قبل تفتحه ، ونجوم السماء : منازل المطر ، وهي منازل القمر الثمانية والعشرون. وقوله « وهن اعتقاب » ، الضمير عائد الى نجوم السماء ، أخبر عنها بالمصدر أي متعاقبة الأمطار .
7) (الاتّئاب) : الاستحياء ، وتاؤه الأولى منقلبة عن الواو (مثل الاتعاد) ، والتّؤَبة : الحياء ، قال الاعشى :

من يلق هوذة يسجد غير متئب إذا تعمم فوق التاج أو وضعا

بتُّ ضَيْفاً لَهُ مَعي الرِّيمُ وَالأَعْـفَرُ وَالرَّائِعُ الأَنَاةُ الكَعَابُ(1)
ذَاكَ شَأْنِي بِهِ وَوَافَى بِيَ الرَّوْ ع كُمَيْتٌ مُشَذَّبٌ نَعَّابُ(2)
أعْوَجِيُّ الآبَاءِ شَارَكَ فِيهِ لَاحِقٌ وَالوَجِيهُ ثُمَّ الغُرَابُ(3)
...... صَانَهُ الجِدُّ وَالمَحْضُ فَفِيهِ ذلٌّ وَفِيهِ التِّهَابُ(4)
وَمُنِيفُ القَذَالِ وَقَّرَهُ القَوْ دُ وَذَكَّى فُؤَادَهُ الإِجْلَابُ
فَهْوَ صَافِي الأَدِيمِ كَالدُّمْلُجِ الأَحْـمَرِ طِرْفٌ تَزِينُهُ الأَقْرَابُ(5)
وَخُرُوجٌ مِنَ الأَضَامِيمِ، فِي المِنْـسَجِ مِنْهُ وَفِي القَطَاةِ انْتِصَابُ(6)
شَمَّرِيٌّ أَجَشُّ كَالشَّبَبِ الغَادِي أَقَرَّتْ جَنَانَهُ الكُلَّابُ(7)
شَاخِصُ القَلْبِ وَالمَسَامِعِ وَالطَّرْ فِ إِلَى مَا يُهَابُ أَوْ لَا يُهَابُ
وَإِذَا مَا جَرَى لِيُدْرِكَ شَيْئاً
فَاتَهُ وَانْتَحَى بِهِ الإِدَابُ(8)

---

1) الأناة : المرأة التي فيها فتور حين تقوم .
الريم والأعفر: نوعان من الظباء، وأراد تشبيه الرباب بهما ولذلك كان عطف «الرائع الأناة الكعاب» عليهما ترشيحا للاستعارة .

2) انتقل من الغزل الى الحماسة، والمشذب: الطويل الحسن الخلقة، وكتب في الديوان بدال مهملة غلطا ، و « نعّاب » شديد سرعة السير .

3) أراد أنه اكتسب خصال جياد مشهورة، وأعوج والوجيه واللاحق والغراب: خيل شهيرة للعرب.

4) وقع في هذا البيت نقص كلمة عن سهو من الكاتب ، فتركت له أنا بياضا ولم يتضح معنى البيت .

5) الأقراب تقدم بالبيت التاسع من ورقة 67 .

6) الأضاميم: جمع إضمامة،وهي جماعة الناس والخيل، يقال: فرس سباق الأضاميم ، أي جماعات الخيل التي عليها ركابها، وقوله (خروج) أي يلحقها ويخرج من بينها، «والمنسج» كمنبر: ما تحت كاهل الفرس، والقطاة: اسم ما حول كفل الفرس وهو مقعد الرديف.

7) الشمري (بكسر الشين مع كسر الميم المشدودة أو فتحها)، السريع ، والشبب: الثور الوحشي القوي كالشبوب: و«أقرت»: أبردت، والمراد أنها أرعدت قلبه خوفا، لأن الخوف يجعل في القلب مثل رعدة البرد ، والكلاب (بضم الكاف) : جمع كالب ، وهو الصائد بالكلاب .

8) (الإداب) كذا كتب ، ولعله (الإدآب) أي الجد أو التعب .

قُلْتَ: رِيحٌ تَحِنُّ بَيْنَ أَوَاسٍ أَوْ يَرَاعٌ غَنَّى بِه الْقَصَّابُ(1)
فَبِهِ أَطْلُبُ الْمَعَالِي أَوْ رَوْ حاً، أَلَا بَلْ رَوْحاً وَلَا أَرْتَابُ
غَالَ نَوْمِي غَوْلُ الْقَوَافِي إِلَى رَوْ حٍ مَدِيحاً كَمَا تُقَادُ الْعِرَابُ(2)
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَوَلَّتْنِيَ الْهَمْـ ـمُ وَسُدَّتْ مِنْ دُونِيَ الْأَبْوَابُ(3)
لَيْسَ عِنْدَ اللِّئَامِ فَضْلٌ وَلَكِنْ عِنْدَ رَوْحٍ عَلَى الثَّنَاءِ ثَوَابُ(4)
أَيْنَ رَوْحٌ عَنِّي فَإِنَّ لِرَوْحٍ نَفَحَاتٍ يَغْنَى بِهَا الْمُنْتَابُ(5)
ملكٌ مِنْ مُلُوكِ قَحْطَانَ تَجْرِي مِنْ يَدَيْهِ لَنَا الْعَطَايَا الرِّغَابُ
عِنْدَهُ الْحِلْمُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْجُو دُ مَسَاكاً وَلَيْسَ فِيهِ خِلَابُ
وَعَلَى وَجْهِهِ الْأَغَرِّ قَبُولٌ وَكَأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِيهِ كِتَابُ
رمتاه رَوْحاً وَمَنْ مِثْلُ رَوْحٍ حِينَ جَفَّ الثَّرَى وَقَلَّ السَّحَابُ(6)
أَنْزَلَتْهُ ذُرَى الْمَكَارِمِ نَفْسٌ حُرَّةٌ، فِي بَيَانِهَا إِطْنَابُ(7)

---

1) «قلت» هنا بمعنى نطقت بهذه الكلمة، لأنك تظنه ريحا فتقول هو ريح، كقول رؤبة يصف حمار الوحش:

حشرج في الجوف طويلا وشهق حتى يقال ناهق وما نهق

ولكون القول مقصودا به التشبيه لم ينصب الاسم بعده في بيت بشار ورجز رؤبة، (وأواس): جمع آسية ما أحكم أساسه من البناء وإنما اختارها هنا تمثيلا لجري الفرس مع عظيم هيكله.

2) كتب «غول القوافي» ولعل (غول) محرفة عن (قود) كما يقتضيه قوله «كما تقاد العراب».

3) كتب «تولتني» ولعله «تولاني».

4) قوله «ليس عند اللئام فضل..» الخ إن كان أراد به التعريض كان له موقع، وإلا فهو من الحشو.

5) كتب «أين روح عني» والظاهر أن كلمة (عني) محرفة مني. يريد أنه بعيد الدار منه.

6) كتب «رمتاه» ولم يستقم له معنى، وهو تحريف لا محالة، ولعل صوابه «ومباه» أي مفاخر، والواو واو رب، والاستفهام بـ (من) إنكاري، أي وكم أمير كريم يفاخرون روحا في الجود وليسوا مثل روح في حين الشدة.

7) «حرة» أي كريمة خالصة، والعرب يطلقون الحرية على النفاسة والكرم، قال مخيس:

فقلت له: تجنب كل شيء يعاب عليك أن الحرّ حرّ

وقال عبد بني الحسحاس:

إن كنت عبدا فنفسي حرة كرما أو أسود اللون إني أبيض الخلق

وَإِذَا عُـدَّتِ الْمَسَـاعِي كَفَاهُ ... حَـاتِمٌ وَالْمُهَلَّبُ الْوَهَّـابُ
وَلَهُ مِنْ نَدَى قَبِيصَةَ بَحْـرٌ ... حَضْرَمِيٌّ لِجَانِبَيْهِ عُبَـابُ
حَمِدَتْهُ القُرَى، وسُـرَّ به الجـا ... رُ، وعاشت في فضلـه الاحبـابُ
قُلْ لِرَوْحِ بن حَاتِم بن قَبِيصِ الْـ ... ـمَجْدِ فِينَـا وَفِيكُمُ إِعْجَـابُ(1)
كَيْفَ لَمْ تَأْتِنِـي الْكَرَامَةُ مِنْكُمْ ... بَعْـدَ وُدٍّ وَأَنْتُـمُ الأَرْبَـابُ(2)
عِشْ حَمِيدًا وَانْعَمْ أَبَـا خَلَف أَنْـ ... ـتَ فَتَى النَّاسِ لَيْسَ فِيـكَ مَعَـابُ
قَدْ كَفَيْتَ الْمَهْدِيَّ هَمًّـا وَشَاغَبْـ ... ـتَ عَدُوًّا فَالْمِحْرَبُ الشَّغَّـابُ(3)
وَعَلَى وَرْزَنٍ هَجَمْـتَ الْمَنَـايَـا ... وَالْمَنَـايَـا فِي دُورِهِـمْ أَسْـرَابُ(4)
وَمِنَ الْقَوْمِ ذُو غَنَـاءٍ وَوَعْـدٍ ... كَمُخَـاطِ الشَّيْطَـانِ فيه اضْطِرَابُ(5)

— ولولا هذا الاعتبار لم يكن كلام بشار مدحا أن يقول لممدوحه : إنك حر ولست بعبد وقوله «في بيانهـا إطناب» أي يطول الكلام في بيان مكارم نفسه، وفي قوله «إطناب» إيجاز في الثناء .

1) ذكر آباء الممدوح على الطريقة المعروفة في البديع بالاطراد ، كقول ربيعة بن نصر، ويقال داود بن ربيعة الأسدي :

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهـم ... بعتيبـة بن الحارث بن شهـاب

وذلك لأن الآباء لا يذكرون في غير مقام إثبات النسب إلا لأن في ذكرهم فخرا وحسن سمعة، فكان لذلك من المحسنات ، وقد ارتكبه بشار هنا وفي البيت الذي يأتي قبل آخر القصيدة، و«قبيص» ترخيم «قبيصة» للضرورة وإضافة «قبيص» إلى المجد من إضافة الموصوف إلى الصفـة .

2) الأرباب : الملوك ، جمع رب ، قال النابغة في النعمان بن الحرث :

فلا يهنيء الأعداء مصرع ربهـم ... وما عتقت منه تميم ووائـل

3) «فالمحرب» بكسر الميم، ومعناه الشجاع . وتقدم في البيت الثالث من ورقة 21. والظاهر على هذا أن يكون المراد بقول بشار «فالمحرب الشغاب» الممدوح : فهو شغاب لقدرته على مشاغبة العدو المشاغب.

4) « ورزن » اسم مكان، ولعله هو المسمى (أرزن) فأبدلت الهمزة واوا للتخفيف . كما قالوا: وكّد في أكد، لاسيما في الأسماء العجمية، فإنهم لا يتوخون فيها حروفها الاصلية ؛ وأرزن: مدينة من ديار بكر مما يلي الروم وأرمينيا، وقد تعد من بلاد أرمينيا . والمراد هنا أهلها . وقد تكرر انتقاض الروم على المهدي وغزوه إياهم على مرات .

5) «مخاط الشيطان» هو الآل. وهو ما يتراءى في الهواء عند شدة الحر من الخيوط المضطربة تعتقده العرب من عمل الجن . أي لا غناء له ولا وفاء يدعوه .

زَعَمَ الأَقْرَبُ المُقَابِلُ فِي الحَـ ـيِّ مُعِيدًا وَتَزْعُمُ النُّسَّابُ(1)
أَنَّ رَوْحَ بنَ حَاتِمٍ وَرَدَ البَحْـ ـرَ فَأَضْحَى يَنْتَابُهُ الطُّلَّابُ(2)
ذَاكَ دَاوُدُ مَا عَصَبْتَ بِهِ الحَـ ـاجَةَ إِلَّا انْقَضَتْ وَهَابَ الغَنَابُ(3)
وَلُبَابٌ مِنَ المَهَالِبَةِ الشُّو سِ تَسَامَى العُلَى، كَذَاكَ اللُّبَابُ(4)
يُحْسَدُ السَّيِّدَ الجَوَادَ عَلَيْهِ شِيَمٌ دُونَهَا يَهِيمُ الشَّبَابُ(5)
وَإِذَا مَا دَاوُدُ حَلَّ بِأَرْضٍ طَابَ رَيْحَانُهَا وَطَابَ التُّرَابُ(6)
شِمْ أَبَا مِسْمَعٍ سَيَكْفِيكَ دَاوُ دُ بنُ رَوْحِ بنِ حَاتِمٍ مَا تَهَابُ(7)

---

1) «الأقرب المقابل» هو الجار المقابل بيته، فالقرب هنا قرب المكان، فيحتمل أن بشارا أراد حيه أو أراد حي الممدوح، كما سيأتي و«معيدا» أي مؤكدا زعمه، و«النساب» ضبط بضم النون، فهو جمع الناسب وهو النسيب ويحتمل أنه أراد أقاربه أو أقارب الممدوح.

2) إذا كان هذا البيت مواليا للذي قبله ولم يسقط من بينهما شيء فالمتعين فتح همزة (أن) وذلك هو المزعوم، والبحر هو الفرات، وهذا الخبر ليس بمستغرب حتى يعبر عنه بالزعم فلعل قوله «ورد» تحريف (ولد). ويظهر موقع حسن لقوله «النساب» فيكون بفتح النون، وهو العالم بالأنساب، ولغرابة هذا الخبر في الظاهر عبر عنه بالزعم على طريقة الإلغاز، إذا كيف يلد الانسان بحرا، ثم بين المراد بقوله «ذاك داود».

3) الإشارة الى «البحر»، أي ذلك البحر هو داود وهو ابن روح بن حاتم وكان من قواد جيش أبيه في قتال الثوار، انظر ترجمته في الورقة 66 من أعداد ورقات الديوان. و«الغناب» كتب بغين معجمة ونون فلعله لغة في «الغنب» بفتح فسكون، وهو الغنيمة الكثيرة.

4) ضبط «تسامى» بفتحة على التاء وفتحة على الميم ولعله بضم التاء وكسر الميم.

5) ضبط في المخطوطة «يحسد» بفتح السين، و«السيد الجواد» بالرفع.

6) كتب في صلب الديوان «وحل الشراب» وفي هامشه «وطاب التراب».

7) «أبا مسمع» يظهر أنه علم جنس يطلق على من كان صاحب سمعة وصيت، استعمله الأعشى في مدحه للملحق بقوله:

أبا مسمع سار الذي قد فعلتم

وقال الأعشى في قصيدة أخرى يظهر أنها في المفاخرة:

أبا مسمع أقصر فإن قصيدة متى تأتكم تلحق بها أخواتها

أنشده الجاحظ في البيان والتبيين، وقال عصام بن عبيد الزماني من شعراء الحماسة:

أبلغ أبا مسمع عني مغلغلة وفي العتاب حياة بين أقوام

وقوله «شم» خطاب لنفسه، أي ترقب معروفه، من قولهم: شام البرق، إذا تأمل أين ينزل الغيث.

يَابْنَ روْحٍ أشبهْتَ رَوْحاً ومنْ يُشْـــبِهْ أباهُ تُنْمَمْ لــهُ الأنْسابُ

* * *

وقال أيضاً يمدحُ روْح بن حاتم(*):

أصفْراءُ مافي العيْش بعْدكِ مَرْغَبُ ولا للصِّبَى ملْهًى فالْهُـو والْعَبُ(1)
أصفْراءُ إنْ أهْلكْ فأنْتِ قتلْتِنِـي وإنْ طال بي سُقْمٌ فذنْبُك أذْنبُ(2)
أصفْراءُ أيّامُ النّعيـمِ لذيـذةٌ وأنْتِ مع الْبُؤسى ألذُّ وأطيـبُ(3)
أصفْــراءُ في قلْبي علَيْك حَرارَةٌ وَفي كَبدي الْهيْمَاءِ نَــارٌ تَلَهَّــبُ

---

*) وقال أيضا يمدح روح بن حاتم . تقدم بعض أبيات هذه القصيدة منفصلة في الورقة 55 من أوراق الديوان ، وتقدمت ترجمة روح في الورقة 79. والقصيدة من بحر الطويـل .

1) (صفراء) اسم حبيبة له شبب بها في نسيب هذه القصيدة ، وتغزل بها في قصيدة أخرى تأتي في الدال ، أولهـا :

أصفراء ما أنسى هـواك ولا ودي

وذكر أنه كان خليطا لهـا ، وأنها رحلت عنه وذكر أنها عند رجل يقال له ابن السميدع . وتكرر ذكر «صفراء» في شعر بشار. وفي آمالي المرتضى احتمال وجوه ثلاثة:

أولها: أن يكون المراد الكناية من كثرة تطيبها وتضمخها ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتهــا وصفـــ ـــراء العشيـــة كالعـــرار

أراد أنها تتضمخ في العشي بالطيب فيصفرها ، وقال الشاعر :

وقد خنقتها عبرة فدموعهـــا على خدهـا حمر وفي نحرها صفر

وقريب من صفرة النحر صفرة الترائب في قول بشار :

وأصفـر مثل الزعفران شربتـــه على صوت صفراء الترائـب رؤد

ثانيها: أن يكون المراد بوصفها بالصفرة رقة لونها، فعندهم أن المرأة إذا كانت صافية اللون رقيقـة ضرب لونهـا بالعشي إلى الصفرة ، قال الراجز :

قد علمت بيضـاء صفراء الأصـل

ثالثها: أن المرأة كانت صفراء على الحقيقة، فإن بشارا كثيرا ما يشبه بامرأة صفراء، كقــولـــه :

أصفـراء لا أنسى هواك ولا ودي ولا ما مضى بيني وبينك من عهد

وكقــولـــه :

أصفـراء كان الود منك مباحا ليالي كان الهجـر منك مزاحــا

2) (أذنب) بمعنى : أكثر متابعة لطول السقم ، من قولهم (ذنبه) إذا تبعه فلم يفارقه .

3) «البؤسى» بوزن النعمى ، وهي ضد النعمى .

أَصَفْــرَاءُ مَالِي فِي الْمَعَازِفِ سَلْوَةٌ   فَأَسْلُو وَلَا فِي الْغَانِيَــاتِ مُعَقَّبُ(1)
أَصَفْرَاءُ لِي نَفْسٌ إِلَيْكِ مَشُوقَــةٌ   وَعَيْنٌ عَلَى مَا فَاتَ مِنْــكِ تَصَبَّــبُ
أَصَفْــرَاءُ لَمْ أَعْرِفْكِ يَوْماً وَإِنَّنِي   إِلَيْكِ لَمُشْتَاقٌ أَحِــنُّ وَأَنْصَــبُ(2)
لَقَدْ كُنْتُ عَنْ عَضِّ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى   غَنِيًّا وَلَكِنَّ الْمَقَــادِيــرَ تَغْلِــبُ(3)
بِعَيْنَــيَّ مِنْ صَفْرَاءَ بَــادٍ عُجَــابُهُ   وَمَا بِالْحَشَا مِن حُبِّ صَفْرَاءَ أَعْجَبُ(4)
وَقَدْ زَادَنِي شَــوْقاً هَدِيــلُ حَمَامَةٍ   عَلَى إِلْفِهَــا تَبْكِي لَــهُ وَتُطَــرِّبُ
فَقُلْــتُ لِنَدْمَانِي طَرِبْتُ فَغَنِّنِي   بِصَفْرَاءَ لَا يَصْفُو مَعَ الشَّوْقِ مَشْــرَبُ
وَمَا كَانَ أَغْرَامِي بِهَا عَنْ مَرَاسِلٍ   جَرَتْ بَيْنَنَا بَلْ كَاعِبٌ لَا تَحَــوَّبُ(5)
فَيَــا حَزَناً لَا أَنَا غِرٌّ مُشَبَّــبٌ   نَعِمْتُ وَلَا فِي الشَّوْقِ إِذْ أَنَــا أَشْيَبُ(6)

---

1) كتب «المعارف» بالراء ، ولا يظهر له معنى ، ولعل صوابه «المعازف» (بزاي) جمع معزف (كمنبر) وهو آلة الطرب ، كالعود والطنبور ، وتقدم هذا البيت في الورقة 55 بلفظ «مالي في المدامة». و«المعقب» مصدر ميمي من عقب إذا رجع على طريقه ، وفي القرآن «ولّى مدبرا ولم يعقب» وقالوا: عقب الأمر إذا أعاد النظر والتدبر فيه «والله يحكم لا معقب لحكمه» والمعنى وليس لي في الغانيات غيرك من أرجع إليها إذا انصرفت عنك .

2) «لم أعرفك يوما» أي كنت فيما مضى لم أعرفك فلما عرفتك صرت مشتاقا إليك،

3) «عض الصبابة » شدة ألمها ، قيل إذا كان العض حقيقة كان بالضاد ساقطة ، وإذا كان مجازا مثل قول الفرزدق «وعض زمان» كان بالظاء المشالة ، وممن ذكر ذلك ابن عطية في التفسير وهو مشكل ، إذ العض في مثله مجاز ، وحقيقته هو العض بمعنى الكدم ، فلو كان بالظاء المشالة لكان لفظا آخر مخصوصا بالوضع .

4) قوله «باد» صفة موصوف محذوف لوضوحه ، يعني شيء باد عجابه .

5) ضبط في الديوان «أغرامي» بفتحة على الهمزة ، فهو جمع غرام ، وأفرد الضمير في قوله «كان» على وجه الندور ، والقياس «كانت».

والأظهر أن الإغرام بكسر الهمزة الإلزام بالغرم (بضم الغين) وهو دفع عوض الجناية أو دفع مال بالباطل : ويسمى ذلك المال مغرما (بفتح الميم) وأراد به هنا إعانته بالهجر والصد ، وأراد مغرم الحب: أي أسره . والمراسل : يحتمل أنه أراد بها السعايات والوشايات بناء على الوجه الاول في الإغرام ؛ أو أراد المراسلة والمخاطبة وعرض أحد المحبين نفسه على الآخر على الوجه الثاني : وهو على الوجهين جمع مرسل . وتحوب : تألم .

6) في الصدر من البيت قبض (فعولن) إذ صار (فعول)، وكف (مفاعيلن) الثاني فصار (مفاعيل)، وهما جائزان إلا أن اجتماعهما أوجب ثقلا ، والمشب (بفتح الباء) أراد به المشبوب وهو الجميل الوجه.

وما ذاكَ إلّا حُبُّ صفْــراءَ مسّنــي   فيوْمي بـِـه مُرٌّ وليْلي مُوَصَّــبُ(1)
وما بالُ قلْبي لَايزُولُ عن الصِّبى   وقدْ زعمُوا أنَّ الْقلُــوب تُقلَّــبُ(2)
سأرْمي بصوْلَانَ الْمفاوزَ إنَّــهُ   خرُوجٌ مِنَ ابْواب الْمفاوز مُنْغبُ(3)
معُوجٌ إذا أمْسى طرُوبٌ إذا غدا   مُجدًا كما غنَّى على الْأيْكِ أخْطبُ(4)
لعلَّ ارْتحالي بالْعشـيِّ وبالضُّحى   يُقرِّبُنــي، والنَّــازحُ الــدَّارِ يقْــرُبُ
عتَبْتُ علَى خنْزير كلْب وإنَّنــي   بذاكَ علَى الْكلْب التَّميميِّ أعْتَبُ(5)
همــا أنْبآني أنْ نعمْتُ ببــدْرة   ومــا منْهُمــا إلَّا لئيمٌ مُــؤنَّــبُ
إذا شبعَــا احْتــالَا علَى صاحبَيْهما   كما احْتال برْذوْنُ الْأمير الْمُرطَّبُ(6)
يُهرَّان آبــاءً لِئــاماً وفيهمــا   حُقُوقٌ لــزُوَّار النَّدى وتحلُّــبُ
وطالب عُــرْف يسْتعينُ عليْهما   فقُلْتُ لهُ: أخْطَأتَ مــا كنْتَ تطْلُبُ
علَى الْكَلْبِ أهْوالٌ إذا ما رأيْتَــهُ   وخنْزيرُ كلْبٍ بالْمخازي مُــدرَّبُ

1) في المخطوطة «مؤصب» (بالهمز مع فتح الصاد المشددة).
2) «وقد زعمــوا ....» أي في قول الشاعر:

وما سمي الانسان إلا لنسيــه   ولا القلب إلا أنه يتقلـــب

وفي الحديث «القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء» ومن دعائه صلى الله عليه وسلم «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، ولم يرد بالزعم هنا توهين هذا القول، فإنه ليقول في البيت 4 من الورقة 88 :

ما زلت عنك وقــد أرى   أن القلــوب تقلـــب

وإنما أراد التعجب من عدم تغير قلبه عن الحب متى شك في صدق قولهم «القلوب تقلب». وتقدم هذا البيت في الورقة 55 بلفظ «ألا ما لقلبي لا يزول عن الهوى».
3) «صولان» اسم جمل، مشتق من صال يصول، لأن للجمال الفارهة صولة. وكتب في الديوان «منغب» بغين معجمة فهو من أنغب، إذا زال نَغْبه، والنغب: بلع الماء، فالهمزة للإزالة أي هو صبور على العطش.
4) المعوج: صيغة مبالغة من معج إذا أسرع، ويقال: نعوج (بالنون) تقدم في البيت 13 من الورقة 70. أي هو سريع في المساء بعد أن سار النهار كلــه.
5) «خنزير كلب وكلب التميمي» رجلان من أعدائه، لم أقف على تعيينهما.
6) «برذون الامير» لم أقف عليه، وهي قصة لامحالة، ولعل فيها ما يفسر معنى «المرطب».

تَعَرَّ فَلَا تخلطهما بمودَّةٍ ... ولَا قُرَباً، ما في السَّماوات أقربُ(1)
إذا لم تَرَ الذُّهْلِيَّ أنوكَ فالْتَمِسْ ... لَهُ نَسَباً غيرَ الذي يَتَنَسَّبُ(2)
وَأمَّا بَنُو قَيْس فَإنَّ نَبيذَهُم ... كَثيرٌ. وَأمَّا خَيْرُهُمْ فَمُغَيَّبُ(3)
وَفي جَحْدَرٍ لُؤْمٌ، وَفي آل مسْمَعٍ ... صَلَاحٌ وَلَكِنْ دِرْهَمُ الْقَوْمِ كَوْكَبُ
وَسَيِّدُ تَيْمِ اللَّاتِ عِنْدَ غَدَائِهِ ... هِزَبْرٌ وَأمَّا في اللِّقَاءِ فَثَعْلَبُ(4)
وَقَدْ كَانَ في «شَيْبَانَ» عِزٌّ فَحَلَّقَتْ ... بِهِ في قَدِيمِ الدَّهْرِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ(5)

---

1) كتب «قربا» بالنصب، والوجه أنه مجرور عطفا على «بمودة». وجملة «ما في السموات أقرب» تعليلا للنهي عن مودتهما. و (ما) موصولة.

2) ابتدأ بشار بذكر لؤم قبائل من العرب وغيرهم. ويدل لذلك أن الجاحظ ذكر في البيان انظر صفحة 139 و 141 بيتين من هذه القصيدة في جملة ما قيل من الشعر وغيره في نبز القبائل ولؤمهم. وقوله «إذا لم تر الذهلي أنوك...» الخ أراد أنهم نوكى فإن وجدت منهم رجلا غير أنوك فاتبع نسبه تجده غير ذهلي، والأنوك: وصف من النوك وهو الحمق. يقال نوك (بكسر الواو) نوكا (بضم النون) فهو أنوك، وجمعه نوكى كهلكى ونوك (كهوج).

3) المعنى أنهم حريصون على النبيذ لأنهم يسكرون، ووقع هذا البيت في الورقة 55 بلفظ «ولكن درهم القوم كوكب» أي بعيد المنال.

4) وقع هذا البيت في الورقة 55 بلفظ (تحت غذائه) أي طعامه، لا يقترب كأن تحته أسدا، وما هنا أحسن. والمراد بسيد تيم اللات من يكون سيدا فيهم، أي هذا حال سادتهم فكيف تكون عامتهم.

5) «شيبان»: من أشرف وأعز قبائل العرب في الجاهلية والاسلام، ولهم ذكر جميل في أيام حرب البسوس، وكانت لهم فرسان وأيام انتصار، وقد زعم بشار أن عزهم القديم زال، يريد أنهم انهزموا في أيام ثورات الخوارج، وقوله «فحلقت به في قديم الدهر عنقاء مغرب» أشار إلى مثل يقول «طارت به العنقاء وطارت به عنقاء مغرب» والعنقاء: طائر مزعوم للعرب، زعموا أنه كان من سباع الطير. وأنه كان عظيم الجثة طويل العنق، وأنه يستطيع أن يخطف الفيل وسموه العنقاء على اعتبار التأنيث لطول عنقها أو لأن عنقها أبيض، وزعم العرب أن مساكن هذه الطير في جبال عدن بلاد أهل الرس، وأن طائرا منه اختطف عروسا يوم عرسها، فشكى أهل الرس إلى حنظلة بن صفوان نبيهم، فدعا الله، فانقرض هذا الصنف من الطير، ووصف العنقاء بمغرب (بضم الميم وكسر الراء) لأنه مشتق من الغربة؛ وهي البعد، أي البعد في الطيران، وإنما لم يقولوا «مغربة» مع أن الموصوف مؤنث لأن ألف التأنيث صارت جزء اسم فتنوسي منها التأنيث، فلذلك يطلق لفظ العنقاء على الذكر والأنثى من صنفه، أو يضيفون الموصوف إلى الصفة فيقولون عنقاء مغرب.

وَحَيَّا «لُجَيْمٍ» قَسْوَرَانِ تُنُزِّعَتْ شَبَاتُهمَا لَمْ يَبْقَ نَـابٌ وَمِخْلَبُ(1)

وَأَنْذَلُ مَنْ يَمْشِي «ضُبَيْعَةُ» إِنَّهُمْ . زَعَانِفُ لَمْ يَخْطُبْ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ(2)

وَ «يَشْكُـرُ» خِصْيَـانٌ عَلَيْهِـمْ غَضَـارَةٌ

وَهَلْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْخَصِيُّ الْمُجَبَّبُ(3)

وأَبْلَـجَ مِسْهَـاءٍ كَـأَنَّ لِسَـانَـهُ

إِذَا رَاحَ ذُو النُّونَيْنِ بَـلْ هُوَ أَقْرَبُ(4)

يُجَلِّي الْعَمَـى عَنَّـا بِفَصْـلٍ إِذَا قَضَى

ضَرِيبَتُهُ صَافِـي الْحَدِيدَةِ مِقْضَـبُ(5)

إِذَا شِئْتَ نَـادَى فِي الْأَنَـامِ بِصَوْتِـهِ

لِأَرْفَـعِ مَا أَدَّى عَرِيبٌ وَمُعْـرِبُ(6)

---

1) «حيّا لجيم» هما حنيفة وعجل، ابنا لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والقسور : الأسد، ويقال: قسورة ، والشباة (بفتح الشين المعجمة): الحديدة المحددة والظفر ، وهـو المراد هنا، أي هما كأسدين قصت أظفارهما وقلعت أنيابهما ، وقوله «تنزعت» بضم التـاء وضم النـون أي انتزعت .

2) «ضبيعـة» بضم الضاد وفتح الباء اسم حيين من بكر بن وائل ، أحدهما : بنو ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن بكر ، والآخر بنو ضبيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن بكر. وكان أحد الحيين أو كلاهما ينزلون البصرة ، ولهم بها محلة تعرف بضبيعـة ، قال ياقوت : ولا أدري أيتهما نزلت بهذا الموضع فسمي بها، وروي هذا البيت في البيان «وألأم من يمشي».

3) كتب في الديوان «تشكر» بالمثناة الفوقية ، وهو غلط ، وانمـا هو بالمثناة التحتية اسم حي من بكـر بن وائل وتقدم في الورقة 55 . والغضارة: النعمة، أي هم في نعمة ولا مجد لهـم .

4) الأبلج : الوضيء ، والمسهـاء: صاحب المساهاة ، وهي حسن المعاشرة ، أو هو اللين المشي ، شبهـه ببعير يمشي السهو ، وهو المشي اللين ، وذو النونين سيف من سيوف العرب المشهورة . وهو سيف معقـل بن خويلـد الهذلي ، وهو كل سيف عريض معطوف طرفي الظبة، وأراد هنا التخلص إلى مدح الممدوح وسيفـه .

5) الضريبـة : الذات المضروبة ، والمقضب : آلة القضب، أي القطع .

6) كتب «غريب ومغرب» بالغين المعجمة، والظاهر أنهما بالعين، وعريب بمعنى أحد من الأسماء المتوغلـة في الإبهام ، مثل ديار ، ولكن غالب استعماله في النفي ، والمعرب: المفصح، يعني أن لسـان سيف روح يبلغ إلى ما لا يبلغـه لسان المعرب الفصيح .

لَقَدْ سَادَ أَشْرافَ الْعِراقِ ابْنُ «حَاتِمٍ» كما سَادَ أَهْلَ الْمَشْرِقَيْنِ «الْمُهَلَّبُ»(1)
لَهُ فَضَلاَتٌ مِنْ «قَبِيصَةَ» فِي النَّدَى وَأُكْرُومَةٌ مِنْ «حَاتِمٍ» لاَ تَعَطَّبُ(2)
وَمِنْ إِرْثِ «سُرَاقٍ» عَلَيْهِ مَهَابَةٌ تَظَلُّ قُلُوبُ الْقَوْمِ مِنْهَا تَوَجَّبُ(3)
وَيَغْدُو بِأَخْلاَقِ «الْمُهَلَّبِ» مُولَعاً كما شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ تَطْرَبُ(4)
وَيَعْطِفُ «كِنْدِيٌّ» عَلَيْهِ وَ «ظَالِمٌ» مَآثِرَ أَيَّامٍ تَطِيبُ وَتَرْحُبُ(5)
وَتَعْرِفُ مِنْهُ مِنْ شَمَائِلِ «ظَالِمٍ» مَنَاقِبَ مِفْضَالٍ تَعُودُ وَتَشْعَبُ(6)
وَكَمْ مِنْ أَبٍ غَمْرٍ لِـ «رَوْحِ بنِ حاتِمٍ» يُزَيِّنُ آبَاءً وَزَيَّنَهُ أَبُ
إِذَا ذُكِرُوا فِي مَأْقِطٍ أَطْرَقَ الْعِدَى وَرَنَّحَ فَحْلُ الْقَرْيَتَيْنِ الْمُقَبْقِبُ(7)
هُمُ ذَبَّبُوا عَنْ عَظْمِ دِينِ «مُحَمَّدٍ» بِأَسْيَافِهِمْ إِذْ لَيْسَ فِينَا مُذَبِّبُ(8)

---

1) المهلب: جد الممدوح ، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم (كني بأبي صفرة باسم بنت له تسمى صفرة) ابن سراق بن صبح بن كندي، وهو من الأزد ، ولد المهلب قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين، وشب شجاعا سيدا ، وله مواقف عظيمة في قتال الخوارج بالأهواز زمن عبد الملك، وولي خراسان وعراق العجم نائبا عن الحجاج ، ولم يزل بها إلى أن مات سنة 83، وقد ذكر المبرد في الكامل أخبارا كثيرة من أيام المهلب، وأراد بشار بالمشرقين العراق العجمي وبلاد فارس، لأنهما شرق العراق العربي ، وكان المهلب واليا عليهما. وليس مراد بشار المفاضلة بين روح وجده كما أراد الاعشى بقوله :

أن تسد الحوص فلم تعدهم وعامر ساد بني عامر

2) «أكرومة» اسم مصدر الكرم، «لا تعطب» أي لا تتعطب، أي لا يعتريها العطب وهو الاختلال.
3) «سراق» من أجداد روح ، كما تقدم . و«توجب» أي لها وجيب واضطراب .
4) كتب في الديوان «كما» ولعل صوابه «لما» باللام عوض الكاف وضمير «تطرب» عائد إلى أخلاق.
5) كندي : جد أبي المهلب ، وظالم : أبو المهلب .
6) «تعود» مضارع عاد، أي أعطى العائدة وهي الصلة، قال زهير:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم

و«تشعب» أي تصلح الصدع ، يقال: شعب القدح إذا أصلح شقا فيه .
7) أراد بالقريتين البصرة والكوفة . «المقبقب» الذي يصوت بأنيابه من شدته، وصوته: القبقبة ، والمأقط (بهمزة بعد الميم وبكسر القاف): موضع الحرب ، ورنح : تغاشي ، يقال (رنح عليه) إذا غشي عليه، وضبط في الديوان رنح بفتحة على الراء وفتحة على النون، والوجه أن يكون بضمة على الراء وكسرة للنون .
8) ذبب : ضرب بذباب السيف ، وهو حده، والعظم يكنى به عن الجسد كما في قوله تعالى «قال ربي إني وهن العظم مني»، أراد وهنت .

حَدَا بِأَبِي أُمِّ الرِّيَالِ فَأَجْفَلَتْ ... نَعَامَتُهُ عَنْ عَارِضٍ يَتَلَهَّبُ(1)
وَلَاحَتْ وَمَاءُ الْأَزْرَقَيْنِ عَشِيَّةً ... أَنَاقِيعُ تَعْفُوهَا نُسُورٌ وَأَذْؤُبُ (2)
صَفَتْ لِي يَدُ الْفَيَّاضِ «رَوحِ بنِ حَاتِمٍ» ... فَتِلْكَ يَدٌ كَالْمَاءِ تَصْفُو وَتَعْذُبُ
وَمَا وَلَدُوا إِلَّا أَغَرَّ مُتَوَّجاً ... لَهُ رَاحَةٌ تُبْكِي وَأُخْرَى تَحَلَّبُ
وَأَيَّامُ أَبْطَالٍ عَلَيْهَا بَسَالَةٌ ... وَجُودٌ كَمَا جَادَ الْفُرَاتِيُّ أَغْلَبُ(3)
مُلُوكٌ إِذَا هَابَ الْعَطَاءَ مَعَاشِرٌ ... وَضَرْبَ الطُّلَى سَنُّوهُمَا وَتَعَجَّبُوا(4)
سَيُخْبِرُ عَنْ «رَوْحٍ» ثَنَائِي وَفِعْلُهُ ... وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا رِضًى لَا يُكَذَّبُ(5)
تَعَصَّبَ «رَوْحٌ» وَالْمَكَارِمُ تَابِعاً ... لِأَشْيَاخِهِ وَالسَّابِقُ الْمُتَعَصِّبُ(6)
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانَ وَجَزْمٌ مُوَفَّقٌ ... وَلِلْمَوْتِ مِنْهُ مَخْرَجٌ حِينَ يَغْضَبُ(7)
مِنَ الْوَارِدِينَ الرَّوْعَ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... إِذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِراً لَا تَنَقَّبُ(8)

---

1) كتب في الديوان «الزيال» بزاي ثم ياء ولعلها محرفة عن «الرئال» بالراء المهملة بعدها همزة: والرئال: جمع رأل (وهو فرخ النعامة) وأم الرئال: النعامة، والمراد بـ (أبي أم الرئال): أبو نعامة قطري بن الفجاءة من زعماء الخوارج، كان يكنى بـ (أبي نعامة) وكان شجاعا. ومعنى «حدا» أنه تمكن من غلبته كما يتمكن الحادي من الراحلة، و«أجفلت» فرت. تخيل لقطري نعامة لأنه مكنى بأبي نعامة فتخيل لتلك النعامة إجفالا أي فرارا لأن الفرار من شأن النعام.

2) وضبطت (تحلب) بضم التاء والوجه فتح التاء كما تقدم في البيت الرابع من ورقة 71.

3) «الفراتي» هو نهر الفرات، كقول الأعشى:

مثل الفراتي إذا ما طمى ... يقذف بالبوصي والماهر

4) «الطلى»: أصول الأعناق، جمع طيلة (بضم الطاء). «سنوهما» جعلوهما سنة، أي عادة. و«تعجبوا» أي اعتبروا منع العطاء أمرا عجيبا لأنهم لم يألفوه من عوائدهم.

5) «رضى» أي عدل مرضي قال تعالى: «ممن ترضون من الشهداء».

6) «لأشياخه» أي أجداده وآبائه، قال قيس بن الخطيم:

ثأرت عديا والخطيمَ ولم أضع ... ولاية أشياخ جُعلتُ إزاءها

وقوله «تعصب» أي اتفق هو والمكارم، كما يقال: حليف المكارم، وكما قال الأعشى:

رضيعي لبان ثدي أمْ تحالفا ... بأسحم داج عوض لا نتفرق

7) حكم لقمان: حكمته وعلمه: قال تعالى في ذكر يحيى «وآتيناه الحكم صبيا»، أي الحكمة والنبوة.

8) «هي» ضمير الحرب بقرينة السياق، «حاسرا» حال من الضمير في «قامت» أي الحرب، وأراد إذا اشتدت الحرب: فشبهها بامرأة قامت لعمل شديد، كقولهم: قامت على ساق، وقوله: قد شمرت عن ساقها فجدوا.

وأصْيدَ نرْجُوهُ لكُلِّ مُلِمَّةٍ عَلَيْنا ويرْجُوهُ الْهُمامُ الْمُحَجَّبُ(1)
من الْغُرِّ مِنْعامٌ كأنَّ جبينَهُ هلالٌ بدا في ظُلْمَةٍ مُتنصِّبُ
يُطيِّبُ ذفْراءَ الدُّروعِ بجلْدِهِ ويثْنِي بمسْك كأسُهُ حين يشْرَبُ(2)
طلُوبٌ ومطْلُوبٌ إليه إذا غدا وخيرُ خَليلَيْكَ الطَّلُوبُ الْمطلَّبُ(3)
وما زال في آلِ الْمُهلَّب قائلٌ وخيلٌ تُسرَّى للطِّعانِ وتُجلَبُ(4)
ولما رأى الْحُسَّادُ روْحَ بنِ حاتِمٍ أميرًا عليه بيْتُ مُلْكٍ مُطنَّبُ
أصاخُوا كأنَّ الطَّيْرَ فوقَ رُؤُوسِهِمْ يشيمُون موتاً فَوْقهُمْ يتقلَّبُ(5)
فَدامَ لَهُمْ غَمٌّ بِروْحِ بْنِ حَاتِمٍ وَدَامَ لِرَوْحٍ مُلْكُهُ الْمُتَرَقَّبُ(6)

* * *

وقال أيضاً(*):

آبَ لَيْلِي لَيْتَ لَيْلِي لَمْ يَؤُبْ إنَّمَا اللَّيْلُ عَنَاءٌ للْوَصِبْ
أرْقُبُ اللَّيْلَ كَأنِّي وَاجِدٌ رَاحَةً فِي الصُّبْحِ منْ جَهْدِ التَّعَبْ

---

1) «أصيد» : الملك وهو الخليفة .

2) «ذفراء» : تغيرت رائحتها لصدإ الحديد و « يثني » أي يزاد عليه كما يقال : يشفع .

3) «الطلوب» الشديد الطلب للأعداء يتتبع جيوشهم ويهجم على بلادهم ، كقول النابغة :
طلوب الاعادي واضح غير خامل
« ومطلاب » (بكسر الميم) من أمثلة المبالغة، كقول العرب « إنه لمنحار بوائكها » وهو مشتق من الطلب بمعنى السؤال، وقوله « المطلب » بفتح اللام اسم مفعول من « طلب » المضاعف، للمبالغة في أنه مطلوب ، أي مسؤول ، وحذف حرف الجر لأن التقدير المطلب إليه ، أي : وخير نوعي الأصحاب الشجاع الكريم .

4) كتب « قائلا » بالقاف وبالنصب، ولا وجه لهما ، فهو مرفوع ، ولعله « نائل » بنون وبالرفع ، و« قائد » بقاف وبدال في آخره ، وقوله « تسري » بضم التاء من قولهم : تسرى سرية ، أي جردها ، وقوله «وتجلب» كتب باللام أي تساق ويوتى بها ، ولعله «تجنب» بالنون ، أي يجعل الفرس منها بجنب فرس آخر . يقال: فرس مجنوب .

5) «يشيمون» ينظرون ، وأصل الشيم ، النظر إلى البرق لتعرف جهة المطر ، قال امرؤ القيس :
على قطن بالشيم أيمن صوبه

6) المترقب أي المرقوب من أعدائه أي المخوف منه.

*) وقال أيضا في النسيب . وهي من بحر الرمل .

وَلَقَدْ أَعْلَمُ أَنِّي مُصْبِحٌ   مِثْلَمَا أَمْسَيْتُ إِنْ لَمْ تَحْتَسِبْ(1)
فَأَرَتْنِي ثُمَّ شَطَّتْ شَطَّةً   تَرَكَتْ قَلْبِي إِلَيْهَا يَضْطَرِبْ
مَا أَقَلَّ الصَّبْرَ عَنْهَا بَعْدَمَا   كَثُرَتْ فِينَا أَحَادِيثُ الْعَرَبْ
قَرَّ عَيْناً بِحَبِيبٍ نَظْرَةً   لَا يُقِرُّ الْعَيْنَ إِلَّا مَا تُحِبْ(2)
وَكَلَتْ بِي جَارَتِي أُسْهُودَةً   شَرَّ مَا وُكِّلَ بِالْجَارِ الْجُنُبْ(3)
وَنَصِيحَيْنِ أَلَمَّا بَاكِراً   بِطَبِيبٍ، وَطَبِيبِي الْمُجْتَنَبْ(4)
سَأَلَانِي وَصْفَ مَا أَلْقَى، وَلَا   أَسْتَطِيعُ الْوَصْفَ، إِنِّي مُكْتَئِبْ
غَيْرَ أَنِّي قُلْتُ فِي قَوْلِهِمَا   قَوْلَةً أَخْفَيْتُهَا كَالْمُنْتَيِبْ (5)
بَيَّنَا مِنْ قُرْبِهِ لِي حَاجَةً   ثُمَّ لَا يَقْرُبُ وَالدَّارُ صَقَبْ(6)
يَا خَلِيلَيَّ أَلِمَّا بِي بِهَا   نَظْرَةً ثُمَّ سَلَانِي عَنْ وَصَبْ(7)
شُغِلَتْ نَفْسِي عَنْ وَصْفِ الْهَوَى   بِاشْتِيَاقِي أَنْ أَرَاهَا وَطَرَبْ(8)

---

1) « تحتسب » أي تحتسب الثواب .

2) « قر عينا » أمر ، يجوز فيه كسر القاف وفتحها ، لأنه يقال: قرت عينه تقر بكسر القاف وفتحها ، وقوله « لا يقر » هو بضم الياء ، ويقال: أقر الله عينه .

3) الأسهودة: اسم مصدر سهد، أي لم ينم، أفعولة ، مثل الأحدوثة ، والسهد : السهر ، وأراد بجارته حبيبته القريبة من داره .
«شر ما وكل» صفة أسهودة. وشر اسم تفضيل أصله أشر ، وضمن «وكل» معنى (نيط) فعداه بالباء.

4) « المجتنب » الذي جنباه الحضور .

5) كتب في الديوان « كالمتيب » بنون ففوقية فتحتية فإذا جعلت الياء التحتية هي الأصل لم يظهر لذلك معنى سواء جعلت النون زائدة بوزن منفعل أو جعلت التاء زائدة بوزن مفتعل، فلعل صواب رسم الكلمة «كالمتئب» بهمزة بعد التاء الفوقية، كتبت في صورة الياء التحتية من مادة « وأب » يقال اتأب إذا خزي .

6) الصقب: المجاور . و«من قربه» بيان لحاجة مقدم على المبين، أي فسر سبب ذلك كما يفسر الطبيب مرض المريض .

7 و8) قوله « وصب » وقوله « طرب » أصلهما: وصبي وطربي ، وحذفت الياء لأجل القافية ، نظير قوله تعالى « فكيف كان عذابي ونذر » فإنه يوقف عليه بالسكون وحذف الياء رعيا للفاصلة ، (من أول سورة القمر) وقوله تعالى « إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب » رعيا للفاصلة (من أول سورة ص) .

فَـاتْرُكَا لَوْمِي فَإِنِّي عَـاشِـقٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيْـهِ مَـا كَتَـبْ
وَلَقَدْ قُلْـتُ لِقَلْبِـي خَـالِياً حِينَ لَمْ يَلْـقَ هَـوَاهَـا وَدَأَبْ(1)
أَيُّهَـا النَّاصِبُ فِي تَطْـلَابِهَـا بَعْـدَ هٰذَا مَـا تُبَـالِي مَـا نَصَبْ(2)
لَا يُرِيدُ الـرُّشْـدَ إِلَّا نَـاصِـحٌ وَبِلَى قَتْلَـكَ إِلَّا مَـنْ تَعِـبْ(3)
كُـلٌّ لِمَنْ يُقْصِيكَ مِثْلًا صَاعَهُ وَإِذَا قَـارَبَ وُدًّا فَـاقْتَـرِبْ(4)
وَالْقَ مَنْ قَدْ ذَاقَ فِيمَا لَمْ يَذُقْ لَا يُـدَاوِي السُّقْمَ إِلَّا مَـنْ يَطِـبْ
قَتَلَتْنِـي فَأَبَى قَلْبِـي وَقَـدْ آنَ مَـا كَلَّفَـنِي حَتَّى أَحَـبْ(5)
فَهْيَ عَجْزَاءُ إِذَا مَـا أَدْبَـرَتْ وَإِذَا مَـا أَقْبَلَـتْ فِيهَـا قَبَـبْ(6)
لَمْ تَرَ الْعَيْنُ لِعَيْـنٍ فِتْنَـةً مِثْلَهَـا بَيْنَ جُمَـادَى وَرَجَـبْ(7)
تَيَّمَتْنِـي بِقَـوَامٍ خُـرْعُبٍ وَبِـدَلٍّ عَجَبٍ، يَـا لَلْعَجَـبْ !(8)
صُورَةَ الشَّمْسِ جَلَتْ عَنْ وَجْهِهَا بَعْدَ عَيْنِي جُـؤْذَرٍ فِـي الْمُنْتَقَـبْ

---

1) كتب « هـواها » ولعل صوابه « هـواه » .
2) كتب « ما نصب » والصواب « ما النصب » بالتعريف ، والخطاب لقلبـه .
3) لا يظهر معنى لقوله « تعب » ، ولعـل الصواب « عتب » ، أي لا يجيئك الهلاك إلا من العاتبين في حبهـا ، وهم العذال ، وشتان بين الناصح وبين العـاذل .
4) كتب « يقضيك » بضاد معجمـة ، وصوابه « يقصيك » بصاد مهملة ، وكـتب « صاغه » بغين معجمة ، والصواب « صاعه » بعين مهملة ، وصاعه مفعول «كل» . و«مثلا» حال من صاعه. وحذف ما حقه أن يضاف (مثل) إليه، والتقدير: مماثل صاعه .
5) لـم يظهر معنى البيت .
6) القبـب : دقة الخصر وضمور البطن .
7) « بين جمادى ورجب » مثل أولـه « العجب كل العجب بين جمادى ورجب » قاله عاصم ابن المقشعر الضبي حين قتل الخنيفس بن خشرم الشيباني آخذا بثأر أخيه أبيدة بن المقشعر، وكان يوم ترصد لقتله آخر يوم من جمادى الآخرة ، وكانوا لا يقتلون في رجب، لأنه شهر حرام عند مضر ، فاغتنم فرصة وبـادر قتله يومئذ وقال المثـل ، فصار يضرب مثـلا للذي يدرك بغيته في آخر أوقات الإمكان، ومراد بشار أنه صادفته على غفلة فرآها فقتلته، وأشار إلى ذلك بذكر بعض المثل ، فكان في كلامه استعارة تمثيلية مكنية .
8) القـوام (بفتح القاف) حسن الطول ، يقال: هو حسن القوام والقامة ، والخرعب (بضم الخاء المعجمـة وضم العين المهملة) : الغصن الناعم الحديث .

حُلْوَةُ الْمَنْظَرِ رَيَّا رَخْصَةٌ   بَعَثَ الْحُسْنُ عَلَيْهَا أَنْ تُسَبْ(1)
تَأْمَنُ الدَّهْرَ وَلَا تَرْجُو لَنَا   فَرَجاً مِمَّا بِنَا ، ذَاكَ الْكَذِبْ
كَمْ رَأَيْنَا مِثْلَهَا فِي مَأْمَنٍ   قَلَّبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَانْقَلَبْ
لَا يَغُرَّنَّكَ يَوْمٌ مِنْ غَدٍ   صَاحِ إِنَّ الدَّهْرَ يُغْفِي وَيَهُبّْ
صَادِ ذَا ضِغْنٍ إِلَى غِرَّتِهِ
وَإِذَا دَرَّتْ لَبُونٌ فَاحْتَلِبْ(2)
لَيْسَ بِالصَّافِي وَإِنْ صَفَّيْتَهُ
عَيْشُ مَنْ يُصْبِحُ نَهْباً لِلرُّتَبْ(3)
مَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي أَثْبَاتِهِ
لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِ تِلْكَ اللُّعَبْ(4)
أَقْبَلَتْ أَيَّامُهُ حَتَّى إِذَا
جَاءَهُ الْمَوْتُ تَوَلَّى فَذَهَبْ

* * *

---

1) معنى النصف الثاني أن حسنها جر إليها أن يسبها العاشقون من شدة ما يلقون من آلام حبها. مثل قول سحيم العبد:

وراهن ربي مثل ما قد وريتني   وأحمى على أكبادهن المكاويا

2) وقع في الديوان تحريف في أول المصراع الأول وجدته في المجموعة الأدبية مضبوطا هكذا «صاد ذا الضغن إلى عزته» فأثبته كما وجدته في المجموعة، فـ «صاد» أمر من صاداه يصاديه إذا داراه في الأمر، والضغن (بالضاد المعجمة الساقطة): الحقد. والغرة (بكسر الغين): الغفلة، وتطلق على الفرصة، لأن العرب كانوا يترصدون غفلة القبائل فيغيرون على إبلهم، والمعنى صانع عدوك إلى أن تجد فرصة تتمكن فيها منه، ومعنى المصراع الثاني واضح وقد استشهد بهذا البيت في لسان العرب عن ابن بري في مادة صدى، ولم ينسبه، وكتب في أصله (بالضعن) في موضع (الضغن) وفي بعض نسخ الأصل بالطاء المهملة فلم يتضح المعنى لمصححه.

3) «الرتب» بفتح الراء وفتح التاء الفوقية، فهل يكون المراد بالرتب جمع رتبة أو يضبط للرتب بفتح الراء، أي للشدة، أو يكون الاصل «الريب» بكسر الراء وفتح الياء التحتية فإذا لم يكن بمعنى صروف الدهر كان بمعنى ما يقلق النفس فيصير قوله «يصبح نهبا للريب» مثل قولهم «توزعته الأفكار» و«هو متوزع القلب» و «أصبح متقسما مشترك الخواطر بالهموم».

4) أبو العباس هو الخليفة عبد الله السفاح وكانت وفاته بالجدري.

وقــال أيضــاً(*) :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ بِالنحيلـة صَبًّا　　بَعْدَ مَا قَدْ صَحَا وَرَاجَعَ لُبَّـا(1)
زَادَهُ مَـدْخَلُ الْوَلِيـد عَلَيْـه　　وَخَيَالٌ سَرَى بِعَبْـدَةَ عُجْبَـا(2)
وَمَقَالُ الْفَتَـاة إِذْ هُتِكَ السِّتْــ　　ــرُ لَهَا عَنْ مَقَالِ مَا كَانَ عَبَّـا :(3)
أَيُّهَا الْمُسْتَجِيرُ مِنْ حُبِّ عَبْـ　　ـدَةَ إِذْ رَاعَهُ خَيَـالٌ فَهَبَّـا
لَيْسَ مِنْ حُبِّهَـا مُجِيرٌ سِوَاهَا　　بَعْـدَ مَا سَارَ فِي الْفُؤَادِ وَدَبَّـا
يَـا خَلِيلَيَّ اخْـرِجَانِي مِنَ الْحُـ　　ـبِّ سَوِيًّا وَلَا تَلُـومَا مُحِبَّـا
فَـاتْرُكَا لَوْمَـهُ وَلُـومَا خَلِيـلًا　　يَتَجَنَّى ذَنْبـاً وَلَمْ يَـدْرِ ذَنْبَـا
كُلَّ يَـوْمٍ تَعَتُّبٌ الْـوُدُّ مِنْـهُ　　لَيْتَ شِعْرِي : أَيُحْسَبُ الْوُدُّ عَتْبَـا
تِلْـكَ عَبَّـادَةُ الَّتِي لم تَنَلْـهُ　　غَيْرَ مَا أَصْبَحَـتْ لِعَيْنَيْـهِ نَصْبَـا
شَرِبَتْ سَلْـوَةً عُبَيْـدَةُ عَنِّـي　　وَكَـأَنِّـي شَرِبْـتُ بِالْحُبِّ طِبَّا(4)

---

*) وقال أيضا في النسيب بعبدة ، وهي من بحر الخفيف .

1) لم يضبط «النحيلة» في الديوان بسوى كسرة وضعت تحت الهاء ولم تنقط الهاء فيجوز فيها ضم النون وفتح الحاء المهملة ، تصغير « نحلة » اسما لامرأة ، وكنوا بأبي نحيلة الصحابي النحيلي ، ويجوز فتح النون وكسر الحاء المهملة ، من النحول ، وهو قلة اللحم .

2) قوله «عجبا» مفعول « زاده » ، وقوله « بعبدة » متعلق بـ«عجبا» ، و « الوليد » لعله أحد رسل بشار إلى حبائبه .

3) هكذا ثبت المصراع الاخير في الديوان ، ولعل فيه تحريفا وأن الصواب «عن مثال من كان عبا» والعب : ضوء الشمس ، أي عن مثال عبدة التي هي كضوء الشمس ، والبيتان بعده هما المقال .

4) السلوة (بفتح السين وسكون اللام) ماء يجعله العراف ، وهو مثل الساحر يقصد لطب النفس من العشق ، يأخذ خرزة تسمى السلوانة (بضم السين وسكون اللام) وهي خرزة شفافة تدفن في التراب فتصير سوداء ويأخذ من تراب قبر ، فتسحق الخرزة ويذر عليها ذلك التراب ، ويصب على ذلك المسحوق ماء ، ويسقيها العاشق فيسلو معشوقه ، وتسقاها المرأة فتبغض زوجها ، فهو يعطى للتبغيض ويسمى سلوة وسلوانا ، قال رؤبة :

مسلم لا أنساك ما حييت　　لو أشرب السلوان ما سليت

وقال عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه　　وعراف نجد إن هما شفياني

فَتَقَضَّى الرَّجَاءُ منْهَا لَقَدْ صَـدَّ ... طَبِيبِي عَنِّي وَقَضَّيْتُ نَحْبَـا
أَنَـا إِنْ لَمْ أَمُتْ بِذَاكَ فَـإِنِّـي ... مَيِّتٌ مِنْ مَخَافَتِي ذَاكَ رُعْبَـا
لَيْتَهَـا تَاقَ قَلْبُهَـا فَاسْتَوَيْنَـا ... أَوْ رُزِقْنَـا كَقَلْبِ عَبْدَةَ قَلْبَا(1)
فَصَبَـرْنَا عَنْهَا كَمَا صَبَرَتْ عَـ ... ـنَّا وَلَمْ نَتَّخِذْ عُبَيْدَةَ رَبَّـا
فَاكْشِفِي مَا بِنَا وَعُـودِي عَلَيْنَـا ... قَدْ لَقِينَا إِلَيْكِ فِي الْحُبِّ حَسْبَـا(2)

* * *

قال أيضاً(*) :

يـا لَقَـوْمٍ لِلـزَّائـِرِ الْمُنْتَـابِ ... ولِمَـا قدْ لَقِيتُ حِين الْمَتَـابِ(3)
أَزْهقـتْ مُهْجَتِـي ولـم تدنُ إِلَّا ... وقْعَةً عِنْدَنَا وُقُـوعَ الْقِـرابِ(4)
يوْمَ قَامَتْ مُخْتالَـةً فِي حِقـابٍ ... لَيْتَنِي كُنْتُ بعضَ تِلْكَ الْحِقـابِ(5)
ولقـدْ قُلْتُ لِلنِّطَـاسِيِّ لَمَّـا ... جِئْتُهُ واشْتَكَيْتُ داءَ الْحِبَـابِ(6)

فمـا تركـا من رقيـة يعلمـانهـا ... ولا سلـوة إلا بهـا سقيـانـبـي

والطب (بفتح الطاء وكسرها أيضا وضمها) : السحر. يقال: طب الرجل (بالبناء للمجهول) فهـو مطبوب بمعني مسحور ، وانما سمى العرب السحر طبا لأن مداواة المرضى كانوا يطلبونها من السحرة، فكان السحر والمداواة والرقية مخلوطة ولا يفرقون بينهـا، فيحتمل أن الطب في الأصل مرادف السحر ، ثم خصصه العرب بمداواة الجسد، ويحتمل أنه اسم للمداواة مطلقا ، فأطلـق على السحر لأن السحر يداوى، وقال أهل اللغـة : سمي السحر طبا على وجه التفاؤل ، وأراه غيـر صحيـح .

1) «تـاق»: اشتـاق .
2) «حسبا» أي كافيا لنا لا نستطيع تجاوزه . قال بشار في الورقة 13 «عوجا خليلي لقينا حسبا».
*) وقال أيضا في النسيب بالرباب ، والقصيدة من بحر الخفيف.
3) استغـاثة ممـا فتك به، وقوله «المتـاب» كتب بفوقية ولا معنى له؛ ولعله «المثاب» بمثلثة ، أي حين مثاب الزائر ، أي حين رجوعه ، وضبط في الديوان بتنوين الميم وكسر وهو خطأ .
4) ضبط «القراب» بفتحة على القاف، والظاهر أن يكون بكسر القاف، وهو هنا قراب السيف، وهو غمـده ، وهو جراب من جلد يجعل على صورة السيف ليحفظه، ووجه التشبيه أن صاحب السيف لا يوقعـه على الارض إلا ساعة قليلة ريثمـا يضرب بسيفهثم يرجعـه إلى قرابه .
5) الحقـاب (بوزن كتاب) منطقـة محلاة بالذهب أو غيره تشد به المرأة وسطهـا .
6) النطـاسي (بكسر النون وتخفيف الطاء) العـالم ، ويختص إطلاقه بالعالم بالطب الحاذق بـه والنسبة فيه للمبالغة، إذ لم يقولوا نطاس، فهو كقولهم: غلابي وألمعي. «والحباب» يجوز —

كَيْفَ لِي بِالسُّلُوِّ عَمَّنْ جَفَانِي   وَفُؤَادِي كَالطَّائِرِ الْمُسْتَجَابِ(1)
أَنَا مِنْهُ وَمِنْ جَوَى الْحُبِّ أُمْسِي   فِي عَذَابٍ قَدْ نَاءَ فَوْقَ الْعَذَابِ !
قَالَ : هَجْرُ الْحَبِيبِ يُسْلِيكَ عَنْهَا   لَنْ تَنَالَ السُّلُوَّ قَبْلَ اجْتِنَابِ(2)
قُلْتُ : يَأْبَى الْهَوَى عَلَيَّ وَنَفْسِي   لَا تُطِيعُ الْعَدُوَّ فِي الْأَحْبَابِ(3)
كَيْفَ يَسْلُو عَنِ الرَّبَابِ فُؤَادِي   وَهَوَاهَا يَنُوبُ عَنْ كُلِّ نَابِ(4)
وَيَكُنَّ النِّسَاءُ بِيضاً وَأُدْماً   صِيغَةً بَعْدَ صِيغَةِ الْأَتْرَابِ
كَكُعُوبِ الْقَنَاةِ مُشْتَبِهَاتٍ   وَكَأَنَّ الرَّبَابَ أُمُّ الْكِتَابِ(5)
خُلِقَتْ وَحْدَهَا   خَلْقاً   ضَاعَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فِي الْحِسَابِ(6)
هِيَ بَرْدُ الشَّرَابِ   لَا أُطِيقُ اجْتِنَابَ بَرْدِ الشَّرَابِ(7)
غَبَطَتْ نَفْسَهَا   فَكَأَنِّي أُمُدُّ فِي كُلَّابِ(8)

ـ أن يكون مصدرا بمعنى الحب وأن يكون جمع أحباب مثل صحاب. وكتب الحباب في الديوان بخاء منقوطة ولعله سهو ، وانظر البيت الثالث من ورقة 37 والبيت السادس عشر من ورقة 53 .

1) «المستجاب» كذا ، وانظر مراده به .

2) الظاهر أن الصواب «عنه» وهذا مبني على رأي من رأى البعد عن الحبيب يؤول إلى السلو ، قال زهير بن جناب العذري ابن عم جميل صاحب بثينة :

إذا ما شئت أن تسلو حبيبا   فأكثر دونه عدد الليالي
فما سلى حبيبك مثل نأي   ولا أبلى جديدك كابتذال

وقال عباس بن الأحنف :

إن التجنب إن تطاول منكما   دب السلو له فعز المطلب

وجميل قد خالف في ذلك. وهو رأي الصادقين من أهل الغرام. قال جميل. يعرض بابن عمه زهير :

لحا الله أقواما يقولون إننا   وجدنا بعاد الدار للحب شافيا

وقد وافقه بشار هنا .

3) كتب في الديوان «يأتي» بفوقية بعد الهمزة وهو سهو .

4) «ناب» : اسم فاعل من نبا ينبو إذا بعد ، أي أن هواها في نفسي ينوب عنها وإن نبت .

5) لما ذكر التشابه تذكر قوله تعالى «منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات» فجعل الرباب كأم الكتاب في أنها لا يشبهها شيء. وهذا معنى ضعيف. وقد قرن فعل «يكن» بعلامة الجمع مع أنه رافع لاسم ظاهر. وهذه لغة أزد شنوءة .

(6 ـ 7 ـ 8) في المصاريع الاول من هذه الأبيات الثلاثة بياضات .

وقــال بشــار أيضاً(*):

يا شوْقَ منْ بَاتَ مشْغُوفاً ومُجْتَنَبا ... ويا صبابَتَهُ إنْ صَــدَّ أوْ قَــرُبــا(1) [87]
نَامَ اللَّواتي عَدِمْنَ الْحُبَّ من مَرَحٍ ... وبِتُّ أقْرِضُ في الظَّلْماء مُكْتَئِبــا(2)
وقائلٍ صحَّ من دائي تجنَّبــه ... لمْ يلْقَ عجْباً وإنْ حدَّثْتَهُ عجَبــا(3)
مَــا لي رَأيْتُــكَ لاَ تَصْبُــو إلَى لَعِــــب
فَقُلْتُ : مَنْ قَــرَّ عَيْنــاً بالْهَــوَى لَعِبَـــا
أصبَحْــتُ عَنْ كَأسِــكَ الْغَــرَّاء فــي شُغُــلٍ
فَاشْــرَبْ هَنيئــاً عَلَى الرَّيْحَــان مُغْتَصِبَــا
لَا تَعْجَــلِ الْقَــدَرَ الْمكْتُــوب مَوْقِتَـــهُ
فاسْتَــأنِ لَا يسْبِــقُ الْعجْــلَانُ مــا طَلَبَــا
قَــدْ صَــارَعَ الْحُــبُّ قلْــبي ثُــمَّ أدْرَكَــهُ
وهْنُ الْمُحِــبِّ فأمْسَى الْقلْــبُ قَــدْ غُلِبــا(4)
كيْف السَّبيــلُ إلَى لهْــوٍ وقــدْ تَــرَكَــتْ
سعْدى علَى كَبِــدِي من حُبِّهــا نُدَبــا(5)

---

*) وقال بشار أيضا في النسيب، وذكر فيها أسماء بعض أصحابه وهي من بحر البسيط .

1) ضبط «مجتنبا» في الديوان بكسرة تحت النون ، والوجه أنه بفتحة. وضميرا «صد وقرب» عائدان إلى (شاغفه) المفهوم من قوله «مشغوفا» وحرف (يا) في الموضعين مستعمل في التعجب .

2) أقرض: أقول الشعر، أي في حبها ، يقال: قرض الشعر (من باب ضرب) إذا نظمه، ومنه سمي الشعر (قريضا) بمعنى مقروض .

3) معنى «صح من دائي» سلم منه فكان صحيحا، والجملة صفة «قائل». وكتب في الديوان «قابل» بباء موحدة .

4) كتب في الديوان (ضارع) (بالضاد المعجمة)، ولعله تحريف وأن صوابه (صارع) (بالصاد المهملة) لأن ذلك هو المناسب للوهن والغلبة .

5) الندب (بضم ففتح) جمع ندبة (بفتح فسكون) وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

غَـزَالةٌ غَضَبَتْ لَيْثـاً بمُقْلتِها لـمْ أَرَ كاليوْم مغْصوباً ومُغْتصِبا (1)
يا نظْرةً عَقَلَتْ سلْمى بمُقْلتِـهِ فمــا يزالُ قذًى في عيْنِـه نَشبـَا
تدْنُو مع الذِّكْر تشبيهاً إذا نزحتْ حتّى أرى شخْصَها في العيْن مُقْترِبـا
إنَّ الغواني لَا يُغْنِينَ مَسْألـةً ولَا ترى مثْل ما يسْلُبْنَنَا سَلَبـا(2)
دعْهُنَّ للمُسْهِب الضِّلّيل مورِدُهُ يا قلْبُ كُلُّ امْرِيءٍ رهْنٌ بما اكْتسبا(3)
قدْ حَصْحَصَ الحقُّ وانجابتْ دجنّتُهُ وعرَّض الدّهْرُ شطْرَيْه لمنْ حَلَبـا(4)
وجاثِـمُ الهـمِّ قـدْ سُدَّتْ مَطـالِعُـــــهُ
جليْـتُ عنْ وجْهِـه التَّشْبيـه والرِّيَبـــــا

---

1) استعمل « الغزالة » مؤنثة بتاء التأنيث مرادا بها أنثى الغزال لا محالة لقوله « غصبت ليثا بمقلتها » وهذا يعضد الحريري في قوله في المقامة الخامسة « فلما ذر قرن الغـزالة (الشمس) طمر طمور الغزالة (انثى الغزال) . . » وإن كانوا قد انتقدوه عليه ، وقالوا : إنه لم يسمع من العرب. وأحسب أن المولدين سئموا من التباس أنثى الغزال بذكره ، وهم يحبون أن ينبهوا على كون المشبه امرأة فاقتحموا مخالفـة العرب ، كما فعل من قبلهم في (زوجة) الرجل فأنثوه وابتدأ بذلك الفرزدق وجرير ، قال الفرزدق :

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتـي كساع إلى أسد الشرى يستبيلهـا

وقال ذو الرمة :.

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة أراك لها بالبصرة العام ثاويــــا

وكما اقتحم من بعدهم على تأنيث (إنسان) للمرأة . قال أبو منصور الثعالبي :

إنســانـة فتـانـــة بدر الدجى منهـا خجـل

2) أي أن شأن الرجال أن تكون الشجاعة فيهم مشفوعة بالسخاء فهم يسلبون الكماة ويعطون العفاة ، وأما الغواني فهن لا يغنين مسألة ويسلبن من شبكه حبهن واعتقله . .

3) ضبط في الديوان بكسرة تحت هاء « المسهب » ، والظاهر أنه بفتح الهاء ، الذى ذهب عقله والضليل : الكثير الضلال ، وأشار إلى قوله تعالى « كل امرىء بما كسب رهين » سورة الصافات .

4) «شطريه» تثنية شطر (بفتح الشين المعجمة وسكون الطاء) وهو نصف ضرع النـاقة،وفيه ثديان، وللناقة شطران مقدم ومؤخر ، شبهوا صروف الدهر بلبن الناقة وشبهوا من مارس صروفه بحالب شطري الناقة في أنه لم يفته شيء من اللبن الذي في ضرعها، وقالوا في المثل «حلب الدهر أشطره» فجاءوا بالجمع مكان المثنى كقوله تعالى «فقد صغت قلوبكمـا» .

حتّى غَدَا عب عبّاسٍ ولَا سَبَقٍ يتلُو يدًا قَدَحَتْ عنْ وجْهه الْحُجُبا(1)
أوْلَى لعاصٍ وزلّتْ عنْ أبي كربٍ كأنّما لمْ يكُنْ ما كان إذْ ذَهَبا(2)
وقدْ هَمَمْتُ بيَحْيَى ثُمَّ أدْركَني حِلْمي فأمسكْتُها مُخْمرَةً لَهَبا(3)
وخالدٌ عنْد ذنْبٍ سوْف يُدْركُهُ إذا خطبْتُ لهُ يوْماً كما خَطَبا(4)
قدْ أُنْضِجُ الْعَيْرَ كيًّا تحْت فائلِهِ وربّما نالهُ حِلْمي وقدْ شَعَبا(5)

* * *

وقال أيضاً(*):

يا بَانَ ضَاق الْمذْهبُ وطريدُ أهْلكِ أَجْنَبُ [88]
وذهبْتُ في غيْر السَّبيـ ـلِ لكُلِّ غاوٍ مذْهَبُ
لَا يُخْشَ قتْلي حيـن شِبْـ ـتُ وهلْ يُخافُ الْأشْيبُ(6)
هَيْهَات أفْرَخ روْعُ بَا نَةَ لَا يحُولُ الْمُغْربُ

---

1) كتب «عب» بدون ضبط، فيحتمل أنه «عبّ» بعين مهملة مفتوحة وباء موحدة مشدودة، وهو ضوء الشمس، ويحتمل أنه «عبء» بعين مكسورة وباء ساكنة وهمزة، وهو الشيء الثقيل، و«عباس» يحتمل أنه واحد من أعدائه، وانظر ما يلتئم من معنى البيت.

2) «أولى لعاص» أي هو أجدر بذلك، قال تعالى «أولى لك فأولى». والظاهر أن «العاصي» هنا اسم ليس بوصف. و «أبو كرب» أحد أصحابه، وقد ذكره في قوله الآتي «أبا كرب كلني لهم المجالد» في البيت 5 من الورقة 152.

3) يحيى هو يحيى بن صالح بن علي، تقدم في أول الورقة 9 وضمير النصب في «أمسكتها» مراد به قصيدة لهجائه.

4) خالد هو الذى أراده في القصيدة الآتية بقوله:

ضعضعت جنة خالد بعزيمة لا تقرب

وهو شاعر معاصر له.

5) الفائل (بفاء) مضغة من لحم على الصلو من جهة أدنى الحجبتين إلى العجب مكتنفة العصعص تنحدر في جانب الفخذ. وهما فائلتان؛ والمعنى أنه يعاقب الرجل الشديد المشبه بالعير عقابا كالكي وربما عفي عنه.

(*) وقال أيضا في النسيب بمن اسمها «بانة».
وهذه القصيدة من الكامل مجزوءة العروض والضرب.

6) كتب في الديوان «لا تخش» وهو لحن لأن الخطاب إلى امرأة؛ فحقه أن يقول «لا تخشي» والصواب «لا يخش قتلي» أي لا يكن مخشيا لك.

ما زُلْتُ عنْك وقدْ أرى　أنَّ الْقُلُـوبَ تَقَلَّبُ
أيَّامَ أطْعَمُ كُلَّ مَا　ثلَّة الْحَمَانِ وأشْرَبُ(1)
ثُمَّ انقضى ذاك الزَّما　نُ وَغَابَ دهْرٌ أنْكَبُ
يَا بَانَ طَبُّكَ لَا ينا　مُ وقدْ ينامُ الْقُطْرُبُ(2)
عُودي عليَّ فإنَّها　نفسٌ تُسيءُ وتُعتِبُ
ما كُلُّ زَلَّةِ صاحبٍ　أغْدُو لها أتوثَّبُ
حلْمي أصمُّ وراحتي　للطَّالبين تَحَلَّبُ(3)
ضَعْضَعْتُ جنَّةَ خالدٍ
بِعَزِيمَةٍ لَا تُقْرَبُ(4)
وأطَرْتُ جِنَّةَ عَجْرَدٍ
وأنا الْمُغَنُّ الْمُشْغَبُ(5)
يخشى الأُسُودُ عرامتي
ويبُولُ منِّي التَّوْلَبُ(6)

---

1) لم أعرف «الحمان» معنى في العربية ، فلعل فيه تحريفا .

2) «القطرب» – هنا – ذكر الغيلان ، وأراد بالطب السحر ، وكان العرب يزعمون أن الغيلان سحرة الجن . والقطرب أيضا دويبة لا تنام الليل من كثرة سيرها ، ومنه المثل : أسهر من قطرب ، وكان سيبويه يسمي تلميذه محمد بن المستنير قطربا لأنه كان يبكر إلى سيبويه فكلما فتح بابه وجده هناك فقال له : ما أنت الا قطرب ليل .

3) قوله هنا «حلمي أصم» كقوله في البيت العشرين من ورقة 9 .

4) «خالد» هذا الذي تقدم في القصيدة السابقة ، والعزيمة : ما يقرأ على المجنون لطرد جنته .

5) كتب في الديوان «المغن» بفتح الغين ، و«المشغب» بشين فغين ، ولا يظهر له معنى فلعله «المغن» بكسر الغين ، «المعشب» بعين مهملة وشين ، يقال : واد مغن بمعنى مخصب ، لأنه إذا أخصب كثر ذبابه فغنى وكثر عشبه .

6) العرامة : الشراسة والأذى ، وفعله على أربعة أضرب كنصر وضرب وكرم وعلم . و«التولب» (بفتح التاء وفتح اللام) جحش حمار الوحش ، ولم يظهر لذكره خصوصية .

ولقدْ وضعتُ علَى سُهيْـ ـلٍ مِيسَماً لَا يـذْهَبُ(1)
وإذا هرَبْتُ منَ الصِّبا بة لمْ يكُنْ لِيَ مَهْرَبُ
يَا بَانَ كدَّرتِ النَّعيـ ـمَ فلَا ألذُّ وألْعَبُ
يَا بَانُ لِي نَفَسٌ عَلَيْـ ـكِ إذا ذُكِرتِ تَصبَّبُ
والله ربِّ مُحمّـد إنِّي بِبَانةَ مُعْجَبُ
ولَقَدْ أتانِي أنَّهَا باتتْ علَيَّ تلهَّبُ
قالتْ: اتَرْكَبُ تارِكاً أمْرِي وما لكَ تَرْكَبُ
قَوْلُ النِّساءِ عَلَا بِهَا ولكُلِّ فَجٍّ عقْربُ(2)
يَا بَانَ بعْضُ اللَّاطِفَـ ـاتِ من الْحواسدِ أكْذَبُ
يَغْرُرْنَ منْ أصْغَى لهُـ ـنَّ كمَا يَغُرُّ الْمُذْهَبُ(3)
في النَّاس عائلةٌ عليْـ ـكِ وبعْضُ أهْلكِ يُثْرِبُ(4)
إنْ كانَ حقًّا ما زعمْـ ـنَ فلَا صفَا لِيَ مشْرَبُ
أبْرَأتِ صدْرَكِ إنَّنِي قلقٌ بسُخْطِكِ مُتْعَبُ [89]
يَا بَانَ إنِّي بالرِّضى أبْلَى إليكِ وأنْصَبُ

---

1) سهيل هو سهيل بن سالم مولى بني سعد، كان من أشراف البصرة، وهو صهر موسى بن صالح من أشراف البصرة كان أبو جعفر المنصور نزل في دار سهيل أيام كان أبو جعفر مستترا بالبصرة فلما استخلف أبو جعفر ولي سهيلا السوس وجند يسابور. ذكره في الأغاني: ثم إن المنصور قتله بعد ذلك بالعذاب. كذا في الأغاني. وقد لقبه بشار بالعلج كما في البيت 13 من الورقة 272، وهجاه فيها وفي البيت 18 من الورقة 135 وفي البيت 4 من الورقة 182 بسبب أن سهيلا قد اتصل به حماد عجرد وأفسده على بشار بعد أن كان صديقا لبشار؛ فهجاه بشار. وقد جمع بين هجائه ومدح سهيل بن عثمان بقوله (يأتي في الملحقات):

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله كما جاد بالوجعا سهيل بن سالم

2) يقول: لا تأخذي قول النساء فإن طريق الحب لا يخلو عن أذى كما لا يخلو فج عن عقرب. وقوله «علا» يحتمل أنه بالعين المهملة وأنه بالغين المعجمة.

3) «المذهب» المموه بالذهب يحسبه الناظر ذهبا.

4) عائلة: جائرة، عال عليه: جار، ويثرب: يلوم، أثربه: لامه ومنه التثريب.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA مكتبة الاسكندرية

وأتُوبُ ممَّا تَعْلمين ... كمَا يَتُوبُ الْمُذْنِبُ
أنْتِ الْأميرةُ في الْهوى ... وأنَا الْمسيءُ الْمُذْنِبُ
يكْفيكِ أنِّي لَا أعُو ... دُ، وهلْ وراءَكِ مطْلَبُ

* * *

وقال أيضاً(*):

يقُولُون: في أنْثى منْ انثى خليفةٌ ... وقدْ كذبُوا، بعضُ الْأوانس نيْرَبُ(1)
وقدْ كان لي فيهنَّ داعي قرابَةٍ ... ولَكِنْ ذَوَاتُ الْودِّ أدْنَى وأقْرَبُ

* * *

وقال بشار أيضاً(*):

يَا لَيْتَ لِي قَلْباً بقَلْبِ يُثِيبْ ... أوْ لَيْتَ لِى حُبّاً بحُبِّي يُنِيبْ
مَلِلْتُ قَلْبِي لَا يُمَلُّ الْهَوَى ... يَا طُولَ إغْرامِي بمنْ لَا يُجِيبْ(2)
قلْبِي وهمِّي أذْهَبَا رَاحَتِي ... فالنَّفْسُ حَرَّى ولِعَيْنِي غُرُوبْ(3)
لمْ تَرَ مثْلِي بَيْنَ مثْلَيْهِمَا ... هَذَا بِهِ دَاءٌ وَهَذَا كَذُوب
قَدْ كَلَّفَانِي عَمَلاً خَائِباً ... وَعَامِلُ اللهَ الَّذِي لَا يَخِيبْ
لله دَرِّي لَيْسَ لِي مَنْزَعٌ ... عَنْ حُبِّ سَلْمَى وَهَوَاهَا مُرِيبْ

---

*) وقال أيضا من بحر الطويل.

1) النيرب، مضى في الورقة 53 أنه الشرير الساعي بالنميمة، والمعنى أنهم يزعمون أن المحب يسلو حبيبته إذا لها بامرأة أخرى قال بعضهم :

زعم ابن سينا في عقود كلامه ... أن المحب دواؤه الألحان
ووصال غير حبيبة من جنسه ... والماء والصهباء والبستان
وصحبت غيرك للتداوي ساعة ... وأعانني المقدور والإمكان
فازداد بي شوقي إليك وهزني ... وجدي وثارت عندي الأشجان
فعلمت أن الحب داء مفرط ... بقراط فيه كلامه هذيان

*) وقال أيضا في النسيب وهي من بحر السريع وعروضها مطوية مكشوفة وضربها مطوي موقوف.

2) النداء للتعجب ، والإغرام تقدم في البيت السادس من ورقة 82 .

3) الغروب : جمع غرب وهو الدلو العظيمة .

لقدَ أرى سلمى لنا جارةً | يا بنَ سُهيلٍ بين حابٍ ولوبْ(1)
كَالبدْرِ في العَيْنِ إذَا عُطِّلَتْ | وَفي المُحَلَّى كَالمُحَلِّ القَشِيبْ(2)
أراجِعٌ أنتَ لنا مجلِسا | بين مُدامٍ وسماعٍ مُنيبْ
ياحبّذا ذاك على نأيه | وحبذا ليلتنا بالكثيبْ

* * *

وقال (*):

وكأنَّ نَكْهَتَها إذا نَبَّهْتَها | طِفلٍ يلُوكُ بدُرْدُرَيْهِ سِخابا(3)

* * *

وقال (*):

قمرُ اللّيلِ إذا ما انْتقبتْ | وهْيَ كالشَّمْسِ إذا لمْ تنْتقِبْ
ربَّما بِتُّ بها مُسْتبْشِراً | في نعيمٍ وتصابٍ ولعِبْ

* * *

وقال (*):

ذَكرْتُ شبابيَ اللَّذَّ غيْرَ قريبِ | ومجْلسَ لهْوٍ طَابَ بيْنَ شُرُوبِ(4)

---

1) «حاب ولوب» الظاهر أن «حاب» اسم موضع، و«لوب» اسم جمع (لابة) وهي الأرض المستوية الحرة.

2) عطلت: كانت بغير حلي، و« المحل » المكان، أراد به الروض، ومنه قيل: روضة محلال والقشيب الجديد أي الذي لم يرع، كما يقال: أرض أنف، أي هي إذا تحلت كالروض المزين بأزهاره.

*) وقال، هو من بحر الكامل.

3) الدردران: تثنية دردر (بضم الدالين المهملين) وهو مغرز أسنان الصبي. والسخاب (بكسر السين المهملة): قلادة تجعل من قطع من سكر وقرنقل وعند الخاصة من عنبر، وهو مراده هنا، يعلقها النساء، فالطفل يلوكها حين تضعه أمه للرضاعة وتقدم في البيت 21 من ورقة 61.

*) وقال: هما من بحر الرمل.

*) وقال هذه القصيدة في هجاء أبي هشام الباهلي الملقب بالفزر، وهو معلم كما يأتي في أول القصيدة الموالية، وفي قوله في هذه القصيدة «وما كان في كتابه بكسوب». وهي من الطويل.

4) اللذ (بفتح اللام وبذال معجمة): اللذيذ، وهو وصف على وزن فعل. وشروب (بضم الشين): جمع شارب كشاهد وشهود.

وبالْحرَّة الْبيْضاء أذْكرني الصَّبا ... خيالٌ وتغْريدُ الْحَمَام نكُوبِ(1)
فأرسلْتُ دمْعي واسْتترْتُ من الْفتى ... مخافة نمَّامٍ علَيَّ كذُوبِ
وَقَدْ يَذْكُرُ الْمشْتَاقُ بَعْضَ زَمَانه ... فيبكي ولايبكي لموت حبيب
وكُنْتُ إذا راحتْ علَيَّ صبابةٌ ... بكَيْتُ بها عيْني بِردٌ نَحِيب
فلله درُّ الرَّائحات عشيَّةً ... يزِفْن لقدْ فجَّعْنني بطَليب(2)
أخي مَرْيَحَنَّا هلْ فُجِعْتَ بغادةٍ ... كَعَابٍ وهلْ ناهزْت مثْل نصيبي(3)
ليالِيَ أسْرابُ النِّساء يزِدْنَني ... جَنًى بيْن ريْحانٍ أغرَّ وكُوب(4)
إذا شئْتُ غنَّتْني فتاةٌ بمِزْهر ... علَى الرَّاح أوْ غنَّيْتُها بقضيب(5)
فلمَّا دعاني الْهاشميُّ أجبْتُه ... ولَا خيْرَ في الْمملُوك غيْرَ مُجيب(6)
فأصْبحْتُ خِدْناً للْجواري من الْجَوَى ... فأصبح واديهنَّ غيْرَ عَشيب(7)

---

1) «نكوب» صفة للحمام ، وجاء بها نكرة لأن تعريف «الحمام» تعريف جنس، والمعرف به في معنى النكرة ، فتجوز مراعاة معناه ومراعاة لفظه. وضبط في الديوان «نكوب» بضمة على الباء فيكون في البيت إقواء وهو من عيوب القافية فلا يصار إليه .

2) « يزفن » يسرعن ، من زف يزف ، و« الرائحات » الحمام .

3) «مريحنا» : مركب من كلمتين إحداهما (مر) وهي معربة عن كلمة (مار) كلمة لاطينية بمعنى المقدس أو الصالح في اصطلاح نصارى العرب، قال الأخطل :

لما رأونا والصليب طالعا ... ومار سرجوص وسما ناقعا

وذكر سيبويه (في باب الشيئين) اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد ، (يعني المركب المزجي) أن نحو (مارسرجس) قد يبني الجزء الأول منه على الفتح مثل (بعلبك) وأنه يجوز بقاء الجزء الأول على الإعراب بطريق الإضافة، وعليه فقول بشار (مريحنا) بسكون الجزء الاول ضرورة، وهو يخاطب نصرانيا، ولعله اسم خمار .
والكلمة الثانية «يحنا» وهو اسم يحيى لأن أصله (يوحنا) .

4) كتب «يردنني حنا» والصواب «يزدنني جنا» .

5) المزهر : العود ، والقضيب : المزمار، قصبة تثقب ويزمر بها .

6) الهاشمي هو المهدي ، أي دعاه لترك الغزل .

7) يريد أن يقول : أصبحت بعيدا عن الجواري لنهي الهاشمي ، وقوله : فأصبح واديهن ..» الخ تمثيل لخلو ديارهن من غزله بالوادي الخالي من العشب. ولم يظهر المعنى من قوله «خدنا» ولعلها محرفة عن «خلوا» .

حَسَرْتُ الْهَوَى عَنِّي زماناً ورُبَّما … لهوتُ وما لَهْوُ الْفَتَى بِغَرِيب
فَيَا لكِ أيَّاماً سُلِبْتُ نَعِيمَهَا … ويا لكَ دهْراً فَاتَنِي بِلَغِيب(1)
عَلَى زينبٍ منّي السَّلامُ ومثْلُهُ … عَلَى شجَنٍ بيْن الصَّبا وجَنوب
فهذا أوانٌ لَا أعُوجُ عَلَى الصِّبى … سمعتُ لعُذَّالي ونَامَ رَقيبي(2)
وقدْ جاءَني منْ بَاهِليٍّ يسبُّني … فأعْرضْتُ إنَّ الْباهليَّ جَنيبي
وقُلتُ بدعوى عامرٍ: يَالَ عَامرٍ … أيشْتُمُنِي الزِّنْجِيُّ غيْرَ دبيب(3)
دعُوني وإنِّي منْ ورائي مُعضَّدٌ … كفيتُكُمْ رَايَ اسْتِه بذُنُوب
إذا شَبِعَ الزِّنْجِيُّ سبَّ إلَهَهُ … والَّبَ من زنْجٍ عليَّ ونُوب(4)
أوائلُ قدْ قرَّبْتِ غَيْرَ مُقرَّبٍ … ونَاسَبْتِ كَلْباً كَانَ غَيْرَ نَسيب(5)
بَني وَائلٍ إنَّ الصَّغيرَ بمثْله … كَبيرٌ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا بمُهِيب
عَلَى أهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ فَاتَّقُوا … جِنَايَةَ عَبْدٍ وَاسْعَدُوا بِقُلُوب(6)

---

1) الكلمة الأخيرة كتبت بدون نقط للحرف الاول ، وشكلت الكلمة التي قبلها «فاتني» بفتح التاء على أنها فعل من الفوت بمعنى السبق والغلب يقال: فاته إذا غلبه ، قال رويشد الطائي:

فما علي بذنب منكمو فوت

فيكون الحرف الاول باء موحدة ، ويكون في موضع القاف من «القيب» غين معجمة «فاتني بلغيب» أي غلبني بسبب سهم لغيب ، واللغيب: السهم الفاسد الريش ، ويحتمل أن التاء من قوله «فاتني» مكسورة على أنه أمر من أتى فيكون الحرف الاول من الكلمة الأخيرة بلقيب باء موحدة ويكون في موضع القاف عين مهملة «فأتني بلعيب» أي بمن الاعبه .

2) «لا أعوج» أي لا أقيم ولا أعوج ، «ونام» أي استراح .

3) كتب «دبيب» بدال مهملة ، ولم يتضح له معنى ، ولعله تحريف «ربيب» أي غير ذي نسب في باهلة بل هو دعي .

4) كتب في الديوان «وثوب» والصواب «ونوب» (بالنون) اسم جمع نوبي .

5) ينادي قبيلة وائل الذين منهم باهلة .

6) «على أهلها تجني براقش» مثل قديم ، و(براقش) اسم كلبة لقوم من العرب أغار عليهم عدوهم فهربوا ومعهم كلبتهم فكانت تنبح فاستدل عدوهم عليهم بنباح الكلبة ، وقيل: إنهم قتلوا الكلبة فلذلك يقال «على نفسها تجني براقش» يضرب مثلا لمن يعمل عملا يعود بالضرر عليه أو على ذويه .

صَغيرُ الأذى يَدْعو كبيرًا لأَهْلـــه وتَفْتضحُ القُرْبَى بذنْب قَريب
أرَى خَلَقًا قدْ شاب قبْل جنايَـــة فهَـلاً وهَبْتُمْ قَلبَهُ لمَشِيب (1)
لحا اللهُ قوْماً وَسَّطُوا الْكَلْبَ فيهـمُ شَتيمَ المُحَيَّا عاشَ غيْرَ أديب(2)
سَرُوقاً لِمَا لاقي طَرُوباً إلى الزِّبَـى وهـلْ تجدُ الزِّنْجيِّ غيْرَ طروب
إذا حزَّ فيه النَّصْلُ حز عجانَــهُ فراح بأيْرٍ للْفُضُوح مُشِيـب
فيَا عجبًا لاَ يَتَّقِي الزنج شـــرَّهُ ولاَ يذْكُرُونَ اللهَ عند هُبُـوب
أقُـولُ وَقَدْ نالَكَ الخُلَيْقُ بنَاَتِـه وأخْفَى بَنُـوهُ أمَّهمْ بركُـوب :
بَنِي خلَقٍ مَا أحْلَمَ اللهُ عَنْكُـمُ عَلَى خبثَـاتٍ فيكُـمْ وذُنُـوب
أراكُـمْ أنَاسًـا سَمْنُكُمْ فـيِ أديمكُـمْ مَجَنْتُمْ فَـلاَ تَسْتَغْفِـرُونَ لِحُـوب(3)
كَأنَّكُـمُ لَـمْ تَسْمَعُوا بقيامَـة ولَمْ تَشْعُـرُوا فـيِ دينكُـمْ بحَسِيـب
أفيقُـوا بنِي الزِّنْجـيِّ إنَّ سَبيلَكُـمْ سَبيـلُ أبيكُـمْ لَحْمُـهُ لِـكُلُوب
ومولَى أبيكُـمْ فَاطْرَحُـوهُ لأَكْلُـب ولاَ يُدْفَنُ الزِّنْجـيُّ بَيْـنَ رُبُـوب

---

1) «خلـق» لقب لأبي هشام ، ويقال له (خليق) .«وقوله فهلا وهبتهم قلبه» أي هلا انتظرتم عقله، قال عمر بن الخطاب في وقت وصيتـه بالخلافة « هبوني صمتا » أي امنحوني مكوتا منكم. وقوله «لمشيب» اللام بمعنى إلى أي وقت مشيبه، وهذا تهكم مأخوذ من قول النابغة:

فإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغراب

ومعنى البيت أن خلقـا شاب قبل أن تصدر منه الجنـاية فلا يرجى له سن آخـر .

2) « شتيـم المحيا » أي يقـابل الناس ووجهه عند رؤيته باسم .

3) « سمنكم في أديمكـم » أي في عكة السمن ، وهي من جلـد، وهذا مثل بمعنى أن شؤونهم يقـوم بهـا بعضهم لبعض من غير حاجة إلى أجنبي .

وَنُبِّئْتُ فِزْرًا قَلْطَبَانَ نِسَائِـــــه ضَرُوباً عَلَى أَسْتَاهِهِنَّ بِطِيبِ (1)
وَقَـــدْ نَاكَ فِزْرٌ كُلَّهُمَّــا غَيْرَ مَــرَّةٍ وَلَكِنَّـــهُ قَدْ قَاءَهَا بِشَبِيـــــب
لحا اللهُ فزرًا ، مَا أَظَلَّ مكـــانــهُ وأَعْجَبَهُ قَدْ فَاقَ كُلَّ عَجِيـــب
إِذَا قُلْتَ : مَنْ فِزْرٌ؟ أَجَابَكَ قَائِلٌ : شَـريكُ أبيه في اسْــتِ أُمٍّ حَبِيب
أَلاَ أَيُّهَا الفَادِي وَلَمْ أَقْضِ نُسْخَتِـي يُعَــاتِبُنِي فِي الجُــودِ غَيْرَ مُصِيب
قَعِيدَكَ أَنْ تَنْهَى امْرأً عَنْ طِبَاعِــهِ يَجُودُ وَيَغْدُو نَاصِباً بِعَتِيــب (2)

---

1) « فزر » (بفاء فزاي فراء) لقب لأبي هشام الباهلي كما يأتي لجامع الديوان في عنوان القصيدة الآتية عقب هذه ، وقد ضبط فاءه في الديوان في البيت العاشر وفي البيت السادس عشر بكسر الفاء، باسم ولد النمر والبير ، والأنثى بهاء. وممن لقب بالفزر سعد بن زيد مناة بن تميم من أهل الجاهلية، وهو المعني بالمثل: لا آتيك معزى الفزر ، انظر الأمثال. ومن شعر حسان ابن ثابت في هجاء ثقيف :

عبيد الفــزر أورثــه بنيـــه وولــى عنهــم أخرى الليالــي

انظر ص 76 جزء 4 من الأغـاني .

ومن شعر الفـرزدق :

وإني من القوم الرقاق نعالهـــم ولست بحمد الله والدي الفــزر

فانظر من عنى بالفزر. وفي الأغاني أنه كان في جند أبي دلف رجل يقال له الفزر (انظر ص156 جزء 17) والقلطبان (بفتح القاف) الديوث الذي لا غيرة له على حريمه ، ويقال: قرطبان وكاتبان .

2) «قعيدك» قسم بمعنى أتوسل إليك ولم أقض نهمتي ، تقول العرب: قعيدك أن تفعل، والقعيد : يحتمـل أن يكون معنى المبـالغة في القعود ، أي قاعدا عندك ملازما لك لا أبرح حتى أنال ما سألت ، المحذوف الذي دل عليه سياق القسم ، والتقدير : أتوسل إليك قعيدك ويكون (أن تفعـل) مفعولا للعامل المحذوف، وقيل القعيد كناية عن الرقيب، والمقصود به الله سبحانه، فيكون نصبه بفعل محذوف تقديره: أذكر لك رقيبك، أي اسمه أي أقسم به. أو تقديره: أنشدك ، أو هو منصوب على التحذير، أي احذر ربك، أي احذر غضبه إذا منعت، ويضاف هذا اللفظ الى ضمير مناسب للمخاطب قال متمم بن نويرة :

قعيـدك أن لا تسمعينــي ملامـــة ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعـا

ومن قال : إن قعيدك مصدر قد أخطأ إذ لا يستقيم ذلك لفظا ولا معنى ؛ ولما استعملوه بمعنى القسم تناسوا أصله فربما قالوا قعيدك الله بنصب قعيدك ونصب اسم الله على البدلية . قال الفرزدق:

قعيـدكما الله الذي أنتما لـــه ألـم تسمعا بالبيضتين المناديا

وربمـا اختصروا فقالوا « قعدك » بفتح القاف وبكسرها وسكون العين . وقعدك الله أيضا ، ويجوز في «قعدك» على هذا الوجه اعتبار المصدرية مثل عمرك الله. وهو ضعيف. لا سيما على لغة كسر القاف والأحسن ما قدمته له ، فاحتفظ به، وبغيره لا تأبه .

بَدأتَ بِنُوكٍ وَانْثَنَيْتَ بِجهْلَــــــة ... وَمَــا طاعَتي إلاَّ لِكلٍّ لَبيـــب

سَأرْعَى الّذي يَرْعى مِنَ الذنب غَادِياً ... وأكْرِمُ نَفسي عَنْ دَسيـس مُريب

لِفِزْرٍ صنيعُ القَلْطَبَانِ بأخْتــــــه ... فَلَيْس بمأمُون بظَهْرِ مَغِيـــــب

كَسُـوبٌ بأخْتَيْـه وقَيْنَةِ تـاجـرٍ ... وما كان في كُتّابه بِكَسُـوب(1)

إذا هُو لاَقى أمّـهُ دَبْـرَ اسْتِهــا ... تولّى بـأيْـرٍ لِلّـواطِ خَضِيـبِ

* * *

وقال للفزر المُعلِّـم أيضاً(*):

لقــدْ ودّعَتْ حبّى وهام رقيبـي ... وأصْبَحَ وادي اللّهْو غَيْـرَ عَشِيـب

تركْتُ لوجْه الله فِزْرًا فقُلْ لــهُ: ... عَتَقْتَ ولكنْ كيْف أمُّ حبيــب؟(2)

وجُنّ فُرَيخُ الزّنْج بلْ جُنّت اسْتُهُ ... فأصْبحْـتُ دلّاقاً لــهُ بطبيـب(3)

شتمتْ فُرَيخُ الزّنج عِرْضي خسارةً ... فإنْ كُنْتَ كعْبيًّا وكُنْتَ حبيـبي

لقدْ وقع الكعْبيُّ نارًا بِمِيسَم ... علَى اسْت أبيكَ العبْدِ بعْد شَبِيبِ(4)

رأى ابنُ خُلَيْقٍ طعْنتي في استِ أمّه ... فـراحَ يُغطّيهـا وذمَّ قَضِيبِـي

فقُلْتُ لهُ: قدْ فارقتْ وحَمدتُها ... فلَا تشتمنّي، باسْتِ أمّـك حُـوبي

---

1) أي لم يكن يكتسب مالا مهما من تعليم الصبيان، أي لا يرغب الناس في تعليم أبنائهم. والكتاب بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية: اسم البيت الذي يعلم فيه القرآن، وهو اسم مولد من تسمية المكان باسم ما يحل فيه لأنه يحله الذين يكتبون القرآن، قال الشاعر في هجاء بعض الكتاب:

وآتي لكتاب لو انبسطت يدي ... فيهم رددتهمو إلى الكتاب

*) وقال للفزر المعلم أيضا، وهو أبو هشام الباهلي الذي قال فيه القصيدة السابقة. والقصيدة من بحر الطويل، عروضها مقبوضة وضربها محذوف.

2) «عتقت» بفتح العين والتاء مطاوع أعتقه، ولا يقال «عتق» بالبناء للمجهول إذ ليس هنالك «عتقه» متعديا، بل المتعدي هو «أعتقه» المهموز.

3) الدلاق: الكثير الصلت للسيف، يقال: دلق السيف يدلقه: أخرجه من غمده.

4) كتب في الديوان «وقع» بالقاف، ولعله «وضع» بالضاد المعجمة. وأراد بالكعبي نفسه لأنه مولى بني عقيل بن كعب.

رُوَيْدَ ابْنَ زنْجيٍّ الْعشيرة إنَّمـا ... دَعاكَ إلَى شَتْمِي خيانـةُ حيـب(1)
فخرْتَ براسٍ منْ أبيك مُفَلْفَلٍ ... علَيْنا وبرْصَاء الْعجَـان لعُـوب
فَيَا عَجَباً منْ باهليٍّ يسبُّنـي ... مطيَّـةِ كنْديـرٍ قَـرًى وأريـب(2)
لقدْ مَاتَ كنْديرٌ فأبْكاك مـوتُه ... فُجعْتَ بأيْرٍ كـالشُّواظ صليـب(3)
تسرَّقْتَ شعْري فَاكْتسبْتَ به الْغنَى ... ومـا كـانَ لقَّاطُ النَّوى بكسُـوبِ
ألَا قُلْ لعُزَّاب الْبصيْرَة : أقبلُـوا ... بحـاجتكُمْ منْ نَـازحٍ وقريـب
بناتُ خُليْقٍ مُلْجماتٌ مُعـدَّةٌ ... إذا الْقوْمُ راحُـوا سُرِّجتْ لرُكُـوب
لعمْرِي لقدْ أعْطيتَ عِرْساً مُريبَةً ... وقدْ يقْطعُ الْهمَّ الْفتـى بمُريـب
جَـزُورًا لأَيْسَـارِ الجزُورِ سَمِينَـةً ... ونَفَّـاعَةً تَجـني الفتى بِذَنيـبِ(4)
فأمَّا فُرَيْخَ الزِّنْج حين عرفتَهـا ... صديقاً لزنْج الْقريْتيْن ونُـوب(5)
أخذْتَ لإخْوان الصَّفاء من اسْتها ... نصيباً فخُذْ لي في اسْتهـا بنَصيب
سأعْطيك ما يُعْطي الْفتى منْ تِلَاده ... بِعَضْدٍ وإنْ كانتْ فُضُوحَ ذُنُـوبي
بني خَلَقٍ يُخْزيكُمُ الْيوْم والـدَّ ... دعيٌّ أحمُّ اللَّـوْن غيْـر نجيـب

---

1) «خيانة حيب» كذا يظهر رسمها في الديوان إضافة خيانة الى حيب .

2) «أريب» فعيل بمعنى مفعول من أرب الشيء إذا علق به. وكتب في الديوان «كندي»، ولعله تحريف كندير وهو اسم رجل نبز به الباهلي في مواضع (انظر البيت 6 من الورقة 8 والبيت 22 من الورقة 205 والبيت 15 من الورقة 212) .

3) كتب «كنـدي» كمـا في البيت قبلـه .

4) الجزور : النـاقة التي جزرت (أي قطعت) أقساما فهي فعول بمعنى مفعول ، والأيسـار : جمع يسر (بفتح الياء وفتح السين) وهو المقامر بالميسر، وهي عشرة قداح ، ولهم في ذلك طرق مذكورة في كتب أدب العربية، قال لبيـد :

وجزور أيسار دعوت لحتفهـا ... بمغالق متشابه أجسامهـا

وأراد بشار هنا أن هذه المرأة يتعاورها الفجار كما تتعاور جزور الأيسـار .

5) . ضبط «فريخ» بضمة على الخاء وهو سهو ، والوجه أن تكون الخاء مفتوحة ، وهو منادى. وكتب في الديوان الكلمـة الأخيرة بثـاء مثلثة وصوابه بالنون بدل المثلثة، اسم جمع نوبي وهم زنوج سودان مصر. وجواب (أمـا) قوله في البيت بعـده «فخذ لي» الخ . . .

مواريثُهُ معْروفَةٌ فِي وُجُوهِكُمْ مناخِرُهُ والرَّأْسُ غَيْرُ كَذُوبِ
تعزَّ لها يا بنَ الْخُلَيْقِ فإنَّهَا مواريثُ زَنْجِيٍّ جَرَتْ بعُيُوبِ
لَحَا اللهُ أبْنَاءَ الْخُلَيْقِ فإنَّهُمْ خَنَازِيرُ حُشٍّ سُخِّرَتْ لِسُرُوبِ(1)

* * *

وقال أيضاً(*) :

يا ويْحَ حمَّادٍ ، أمِنْ نظْرَةٍ رَاحَ أسيرًا غَيْرَ مجْنُوبِ(2)
للهِ مَا رَانَ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ سَاحرِ الْمُقْلَةِ مشْبُوبِ
كأنَّهُ هارُوتُ يوْمَ اغْتَدَا يُدِيرُ عيْنيْهِ بتقْلِيبِ
أغنَّ أحْوَى لاَنَ فِي رِقَّةٍ يخْتالُ فِي الْخَزِّ وفي الطِّيبِ
بَدَا لحمَّادٍ فأبْدَى لهُ شُغْلاً عن الدِّرْيَاقِ والْكُوبِ

---

1) الحش (بضم الحاء وفتحها وكسرها) هو في الاصل اسم البستان، ويطلق أيضا على موضع جمع أزبال الآدميين والسرقين، وفي البصرة حشوش كثيرة اشتهرت بها، والخنازير تقتات الزبل .

*) وقال أيضاً :
هي في هجاء حماد عجرد، والظاهر أن المقصود بذلك تنفير الكبراء من أن يعهدوا إليه بتعليم أولادهم لقوله فيها :

يهذي بخشف مؤنق مشرق مقابل الجدين منسوب

أي من أشراف الناس أما وأباً، ولعل بشارا يعني به ولد الربيع الحاجب الذي عهد الربيع بتعليمه إلى حماد، وكتب له بشار رقعة فيها الابيات التي أولها :

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم

وهي مذكورة في الملحقات، أو بعض ولد الأمير العباسي بن محمد الذي عهد إلى حماد بتعليمه، كما في كتاب الكنايات للثعالبي فقال فيه بشار بيتين أولهما :

قل للامير جزاك الله صالحة لا يُجمع الدهرَ بين السخل والذيب

وسيأتيان في الملحقات .
وهي من السريع ، عروضها مطوية مكشوفة، وضربها أصلم .

2). « المجنوب » الذي يمشي بجانب الفرس أو البعير وكانوا يقودون الاسرى بجانب الرواحل . والمعنى أنه راح أسيرا في الحب ولكن لا رفيق له، وشأن الأسير أن يكون له رفيق وهو حارسه الذى يسايره. وكتب في الديوان «مجبوب» بموحدة بعد الجيم .

قـاد النَّبـاطيُّ إلَى حَتْفـه نَظْرَةُ عيـنٍ شطْـرَ مجْبُـوب
لمَّـا رأى مـا عنْـدهُ مُعْجِبًا حَـنَّ إليْـه غَيْـرَ تغْييـب
يَهْذى بخشْف مُـؤْنقٍ مُشْـرقٍ مُقـابَـلِ الجـدَّيْـن منْسُـوب(1)
يخْتلـسُ الْقَلْـب بـإِبْـرامـه منْـهُ وإطْمـاعٍ وتجْنيـب(2)
مُبَتَّـلُ الخلْق هضيـمُ الْحشـا ذُو شعـرٍ كالْكَـرْم غِـرْبِيـب(3)
أمْردُ كالمـأثُـور حيـن استـوى
لمْ تَـرَهُ عَيْـنٌ علَى حُـوب(4)
يمْشـي إذا رَاحَ بـرمَّـاغـة
لجَّـتْ بـإِصْعـادٍ وتصْـويب(5)
وخِضيـةٍ فـي حُسْن يـاقُـوتـة
سيقَـتْ إلَى أصْيـدَ مُحْجُـوب(6)
يقُـولُ حمَّـادٌ إذا مـا نـأى :
يـا ربُّ فَرِّجْ كـرْب مكْـرُوب
حمَّلْتنـي الشَّـوْقَ وبـاعدْتني
مـا هكـذا الـرَّبُّ لـمـرْبُوب

---

1) الخشف (بكسر الخاء ويجوز فيها التثليث) ولد الظبية ، أراد به بشار ولدا صغيرا، والمؤنق (بالهمز) : المعجب ، والمقابل (بفتح الباء الموحدة) : كريم النسب من جهة أبويه، يشير بشار إلى أحد الغلمان الذين كان يعلمهم حماد، فإنه كان مؤدبا .

2) الإبرام (بكسر الهمزة) : الإملال من دلال وغيره ويطمعه ثم يصد عنه .

3) المبتل (بفتح التاء المشددة) الذي في أعضائه استرسال وتناسب ، والمرأة مبتلة، مشتق من البتل وهو الانقطاع، أي أن الحسن بتل لها، أي اختص بها. والكرم: العنب، وهذا يدل على أن معظم أعنابهم كانت من الأسود.

4) المأثور: السيف البديع الحديد ، وهي سيوف نفيسة دعوها بالمأثور لاعتقادهم أن الجن صنعتها وأثرت عنهم . والحوب: الإثم .

5) الرماغة : كثيرة الرمغ ، رمغ (كمنع) : عرك .

6) أصيد : الملك، ومحجوب : عظيم الحجاب لعظمته ، أي كأنها ياقوتة تهدى إلى ملك .

رضيتُ ميعادك يا سيِّدي　　إنْ لم يكُنْ ميعادَ عُرقُوب(1)

* * *

وقال أيضاً لعُمر بن حفْص بن هزار مرْد يرثْيه(*):

ما بالُ عَيْنِكَ دمْعُها مسْكُوبُ　　حُرِبَتْ وأنْت بدمْعها مخْرُوبُ(2)

وكذلك مَن صحب الحوادث لم تزل　　تأتـي عليه سلامةٌ ونُكـوب

إنَّ الرَّزيـة لا رَزيَّـة مثلُهـا　　يومَ ابنُ حفص في الدِّمـاء خَضيب

---

1) «معياد عرقوب» و (مواعيد عرقوب) يضرب مثلا للخلف وطول المطال مع الخيبة. وعرقوب: اسم رجل من عمالقة خيبر، أو من أهل يثرب من الأوس، كان ذا نخل ومال فجاءه أخوه يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت قال له: دعها حتى تبلح، فلما أبلحت قال له: دعها حتى ترطب، فلما أرطبت قال له: دعها حتى تتمر، فلما أتمرت ونضج تمرها سرى إليها عرقوب ليلا فجدها ولم يعط أخاه منها شيئا، فضربت العرب بوعده المثل، قال علقمة الاشجعي:

وعدت وكان الخلف منك سجية　　مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

روي (يثرب) بالثاء المثلثة، وروي (يترب) بالمثناة الفوقية، اسم بلد بخيبر للعمالقة، وقال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا　　وما مواعيده الا الأباطيل

وقال المتلمس يهجو عمرو بن هند:

من كان خلف الوعد شيمته　　والغدر عرقوب له مثل

*) وقال لعمر بن حفص بن هزار مرد يرثيه:

كتب في الديوان «عمرو» بفتح العين: وكذلك كتب اسمه في أبيات القصيدة. وكتب فيه أيضا «ابن هزا مرد» فهما خطآن، والصواب أنه عمر بضم العين وأن كلمة (بن) قبل هزا مرد خطأ، و «هزار مرد» براء بعد الألف، كما سيأتي وهو عمر (بضم العين) بن حفص ابن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتكي من بني عتيك، فخذ من الأزد، من آل أبي صفرة، كان واليا للمنصور على السند وعلى إفريقية، وكان يلقب بهزار مرد، ومعناه بالفارسية ألف رجل، وكان ممن وجههم المنصور لقتال محمد النفس الزكية سنة 145. وقتل خارج القيروان سنة 154، قال الجاحظ: كان عمر هذا خطيبا، وذكر الجاحظ بعض هذه القصيدة (انظر صفحة 196 ج 1 وصفحة 222 ج 2 من البيان والتبيين).

والقصيدة من بحر الكامل، عروضها صحيحة وضربها مقطوع، وفي المصراع الاول زحاف الإضمار في «مسكوب» إذ سكن ثاني (فعلاتن).

2) روي في البيان «فأنت بنومها» وروي أيضا «سهرت فأنت بنومها».

لاَ يستجيب ولا يَحِيرُ لِسانُهُ ولقد يَحِيرُ لسانُه ويُجيب(1)
غُلب العزاءُ على ابن حفص والأسَى إن العَزاء بمثله مَغْلوبُ(2)
يا أرضُ وَيْحكِ أكرميه فإنه لم يَبْقَ للعَتكيِّ فيك ضريبُ
أبهى على خَشَبِ المنابرِ قائماً يوماً وأحربَ إذ تُشَبُّ حُروب(3)
إذ قيل أصبح في المقابر ثاوياً عمرٌ وشُقَّ لِواؤه المنصوب(4)
وبكَيتُ إذ بكَت العَتيكُ لِبَدْرِها أوْدَى فبَدْرُ سَمائها مَسْلُوب
يا وَيْحَ فاطمةَ التي فُجعتْ به وتشقّقتْ منها عليه جُيُوبُ(5)
إنِّي لأعْلَمُ إذْ تضمَّنهُ الثَّرى أنْ سوف تكمدُ بعْدهُ وتذُوبُ
وَظَلِلْتُ أنْدُبُ سيفَ آل مُحمَّدٍ عُمرًا وجلَّ هُنالك المَنْدُوبُ(6)
فعليْك يا عُمر السَّلامُ فإنَّنا باكُوك ما هبَّتْ صباً وجنُوبُ

* * *

وقال يهجو مُنْجاباً(*):

لاَ تحْمدنَّ أبا حربٍ بأسْرته قدْ ينْبُتُ اللَّيْثُ والْخنْزيرُ في الْغاب(7)

---

1) يحير : يرد ويرجع ، يقال : حار جوابه ، ويقال : لم يحر جوابا .
2) كتب «غلب» بفتحة على الغين ، والصواب أنه بضم الغين وكسر اللام ، كما دل عليه قوله «بمثله مغلوب» وكما في البيت 2 من ورقة 27 . والعزاء : الصبر.
3) روي «وأحزم إذ تشب» في البيان للجاحظ .
4) كتب «إذا قيل» ، والصواب «إذ...» كما هو في البيان للجاحظ صفحة 222 ج2 .
5) فاطمة يظهر أنها زوج عمر بن حفص ، لقوله «فجعت به» ولو كانت أمه لقال (ثكلت به) .
6) «سيف آل محمد» لقب لقائد الجيوش في صدر الدولة العباسية فقد لقب أبو سلمة الخلال بوزير آل محمد، ولقب أبو مسلم الخراساني أمير آل محمد ، فعمر بن حفص سيف آل محمد .
*) وقال يهجو منجابا ، ضبط منجاب في الديوان بضمة على الميم .
والظاهر أنه قصد هجاء منجاب بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة وهجاء أخيه محمد، وهو الذي عناه بأبي حرب، لأ ن محمد بن أبي عيينة له ولد اسمه حرب ، ولذا ترى بشارا يقول « لا تحمدن أبا حرب بأسرته ... » البيت، أي لا تغتر فتظنه في الشرف مثل أسرته ، وهم آل الملهب، ولما هجا منجابا أخاه أفحش في الهجاء على عادته .
والقصيدة من بحر البسيط عروضها مخبونة وضربها كذلك .
7) قوله (بأسرته) الباء للسببية، أي لا تجعل سبب حمدك إياه أسرته، فإن الأسرة أو البيت قد تجمع العظيم والخسيس ، كما تجمع الغاب الليث والخنزير .

مُحمَّدٌ تائهٌ من فرطِ جِنَّتِهِ ... مفتاحُ عِيٍّ لقومٍ أهلِ أحْساب(1)
قدْ كان سَبَّنِي من جُبْنِهِ أسدًا ... عَلَى المُهلَّبِ صفَّاياً بأنْياب(2)
أفٌّ لهُ والياً ما كانَ أحمقَهُ ... يومَ اسْتخنَّ بإخواني وأصْحابي
لَا نبوتي رُشْدَهُ إلَّا تَخَوُّنَهُ ... غمدًا لأيرِ غويٍّ باستِ مُنْجاب(3)
يُحِبُّ أزواجَ مُنْجابٍ ويُكْرِمُهُمْ ... ولَا يُجاوِزُهُمْ باباً إلَى باب
كأنَّهُ ضَمِنٌ منْ داءِ صاحبِهِ ... ومشْيُهُ بعضَ ما يأتي من العاب(4)
قُلْ للضّغيطِ أبِي حربٍ مُجاهَرَةً ... قولَ امْرِئٍ مُغْرِبٍ بالذَّمِّ أغْراب:(5)
إنْ كُنْتَ جانَبْتَ مهدِيًّا فإنَّ لَنَا ... فما بالُنا نخْفَى علَى النَّاب(6)
يسْعَى بِنَا زوجُ مُنْجابٍ فنُعْتِبُهُ ... ولَا يهمُّ لنا يوماً بإعْتاب
قال الخَبيرُ بِمُنْجابٍ وسوْءَتِهِ ... لما رأى دأْبِي سِرًّا وإدْآبِي:
إذا طَلَبْتَ إلَى المُنْجابِ نافِلَةً ... فاطْلُبْ بأيْرِكَ لَا تَطْلُبْ بِكَرَّاب
وقائلٍ فِي الغَواني جُلُّ حَاجَتِهِ ... يلْقَى من شوْقٍ وأتْعاب:(7)

---

1) كتب في الديوان «عي» بعين مهملة ووضعت تحتها كسرة، ولعله «غي» بالغين المعجمة المفتوحة.

2) كتب في الديوان «سبني» ولعل بقية كلمة «يحسبني»

3) لم يظهر معنى الكلمتين الأوليين من البيت، والتخون: التفقد.

4) «كأنه صمن» كتب في الديوان بالصاد المهملة، ولا معنى له، والظاهر أنه «ضمن» بالضاد المعجمة. أي مريض. وقوله «من داء صاحبه» «من» فيه للابتداء، أي أعداه داء صاحبه.

5) «أغراب» هكذا في الديوان. فإذا لم يكن تحريفا فهو بفتح الهمزة وصف على وزن أفعال بمعنى مفعل، كقولهم: ثوب أسمال ونطفة أمشاج وبرمة أعشار وحبل أنكاث، وأصل هذا البناء بناء جموع: جاءت منه أوصاف وهي سماعية: ومنه أسماء أماكن: مثل أبواء وأنبار، قالوا: وأكثر وروده في أسماء الأمكنة لكثرة الشذوذ فيها.

ولعل أصل الكلمة «إغرابي» (بكسر الهمزة فتكون ياء المتكلم في الآخر) والإغراب: مصدر من قوله «مغرب». وإذا قرىء «معرب» بالعين المهملة كان «إعرابي» بالعين المهملة أيضا. والضغيط: الضعيف الرأي.

6) موضع الكلمة الأولى في المصراع الثاني بياض. ولعله موضع كلمة يستقبح التصريح بها.

7) بياض في موضع الكلمة الثانية من المصراع الثاني ولعلها من قبيل ما بيض له في البيت الرابع قبل هذا.

يا ليْت جُرْدانَ مُنْجاب وخُصْيَتَهُ كَانَا حِرًا فاشْتَفَيْنا منْ حِرِ رابِ(1)
فخْمٌ غليظٌ يُطيفُ الْمُنْعِظُونَ به إذا تجمّر منْ حادٍ ومُنْتابِ
نِعْمَ الشّفيعُ استُ مُنْجابٍ إذا غُسِلَتْ لِمُنْعِظٍ غيرِ مُغْتَلٍّ ولَا آبِ

° ° °

وقال أيضاً(*):

كثُر الْحميرُ وقدْ أرى في صُحْبتي منْهُنَّ أقْمَرَ مُنْعِجاً بالرّاكبِ(2)
يغْدُو فيضْرطُ منْ نشاطٍ عارمٍ سبْعين أوْ مائةً حسابَ الْحاسِبِ
وإذا تمرّغ عدَّ ألْفاً كاملًا يدعُ المراغة مثْلَ أمْسِ الذّاهِبِ
أشِرٌ ببِطْنَتِهِ يُرامحُ مَنْ دَنَا ضخْمُ الْمَقَدِّ شديدُ شغْبِ الشّاغِبِ
يلْقاك إنْ لقِيَ اللّجامَ بسخْرة يكْفيك منْ حُزَمِ الْأجيرِ الْحَاطِبِ
إنْ قام يُسْرِجُهُ الْغُلامُ زجَرْتَهُ لزيادة منْهُ وحقٌّ واجبِ
خلّيْتُ مركبهُ ورحْتُ لحَاجتي مَشْياً يُكلّفُني لُغُوبَ اللّاغِبِ(3)
وأرى الصّحابة شيعتيْن: فَمِنْهمـا أنسٌ وبعْضُهُمْ غُبُورةُ حالِبِ(4)
ولَقدْ مَشيْتُ عن الْحمار تَكرُّماً والْمشيُ أكْرمُ منْ رُكُوب الصّاحبِ(5)

---

1) الجردان (بضم الجيم): قضيب الأنعام من ذوات الحافر وغيرها.

*) وقال أيضا في ذم أصحابه وتشبيههم بالحمير، وهي من الكامل.

2) الأقمر من الحمير الأبيض بكدرة.

3) كتب في الديوان «لعوب اللاعب» بالعين المهملة فيهما، ولعلهما بالغين المعجمة، واللغوب: التعب والإعياء.

4) «غبورة حالب» كذا، وأراد بقية ما في الضرع من اللبن، ولم أعثر على هذه الصيغة في العربية؛ وإنما المعروف غُبّر وغُبْر بمعنى البقية.

5) قوله «عن الحمار» متعلق بقوله «تكرما» وقوله «من ركوب الصاحب» هو محل الهجاء، إذ جعل المركوب من الحمير معدودا واحدا من أصحابه.

وقال أيضاً وهو مما أفحش فيه(*):

عجِلُ الرُّكوب إذا اعتَرتْهُ نَافِضٌ ... فَإذَا أَفَاقَ فَلَيْسَ بالرُّكَّابِ
وتراهُ بَعْد ثَلاثَ عشْرَةَ قائماً ... مثل المُؤذِّن شكَّ يومَ سَحَاب
يتَنَفَّسُ الصُّعَداءَ عنْد مُراسِلٍ ... ويكادُ يخْلعُ جِلْدَه الكَعَّاب(1)

* * *

وقال أيضاً(*):

أخي أنْتَ النَّصيحُ فلَا تلُمْني ... فما دُوني مِن النُّصحاء ناب(2)
ولكِنْ غِبْتُ فِي بلدٍ بَعِيدٍ ... وبعْدَ الجهْدِ ما كان الإيابُ
فلمَّا جِئْتُ روعَنِي غَرِيمٌ ... يُحاوِلُ ما كرِهْتُ ولَا يَهَابُ
أخافُ غُدُوَّهُ يَمْشِي بِصكٍّ ... كحرِّ النَّارِ لَيْس لهُ انْقِلَاب
فرُغْتُ وأنْت مِنْ همِّي وبالِي ... وما كُلُّ الرَّواغ لَهُ عِقَاب
فلَا تعْجلْ بِلومِ أخٍ تمطَّى ... عليْه الخوْفُ والزَّمنُ العُجاب
وكُنْتَ تزُورنِي دهراً طويِلاً ... ولَا سِتْرٌ علَيَّ ولَا حِجابُ
فهذِي خِبْئتِي ودخيلُ أمْرِي ... كما أحْبَبْتَ لَيس له مَعَاب(3)
سِوى شَوْقٍ أظلُّ مِنْهُ ... علَى طربٍ وأضْعَفهُ الكِتَاب

* * *

(*) وقال وهو مما أفحش فيه . وقد ذكر أبو الفرج أن سبب هذه الأبيات أن النساء كن يجتمعن عند بشار ويسمعن من شعره ، فسمع كلام امرأة منهن، فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تواصله، فقالت لرسوله : وأي معنى فيك لي أو لك في وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني وأنت قبيح الوجه فلا حظ لي فيك؟ وجعلت تهزأ به ، فأدى الرسول الرسالة، فقال: عد إليها فقل لها الأبيات . وفي الأغاني زيادة بيتين على ما هنا ذكرناهما في الملحقات وهذه الأبيات من بحر الكامل .

1) «الصعَداء» بضم الصاد : التنفس القوي من إعياء ونحوه ، والمراسل (بضم الميم) : المرأة التي تراسل من يخطبها .

(*) وقال أيضا : في الاعتذار عن التخلف عن صديقه خشية لقاء غريمه . وهي من بحر الوافر .

2) لم يظهر معنى «ناب» هنا، فلعله تحريف ،وصوابه «باب» والمعنى أن لاحائل بيني وبين أحبابي.

3) كتب في نسخة الديوان «فهذي حبتي» وقد أصلحناه «خبئتي» .

وقال أيضاً(*):

أبا مالِكٍ طال النَّهارُ، وطُولُهُ إذا ما الْهوى بِالنَّفْسِ داءٌ يُصيبُها
أرى حاجتِي عِنْدَ الأَميرِ مرِيضَةً فهلَّا تُداوِيها وأنْت طبِيبُها

* * *

وقال أيضاً(*):

هلْ مِنْ رسُولٍ مُخْبِرٍ عنِّي جمِيعَ الْعرَبِ
مَنْ كانَ حيًّا مِنْهُمُ ومنْ ثَوى فِي التُّرُبِ
جدِّيَ الَّذِي أسْمُو بِهِ كِسْرى، وساسانُ أبِي
وقيْصرٌ خالِي إذا عددْتُ يوْماً نَسَبِي
كمْ لِي وكمْ لِي مِنْ أبٍ بِتاجِهِ مُعْتصِبِ
أشْوسَ فِي مجْلِسِهِ يُجْثَى لَهُ بِالرُّكَبِ
يغْدُو إلَى مجْلِسِهِ فِي الْجوْهرِ الْمُلْتهِبِ [96]
مُسْتفْضِلٌ فِي فنكٍ وقائِمٌ فِي الْجُجُبِ(1)
يَسْعَى الْهَبانِيقُ لَهُ بِآنِياتِ الذَّهَبِ(2)
لَمْ يُسْقَ أقْطابَ سِقًى . يشْربُها فِي الْعُلَبِ(3)

---

*) وقال أيضا يخاطب أبا مالك أحد وسطائه عند بعض الأمراء ، والبيتان من الطويل.

*) وقال أيضا يفتخر بالفرس ويذكر نصرهم لبني العباس وظهور الدعوة العباسية من بلخ وخراسان ، إلا أنه ستر شعوبيته فيها بأن افتخر بأن قومه الفرس نصروا آل النبي صلى الله عليه وسلم . أي نصروا العباسيين، وادعى أن الروم أخواله وقد مضى ذلك في المقدمة . وهي من مجزوء الرجز .

1) الفنك (بفتح الفاء وفتح النون) : اسم دويبة يتخذ من جلدها فرو كالسمور ، يوجد في البلاد الباردة من أوروبا و آسيا، ويقال: إن فروته أطيب أنواع الفراء يلبسها الملوك والسادة، وكان من لباس الخلفاء من بني أمية قباء فنك ، ويطلق اسم هذه الدابة على جلدها كما أطلقه بشار هنا .

2) «الهبانيق» : جمع هبنق (بضم فسكون) وهو الوصيف .

3) الأقطاب: جمع قطيب، وهو الشراب الممزوج ، يقال: قطب الشراب : مزجه ، وقوله «سقى» (بكسر السين) هو جمع سقية ، فلعله أراد بالسقية اسم ما يسقى، والعلب : جمع علبة، وهي القدح من الجلد يشرب فيها أوساط العرب لأنها لا تتكسر ، قال الشاعر :

لم تتفلع بفضل مئزرها دعد ولم تسق دعد في العلب

وَلَا حدا قطُّ أبِي ... خَلْفَ بعيرٍ جَرِبِ

وَلَا أتى حنْظلةً ... يثقُبُها مِنْ سَغَبِ(1)

وَلَا أتى عُرفُطَةً ... يخبِطُها بِالْخشبِ(2)

وَلَا شوينا ورلًا ... مُنضنضاً بِالذَّنَبِ(3)

وَلَا تقصَّعتُ وَلَا ... أكلتُ ضبَّ الْحِزَبِ(4)

وَلَا اصْطَلَى قطُّ أبِي ... مُفحِّجاً للَّهَبِ

وَلَمْ بايد نسيا ... وَلَا هوى لِلنُّصُبِ(5)

كَلَّا وَلَا كان أبِي ... يركبُ شرْجِيْ قَتَبِ(6)

إنَّا مُلُوكٌ لمْ نزلْ ... فِي سالفاتِ الْحِقَبِ

نحْنُ جلبْنا الْخيْلَ مِنْ ... بلْخٍ بِغَيْرِ الْكَذِبِ(7)

---

1) الحنظل: ثمر شجر من شجر العضاه يأكلونه في المجاعة.
2) العرفط: نبت ترعاه النحل فيكون في عسلها رائحة غير محمودة، وفي حديث الإيلاء قالت عائشة «جرست نحله العرفط».
3) الورل: دويبة مثل الضب، ومنضنض: متحرك بذنبه، صفة لورل.
4) التقصع: احتراش الضب من نقب جحره المسمى القاصعاء، والحزب (بكسر الحاء وفتح الزاي): اسم جمع حزباءة أو حزب وهي الأرض الغليظة.
5) المصراع الأول لم يظهر مراده.
6) الشرج (بفتح الشين المعجمة) القطعة التي تشرج بأخرى، وكل ما ضم بعضه الى بعض فقد شرج.
7) أشار إلى خروج جيش الدعوة العباسية ومجيئه بلاد الشام ثم إلى مصر يقفو أثر مروان بن محمد آخر خلفاء الأموية وذلك أن الدعوة العباسية ابتدئت في سنة 100 لأن عبد الله بن محمدابن الحنفية كان في سنة 98 أوصي شيعته من أهل خراسان والعراق إن مات يقصدون محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بالبلقاء من بلاد الشام، فلما مات بايعوا محمد بن علي وعادوا إلى أوطانهم، ودعوا الناس إلى بيعته فأجابوهم ،وسير محمد بن علي سنة مائة جماعة إلى العراق وخراسان وأمرهم بالدعاء إليه والى هل بيته، وفي سنة اثنتين ومائة ظهرت الدعوة العباسية بخراسان على أيدي جماعة من العراق جاءوا خراسان في أزياء تجار، ثم قويت الدعوة سنة 109 بخراسان على يد رجل من أهل بلخ ،.وفي سنة 118 اتخذت مدينة بلخ دار إمارة خراسان، ونقلت إليها الدواوين، وذلك في إمارة أسد بن عبدالله القسري، ولما كان خروج جيش أبي مسلم من المضرية بدعوة العباسيين من خراسان وكانت بلخ دار إمارة خراسان قال بشار :
نحن جلبنا الخيل من بلخ.... البيت

حتّـى سَقَيْنـاهـا ومـا نبْـدهُ نَهْـرَيْ حَلَـب(1)
حتّـى إذا مـا دوّختْ بـالشّـام أرض الصُّلُـب
سِـرْنا إلى مِصْرَ بِهـا في جَحْفَـلٍ ذي لَجَـبِ
حتّـى استلبنـا مُلْكها بِمُلْكنـا المُستَلَـبِ
وجـادت الخيْـلُ بِنـا طَنْجَـةَ ذاتَ العَجَـبِ (2)
حتّـى رددنـا المُلْكَ في أهْـلِ النَّبِـيِّ العـربِـي
يَهْـزَ أبا الفَضْـل بِهـا أولَى قُـريْشٍ بـالنّبـي(3)
من ذا الذي عَادَى الهدى والـدِّيـنَ لـم يُستَلَـب
ومَـن ومَـنْ عـانـدهُ أو جَــارَ لم يُنْتهَـبِ
نغْـضَـبُ لله ولِلْـ إسْلام أسْـرَى الغضـبِ
أنا ابْنُ فرْعَيْ فـارِسٍ عَنْهـا المُحـامـي العَصَـبِ
نحْنُ ذوو التِّيجـانِ والْـ مُلْـكِ الأشـمّ الأغلَـبِ

* * *

أي حتى بلغنا حلب ، وهي أول بلاد الشام ، فكنى عن وصولها بشرب الخيل من ماء نهر ها ، كقول المعري في رواحل سفره :

ولو وضعتْ في دجلة الهامَ لم تُفق من الكرع ألا والقلـوب خـوال

فالمعري كنى عن وصول بغداد بوضع الإبل رؤوسها في دجلة تشرب منها .
وقوله « ومـا نبـده » جملة معترضة ، أي وما يفاجئنا العدو، أي كان الأعداء مستعصمين بجهاتهم والوجه ضبط «نبده» بضم النون. وكتب «نهري حلب» ولعله تحريف إذ ليس بحلب إلا نهر واحد وهو نهر قُويق (بقافين) وهو الذي قال فيه المعري :

تمنت قويقا والصراة أمـامـها تـراب لهـا من أينق وجمال

2) وكتب في الديوان «وجادت» بدال بعد الألف، ولعله بهمزة بعد الألف. و«طنجة» كتب في الديوان بصورة تحتمل الموحدة بعد الطاء وخاء بعد الموحدة، وتحتمل نونا بعد الطاء وميما بعد النون وهذا الاحتمال الثاني اسم بلد بالمغرب الأقصى، ولا يصلح أن يكون مراد بشار واسم متنزه بمصر يظهر أنه مراد بشار، أي ذات العجب بمحاسنها، كما قالوا: إن شعب بوّان من عجائب العالم .

3) لم يتضح المراد من الكلمة الأولى. و(أبا الفضل) كنية العباس بن عبد المطلب، فلعل الكلمة الأولى محرفة عن « فاهنأ» أو«يهنأ» . وكتب « أولي » بتحتية بعد اللام وهو سهو صوابه « أولى » بهمزة مفتوحة في أوله وبألف ممالة في آخره وهي صفة « الفضل » ، أي أن العباس أقرب الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أيضـاً(*):

أَرسلتْ خُلَّتِي مِنَ الدَّمعِ غَـرْبَـا ... ثُمَّ قالتْ: صبوْتَ بلْ كُنْتَ صبًّا(1)

قُلْتُ: كلَّا لَا بلْ صفا لكِ حتّى ... زادكِ الله يـا عُبيْـدةُ حُبّـا

ما تعرَّضْتُ للْكوانسِ فِي السِّتْرِ ... ولَا الْعارضاتِ سِرْباً فسرْبـا(2)

أنتِ كَـدَّرْتِ شِرْبَهُنَّ فأَصْبَحْـ ... ـنَ غضاباً عليَّ يذْمُمْنَ شِرْبـا(3)

وتلَافيْتِنِـي بِـذلك عنْهُـنَّ ... وأُنْسٍ يُصَبّ لِلْحُبِّ صبّـا(4)

فلهُـنَّ الطَّـلَاقُ منِّـي، ومنّي ... لكِ طُـولَ الصَّفَـاءِ والْوُدُّ عـذْبـا

فاطْمئِنّي ملكْتِ نفْسِي وقلْبِـي ... وهُمُومِي فمـا يُجـاوِزْن وضْبـا

لَا تخافِي علَى مكانكِ عنْـدِي ... عوضُ ما هلَّل الْحجِيجُ ولبَّـى(5)

إِنَّ قلْبِـي ملْآنُ مِـنْ حبِّكِ الْمحْـ ... ـضِ فحسْبِي مِنْ حبِّي ثِنْتيْنِ حسْبـا

ضِقْتُ عن كُرْبةِ الْعِتابِ فحسْبِي ... لَا تزِيدِي حبِيبَ نفْسِكِ كرْبـا

ويْحَ نفْسِي، أَكُلَّما دبَّ واشٍ ... بِحدِيثٍ وثبْتِ لِلْهجْرِ وثْبـا

ما كذا يصْنَعُ الْمُحِبُّ فقَرِّي ... أَيْنَ مِنَّا منْ لَا يُقارِفُ ذنْبـا(6)

لَمْ يكُنْ لِي ربٌّ سِوَى الله يا عبْدَ ... فمالِي اتَّخذْتُ وجْهكِ ربّـا

---

*) وقال أيضا في عبدة. والقصيدة من بحر الخفيف.

1) «ثم قالت» أي معاتبة بقرينة قوله «أرسلت من الدمع غربا». وقولها «صبوت» أي ملت إلى أخرى بل كنت صبا اليها قديما.

2) أي ما تعرضت للنساء في خدورهن ولا في الطرق، فشبه الفريقين بالظباء في الكناس، والظباء: المتعرضات.

3) شبه امتلاكها لقبه بالحب حتى لم يبق فيه ميل إلى امرأة أخرى بتكدير الظبية غديرا يشرب منه الظباء، حتى لم يبق لهن مساغ للشرب منه، وذلك بناء على تشبيههن بالظباء في البيت قبله، ويجوز في قوله «شربا» كسر الشين وضمها. وضبط في الديوان بسكرة.

4) قوله «وأنس» بالجر عطف على الضمير المجرور بـ (عن). وضبط في الديوان بالضم.

5) «عوض» ظرف لاستغراق المستقبل، يجوز في آخره الفتح والكسر والضم بدون تنوين، وحركاته حركات بناء.

6) يجوز في مضارع «قر» بمعنى سكن كسر القاف على القياس وفتحها.

إنّني واهبٌ لوجهِكِ نفسي ... فاقبلِي ما وهبتُ نفساً وقلبا

ولقدْ قُلتُ للّذي لامني فيـ ... ـكِ جِهارًا وما تقنّعتُ خَبّا(1)

رُحْتَ صُلْباً ولوْ شرِبتَ مِن الْحبّ ... بِكأسِي لما تَروّحتَ صُلْبا(2)

فاتْرُكِ اللّومَ في عُبيدة إنّي ... تاركٌ من يلُومُ فِي تِلْك جَنْبا

حدّثتْنِي الْعيُونُ عنها فحالفْـ ... ـتُ الْمُصلّى أدْعُو إلهِي مُكِبّا

كدُعاء الْمكْرُوبِ فِي لُجّة الْبحْـ ... ـرِ يُنادِي الرّحْمنَ رغْباً ورَهْبا(3)

فاسْتجاب الدّعاءَ واستوجب الشّكْـ ... ـرَ إلهٌ قرِيبٌ ازْداد قُرْبا

كانَ ما كانَ بِي مِنَ الوَصْفِ عنْهَا ... ثُمّ عايَنتُ ذاك فَازْددْتُ عُجْبا(4)

هِيَ رُودُ الشّبابِ فَاتِرةُ الطّرْ ... ـفِ تدرّى مِثْلَ الْعرِيشِ اسْلَحَبّا(5)

عقِبُ الْمنْكبَيْنِ عنْ مسبَحِ الْقُبْـ ... ـبِ بَرُودُ اللّثاتِ يبْرُقْن شَنَبا(6)

---

1) أراد بنفي التقنع هنا نفي ملابسة الخداع في جوابه لمن لامه، كقوله تعالى «ولباس التقوى ذلك خير» وكقول أبي تمام :

أألبس هجر القول من لو هجوته ... إذن لهجاني عنه معروفه عندي

والخب (بفتح الخاء وكسرها) : الخداع .

2) تاء «رحت وشربت وتروحت» كلها تاءات خطاب مفتوحات، وهي من قوله للائمة، وضبطها في الديوان بالضم وهو خطأ، و «تروحت» كتب بزاي وجيم، وهو خطأ، والصواب أنه بحاء مهملة وراء .

3) «المكروب» هو نوح عليه السلام وأشار إلى قوله تعالى «ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم» أو أراد يونس .

4) قوله «من الوصف» (من) ابتدائية، أي حصل ماحصل بمجرد وصفها لي فلما عاينتها ازددت؛ وقد نسي في هذا البيت أنه أعمى، أوأنه أراد بالمعاينة مباشرة حديثها .

5) تدرت المرأة تتدرى : سرحت شعرها، فحذف إحدى التائين، و«مثل العريش» أي شعر مثل العريش، «واسلحب» استقام .

6) لم يتضح معنى المصراع الأول .

يشبعُ الحجلُ والدَّماليجُ والسُّو ... رُ بجمٍّ يلبِسْن بالعيْنِ طبَّـــا (1)

وثِقَالُ الأَرْدافِ مهْضُومـةُ الكشْـ ... ـحِ كغُصْنِ الرَّيْحانِ يهتـزُّ رَطبَـا

إنْ أُمتَّـعْ بِهـا فيا نِعْمـةَ اللَّـ ... ـهِ ! وإنْ ينْحرِمْ فويْلِي مُحِبَّـا ! (2)

---

1) الحجل (بكسر الحاء وفتحها وبسكون الجيم): الخلخال، والدماليج: جمع دملج (بضم الدال وضم اللام) كالخلخال يلبس في العضد ، والسور: جمع سوار ، وهو ما يلبس على الرسغ ، والشبع استعارة لعدم الاتساع ، أي لكون هذه الحلي ملأى بلحم رجليها وعضديها ورسغيها . والجم: الكثير، أراد اللحم . وقوله «يلبسن» بفتح الياء، ويلزم أن يكون بكسر الباء مضارع لبس إذا خلط وأوهم، أي يخلطن في عين الناظر، والطب: السحر (تقدم في البيت 10 من الورقة 32).

2) كتب في الديوان «ينحرم» يريد نفسه فهو التفات من التكلم إلى الغيبة وهو مقابل قوله « إن أمتع بها» والالتفات أسلوب من أساليب الكلام العربي ، وسماه أبو الفتح ابن جني شجاعة العربي وجعله السكاكي مجددا لنشاط السامع ولم يشترطوا له نكتة فإذا انضم إلى ذلك اعتبار بليغ كان أحسن . (وانحرم) بمعنى أحرم، أي تحرمني فأنحرم .

« محبا » تمييز لما تضمنه قوله « فويلي » من التعجب ، كقولهم (لله درك عالما) تبيينا لما في التعجب من الإبهام .

فهرس

الجزء الاول من ديوان بشار

صفحة

مقدمة 5
نسب بشار 8
أهله 14
مولده ونشأته ووفاته 16
صفته 17
عمي بشار 18
لباسه 19
خلقه 20
بداهة جوابه وملحه 21
مجلسه 24
اعتقاده 24
سبب وفاته 39
مكانته لدى الخلفاء و الأمراء 42
غرامه وهل هو حقيقة أو تصنع 43
سعة علمه بالعربية وتفننه 47
البصرة وقبائل العرب حولها 48
مرتبته من العلم 49
شعره 49
نظم شعره 64
نسيب بشار 67
هجاء بشار 68
رجز بشار 69
أقدم شعر بشار 70

راوية بشار وكاتب شعره 71
شيطان الشعر عند بشار 72
توسع بشار في اللغة وقياسه فيها 73
مكانة شعر بشار من حفظ فصيح اللغة ومستعملها 84
مكان شعر بشار من حفظ التاريخ 88
شهادة الأيمة لبشار بجزالة الشعر وسلامة الذوق 89
إهتمام أهل الصناعة بشعر بشار 94
من نقد بشارا ومن أجاب عنه 96
نقده للشعر والشعراء 101
مكانته في النثر 103
علاقة بشار بإفريقية 105
أعلام شعر بشار 105
ديوانه 107

قافية الهمزة

قال في أبي أيوب المكي 126
وقال أيضاً يمدح عقبة بن سلم 132
* وقال أيضاً (في الغزل) 138
* وقال أيضاً (في حبيبة له فارقت بلده حين تزوجت) 139
* وقال أيضاً (ينسب بعبدة) 140
وقال أيضاً يهجو الباهلي 145
وقال فيه أيضاً 146
وقال أيضاً يهجو يحيى بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس 147
وقال أيضاً (في هجاء من اسمه بشر ، من أهل دابق) 150
وقال أيضاً (في شيء جرى بينه وبين حماد مع تعريض بتقصير عقبة بن سلم) 150
وقال أيضاً (في الشكاية من العذال والحساد) 154

قافية الألف

وقال أيضاً في الزهد (وإنما هي في الفخر وذم الزمان وأهله ثم هجاء الباهلي) 157

قافية الباء

وقال أيضاً يمدح داود بن يزيد 159
وقال أيضاً يمدح عقبة (ابن سلم) 164

وقال أيضاً يمدح ابن هبيرة ... 169
وقال أيضاً (في نهي الخليفة له عن مغازلة النساء) ... 182
وقال يعاتب يعقوب بن داود ... 186
وقال أيضاً (في الشكاية من هجر عبدة) ... 188
وقال أيضاً (في خليلته حُبّى العامرية) ... 190
قال أيضاً (في النسيب بحبيبته حمدة المكناة بأم محمد) ... 191
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 194
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 197
وقال أيضاً (في النسيب) ... 198
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 200
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 205
وقال أيضاً (في النسيب بسعدى المالكية) ... 208
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 214
وقال أيضاً (في النسيب بسلمى) ... 216
وقال أيضاً (في النسيب بحبابة ، وهي حبى العامرية) ... 219
وقال أيضاً (في النسيب بمن اسمها طيبة) ... 220
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 221
وقال أيضاً (في سعدى المالكية) ... 223
وقال أيضاً (في سليمى وعواذله فيها) ... 225
وقال أيضاً (في النسيب بامرأة من الأزد) ... 229
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 230
وقال أيضاً (في حبيبته طيبة) ... 231
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 233
وقال أيضاً (في أسماء ابنة الأشد من بني جشم) ... 233
وقال أيضاً (في حبيبته خشابة) ... 236
وقال أيضاً (في عبدة) ... 238
وقال أيضاً (في الغزل) ... 241
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) ... 243
وقال أيضاً (في سلمى) ... 245
وقال أيضاً (في حبيبته سلمى وفي هجاء بعض الوزراء اللئام) ... 248
وقال أيضاً (في التشوق إلى سلمى) ... 250

وقال أيضاً يمدح سليمان بن داود الهاشمي 254
وقال أيضاً (في الفخر على أعدائه وفي الغزل) 263
[وقال أيضاً في حاسد] 267
وقال أيضاً (يشبب بصفراء) 268
وقال أيضاً (في النسيب بالرباب المكناة بأم بكر ، وفي الفخر) 271
وقال أيضاً (في وصايا وحكم) 275
وقال أيضاً (في هجو بعض القبائل ومدح بعضها ، وفي مدح روح بن حاتم) 276
وقال أيضاً (في الرثاء) 277
وقال أيضاً يرثي ابناً له أصيب به (اسمه محمد) 278
وقال أيضاً (في عبدة) 280
وقال يمدح أمير المؤمنين المهدي 280
وقال أيضاً (في عبدة) 281
وقال أيضاً (في الهجاء) 283
وقال أيضاً (في التشبيب بسليمى) 287
وقال أيضاً (في إحدى حبائبه) 289
وقال أيضاً (في الغزل بحبى) 291
وقال أيضاً (في هند) 292
وقال أيضاً (في الغزل) 295
وقال أيضاً يمدح الإمام المهدي رحمة الله عليه 296
وقال أيضاً يمدح داود بن حاتم 299
وقال أيضاً يمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك رحمه الله 312
وقال أيضاً يمدح أخاً له 321
وقال أيضاً يمدح يعقوب بن داود 322
وقال أيضاً يمدح مروان بن محمد بن مروان ، ويمدح قيس عيلان 323
وقال أيضاً يمدح الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين رضي الله عنه 340
وقال أيضاً يمدح روح بن حاتم 348
وقال أيضاً يمدح روح بن حاتم 355
وقال أيضاً (في النسيب) 362
وقال أيضاً (في النسيب بعبدة) 366
وقال أيضاً (في النسيب بالرباب) 367
وقال أيضاً (في النسيب) 369

وقال أيضاً (في النسيب بمن اسمها بانة) 371
وقال أيضاً [في ذوات الود] 374
وقال أيضاً (في النسيب) 374
وقال [في نكهة امرأة) 375
وقال (في النسيب) 375
وقال (في هجاء أبي هشام الباهلي) 375
وقال للقزر المعلم .(أبي هشام الباهلي) 380
وقال أيضاً (في هجاء حماد عجرد) 382
وقال أيضاً لعمر بن حفص بن هزار مرد يرثيه 384
وقال يهجو متجابا 385
وقال أيضاً (في ذم أصحابه) 387
وقال أيضاً وهو مما أفحش فيه 388
وقال أيضاً (في الاعتذار عن التخلف عن صديقه خشية لقاء غريمه) 388
وقال أيضاً (يخاطب أبا مالك أحد وسطائه عند بعض الأمراء) 389
وقال أيضاً (يفتخر بالفرس) 389
وقال أيضاً (في عبدة) 392

أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

الإيداع القانوني :2508-2007
ردمك :978-9947-24-279-7

سحب الطباعة الشعبية للجيش
الجزائر - 2007

ISBN 978-9947-24-279-7